سلسلة دورات التثقيف الحضارى (4)

ثقافات متنوعة فى حضارة جامعة

أغسطس 2008

إبراهيم البيومى غانم

خالد مصلح

عبد الحميد أبو سليمان

محمد السعيد إدريس

محمد السيد سليم

محمد على آذرشب

محمد عمارة

محمد نجيب خان

مصطفى دسوقى كسبة

نوزاد صواش

يوسف عامر

تنسيق علمى وإشراف

نادية محمود مصطفى

سيف الدين عبد الفتاح

مراجعة وتحرير

محمد كمال محمد

مقدمة:	د/ نادية محمود مصطفى
الكلمات الافتتاحية	د/ نادية محمود مصطفى د/ عبد الحميد أبو سليمان
"خبرة التنوع والتعدد الثقافى فى تاريخ الحضارة الإسلامية"	د/ محمد عمارة
"الخبرة الماليزية"	د/ محمد السيد سليم
"الخبرة الإندونيسية"	أ/ مصطفى دسوقى كسبة – د/ خالد مصلح
"الخبرة الباكستانية"	د/ يوسف عامر – د/ محمد نجيب خان
الخبرة التركية	
	أ/ نوزاد صواش
	د/ إبراهيم البيومى غانم
الخبرة الإيرانية	
	د/ محمد على آذرشب
تعليق د. نادية مصطفى	
	د/ محمد السعيد إدريس
حوارات حول خبرات ذاتية: مداخلات طلبة إندونيسيين وأتراك يدرسون فى مصر	

مقدمة

مدحت ماهر

على الرغم من أن عصرنا أضحى يدعى عصر المعلومات والاتصالات وعصر المعرفة، فإن حقائق الواقع لا تزال تؤكد الحاجة الشديدة والماسة للمعرفة والتعرف والتعارف المتعلق بأساسيات الحياة المعاصرة وثوابتها ومتغيراتها. فلقد أثبتت الحلقات المتتالية من دورة "التثقيف الحضاري" التي ينظمها مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات (برنامج حوار الحضارات سابقًا) منذ عام 2005م، أن طلابنا وشبابنا لديهم الكثير من الأسئلة والمطالب الخاصة بالجانب الثقافي العام والمعرفي فضلاً عن الجوانب المنهجية والعلمية المتخصصة. كما أن لديهم استعدادات عالية للتفاعل والتجاوب مع متطلبات التثقيف والتعرف على قضايا الحضارات المعاصرة وخصائصها، وأنماط علاقاتها، وأصناف العمليات الفكرية والسياسية والإستراتيجية والأيديولوجية الجارية في المجتمع الحضاري العالمي، وداخل الحضارات الرئيسية.

انطلقت السلسلة من مقام التأسيس والتعريف بالمكونات الأساسية لذاتنا الحضارية: ذخرها التراثي ومداخله، وتحدياتها الراهنة في الداخل والخارج، ونموذجها المعرفي، ورؤيتها للعالم، ومضت إلى التفاعل حول عناصر الحضارة العامة من المفاهيم، والقيم، والمقاصد، والسنن، والعمران، والتاريخ والفنون والأدب،... لكي تتبدل أمام الأجيال الصاعدة أصول فقه الحضارات المعاصرة وضرورات مواكبة التغيرات التي تستجد عليها برؤى منهجية عميقة وموضوعية وفاعلة، تستفيد من التجارب التاريخية، والخبرات الحوارية الراهنة، وتنفتح على تجليات الحضارات في سائر المجالات السياسية والاجتماعية والمعلوماتية والفنية.

استفدنا من ثمار هذه الحلقات قواعد مهمة وأصولاً أساسية؛ لعل من أهمها قاعدة أن "الاختلاف الحضاريّ سنة ماضية"، وأن ثمة فارقًا بين اختلاف مآله الائتلاف، واختلاف ينزع إلى الصراع والصدام، وأن المنشود وهو تزكية اختلاف التنوع، ورفع اختلافات التضاد والتعارض، وأن على شبابنا أن يتعلم جيدًا ويتدرب على التعامل مع الاختلاف والتعدد والتنوع سواء بين الحضارات، أو داخل الحضارة والعربية الإسلامية نفسها بل داخل الوطن الواحد على نحو ما برز في وجوه مصر الثقافية والعمرانية وتماسك بنية جماعتها الوطنية.

بناء على كل هذا، وفي ظل الحديث الرائج عن تعدد الإسلامات، ومحاولات طرح وجوه متعددة الحضارة العربية والإسلامية باعتبارها وجوه تضاد وتنافٍ، ومع تسويق وتداول عناوين مثل الإسلام الآسيوي، والإسلام التركي، والفارسي، والعربي، والأمريكي والأوروبي وخلافه... وصعود رؤية تمزيقية تفريقية تهدف إلى أن تضرب ذاتنا الحضارية بعضها ببعض،

وفي ضوء تساؤلات الشباب عن حقائق التنوع الداخلي ضمن حضارتنا، تأتي الحلقة الرابعة لتلقي الضوء على هذه المساحة في "ثقافات متعددة ضمن حضارة واحدة".

تهدف هذه الحلقة إلى استعراض عدد من النماذج أو الحالات الثقافية المختلفة (اختلاف تنوع) ضمن الإطار العام للحضارة الإسلامية، تستعرضها في تاريخها المعاصر ووقتها الراهن مع إطلالة على ذاكرتها التاريخية وما تنبئ عنه من ثوابت ومن متغيرات، ومن أصول ومن فروع.

لقد قام مركز الدراسات الحضارية بعمل متراكم ومتنوع في هذا الاتجاه، برعايته لفعاليات حوارات بينية، وتفعيل علاقات مع جهات علمية وبحثية وحوارية في بقاع مختلفة من العالم العربي والإسلامي، وإشرافه على نموذج المحاكاة الطلابي الخاص بمنظمة المؤتمر الإسلامي تثقيفًا وتدريبًا للطلاب على المشاركة والعيش في قضايا الأمة والعالم وخصائص العصر، ومن ثم فإن هذه الحلقة تأتي استكمالاً لجهد متواصل في بناء الجسور وبين ثقافاتنا المتنوعة داخل حضارتنا الجامعة.

تتناول الدورة خمس حالات أو نماذج ثقافية داخل الحضارة الإسلامية، من وجهة نظر معاصرة ومعايشة لكل نموذج؛ وهذه النماذج تتمثل في: الخبرة التركية، الخبرة الإيرانية، الخبرة الماليزية، الخبرة الإندونيسية، الخبرة الباكستانية، حيث يتناول المشاركون استعراض طبيعة كل نموذج ثقافي ومحدداته وخصائصه، ونبذة عن ذاكرته والمبادئ الأصيلة من، والمستجدات التي يمر بها النموذج، والثقافات الفرعية المندرجة في إطار كل نموذج أو التي ربما يندرج النموذج الثقافي المسلم نفسه في إطارها... وفي هذا يتم التركيز على الجوانب الحضارية والثقافية الشاملة بالأساس.

يتحدث عن كل خبرة أستاذان: أحدهما يمثل النموذج الثقافي تمثيلاً فعليًّا، والآخر خبير في دراسته، بحيث تتكامل عناصر استعراض كل نموذج من داخله ومن خارجه... هذا بالإضافة إلى الجانب التفاعلي من الطلاب المشاركين والذي لا شك أنه مناط إثراء هذه الفعالية وإثمارها.

المحاضرة الافتتاحية

كلمة د. نادية مصطفى*:

بسم الله الرحمن الرحيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد أبو سليمان رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة المفكر الإسلامي القدير، السادة الحضور، أهلاً وسهلاً بحضراتكم في هذه الحلقة الرابعة من سلسلة دورة التثقيف الحضاري التي ينظمها برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات (برنامج حوار الحضارات سابقًا).

في الواقع، إن هذه الدورة تقوم على فلسفة معينة، تبني وتراكم على الفلسفات التي قامت عليها كل دورة من الدورات السابقة، فنحن نعيش في عصر المعلومات والاتصالات والمعرفة، ومع ذلك –وكما نعرف جميعًا أو كما يشعر البعض منكم أو منا– فإن حقائق الواقع مازالت تؤكد الحاجة الشديدة والماسة إلى المعرفة والتعارف المتعلق بأساسيات الحياة المعاصرة وثوابتها ومتغيراتها.

ولقد أثبتت الحلقات الثلاث السابقة من دورة التثقيف الحضاري التي نظمها البرنامج منذ عام 2005 أن أبناءنا وشبابنا لديهم الكثير من الأسئلة والمطالب الخاصة بالجانب الثقافي العام والمعرفي، فضلاً عن الجوانب المنهاجية والعملية المتخصصة.

كما أن لديهم استعدادات عالية للتفاعل والتجاوب مع متطلبات التثقيف والتعرف على قضايا الحضارات المعاصرة وخصائصها وأنماط علاقاتها وأصناف العمليات الفكرية والسياسية والاستراتيجية والأيديولوجية الجارية في المجتمع الحضاري العالمي وداخل الحضارات الرئيسة فيه.

لقد تتابعت الحلقات التثقيفية الثلاث الماضية في محاولة للإجابة بشكل تراكمي على أسئلة رئيسة التي تفرضها الساحة الحضارية الراهنة، وفرضتها آمال وتطلعات طلابنا وأهدافهم.

هذه الحلقات أو الأسئلة التي تطرقت إليها الدورات الثلاث السابقة هي: كيف يتم بناء الذات الحضارية والوعي الحضاري، ما معنى المنظور الحضاري ومنهاجية النظر إلى العالم من حولنا، وأخيرًا – وفي الدورة الثالثة في العا م الماضي– ما بنية الجماعة الوطنية من منظور التنوع ومنهاجية التعدد؟

وفي ارتباط هذه الأسئلة الثلاثة الكبرى التي تناولتها الدورات السابقة، اتضح كم هو التفاعل والعطاء المتبادل بين الأساتذة والخبراء والشباب، وكيف نمت ونضجت هذه الدورات من مجرد محاضرات يُلقيها بعض الأساتذة إلى عرض أفلام ومناقشات وحوارات بحيث تبلور شكل الدورة أكثر فأكثر.

---

* أستاذ العلاقات الدولية، مديرة مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية-جامعة القاهرة

ومن ثم، اتضح لنا أهمية الاستمرار في هذا الاتجاه لمواصلة التوعية والبناء على هذا النحو، باحثين عن دوائر جديدة يهتم بها هذا العمل التثقيفي.

وقد استفدنا من استمرار وثمار الحلقات السابقة قواعد مهمة وأساسية أعتقد أنها ضرورية لتشكيل الوعي والذاكرة والتوعية. فالعالم حولنا يُركز بالنسبة إلى الشباب على المهارات العملية من الكمبيوتر واللغة، و المهارات الإدارية. وهذه الأمور في حد ذاتها هامة، ولكني أعتقد أنه لا يقل أهمية عنها أن تكون ذات روح وذات توجه وذات هوية.

ولذا، فإن الحلقات الثلاث السابقة أثمرت عن عدة نتائج كان من أهمها: أن الاختلاف الحضاري سُنة أساسية، وأن ثمة فرق بين اختلاف مآله الائتلاف واختلاف يؤدي إلى الصراع والصدام، وأن المطلوب منا جميعًا العمل على تزكية اختلاف التنوع ورفع اختلافات التضاد والتعارض، وأن على شبابنا أن يتعلم جيدًا ويتدرب على التعامل مع الاختلاف والتعدد والتنوع، سواء بين الحضارات أو داخل الحضارة العربية الإسلامية نفسها، بل داخل الوطن الواحد وهذا على نحو ما برز في وجوه مصر الثقافية والعلمية والتماسك بين جماعتها الوطنية التي حاولنا أن نُلقي عليها الضوء في الدورة الماضية.

وبناءً على هذا، وفي ضوء تطوير فكرة عمل برنامج الدراسات الحضارية ذاتها والانتقال من الاهتمام بالحوارات مع الغرب فقط إلى الاهتمام بدائرة الحوارات الداخلية البينية، كان تفكيرنا في موضوع هذه الدورة لتكون جزءًا أساسيًّا في برنامج عملنا بالدراسات الحضارية طوال العامين القادمين.

وفي ظل حديث مستمر ومتعدد عن "الإسلامات المتعددة"، حيث ما يُقال عن إسلام آسيوي، وإسلام تركي، وإسلام فارسي، وإسلام عربي، وإسلام أمريكي وإسلام أوربي، وخلافه، وأيضًا أمام صعود الرؤى التفتيتية التفريقية التي تهدف إلى ضرب ذاتنا الحضارية ببعضنا البعض في إطار المخططات السياسية الكبرى المرتبطة باستراتيجيات القوى العظمى، وفي ضوء تساؤلات الشباب من حولنا عن حقائق التنوع الداخلي ضمن حضارتنا، تأتي هذه الحلقة الرابعة لتُلقى الضوء على هذه المساحة تحت عنوان "ثقافات متعددة ضمن حضارةٍ واحدة".

وتهدف هذه الحلقة كما ترون حضراتكم بجدول الأعمال إلى استعراض عدد من النماذج أو الحالات الثقافية المختلفة، حيث الاختلاف والتنوع ضمن الإطار العام للحضارة الإسلامية.

فنستعرضها في تاريخها المعاصر ووقتها الراهن مع إطلالة على ذاكرتها التاريخية، وما تُنبه إليه من معالم، ومن ثوابت ومتغيرات، ومن أصولٍ وفروع.

ولقد قام برنامج الدراسات الحضارية بعملٍ متراكم ومتنوع في هذا الاتجاه كما سبق وأشرت. وهذا بالنسبة لإعادة الحوارات البينية مع جهات بحثية وعلمية وحوارية في كلٍ من تركيا وإيران والمغرب، وإشرافه على نموذج المحاكاة الطلابي الخاص بمنظمة المؤتمر الإسلامي، تثقيفًا

وتدريبًا للطلاب للعيش والمشاركة في قضايا الأمة والعالم والأمة في هذا العالم وخصائص العصر ومشاكل الإنسانية برمتها.

ومن ثم، فإن هذه الحلقة تأتي استكمالاً لجهدٍ متواصل في بناء الجسور بين ثقافاتنا المتنوعة وداخل حضارتنا الجامعة من ناحية، والجهود الدائبة لبناء الجسور بين الثقافة السائدة والثقافات الفرعية في داخل كل وطنٍ من أوطاننا العربية والإسلامية من ناحية أخرى.

وتتناول الدورة – كما ترون حضراتكم– خمس حالات/ خبرات أو نماذج ثقافية من داخل الحضارة الإسلامية من وجهة نظر معاصرة ومعايشة لكل نموذج، هذه النماذج تتمثل في: الخبرة التركية، الخبرة الإيرانية، الخبرة الماليزية، الخبرة الإندونيسية، الخبرة الباكستانية.

ولقد بذل البرنامج جهدًا دءوبًا، في محاولة لاستقطاب ودعوة أفضل من يستطيع للحديث في هذا الأمر، وبالفعل نجحنا في الحصول على موافقة أ. نوزاد من الجانب التركي، بينما في الحقيقة فشلنا في دعوة الضيف الإيراني ليس لأنه لم يقبل الدعوة، ولكن لأن الأمن رفض أن يدخل جامعة القاهرة أستاذ إيراني في هذه المرحلة استمرارًا لخبرة الجامعات المصرية في هذا الأمر، كما أن السفارة الباكستانية تعاونت معنا كثيرًا وقد قام الملحق الثقافي والإعلامي بجهد أساسي في هذا الأمر، وكذلك السفارة الإندونيسية، ولم تسفرمحاولاتنا مع السفارة الماليزية على أكثر من مستوى عن أن نتمكن من تحقيق مشاركة فاعلة لها لأكثر من سبب يتعلق بارتباطاتهم .

وهكذا، لديكم الجدول الذي أمامكم، يتصدره وعلى رأسه وكتقليدٍ جديد لدورة التثقيف الحضاري أن يكون لدينا محاضرة افتتاحية في موضوع متصل بموضوع الدورة، فنرحب ثانية بالأستاذ الدكتور محمد عمارة ونشكره على قبوله المشاركة معنا في هذه الدورة لتقديم المحاضرة الافتتاحية التي ستمثل تأسيسًا وتدشينًا لأعمال الدورة. وسنستمع إلى ما سيُقدم سيادته.

أيضًا، الجديد في هذه الدورة مقارنة بالدورات الأخرى، أننا لدينا أفلام وثائقية خاصة بكل نموذج، وهذه الأفلام سيتم عرضها في نهاية كل يوم من أيام الدورة، فضلاً عن أن اليوم الأخير وهو يوم الخميس قائم على جهد الطلبة المشاركين أساسًا من ماليزيا ومن إندونيسيا ومن تركيا وباكستان، فنأمل أن يُقدم بعضهم شهادات حية عن حوار الحياة من خلال خبرتهم في التواجد في مصر. وكنا نأمل أن يكون لدينا طلبة مصريين لديهم نفس هذه الخبرة من التواجد في دولٍ أخرى، وإن كنت أعرف أن هناك بعض الطلبة من نموذج منظمة المؤتمر الإسلامي قد سافروا في زيارة إلى ماليزيا.

إذن، لا يكفي الحوار الفكري على مستوى النخب وعلى مستوى الأكاديميين، فهناك حوار الحياة أيضًا وهو مهم في هذا الأمر.

وفي الحقيقة، هذه ملاحظات مبدئية أحب التذكرة بها، باعتباري أستاذ للعلاقات الدولية في المقام الأول وأستاذ علوم سياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية التي نشرف باحتضانها هذا النوع من النشاط الخاص بالثقافة والحضارة بأبعادها المقارنة العربية والإسلامية وغيرها.

وهذه الملاحظات تتلخص في الآتي:

الملاحظة الأولى: إن المقصود بالتنوع والتعدد هو التنوع القومي والعرقي والمذهبي والديني بين الشعوب الإسلامية وداخل كل وطن من الأوطان الإسلامية.

الملاحظة الثانية: أننا نعيش لحظة تاريخية متدنية من حيث تحول التنوع والتعدد الإيجابي إلى تعدد وتنوع سلبي قائم على التنافر والتناحر، ما يجعل كثير منا يتساءل أين هذه الأمة التي تجمع بين هذه الشعوب؟!

ومن هنا، تأتي أهمية الجمع بين ما سيُقدمه الأستاذ الدكتور محمد عمارة والأفكار الرئيسة التي سيتحدث عنها الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان وبين الواقع الراهن الذي ستقدمه هذه النماذج في محاولة لأن نفهم لماذا تحول هذا التنوع والتعدد الذي قامت عليه أمتنا عبر تاريخها من تنوع إيجابي شيد وأقام حضارة إلى آخر سلبي تقوم عليه النزاعات والصراعات في داخل الوطن الواحد وبين الأوطان الإسلامية على نحو يجعل الفرقة والانقسامات والصراعات الدموية هي الغالبة على حالة وخريطة هذه الدائرة العربية والإسلامية.

بعبارة أخرى إن **الملاحظة الثالثة:** تركز على خطورة تسييس التعدد والتنوع ليُصبح تضاد وتناقض في ظل تدخل خارجي، وفي ظل أرضية خصبة تمثل بيئة خصبة لهذا التدخل، هذه الأرضية مفادها التدهور والتدني الداخلي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية على جميع الأصعدة.

الملاحظة الرابعة: أني أدعوكم إلى التركيز على المغزى المقارن بين كل نموذج من النماذج الخمسة والآخر، فكيف استطاع كل نموذج أو لم يستطع إدارة التعدد والتنوع على صعيده ليجعله مُدخلاً من مداخل تنمية حضارية شاملة وفق نماذج سياسية واقتصادية واجتماعية متنوعة. فلدينا ماليزيا وإندونيسيا وتركيا وإيران وباكستان، أي لا تقدم نموذج/نماذج واحدة من حيث النظم السياسية أو النماذج الاقتصادية أو الاجتماعية أو الخبرة التاريخية، وإن كانت جميعها تنتمي إلى الأمة الإسلامية.

الملاحظة الخامسة: أننا بحاجة إذا فهمنا هذا التنوع والتعدد، أن نفهم ما المشترك بيننا جميعًا والذي يجعلنا نحن جميعًا– وكما ذكرت –جزءً من أمة تقوم على التعارف والتنوع وأيضًا تضم في ثناياها الكثير من الأقوام والأعراق والمذاهب والملل.

وأخيرًا، أحب أن أوجه خالص التحية والتقدير إلى دكتور عبد الحميد أبو سليمان لرعايته برنامج الدراسات الحضارية وتشريفه لنا، أيضًا أشكر د. فتحي الملكاوي ود. عبد الرحمن النقيب.وأكرر شكري للأستاذ الدكتور محمد عمارة.

وفي الحقيقية، أود تقديم شكر آخر لإسلام أون لاين التي تعد بثًا مباشرًا لأعمال هذه الدورة، والتي قدمت رعاية مهمة لها.

وأيضًا، أشكر الأستاذ مدحت ماهر الباحث بالدراسات العليا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وشكر من القلب حقيقة إلى الأستاذة علياء وجدي المدير التنفيذي لبرنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات على الجهد الكبير الذي قامت به لإعداد هذه الدورة منذ عدة أشهر.

وفي النهاية، وكان يجب أن يكون هذا بداية، أحب من هذا المنبر –وهذه أول مرة أتصدر افتتاح نشاط عام لبرنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات خلال هذا العام الدراسي –أحب أن أوجه التهنئة للأستاذة الدكتورة عالية المهدي العميدة الجديدة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية عقب انتهاء فترة عمادة الأستاذة الدكتورة منى البرادعي، وخالص تحيتي وتقديري للأستاذة الدكتورة منى البرادعي، فلقد ساندت طوال فترة عمادتها والتي استمرت ثلاث سنوات برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، ولعلها أرادت أن تتوج هذه الرعاية بأن كانت صاحبة المبادرة الأساسية ليتحول البرنامج بإذن الله إلى مركز من مراكز كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مثل المراكز الأخرى، والإجراءات على وشك الانتهاء بإذن الله.

وأتمنى أن يكون التعاون مع الأستاذة الدكتورة عالية المهدي خلال الأعوام القادمة ليس أقل ثراءً وغنى بالنسبة لبرنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، وهذا لأن البرنامج وهو جزء من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قد قدم تراكمًا في هذه الكلية، مستدعيًا أبعاد ثقافية وحضارية لفهم وتحليل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصفةٍ عامة. وهذا تراكم علمي ومعرفي ليس على صعيد كلية الاقتصاد فقط. ولكن أيضًا لتكون على مستوى مسار التطور في العلوم الاجتماعية والسياسية بصفة خاصة على مستوى العالم، حيث إن المدارس والنظريات في هذه الحقول تشهد تحولاً وتستدعي اهتمامًا متزايدًا، لفهم الأبعاد الدينية والثقافية والحضارية بكل هذه الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يموج بها عالمنا المعاصر وليس فقط مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

أعتذر للإطالة، ولكن وجب على أن أقدم هذه الدورة بما تستأهله. وننتقل الآن إلى الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان ليشارك في هذه الجلسة الافتتاحية بكلمة تحية لكم قبل أن ننتقل للأستاذ الدكتور محمد عمارة.

وحقيقة، فإن الدكتور عبد الحميد أبو سليمان كان في زيارة سريعة إلى مصر، وأردت أن أستفيد بوجوده ليُشارك معنا في هذا الافتتاح، ولقد قبل سيادته هذه الدعوة –وإن كانت متأخرة– ليكون معنا في هذه الجلسة الافتتاحية.

أشكر لكم حضوركم جميعًا وأتمنى أن تكون دورة مجدية بإذن الله. وأنقل الكلمة إلى الدكتور عبد الحميد أبو سليمان.

كلمة د. عبد الحميد أبو سليمان*

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

إن عبد الحميد أبو سليمان هو زميل قديم لكم، وهو خريج قسم العلوم السياسية بكلية التجارة، دفعة عام 1959 وهي أخر دفعة علوم سياسية بكلية التجارة، وأيضًا حاصل على ماجستير في العلوم السياسية من جامعة القاهرة.

في الواقع إن الإنسان المجد دائمًا ينتهز الفرص للاستفادة منها، ولذلك فإني الآن أود توجيه رسائل محددة وسريعة، وعليكم متابعة هذه القضايا.

وأعتقد أننا باعتبارنا زملاء ونتحدث من داخل تخصص العلوم السياسية، فإنه يجب الالتفات إلى أن القضية المطروحة في العالم الإسلامي الآن وبشدة هي: قضية تقبل الآخر والحوار معه...إلخ، وذلك على نحو يوحي بأن الجميع متساوون وعلى صواب، وعليك أن تقبله وتسلم بمعطياته.

وبالتالي، فإن ذلك يُعد مُدخل لعملية تغريب واسعة على الأقل بالنسبة للجهات التي تعني ذلك، ومن ثم فإن هذا الكلام غير صحيح.

فالاختلاف يأتي على نوعين: الأول يتعلق باختلاف القوى ونوعية التحديات التي تواجه وبالتالي تختلف ردود الفعل والمعالجات، أما فيما يختص بالفكر والثقافة والعقيدة، فبالتأكيد هناك ما هو صواب وما هو خطأ.

ولكن في إدارة الاختلاف الفكري العقيدي، لا يكون الأمر إلا بالحوار والكلمة الطيبة والدعوة، فليس هناك مجال للإرغام أو الفرض، وإنما أتقبل حق الآخر في أن يكون مختلفًا، فقط أحاوره، وأنا أرى أني على صواب مثلما قال الإمام الشافعي" –رحمه الله– "كلامي صواب يحتمل الخطأ وكلام غيري خطأ يحتمل الصواب".

فأرجو ألا نشعر بالدونية، وبالتالي يكون الاستسلام لفكرة أننا جميعًا سواء وعلى صواب، إذ إنه ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك، ولكن يجب أيضًا أن يكون الحوار دون أن أسعى إلى فرض شيء معين على الآخر أو الإساءة إليه، وكذلك دون أن يُسئ إليّ، وهذه نقطة أساسية في قضية الحوار مع الآخر بشكلٍ عام.

الرسالة الثانية، هي أن الفكر الغربي المنطلق من حضارة مادية أساسه فكرة الصراع على صعيد العلاقات الدولية، بينما الإسلام فكر سلام، وهناك أدلة كثيرة ليس هناك متسع لذكرها.

---

* رئيس المعهد العالمى للفكر الإسلامى

والفرق بيننا وبينهم أنهم حولوا فكر الصراع إلى مؤسسات تحاول أن تخفف من أبعاد الصراع كمفاوضات الأمم المتحدة ومنع الحروب قبل أن تقع ...إلخ، أما المؤسف في الحضارة الإسلامية أنها لم تحول فكرها إلى مؤسسات سواء على صعيد العلاقات الدولية أو الأمن، ولكن كيف أن الإسلام فكر سلام؟

أنتم تعرفون في حقل العلوم السياسية أن من يتحدث عن الحق أو العدل يعد لا يفقه شيءً في السياسة، كما تعرفون أن القومية ظاهرة حديثة في العلاقة الدولية وبناء الدول، وأن السياسة أضحت سياسات قوى Power Politics ومصالح قومية. وهذا الكلام قد أثار لدى الكثير من التساؤلات وإن كان غير مفهوم. ولكن أين أتت الظاهرة القومية في الفكر الغربي؟

القومية ظهرت في الغرب منذ تخليه عن المسيحية لأسبابه الخاصة، لم يعد أمامه سوى خيارين أولهما الروحي الديني وجوهره العدل، والمادة وهي الطيني أوالحيواني ويقوم على قانون الغاب حيث يأكل القوى الضعيف، فكان لابد أن يتجسد الفكر المادي الحيواني المبنى على قانون الغاب، ومن هنا كان الاستعمار والفكر الاستعماري.

والقومية هي تماسك السلالة ضد الآخر، فعلى سبيل المثال إذا قُتل بريطاني تقوم الدنيا ولا تقعد، بينما يُقتل ألف عراقي ولا يُحرك أحد ساكنًا وكذلك الفلسطينيين. والتكاتف الداخلي يظهر في المفهوم القومي في إطار سياسات القوى التي تجعل القوي يأكل الضعيف. أيضًا فإن القومية تقوم على المصالح واستغلال الآخر.

وبالطبع، فإن الحيوان لا أخلاق له، وبالتالي انحلت الأسرة وضاعت القيم، وكان التجسيد للفكر المادي الحيواني، وهذا لا يعني أنه ليس هناك بعض القيم، حيث إن الإنسان مركب من روح وبدن، إلا أني هنا أتحدث عن إطار عام وحركة حضارية ورؤية كونية.

أما الإسلام، فهو مرجعٌ للعدل ولو على أنفسكم وعلى الأقربين. ففلسفة الإسلام تأتي بسيطة من نفس واحدة، وهو يأتي على كل ما يقول بفلسفة المادية والفكر السياسي الغربي، فنجد أن القضايا ذاتها ينظر إليها نظرة إيجابية. فأولاً يقول أننا من نفس واحدة ثم يعترف أن هناك شعوب وقبائل أي قوميات ولكن يقول تعالى: ﴿ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: آية 13).

أي تكامل وتعارف وسلام، بينما وفق الفكر القومي كيف يعيش البريطاني بجانب الفرنسي مع ما بينهما من اختلاف، إذ نرى التأكيد على جانب الاختلاف، والاختلاف هنا هو مدخل الصراع.

أيضًا، من المعروف أيضًا عن الفكر الغربي عنصريته وتفرقته بين الأبيض والأسود، بينما حل الإسلام هذه الإشكالية.

ويمكن القول أن الإنسان الأسود يولد أسود ويكبر ويغضب ويمرض ويموت وهو كذلك، أما الأبيض فهو يولد أحمر ويعيش أبيض، ويصبح أصفر عندما يغضب وأزرق عندما يمرض

ويموت رمادي ، فإذا ما أخذنا منطق الألوان الذي يتخذونه، فمن إذن المُلون.إذن، فالأبيض هو الملون وليس الأسود.

إن الإسلام يعترف باختلاف الألوان والألسنة، ولكنه يأتيه من الناحية الإيجابية، فهو آية على إبداع الله في خلقه.

كذلك يأمرني الإسلام ببر جاري أيًّا كان دينه، وأي من كان على غير ديني، إذ قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة الممتحنة: آية 8)، وكذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (سورة المائدة: آية 8).

فهي إذن فلسفة السلام، ولكن عيبنا أننا لم نحولها إلى مؤسسات. وهذه النقطة أرجو أن تنتبهوا إليها.

والإشكالية المهمة، أنكم لابد وأن تنتبهوا إلى قضية ما يُسمى بـ"الرؤية الكونية"، وهي قد ضاعت منا وفقدناها وشوهناها؛ ولذلك نكاد أن نكون اليوم العكس من المثال الإسلامي.فالإسلام يقول بالتوحد بينما نحن نتمزق، ويأمرنا بالتراحم إلا أننا نتعادى، وهكذا.والسر في هذا إن رؤيتنا الكونية تشوهت.

والرؤية الكونية الإسلامية تقوم على العدل وعلى الإحسان ...إلخ. وهي رؤية روحية، بخلاف الرؤية الغربية المادية المبنية على قانون الغاب والافتراس.

وإذا أدركنا ذلك استطعنا أن نتتعامل خلافاتنا، فكيف نقدم النموذج؟ وكيف نساعد الآخر على أن يستفيد؟ولكن ما الذي أدت إليه هذه الإشكالية؟

في البداية وُجدت أزمة ما زالت قائمة، ففي الماضي عندما تعرفنا على الحضارة اليونانية وقد كانت حضارة ماتت وانتهت، فإننا احتضناها وانتهى الأمر إلى فكر ديني تاريخي، كما انتهى الأمر في الحياة المدنية والفلسفية إلى فكر يوناني حيث "ابن سينا" و"الفارابي"، فكان الفكر الأسطوري الصوري والفكر التاريخي البعيد عن الزمان والمكان. ومازلنا حتى اليوم يُرى الدين وفق هذا المنظور التاريخي، كما يُسيطر على العلوم الاجتماعية الفكر الغربي، مما أثر على الهوية.

ولذلك، ظللنا طوال 300 عام في محاولة لمواجهة التحدي الغربي والنهوض وكنا تلاميذ فاشلين، وقد تقدم اليابانيون لأنهم ماديون مثلهم، أما نحن فلدينا منظور آخر، ولكن ليست لدينا الرؤية النقدية اللازمة أو الرؤية الدافعة للفعل ذاته .

وأرجو أن يكون جيلكم أفضل من جيلنا وأن يستطيع أن يتبين رؤيته ودافعيته وطبيعته وكيف يُمكن أن يُحولها إلى مؤسسات تقدم للإنسان المزيد من الأمن والسلام.

وشكرًا لكم.

د. نادية مصطفى:

شكرا د. عبد الحميد أبو سليمان، ونحن سعداء بوجود حضرتك معنا في هذا اللقاء. وقبل أن نلتقي د. محمد عمارة أود أن أوجه الشكر إلى جميع الأساتذة المشاركين معنا في هذه الدورة، وهم: د. محمد السيد سليم، وأ. مصطفى دسوقي كسبة، ود. خالد مصلح، ود. خالد مصلح، ود. يوسف عامر، ود. محمد نجيب خان، ود. إبراهيم البيومي غانم، وأيضا د. محمد علي آذرشب من إيران؛ لأنه قد أرسل إلينا ورقة مكتوبة وهي في ال c.d الموجودة مع حضراتكم، وسأتولى عرض هذه الورقة نيابة عنه. كذلك أشكر د. محمد السعيد إدريس، ثم جميع الطلبة الإندونيسيين والماليزيين والأتراك الذين سيشاركون معنا في الحوار.

وأيضا أود توجيه تحية سريعة إلى الأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح نائب مدير المركز ود. باكينام الشرقاوي منسقة الأنشطة الخارجية، وإن كانا لايشاركوننا هذا اللقاء لسفرهما.

والآن نلتقي د. محمد عمارة في هذه المحاضرة الافتتاحية لهذه الدورة تحت عنوان: "خبرة التنوع والتعدد الثقافي في تاريخ الحضارة الإسلامية". وسيعقب محاضرة الأستاذ الدكتور محمد عمارة نقاش مفتوح بإذن الله.

محاضرة د. محمد عمارة*

التعدد والتنوع في الخبرة الإسلامية**

إن الإنسان الحر من حقه أن يختلف مع الآخر، وبالتالي تكون هناك تعددية في المجتمع في الثقافة واللغة والدين و في كل هذه المكونات.

إذن التعددية ثمرة من ثمرات الحرية. والحرية في الرؤية الإسلامية معادلة للحياة، وهذه خصوصيات إسلامية لانجدها في أي نسق فكري آخر.

إن أهم شيء بالنسبة إلى الإنسان هو الحياة، وإذا لم توجد الحياة فهو غير موجود. والإسلام يرفع الحرية إلى مستوى الحياة أي أن هذا ليس فكرًا جديدًا في عصر الحداثة وما بعد الحداثة.

وقد قرأت في تفسير "النسفي" الذي وُضِع قبل ما يقرب من ألف عام تعليل لماذا جعل الله كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة؟ وهو يقول أن القاتل أخرج إنسانًا من عداد الأحياء إلى عدادِ الأموات بقتله، وبالتالي تكون الكفارة أن يخرج إنسانًا رقيق من عداد الأموات إلى عداد الأحياء باعتبار أن الرق موت والحرية حياة.وهذا المستوى لا وجود له في أي نسق فكري آخر بحيث تكون الحرية معادلة للحياة.

أيضًا تجدون في الإسلام أن حب الوطن معادل للحياة حيث قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (سورة النساء: آية 66). فنجد أن القتل والإخراج من الديار على مستوى واحد.

كذلك تجدون العلم معادل للحياة، حيث أسرى غزوة بدر كان الحكم بشأنهم أن من يريد إنقاذ عنقه وحياته عليه أن يعلم عشرة من المسلمين الأبجدية.

إذن، التعددية ثمرة للحرية، والحرية في الإسلام في مرتبة الحياة.والتعددية هنا ليست مجرد حق من حقوق الإنسان، وإنما هي سنة من سنن الله، وقانون كوني واجتماعي لا تبديل له ولا تحويل، لأن التعددية إذا كانت حق من حقوق الإنسان فإنه يمنحها حاكم ويمنعها آخر.

ولذلك، فإن الإسلام تفرد بأن جعل سلطة القانون فوق سلطة الدولة، فسلطة القانون أو سلطة الشريعة في الإسلام فوق سلطة الدولة التنفيذية، بل حتى السلطة التشريعية ملزمة بكليات الشريعة.

وبالتالي، فعندما تكون التعددية سنة وقانون فهي ترتفع فوق مرتبة حقوق الإنسان التي يمنعها أو يمنحها حاكم من الحكام.

وأى نسق فكري أو دين أو شريعة يبدأ برؤية الكون. فالنسق المادي العلماني له رؤيته للكون، والنسق الإسلامي كذلك له رؤيته ومنها تنبع قضية التعددية... حيث رؤية الكون في هذا النسق

---

* المفكر الإسلامى

** نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

تقوم على أن الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، وما عداها يقوم على التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف.

وهذه هي رؤية الكون الإسلامية، حيث الواحدية ليست لديكتاتور، أو زعيم أوحد، أو نظام اقتصادي ولكن كل هذا غير موجود، إذ الأحدية والواحدية فقط للذات الإلهية، وكل ما عداها يقوم على التنوع.

ولكن التعددية هنا عادة تكون في إطار الوحدة، إذ إن الناس خلقوا من نفس واحدة فنحن نتحدث عن تعددية في إطار حضارة واحدة، لأنه لو لم تكن هناك أرض مشتركة تقوم عليها التعددية لأصبحنا أمام تشرذم وتفتيت.

إذن، فالتعددية وسط بين التشرذم والتفتيت، وبين القهر والواحدية التي تمنع التعدد. وهذه النقطة تفتح قضية الوسطية وهي قضية مهمة في الرؤية الإسلامية.ففي ضوء "التعددية في إطارً الوحدة"، سنجد أن لدينا إنسانية واحدة تضم شعوبًا وقبائل وأنساب وألسنة مختلفة، أي قوميات متنوعة، وشرائع وملل ونحل مختلفة، أي ثقافات وحضارات وعادات وتقاليد وأعراف عدة.

وقد كون الإسلام أمة، وفكرة الأمة هذه لصيقة بالإسلام، فقد لا تجدون في النصرانية أمة، لأنها تقول بمملكة المسيح، والتي ليست في هذا العالم، ولا علاقة لها بالدنيا أو قيصر أو الدولة والسياسة والشعب أو القومية...إلخ. وإن كنا نشهد اليوم انقلاب على هذا التصور، حيث يدخل الرهبان في نزاعات مسلحة للاستيلاء على الأرض، فقد انقلبت المسيحية وانقلبت الرهبانية، ولكن هذه قصة أخرى.

أما الإسلام، فقد كون أمة بالفعل على أرض الواقع، وسبك القبائل في إطار الأمة، أى لم يلغ القبيلة. ونحن الآن نتحدث عن منظمات المجتمع الأهلى والمدني، وكثيرون ينتقدون وجود قبيلة أو عشيرة أو أسرة أو أهل، أما الإسلام فلم يُلغ هذه الكيانات، وإنما انتقل بها من كونها عالم مستقل إلى لبنة في إطار الأمة. ولذلك فإنه حتى عندما كوّن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أمة من القبائل وضع دستور/ صحيفة/ كتاب هو دستور دولة المدنية، هذا الدستور الذي نص فيه على مكونات الرعية قبيلةً قبيلة كلبنات في جدار الأمة، ونص على الحقوق والواجبات، كما ينص على التعددية الدينية في رعية الأمة.

وهنا لأول مرة في تاريخ الإنسانية يكون هناك دولة تعترف بالتنوع الديني والتعدد الديني في إطار الرعية، حيث لم يكن هناك قبل الإسلام سماحة أو قبول للآخر أو التعدد في البشرية كلها، فحتى في مصر التي هي أمة السماحة كلها أباد أتباع إخناتون أتباع أمون والعكس، كما ستجدون إذا ما قرأتم في التاريخ كيف كان الصراع بين الوثنية وبين النصرانية حيث حرق مكتبات الإسكندرية وتشويه المعابد...إلخ. وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ (سورة البقرة: آية 113).

فلدى اليونان، من الذي كان له الحق في الرأي والديمقراطية! إنهم كانوا قلة من الأغنياء الأشراف الأحرار الفرسان، إذ يجتمعون في ميدان أثينا وهم وحدهم لهم الحقوق ومن عاداهم برابرة لا اعتراف بهم.ونفس الشيء لدى الرومان، فالقانون الروماني لم يكن يُطبق على أهل المستعمرات لأنهم برابرة.إذن، لم يكن هناك اعتراف بالآخر، ولم يكن هناك تنوع أو تعدد أو تمايز يُعترف به.

بينما عندما جاء الإسلام وفي أول لقاء له في مع الشرك في مكة نجد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (سورة الكافرون: آية 6).فهذا هو التنوع والاختلاف، وهكذا أيضًا أول لقاء بين الإسلام واليهودية في المدينة، حيث نص الدستور على الآتي: "ويهود والمؤمنون أمة" "لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، يُحاربون معًا ويقتسمون الغنائم معًا. بينهم البر دون الإرث...إلخ".

وفي أول لقاء بين الإسلام وبين النصرانية في العام العاشر من الهجرة من خلال نصارى نجران، يقول الرسول "صلى الله عليه وسلم": "إن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا شركاء للمسلمين فيما لهم وما عليهم وإن احتاجوا في مرمة بيعهم وكنائسهم إلى رفدٍ يُرفدون، ليس دينًا عليهم وإنما منة من الله ورسوله" ويقول: "أحميهم وكنائسهم وبيعهم بما أحمى به نفسي وأهل الإسلام وملتي".

وهذه وثائق في التعددية يجب أن تكتب بحروفٍ من ذهب وأن تُعلم وتُدرس في مدارسنا وجامعاتنا وكذلك لابد أن تعلم للدنيا التي تفتري على الإسلام وتتهمه بأنه لا يعترف بدين الآخر.

هذا التأسيس للتعددية كان لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (سورة المائدة: آية 48)، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ (سورة هود: الآيتين 118–119). ويقول العلماء والمفسرون في تفسير هذه الآية ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾"والاختلاف خلقه أى علة الخلق أن يكونوا مختلفين ومتمايزين ومتعددين". وألفت النظر إلى أن التعدد والاختلاف سبب من أسباب الجمال في هذا الكون، فتخيل لو أن المعمار والعمارة جميعًا على الشكل نفسه، وتخيل لو أن كل البشر شكلهم واحد، وهل سيتزوج رجل امرأة إلا إذا كان نوع من الاختلاف.

فالاختلاف سر من أسرار الجمال، فإذا كانت الألوان في الكون لون واحد فماذا كان سيحدث، ولو أننا على رأى واحد لاكتفينا بواحدٍ منا هو الذي يكتب وهو الذي ينشر ويُفكر، وما كان هناك داعيًا ليجهد الأخرون أنفسهم؛أي أن التعدد والتنوع مظهر من مظاهر الجمال، ومن يقرأ القرآن يجد إشارات كثيرة حول هذا المعنى للتنوع كأحد مصادر الجمال.

والإسلام كون أمة، وقد جمعها على خمسة جوامع، هي: وحدة العقيدة، وحدة الشريعة، وحدة الأمة، وحدة الحضارة، وحدة دار الإسلام. وفي إطار كل جامع من هذه الجوامع تجدون تنوع وتعدد. ومن هنا كان التنوع والتعدد في إطار الوحدة.

ففي إطار وحدة العقيدة، لدينا مذاهب فلسفية ولدينا علم الكلام وما يتضمنه من تعدد للرؤى في إطار العقيدة، كما أن لدينا ثوابت مشتركة على أرض العقيدة. فلم يختلف أحد بشأن التوحيد أو بشأن النبوة والرسالة أو عالم الغيب، ولكن في إطار وحدة العقيدة هناك تنوع في الرؤى وفي التفسيرات وفي المدارك الفلسفية.

وفي إطار الشريعة التي هي شريعة واحدة ووضعٌ إلهي ثابت لا يختلف ولا يتطور ولا يتغير مع الزمان والمكان، نجد هناك تعدد في المذاهب الفقهية، فكما أن بالعقيدة مذاهب كلامية، تضم الشريعة مذاهب فقهية تواكب كل المستجدات والمتغيرات، أى في إطار الوحدة، هناك التنوع والاختلاف.

وفي إطار الأمة التي هي الأمة الإسلامية الواحدة، ترى كيف أنك إذا ذهبت إلى الصين وأنت لا تعرف كلمة واحدة من اللغة الصينية تشعر أن من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أنت جزء منه. فنحن أمة واحدة وفي إطارها توجد ألسنة ولغات، وهذه الألسنة واللغات تعني القوميات، فهناك أقاليم وأوطان ودول قومية ودول قطرية، ولكن كل هذا في إطار الإسلام، وهناك شعوب وقبائل ولكن في إطار أمة الإسلام.إذن، هناك تنوع في إطار الأمة.

وبالنسبة إلى الحضارة، فإن لدينا حضارة إسلامية واحدة، ولكن هناك اختلاف في العادات وفي التقاليد وفي الأعراف، ما ينشأ عنه اختلاف في الفتاوى؛ لأن الفتوى رأي متعين بالنسبة للمستفتى. وبالتالي تختلف الفتاوى، لكن الحكم هو الذي يفصل في هذه القضايا.

أيضًا بالنسبة لدار الإسلام، فدار الإسلام كانت دارًا واحدة إلى أن جاء الاستعمار فجزأها، فلم يكن لدينا الجنسية، حتى أنه عندما سُئِل الإمام محمد عبده أين جنسيات الإسلام، قال إن الإسلام هو جنسية المسلمين وإنه لا يوجد أى جنسية أخرى أو تأشيرة دخول وخروج أوحدود وأسلاك شائكة، وأن المسلم وطنه هو دار الإسلام يعيش بأي مكان بها ويُطبق عليه حكم وفقه الدار التي يختارها.

فإذا ذهبت إلى المغرب إذن أنا مغربي يُطبق علىّ فقه الإمام "مالك" وإذا ذهبت إلى العراق يطبق علىّ فقه الإمام "أبو حنيفة" ...إلخ، ولكن دار الإسلام هي دار واحدة.

وقد ظل الأمر هكذا حتى عام 1924، فكان أى فرد يخرج من المغرب حتى حدود الصين لا يسأله أحد من أين تأتي وإلى أين نذهب، ولكن نظام الجنسية الذي أخذناه عن الدول القومية الأوروبية، هذا نظام دخيل علينا.إذن، هذا التنوع والتعدد في إطار الوحدة.

ونحن عندما نقرأ في القرآن نجد الآية الكريمة: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (سورة المائدة: آية 48).والإسلام أول شريعة تسلك الشرائع الواحدة في إطار الدين الواحد، في حين لم يكن هناك أحد قبل ذلك يعترف بالآخر. فقد جعل الإسلام الآخر جزءً من الذات. فاليهودية والنصرانية وصحف إبراهيم وموسى ومختلف النبوات أصبحت داخل دين واحد، ولكن هناك تنوع في الشرائع. وإذا ما وحد أهل الشرائع المختلفة وآمنوا بالغيب وعملوا صالحًا وفق أركان الإيمان لأصبحوا من الناجين.

فانسبك بذلك الآخر في إطار الذات وأصبح جزءً منها، وهذا كما ذكرت لكم فيما يتعلق بوثيقة دولة المدينة مع اليهود وعهد نصارى نجران مع النصارى، بل وليس فقط ذلك مع الديانات السماوية، ولكن أيضًا حتى مع الديانات الوضعية كالبوذية والهندسية والزرادشتية والكنفشيوسية، حيث جعلنا لها مثل أهل الكتاب، فعندما فُتحت فارس وأهلها –كما نعلم– كانوا يعبدون النار وهذا يجعلنا نسأل ما حكمهم إذن؟ إلا أننا نجد "عمر بن الخطاب" قد عرض أمرهم على مجلس الشورى المكون من سبعين فرد فوثب "عبد الرحمن بن عوف" ليقول أشهد أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول "سنوا فيهم سنة أهل الكتاب"، فعوملت الديانات الوضعية في الحضارة الإسلامية معاملة أهل الكتاب حتى أن بعض الفقهاء قال إنه كانت لهم كتب وضاعت، فأصبحوا جزءً من ذات الدين والتدين ولكلٍ منهم شريعة ولكلٍ منهم طقوس وعبادات.

بالطبع، إن الإسلام هو الذي اعترف بجميع النبوات والرسالات. ويلفت موضوع التعددية النظر في هذه الجزئية إلى قضية عميقة جدًا، وهي أن القرآن جاء مصدقًا لما بين يديه، في حين أن اليهود لا يعترفون بالمسيحية والمسيحيون لا يعترفون بالإسلام.

ولذا، فإن المشكلة موجودة اليوم أمام الحوار، وهى أنه حوار الطرشان، لأنه لا يمكن أن يكون هناك حوار دون اعتراف وقبول متبادل ولا يمكن أن يكون هناك طرف يُرسل وآخر لا يستقبل.

ولذلك، ترون أنه كلما قاد الزمن إلى الحوار الديني وكلما فتحت الأبواب في الحوار الديني وكلما بُذلت الجهود فيه ، كلما زدات الإساءات وزاد الرفض، وهذا لأن هناك خلل.ونحن لا نقول أنه ليس هناك حوار، وإنما الحوار لدينا فريضة وليست مجرد فضيلة، لماذا؟لأن الله خلقنا شعوبًا وقبائل، لماذا؟لنتعارف، وهل يمكن أن يكون هناك تعارف بلا حوار؟و كما يُقال ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فواجب التعارف الذي هو فريضة لا يتم إلا بالحوار.

ولكن الحوار له شروط، كما أن الصلاة واجبة ولها شروطها أيضًا وكذلك فإن الصيام واجب وله شروط. وشروط الحوار أن يكون هناك اعتراف وقبول متبادل.وسر أن الحوارات لا تأتي بثمراتها بل تأتي بعكس المقاصد المطلوبة، هو غياب هذه الشروط.

والإسلام اعترف بكل النبوات والرسالات مصدقًا لما بين يديه من الكتب من صحف إبراهيم وموسى إلى التوراة والأنجيل، فأهله يُصلون فيقولون إن في التوراة هدى ونور وفي الإنجيل هدى

ونور، لكن المشكلة أن الآخر لا يعترف بالإسلام دينًا سماويًّا ولا بمحمد نبيًا ورسولاً ولا بالقرآن وحيًا وهدى.

فمشكلة عدم قبول الآخر عندهم وليس عندنا، أما نحن فطلاب حوار ونقول هذا في صلاتنا. والإسلام عندما اعترف بهذا الآخر كان بناءً على تنوع الذي أشير إليه قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (سورة المائدة: آية 48)، وقوله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (سورة المائدة: آية 48)، حتى أصبح التنوع قانونًا.

وحتى عندما تكلم الإسلام عن أن هذا الدين سيظهره الله على الدين كله، نجد أنه على الرغم من أن بعض الناس أحيانًا ما يفهم أن الإسلام سيرث الديانات والشرائع الأخرى، إلا أن هذا ليس صحيحًا، لأن التعددية تعددية أبدية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، أما ظهور الإسلام، فإنما يعني ظهور الحلول الإسلامية على الحلول الأخرى. فإيطاليا المسيحية تأخذ بالطلاق، أي أنها آخذت بالحل الإسلامي وهي على مسيحيتها، كما أن هناك حديث بالولايات المتحدة وألمانيا عن أهمية البنوك اللاربوية، ما يعني أن هناك قبول للحلول الإسلامية مع بقائهم على ملتهم.

ولذلك، فإن فهم ظهور الإسلام على الدين كله بمعنى أنه لن يكون هناك فرد على غير الإسلام وسيكون الناس مسلمين فقط، هذا فهم غير صحيح، لأنه –كما ذكرت– التعددية هي تعددية أبدية.

وإذا ما نظرتم إلى قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة البقرة: آية 213).

أي أن الناس كانوا أمة واحدة ثم حدث التنوع والاختلاف، كما أن البشرية بدأت بلغةٍ واحدة وشريعةٍ واحدة، ثم تنوعت الشرائع وتنوعت اللغات وتنوعت القوميات.

ويتصور الناس – وهذا مطروح الآن في الفكر الغربي– أن الإسلام جعل الجهاد فريضة، والجهاد هو القتال الآخر، أى هذا يعني أنه لا توجد تعددية.

ولذلك، نرى أن د. عبد الحميد ذكر في كلمته أن الحضارة الغربية حضارة صراع. فالصراع هو فلسفة الفكر الغربي، حيث فلسفة القوة المكيافيلية وغيرها. ونجد أن حتى في العلم ودراسة الخلق هناك الداروينية والتي تقول بأن البقاء للأصلح أو الأصلح هو الأقوى. كما أن في الاجتماع هناك صراع الطبقات.

ففكرة الصراع هي جوهر الفكر الغربي، أما الإسلام ففيه فكرة التدافع، وهذه القضية بحاجة لأن تُخدم خدمة كبيرة وهناك فيما يتصل بذلك كتيب صغير بعنوان "الحضارات العالمية... تدافع أم صراع".

والتدافع حراك اجتماعي يُعدل المواقف دون أن يُلغي الآخر، فعندما نجد أن الرأسماليين ظلموا العمال، فإن الحل ليس أن يُلغي العمال الرأسماليين كما قال بذلك "ماركس"، ولا الحل أيضًا أن يرضى العمال بظلم الرأسماليين، وإنما الحل حراك طبقي واجتماعي يُعيد العلاقة إلى نقطة التوازن؛ نقطة الوسط ونقطة العدل.

أيضًا، فإن الولايات المتحدة تحاربنا وتحتل بلادنا، ولكن الحل ليس أن نلغي الولايات المتحدة أو نبيدها، ولكن الحل أن نقاوم أمريكا لتعيش في بلادها ونحن نعيش في بلادنا، ولنعيد العلاقات الدولية إلى الشرعية الدولية وإلى القانون الدولي وليس إلى قانون الغاب الذي يعملون به.

ففكرة التدافع هي حراك يعيد العلاقات بين الفرقاء المتعددين إلى نقطة التوازن والوسط. والرسول "صلى الله عليه وسلم" يُعرف الوسطية بأن "الوسطية بأن "الوسط العدل" ويقول تعالى: ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (سورة البقرة: آية 143).

إذن، التدافع فلسفة إسلامية، ولذلك أتمنى أن يهتم أحد دارسي العلوم السياسية بهذه المناطق التي لم يحدث اهتمام بها في الفكر الإسلامي كفكرة وفلسفة التدافع هذه وتطبيقاتها على النطاق العالمي، فنحن نختلف مع الشرائع الأخرى ولكن لا نلغيها، وفي الوقت نفسه لا نسمح لأحد باللعب بورقة الأقليات ليقول: "إني أريد اليوم إعادة اللغة القبطية كلغة أم ومن يقول لي أنت عربي فهذه إهانة"؛ لأن هذا هو الصراع.

فنحن نريد تنوع وتعايش وتمايز واختلاف في إطار الأمة الواحدة بحيث تكون جميع الشرائع والديانات في الأمة الواحدة، ولذلك نجد قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ (سورة الحج: آية 40) ولم يقل فقط لهُدمت مساجد، وهذا لأن الإسلام أمين على كافة معتقدات أصحاب المقدسات، فقد جئ بالترتيب التاريخي حيث قال تعالى: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ (سورة الحج: آية 40) فقد جاءت المساجد في النهاية.أيضًا، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة فصلت: آية 34)، ولكن لماذا؟، هذا نجده في قوله تعالى في بقية الآية الكريمة: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت: آية 34).فأنظر كيف أن فكرة التدافع تعيد العلاقات من العداوة والصراع إلى نوع من المودة والعلاقة الحميمة.

إن فكرة التدافع بديلة لفكرة الصراع؛ لأن الصراع ضد التعددية بل ويُنهيها. والمرة الوحيدة التي جاء فيها في القرآن مصطلح الصراع قوله سبحانه وتعالى: ﴿ صَرْصَرٍ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ (سورة الحاقة: الآيتين 7–8). فالصراع أنهى التعدد حيث قتل قويٌ ضعيف فانتهت التعددية.

ولذلك، فإن الإسلام عندما يؤمن بالتعددية كسنة من سنن الله تعالى في هذا الكون يرفض مبدأ الصراع ولم يضع محله الاستسلام وإنما وضع محله التدافع الذي هو وسط بين الصراع وبين الاستسلام.

أيضًا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: آية 46) والذين ظلموا هم من انحازوا إلى الغرب واستقووا بالأعداء.

والإسلام –في رأيي– لا تخلو آية من آياته القرآنية من التأسيس لمنهج في التفكير. وهذا مبحث يريد المزيد حول المنهجية في القرآن والثراء المنهجي في القرآن الكريم. وقد قام د. صلاح سلطان –يكرمه الله– بإعداد كتاب من خلال سورة الكهف وهو بالمطبعة الآن وقد طلب من إعداد مقدمة له– حول المنهجيات في هذه السورة.

وعندما تأملت في ضوء ذلك في هذا الأمر المتعلق بالتنوع وجدت قوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاء ﴾ (سورة آل عمران: آية 113). أفليس هذا بمنهج؟! فلا المسلمون شيء واحد ولا النصارى شيء واحد ولا الغرب أو اليهود كذلك. فأنا على سبيل المثال أترجم لـ"ناعوم تشومسكي" وقد يكون مفيد بالنسبة لي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية أكثر من شيخ الإسلام.إذن، فلا أضع اليهود في سلة واحدة، فهم ﴿ لَيْسُوا سَوَاء ﴾ وهذا منهج.

يقول الله في سورة الممتحنة: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ (سورة الممتحنة: آية 8). فمن لا يُقاتلنا في الدين ولا يفتنا فيه ولم يُخرجنا من ديارنا، لا ينهانا عنه الله. وهنا نلحظ أن الله قد رفع الوطن إلى مستوى الدين، حيث القتال لا يكون فقط إلا دفاعًا عن الدين أو دفاعًا عن الوطن. والإسلام لايُقام إلا في وطن، بينما المسيحية إذا ما ذهبت إلى مغارة فإنك يمكنك إقامة كامل المسيحية، فلا علاقة لها بالوطن. أما بالنسبة إلى الإسلام، فإنك كي تخرج الزكاة، فلابد أن تكون هناك مؤسسات وعاملين عليها، وكي يكون هناك جهاد لابد أن تكون هناك أمة، ولكي تقام الصلاة لابد أن تكون هناك جماعة.فهناك التلازم بين الإسلام والوطن، ولذا نجد قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ (سورة الممتحنة: آية 8).

أيضًا كما أشرت في البداية، نجد قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ (سورة النساء: آية 66)، حيث يرتفع الوطن إلى مستوى الحياة ومستوى الدين.

بالطبع، فإن القرآن –كما أشرت– جاء مصدقًا لما بين يديه، وقد قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (سورة البقرة: آية 285).وأنتم ترون العداء من الغرب إلى الآخر الإسلامي حيث الرسوم والأفلام، بينما هل رأيتم مسلم سب عيسى أو موسى "عليهما السلام".

فأنت هنا تؤسس الشريعة والإسلام على قانون التعدد وعلى الاعتراف بالآخر، ولذلك أشبه الإسلام بإذا ما كنت تصعد سُلمًا /سُلم الإيمان. فإذا تخيلنا أن الإيمان سلم فإن اليهودي قد صعد درجة فيه لأنه آمن بموسى وفقط، والمسيحي صعد درجتين لأنه آمن بموسى وبعيسى. ولذلك فإن اليهودي عندما يدخل المسيحية فهو لا يكفر بها وإنما يضيف إليها المسيحية، والمسيحي عندما يدخل الإسلام فإنه لا يكفر باليهودية أو المسيحية وإنما يضيف إليها الإسلام.

ولذلك كتبت رسالة صغيرة هي "الفارق بين الدعوة والتنصير"، حيث إنهم دائمًا ما يسألوننا لاحراجنا إنما تدعون إلى الإسلام وتحرمون التنصير؟وهذا لأن الإسلام يضيف إلى المسيحية واليهودية ولا ينتقص منهما، بينما إذا ترك مسلم الإسلام ودخل إلى النصرانية فإنه يكون قد كفر بدينٍ سماوي. وهذا الفارق بين الدعوة والتنصير.

إذن، فالإسلام يُضيف لأنه يؤمن بالتعددية وبكل النبوات والرسالات السماوية، حيث قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة: آية 62).إذن، فالإسلام يُضيف ولا ينتقص.

وأريد أن أقول أن هذا ليس كلامي كمحمد عمارة أو مجرد حديث في إطار الحوارات الجارية، وإنما أنظروا إلى ما حدث في عام 7هـ عقب صلح الحديبية في عام 6هـ، عندما حيدت الدولة الإسلامية الشرك الذي هو العدو الرئيس. وقد بدأت السياسة الخارجية والعلاقات الدولية في هذا العام، حيث الرسائل من الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلى الملوك والرؤساء. فعندما جاء "حاطب بن أبي بلتعة" إلى "المقوقس" دار بينهما حوار، وهذا الحوار نشرته في كتيب صغير "عندما دخلت مصر في دين الله"، وهذا الحوار إذا قرأتموه تدركوا قضية التعددية، فهذا ومع الرغم من أنه كلام قديم إلا أنه نابع من الوحي ومن الإسلام.

فحاطب هذا هو رجلٌ بدوي لم يدخل إلى مدرسة أو كُتاب ولم يكن هناك كلية للاقتصاد والعلوم السياسية، بينما المقوقس وارث لأقدم وأعرق حضارات الدنيا، وكان رجلٌ ذكي وإذا به يُريد إحراج "حاطب بن أبي بلتعة" فيقول ما يمنع صاحبك هذا إن لم أتبعه أن يدعو على فيحدث لي كذا وكذا إذا كان نبي حقًا. أما "حاطب" خريج مدرسة النبوة أكاديمية "محمد" "صلى الله عليه وسلم" قال له: يمنعه الذي منع "عيسى" أن يدعو على مخالفيه فيحدث لهم كذا وكذا ...، فصمت المقوقس. وأحب "حاطب" أن يُلخص فلسفة التاريخ في كلمتين فقال للمقوقس إنه قد كان قبلك رجلٌ قال أنا ربكم الأعلى فانتقم الله منه، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك" ولتروا هذا الكلام عن الاستبداد وفلسفة الاستبداد في التاريخ.

ثم ناقشه في الجزئية الخاصة بالتعددية، إذ قال له وما دعوتنا لك إلى الإسلام إلا كدعوتك اليهود إلى النصرانية أي أفلست تدعو اليهود إلى النصرانية كي يصعدوا درجة فنحن أيضًا

ندعوك إلى الإسلام كي تصعد درجة. فنحن لا نلغي التعددية. وقال له: وما دعوتنا لك إلى القرآن إلا كدعوتك أهل التوراة إلى الإنجيل. ولتسعموا العبارة التالية، وهي"إننا ندعوك إلى الإسلام الكافي به الله فَقْد ما سواه"، حيث ستجد به كل شيء، فاليهودي الذي لديه موسى سيجد بالقرآن موسى وعيسى ومحمد، والنصراني الذي لديه موسى وعيسى سيجد به موسى وعيسى ومحمد. فالإسلام الكافي به الله فَقْد ما سواه.

أما بالنسبة للحرية، فقد قال "حاطب" إلى "المقوقس": ومع ذلك فنحن لا ننهاك عن دين المسيح وإنما نأمرك به. أي إننا لا نسمح لك به فقط وإنما نحن نأمرك بدين المسيح.

فلنتأمل هذا التأسيس للتعددية في العام السابع من الهجرة، أي وفي حياة الرسول "صلى الله عليه وسلم" وفي بواكير العلاقات الدولية مع الآخر الديني والآخر القومي.وهناك غير ذلك أحاديث كثيرة من أن الرسول أولى بعيسى وأنه احتفل بموسى وغير ذلك من الأمور التي تعرفونها.

أما الموقف من مقدسات الآخر فكما أشرت لكم فيما يتعلق بعهد نصارى نجران –وهذا كلام لابد وأن يكتب بحروف من نور– والذي جاء به وإن احتاجوا في مرمة بيعهم وكنائسهم إلى رفد (مساعدة) يُرفدون ويُساعدون ليس دينًا عليهم وإنما منة من الله ورسوله.

وما أريد قوله فيما يتعلق بخبرة التعددية عبر التاريخ، أن الشرق كانت نصرانيته مضطهدة حتى جاء الإسلام. فقد كانت ديانته محظورة وغير شرعية، فكنائس مصر وأديرتها كانت مغتصبة من قبل الرومان، فهؤلاء يعاقبة وهؤلاء ملكانيين، بينما عندما جاء "عمرو بن العاص" حرر الكنائس والأديرة، وهو لم يجعلها مساجد وإنما ردها إلى أصحابها.

أيضًا، فإن المطران "بنيامين" كان قد هرب لمدة 13 سنة من الرومان، وعندما لم يتمكنوا من القبض عليه حرقوه وألقوه بالبحر، أما "عمرو" فقد كتب له كتاب أمان واستقبله.أترون هذه العظمة!

و قد كان "بنيامين" يبدو عليه الصلاح، ولذا فعندما ذهب "عمرو بن العاص" ليفتح برقة والمناطق الغربية طلب منه أن يدعو له. أترون كيف يطلب صحابي من مطران مسيحي أن يدعو له، كما يرد إليه كنائسه.

أيضا، فإن"يوحنا النقيوسي "وهو أقدم شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر يُسمى هذا الفتح إنقاذًا، فيقول "عقابًا لروم أرسل الله أبناء "إسماعيل" من الجنوب فأنقذونا من الرومان. وهو يُثني على "عمرو بن العاص" وعلى ما صنعه.ونجد أن سبعين ألف راهب يخرجون من المغارات بعكاكيزهم ليسلموا على "عمرو بن العاص" ويعطيهم كتابًا.وكل هذه الأحداث ستجدونها مكتوبة لدى الأجانب، كما هي منشورة في كل ما كتبنا.

ويقول "النقيوسي" أن "بنيامين" خطب في الأديرة والكنائس قائلاً وجدت الأمان والذي كنت أفتقده ثلاثة عشر عامًا.وكأن هذا عيد وفرح مع الآخر ومع التعدد. ولكن لماذا؟

لأن الفتح الإسلامي حرر الأرض من استعمار روماني دام عشر قرون بداية من الإسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد إلى هرقل في القرن السابع الميلادي. ثم ترك الناس وما يدينون.وهذا لتعلموا و لتتعرفوا على خبرة التعددية.

وهناك كتاب فرنسي صادر عن مؤسسة متخصصة في الإحصاء الديمجرافي بباريس بعنوان "المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي" وقد ترجمه "رشيد السباعي" وصدر عن دار نشر يسارية هي "دار سينا" في عام 1994. ويقول هذا الكتاب بأنه بعد 100 عام من الفتح وتأسيس الدولة الإسلامي كانت نسبة المسلمين في رعية الدولة 20%.وهذا الرقم يدحض قول من يقول إن الإسلام قد انتشر بحد السيف. فبعد مائة عام من تأسيس الدولة وحكم الإسلام لا يتعدى المسلمون 20% من رعية الدولة.

وعندما تقرأون في الإحصاءات بهذا الكتاب تجدون حقيقة أخرى، وهي أن مصر كانت أسرع الدول قبولاً بالإسلام. لماذا؟لأن الخريطة الدينية في مصر عند الفتح توضح أن الأرثوذوكس كانوا أقل من نصف الشعب المصري، وكان هناك نصارى موحدين، والذين هم "الأريوسية"، ويقول عنهم "النقيوسي" أنهم الذين يقولون عن "عيسى" أنه مخلوق وليس إلهًا. وكان هناك الوثنيين الذين هم على الديانات القديمة. وأيضًا كان هناك الكاثوليك الذين مع الرومان.

وقد دخل الوثنيون والموحدون (أتباع أريوس) الإسلام قبل تمام الفتح الإسلامي لمصر. وقد نشرت بالوقائع والأرقام هذه الحقائق في كتاب "الإسلام والأقليات"، على نحو يوضح كيف كانت مصر أسرع الدول دخولاً في الإسلام، لأنها كانت مأزومة ومضطهدة دينيًا. وقد امتد ذلك إلى لغتها التي ينادي غير العقلاء بأن تكون اللغة القومية قائلين أنها اللغة الأم.

فاللغة القبطية هي رابع لغة بعد الهيروغليفية والهراطيقية و والديموطيقية. وقد كانت هجينًا كتب بأحرف ومصطلحات وقواعد يونانية، فلم تكن لغة وطنية.إذن، فكيف للبعض أن يريد إرجاع مصر أربعة عشر قرنًا ويأتي بهذه اللغة الهجين كلغة أم.

ومع أن مصر هي أسرع الدول دخولاً في الإسلام، إلا أننا عندما ننظر إلى بقية الدول الإسلامية من المغرب إلى إيران أو فارس سنرى أن المسلمين بها وصلوا إلى 20% فقط بعد 100 عام من فتحها.وهذا الرقم هو الذي يُعلن عن خبرة وتطبيقات التعددية في الدولة الإسلامية.

أيضًا هناك بعض غير العقلاء ممن يقولون إن المسلمين هؤلاء مهاجرين جاءوا من شبه الجزيرة العربية وعاشوا بمصر وغيرها من الدول، بينما إذا ما قرأتم في الكتاب الفرنسي الذي ذكرت، ستجدون أن شبه الجزيرة العربية في ذلك التاريخ كان مجمل تعدادها مليون نسمة في حين أنا تعداد الدولة الإسلامية من المغرب إلى إيران عند الفتح 40 مليون، أي أن لو هاجر

سكان الجزيرة العربية بأكملهم لن يُغيروا ديمجرافيا الدولة الإسلامية في شيء، وهذه الأمور إنما هي مفاتيح لإدراك حقيقة التعددية في الدولة الإسلامية وكيف كانت واقعًا في مجتمعاتها.

أيضًا بالنسبة إلى التعددية المذهبية فهي موجودة مع كون الشريعة واحدة، ولكن عندما نناقش إخواننا العلمانيين والمتغربين، يقولون إن كل شيء نسبي، فالشريعة نسبية ويمكن أن نغير فيها والعقيدة نسبية ويمكن أن نغير فيها ، وكذلك القيم والأخلاق، وبالتالي لا يوجد ثوابت.وهذا من نقاط الخلاف في الحوارات معهم.

وللمفارقة، فإنه في الوقت الذي يعملون فيه على جعل الثابت نسبي والمطلق الديني نسبي أيضًا، يرفعون شعار "لا سلطان على العقل إلا العقل"، أي أن العقل الذي هو إدراكه نسبي يجعلونه مطلقًا، بينما الدين وهو علم الله الكلي والمطلق والمحيط يريدون أن يجعلونه نسبيًا.فهذا من المفارقات في الجدل الفكري الموجود.

وتكمن مفاتيح إدراك التعددية المذهبية في أن الشريعة أخرجت عشرات المذاهب الفقهية وبالطبع فإن بعضٍ منها دُوّنت. وبلغ عدد ما دُوّن ثمانية مذهب، هي الأربعة السنية: الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي، وأربعة آخرين هم: الإباضى والجعفري والزيدي والظاهرى.

وما يوضح كيف أننا نمارس التعددية، هو أننا هنا على سبيل مثال –ومصر هي بلد تمتاز بشخصيتها المنفتحة والمؤمنة بالتعددية– فُرض علينا في وقت الدولة العثمانية المذهب الحنفي كمذهب وحيد للدولة والقضاء. وأتذكر أنه في عام 1945 عند التحاقي بالأزهر، قال لي من ملأ لي الاستمارة: إني سأكتبك حنفيًا حتى تصبح قاضيًا، وبالطبع فإني عندما ذهبت إلى المعهد غيرت المذهب، ولا مشكلة في ذلك. فعندما أعد الشيخ محمد عبده تقرير إصلاح القضاء الشرعي قال بأننا يجب أن نأخذ بكل المذاهب وأن نحتضن كل التراث وأن نحتضن التعددية.

ففي عام 1920 شُكِلت لجنة لإصلاح القضاء الشرعي وكان الشيخ "المراغي" هو المشرف عليها، وقد قال بالأخذ من كل المذاهب، فأخذنا من المذهب الزيدي وكذلك الجغفري والظاهري، حتى أن قوانين الأحوال الشخصية لدينا تجمع بين كل المذاهب.

وكذلك عندما أعدت مصر الموسوعة الفقهية أعدتها على المذاهب الثمانية، بينما أعدت الكويت موسوعتها –وهي عظيمة جدًا– على أربعة مذاهب فقط. أما في إيران فهناك مذهب واحد ولا تعترف بأي مذهب آخر، حيث ينص الدستور الإيراني في إحدى مواده على أن المذهب الجعفري هو مذهب إيران وكل مواد الدستور من الممكن أن تعدل إلا هذه المادة. كذلك فإن السعودية على المذهب الحنبلي فقط.

وبالتالي، فإن مصر نموذج للوسطية، كما، أن الأزهر يدرس السلف والخلف والمذاهب المختلفة وهذا هو التطبيق والخبرة الواقعية للتعددية.

وبخلاف المذاهب الثمانية، فإن لدينا مذهب أبو سفيان الثورى والمذهب القدري ومذهب "الليث بن سعد" الذي أتمنى أن يهتم به أحد ويقوم بدراسة عنه، فهم رجلٌ قال الوالي على عهده بهدم الكنائس التي بنيت بعد الفتح، فأرسل "الليث بن سعد" إلى الخليفة قائلاً إن كل كنائس مصر بنيت بعد الفتح، حيث إنه –وكما ذكرت لكم– لم يكن هناك كنيسة بمصر قبل الفتح.فجميع كنائس مصر أعيدت وبنيت بعد الفتح، حتى قال "الليث بن سعد" عبارة مهمة في هذا الصدد وقد قمت بنشرها، وهي "إن بناء الكنائس من عمارة البلاد". أترون كيف أن إمام فقه إسلامي يقول مثل ذلك.

أود أيضًا أن ألفت نظركم إلى أنه أثناء بناء الأقباط كاتدرائية العباسية التي هي أكبر كاتدرائيات الشرق، احتاجوا إلى مساعدة من عبد الناصر، فطلبوا من الأستاذ هيكل أن يوصل رغبتهم هذه، وهنا قرر عبد الناصر بناء الكاتدرائية بأكملها على نفقة الدولة، إلا أنه لم يكن قد قرأ عهد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" لنصارى نجران، فخشى أن يضع هذا البند في الميزانية، حتى لا يقول عنه خصومه أنه أخذ أموال المسلمين ليبني بها كنائس، بينما إنه إذا قرأ "وإن احتاجوا في مرمة بيعهم وكنائسهم إلى رفد أو مساعدة يُرفدون ويُساعدون، ليس دينًا عليهم، وإنما منه من الله ورسوله"، لم يكن سيخشى شيء.

ما أريده هو أن تروا أن التعددية عندما أسست على الدين وللدين، كيف كانت خبرتها وتأثيرها مستمرة حتى عهد قريب، حتى فيما يتعلق ببناء الكنائس.

إذن، التعددية المذهبية أو التعددية في الشرائع أساسها: "لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيمالهم وما عليهم": أحميهم وكنائسهم وبيعهم وبيوت الرهبان بما أحمى به نفسي وأهل الإسلام من ملتي".

أرايتم في العالم تعددية تجعل دينا يحمي دينًا آخر لا يعترف به ويكفر به، إذ إن جميع الأديان والشرائع الأخرى لا تعترف بالإسلام، بينما هو يحميها بما يحمي به نفسه وأهله.

ومقابل ذلك، جاء في آخر العهد: ألا يكونوا عيونًا للعدو وألا يدخل العدو بيعهم وصلواتهم وكنائسهم، وإذا احتاج المسلمون إلى مساعدة في أثناء الحرب يُساعدونهم.

أي أنه بالتأكيد هناك حقوق وهناك واجبات. أما الذين ظلموا، فهؤلاء شيء آخر، ومن أمثال هؤلاء من يأتون على الفضائيات ليقولوا سنجعل في مصر دارفور جديدة، وغير ذلك من حديث في إطار استعداء الأجانب والحرب الاستباقية، حيث يقولون نحن دولة منقوصة السيادة وسندعو الولايات المتحدة كي تتدخل في شؤوننا. وهم بذلك خرجوا عن العهد والذمة بخروجهم على شروط التعددية وأن نكون أمة واحدة والتي تقضي بأن الولاء كل الولاء للأمة والدولة والحضارة والبراء كل البراء من أعداء الأمة والدولة والحضارة.

فهذه هي شروط التعددية؛ لأن التعددية هي وسط بين التشرذم والتفتيت وبين القهر والشمولية، فالتعددية تجعل المسلمين شعوبًا وقبائل، ألسنة ولغات وقوميات، مذاهب كلامية وفقهية، وتيارات وأحزاب سياسية، لكنهم جميعًا يتجهون إلى الجامعة.

فأنا رجل ولدت في إحدى القرى وأنتمي إلى أسرة معينة، وكذلك أنتمي إلى شعب وإلى أمة بالمعنى القومي هي الأمة العربية، كما أنتمي إلى حضارة أكبر هي الحضارة الإسلامية، وأيضًا أنتسب إلى الإنسانية. وإذا اتجهت إلى التجزئة والتفتيت، لن تُصبح هذه تعددية، وإنما أن أسلك مكونات التعددية في إطار الجامعة الإسلامية، فإن هذه هي التعددية.

فالأكراد على سبيل المثال، قد خدموا العربية والإسلام، وجاء منهم "صلاح الدين" مفخرة التاريخ الإسلامي، لكن عندما تصبح هناك أحزاب علمانية ويذهب الملا مصطفى البرزاني إلى عقد اتفاق مع إسرائيل في الستينيات، وعندما نرى بعد حصار الولايات المتحدة شمال العراق وجنوبه ومنذ عام 1991 وحتى الآن أن الكيان الكردستاني تخرج مدارسه وجامعاته عشرات الألوف لم يدرس واحد منهم حرفًا من لغة القرآن، فإن هذا لا يُعد تعددية.

فنعم الكردية هي قومية كما يقولون، ونعم من حقهم كما يريدون أن يبعثوا الفلكلور الكردي. وهم كما يقولون مجزءون بين أربع دول هي: إيران، وسوريا، والعراق، وتركيا، ولكن ماذا في ذلك؟ فالقومية العربية مجزأة في 22 دولة.وهل الحل أن نتجه إلى مزيد من التجزئة، أم نسعى جميعًا إلى الرابطة الإسلامية الجامعة مع بقاء مكونات التعددية، فهذه هي النقطة المهمة.

فاليوم يقول بعض الأقباط أنهم يريدوا الرجوع أربعة عشر قرنًا إلى الوراء، وتقوم فرنسا بإقامة أكاديمية لعمل أبجدية للغة الأمازيغية التي لا أبجدية لها، وهذا حتى تحل محل اللغة العربية، علمًا بأن الأمازيغية بها عدة لهجات، لدرجة أنهم بالمغرب عندما أرادوا إنشاء تليفزيون بالأمازيغية اختلفوا حول بأي لهجة سيكون، وفي هذا الإطار تأتي الجهود الفرنسية.

ونحن نريد التنوع، ونود للأمازيغ أن يتمتعوا بلهجاتهم وأغانيهم وفلكلورهم، وكذلك الأكراد، أيضًا فإن للأقباط أن يتمتعوا بفنونهم، والتي هي بالأساس فنون فرعونية، فلهم أن يبعثوها ويقيموا متحف قبطي، فلا مانع من كل ذلك. أيضًا، ليفعل الشيعة ما يريدون وليحبوا آل البيت، علمًا بأننا نحب آل البيت أكثر منهم.

ولكن ما نريده أن نسبك كل هذا التنوع والتمايز في إطار الجماعة، فكيف لأوروبا التي ليس بينها ما بيننا من روابط وجامعات أن تؤسس اتحادًا أوروبيًا، وأنتم إذا نظرتم إلى تاريخ تكوين الاتحاد الأوربي، ستجدون البعد الديني حاضرًا، فقد ذكرت في دراسة نشرتها بكتابي "الغارة الجديدة على الإسلام" و"الإسلام والآخر" أن الثلاثة الذين قامت على أكتافهم الوحدة الأوربية هم زعماء للأحزاب المسيحية الأوروبية، وهم: "كونراد أديناور" زعيم الحزب المسيحي بألمانيا، و"روبير شومان" بفرنسا و"السيد دى جاسبرى" بإيطاليا.

فلتروا كيف أن الدين الذين ليس له علاقة بقيصر أو بدنيا استطاع أن يبنى، بينما نحن الذين لدينا دين وحضارة ودولة ومدينة وثقافة وتاريخ...إلخ، نذهب بالتعددية إلى التفتيت وإلى التجزئة.

إذن، نحن خبرتنا عظيمة في التنوع وفي الاختلاف وفي التعدد في إطار الوحدة –فكما ذكرت لكم– إن التعددية لدينا وسط بين التفتت والتشرذم وبين القهر والشمولية وإلغاء التنوع.

ولذلك فعندما أعددت كتابي عن الإسلام والتعددية التنوع والاختلاف إطار الوحدة، خصصت أحد فصوله لبيان الفارق بين تعددية التنوع وبين تعددية التفتيت، وقد عرضت مشاريع التفتيت كالمشروع الكردي والمشروع الأمازيغي والمشروع القبطي، وهذا من خلال الوثائق المنشورة ونحن دومًا ننشر الوثائق، لئلا يُقال أننا أسرى نظرية المؤامرة، حيث إن المؤامرة تدبير سرى، وبالتالي يختلف الأمر عندما نكون أمام تدبير معلن، إذ لا يستطع أحد الإنكار، فمن يُنكر أن قريش قد تآمرت على رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ليخرجوه أو ليقتلوه، ومن ينكر أنه في عام 1956 حدث تآمر سري وكتبت معاهدة بين إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، أي أن المؤامرة موجودة، ولكننا في النهاية نتكلم عن وثائق معلنة.

إذن نحن لدينا مفهومنا للتعددية. وقد وجدنا في تاريخنا كيف كان تأسيس التعددية على الإسلام، بينما كانت هناك محاولات في تاريخنا أيضًا تجعل هذا التنوع تفتيتًا. وقد رأينا في مجئ نابليون في عام 1798 أنه في طريقه من مارسيليا إلى الإسكندرية أعلن عزمه تجنيد 20 ألف من أبناء الأقليات ليُقيم بهم إمبراطوريته الاستعمارية.

وعندما جاء إلى مصر وجد رجل يُسمى المعلم "يعقوب حنا" ويُسميه "الجبرتي" "يعقوب اللعين"، و أصبح جنرالاً في الجيش الفرنسي وارتدى زي الفرنسيين وقام بتجنيد ألفين شاب قبطي، حتى أنه أسس فيلق من الأقباط في الجيش الفرنسي حارب مع الفرنسيين ضد الشعب المصري، كما كان يقبض على مشايخ الأزهر، وقد أصبح له مكانة في المجالس التي شكلها نابليون.

وقد اشترك مع نابليون في إبادته سُبع الشعب المصري، وهو ما يعد أعلى نسبة إبادة في مثل هذه الفترة القصيرة للحملة الفرنسية. فالشعب المصري الذي كان أقل من ثلاثة ملايين أبيد ثلاثمائة ألف منه.

وهناك من يعتبر أن المعلم يعقوب هذا أول الاستقلال المصري، ولكن أي استقلال! فليس المقصود الاستقلال عن الاستعمار، ولكن الاستقلال عن الهوية وعن الذاتية والحضارة وعن المحيط العربي والإسلامي. ولذلك، فإن جميع مشاريع الأقليات المدعومة من الغرب لا تعبر عن التنوع، بل هي إلحاق بالغرب في مواجهة الرباط الذي يجمع هذه التعددية. وأنا دومًا ما أشهد أن العقل العربي الذي يُجزئ القضايا الجامعة، فهو ينظر إلى مشروع الأكراد ومشروع الكنيسة المصرية وغيرهما كل على حدة، وإنه إذا نظرنا إلى مشروع الكنيسة المصرية إذا ألقى أحد

الأشخاص محاضرة كلويس عوض أو القمص سرحبيوس الذي قال في عام 1947 أن الإسلام يوجد في الحجاز فقط، كما أن البابا شنودة كتب مقال في يناير 1952 في مجلة مدارس الأحد يقول فيه: إن المسلمين جاءوا ليسكنوا معنا في مصر.

أيضًا قال أنبا مشهور في جريدة وطني في مايو 2000 في مقال له بجانب مقال البابا شنودة: إن اللغة القبطية هي لغتنا في الماضي والحاضر والمستقبل وهي السياج الذي يحمينا من المستعمر الداخلي.

وقد قرأت مقالاً منذ عدة أسابيع بجريدة "الأسبوع" لأستاذ بمعهد الدراسات القبطية يُدعي "كمال فريد إسحاق"، وهو يُطالب فيه يجعل اللغة القبطية هي اللغة القومية لمصر.

أما عميد المعهد "صموئيل عبد الملاك"، فيقول إننا نريد أن نمحى أمية الشعب المصري باللغة القبطية. والخطير أن له تصريح في جريدة الدستور يقول يوجد في كل كنيسة فصل لتعليم اللغة القبطية، ولكم أن تتخيلوا إذن كم ألفًا من الكنائس في مصر لديها نظام تعليمي لإلغاء اللغة العربية باعتبارها لغة دخيلة وهي لغة ميتة ومن الأغلال التي يجب تحطيمها.ولكن لماذا أذكر هذه الأمور؟

هذا لأني فيما كتبت، أحاول وضع المخطط ووثائقه المعلنة أمامي، محاولاً أن أسلك هذه الوقائع في سلك واحد، فليس من الصحيح أن يقف أحد عند لويس عوض أو كذلك يقف عند فريد إسحق وحده ليرفضه.

أيضا هنك الأنبا "توماس" الذي ألقى محاضرة مؤخرًا في معهد "هديسون" اليميني الأمريكي ليقول أن من يقول للقبطي أنت عربي يُهينه وأن القبطية لغتنا والكنيسة هي الحضانة إلى أن يحدث الانفتاح الذي تعود بعده مصر إلى ما كانت عليه قبل أربعة عشر قرنًا.

وكل هذا لا يجب أن أتعامل معه بتجزئة، وإنما وفق منهجية، وهذا ما يُسمونه في الماركسية المنهج الجدلي، حيث التعامل مع المفردات بشكل منهجي، بل إن هذا هو المنهج القرآني منذ ما قبل "ماركس"، والذي يعني أنك إذا نظرت إلى الكون يجب أن يكون لك نظرتك إليه، وكذلك إذا نظرت إلى الحضارة أو إلى مخططات الأعداء.

ولذا، أود أن أقول أن التعددية عندنا مؤسسة على الدين وعلى المقدس وقامت عليها الدولة الإسلامية حتى المؤسسات التي بنت عليها الدولة، والتي هي: المهاجرين الأولين، مؤسسة النقباء الإثنى عشر، مجلس الشورى المكون من 70 شخص. وقد ألقيت محاضرة بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي عن الفكر المؤسسي والمؤسسة، ومن المفترض إن شاء الله أن تنشر في كتيب، وهي تلقى الضوء على كيف بُنى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية على المؤسسات، وكيف أن الدولة كانت هامشًا، بينما الأمة التي بنيت هذه الحضارة عبر المؤسسات هي الأساس.

ولكن نحن كما أن لدينا هذا الثراء فيما يتصل بقضية التعددية، لدينا مشاريع تريد أن تفتت هذه التعددية.ونحن بموقفنا الوسط ومن خلال الوسطية الإسلامية الجامعة نريد أن نسلك جميع مفردات التنوع والاختلاف الديني والقومي وما يرتبط بذلك من عادات وتقاليد ومذاهب وشرائع وكل هذا في إطار الجامعة الإسلامية.

فالدولة الإسلامية في ذروة مركزية الخلافة كانت مكونة من ولايات وأقطار، وقد كانت مصر إحدى هذه الولايات وكذلك البصرة وبغداد وحلب ودمشق ...إلخ، فلم يكن هناك دولة مركزية بالمعنى الذي نظنه الآن، وإنما كان هناك تنوع.

فحتى "جمال الدين الأفغاني" عندما نصح السلطان "عبد الحميد" لمعالجة ما حدث بين القوميتين الطورانية والعربية، نصحه بنظام لامركزي لتنهض ولايات الدولة العثمانية.

إذن، لدينا تنوع في إطار الوحدة وليس في إطار التشرذم والتفتيت كما يُريد الأعداء. وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. نادية مصطفى:

شكرًا د. محمد عمارة، وأعتقد أنه إذا كان هناك وقتًا أكثر لكنا استمعنا إلى المزيد لاستكمال ذلك المسار الذي بدأه د. محمد عمارة، ابتداءً من تناول الرؤية الكونية للنموذج الإسلامي ومقارنتها مع الغربي، ثم الانتقال إلى المبادئ والأسس والمجالات التي تبين ما هو نمط التعددية والتنوع في الخبرة الإسلامية، مستعينًا بالأصول وخبرة فترة الرسالة، واستدعاءً لنماذج تاريخية عديدة لشرح هذه المبادئ والأسس المهمة.وفي الحقيقة، لن أطيل في تلخيص المحاضرة، إذ لا أريد أن أفتئت على وقت حضراتكم.

المداخلات:

أ. نجلاء صلاح الدين:

أشكركم على هذه المحاضرة، هناك آيات في القرآن الكريم تكفر المسيحيين، وبالتأكيد أنا لا أستطيع أن أعلق على ذلك أو أنفيه، ولكن إذا وضعنا أنفسنا في مكان الآخر، سنجده يقول: أنتم تكفروننا. أيضًا، أرى أننا كثيرًا في بلادنا العربية نعمل على تحقيق ما يريده أعداؤنا بالخارج على نحوٍ أفضل مما يقومون به هم.

م.عبد المعطي:

سأطرح نقطتين:

الأولى، وتتعلق بموضوع حوار الأديان، حيث أرى أن الأجندة الموجودة حاليًا هي أجندة مفروضة، ولذا فنحن في حاجة إلى وضع ميثاق أو مشروع للحوار بين الأديان، بحيث تكون هناك أجندة مشتركة يضعها الجانبان ولا تفرض علينا ونُساق إليها.

الثانية، أود أن أعرف رأي د. عمارة في مسألة إحياء الثقافات الفرعية، فنحن إذا وافقنا على إحياء لغة كاللغة القبطية، هل يمكن قبول هذا إذا كان في ظل إحياء لغوي عام، بمعنى أن تأخذ اللغة الأم أيضًا حقها بجانب السماح بإحياء اللغات الأخرى.

أ. كريم صادق –كلية طب–جامعة القاهرة– مؤسسة نماء:

أود أن أعرف تعليق د. نادية مصطفى ود. محمد عمارة على مفهوم "العقد الاجتماعي"، وما يعنيه فيما يتصل بالمشاركة السياسية والمجتمعية في شؤون الوطن منذ بداية الدولة الإسلامية وحتى الفكر الإسلامي المعاصر.

أ. عبد الرحمن حسام – الفرقة الرابعة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – مدون:

النقطة الأولى: حضرتك تحدثت عن سلطة الاجتهاد وسلطة الدولة، وكلمة الدولة في الخبرة العربية تستدعي أن ما قبل محمد علي كان هناك شكل معين لها، بينما فيما بعد كانت تعبر عن شيء مختلف، حيث الدولة الحديثة، فضلاً عن علاقة معينة بين الدولة والأمة.كما قد حدثنا د. سيف عن أن الخبرة الإسلامية مع الدولة تختلف عن نظيرتها الغربية، إذ أُمِم الدين لصالح الدولة وكذلك المقدس.

فهل إذن الحديث عن سلطة الاجتهاد وسلطة العلماء يعني أنهم بحاجة إلى سلطات حقيقة وإلى مجتمع لتصبح الدولة مجرد خادم؟ وهل هذا يستلزم إعادة تعريف الدولة فلسفيًا ومعرفيًا ثم مؤسسيًا وعمليًا؟

النقطة الثانية: أود أن أعرف هل المنهج الجدلي من الجدَل أم من الجدْل؟ وما الفرق بين التدافع في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ** ﴾ (سورة البقرة: آية 251) وبين قوله تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (سورة المؤمنون: آية 69)، فقد فهمت أن التدافع هو سنة من سنن الله ولكنه أيضًا واجب من واجبات الأمة التي ترتبط بالمُكنة والمكانة، فهناك أناس بمقدورها أن تدفع، فعندما تقوم بذلك، تدفع بالتي هي أحسن وبمقتضى الرحمة.

وبالتالي، هل سقوط الأمة وتراجعها وعجزها ليس فقط عن التدافع وإنما عن أن تدفع عن نفسها المعتدي والسيئ والضار والمهلك الذي يحاول أن يقضي عليها، هل ذلك لا يدخل في نطاق ما يُمكن أن يُسمى "الكبائر الحضارية" كما أن هناك كبائر على مستوى الفرد؟ وهل تحدث أحد عن هذا الأمر، أو هناك مفهوم مختلف يُعبر عنه بنفس المضمون بحيث تكون هناك فروض جتماعية إذا لم يقم بها البعض عدت كبيرة حضارية وأثم الجميع كفروض الكفاية، وهذامثل الدفع ؟

أ. عبد الرحمن عياش– طالب بهندسة المنصورة:

أولاً– أريد التعليق على قوله تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ**

صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (سورة الحج: الآيتان 39: 40)، فالآية تتجاوز مستويات مختلفة بداية من التحدث عن إخراج المسلمين من مكة. والتدافع هنا يعني أني أعاني من قوى معينة، وإن لم أدفعها سيحدث فساد أكبر من ذلك الناتج التدافع بين الأمم الكبرى.

ثانيًا– حضرتك تحدثت عن فكرة جيدة جدًا وهي المتعلقة ببناء الكنائس وعمارتها. ونحن في مصر لدينا تعسف شديد –كما يكتب– في هذا الأمر استنادًا إلى الخط الهمايوني الصادر في نهاية الدولة العثمانية بشأن هذه المسألة.فهل هذا التعسف ناتج عن الاستبداد السياسي والبيروقراطية المصرية، أم هناك أصل لدينا؟

أ. شريف حسن عبد الرحمن– باحث بمعهد الدراسات الإفريقية:

حضرتك تحدثت عن الحضارة الإسلامية والأصول الشرعية بشأن التعدد وكذلك الجوانب التاريخية، في حين إن المسائل التي كثيرًا ما نتحدث عنها فيما يتعلق بالدولة الإسلامية تتركز حول كيفية تأسيس الرسول "صلى الله عليه وسلم" دين ودولة في ذات الوقت ويقول البعض أن الإسلام ليس مجرد بعثة وإنما هو نظرية سياسية أيضًا. وهذا الكلام يستغله البعض لوصف الدولة الإسلامية بأنها دولة دينية، علمًا بأن هناك فارق بين خبرة الدولة الدينية في الشرق ومثيلتها في الغرب.وأعتقد أن مثل هذا الأمر لا يستطيع الفصل فيه إلا عالم كالدكتور عمارة.

د. نادية مصطفى:

حقيقة إن موضوع المحاضرة واسع ومتعدد المستويات، ويستدعي الكثير من القضايا، وما أراه أن اتجاه الأسئلة يصب في هذه القضايا والتفريعات، ولكن لنحاول أن نتذكر الغرض الأساس والموضوع الرئيس للمحاضرة، ارتباطًا بموضوع الدولة والتنوع والتعدد في الحضارة الإسلامية، كي نكون أكثر تركيزًا.

أ. عبد الله –إندونيسيا:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما رأيكم في أن التعددية هي ثمرة الحرية؟ وكيف ترون حرية الأديان في الإسلام؟ وكيف نتعامل مع غير المسلمين؟

أ. نهى طارق عباس حسن– بكالوريوس علوم سياسية:

سؤالي يتصل مباشرة بما قاله د. محمد عمارة بالنسبة للحوار، فأولاً حضرتك ذكرت أن المسلمين يعترفون بالديانة المسيحية وكذلك اليهودية، ولكن أليس هذا الاعتراف ينصرف إلى الديانة المسيحية وقت نزولها؟ فهل نحن لا نعترف بالديانتين المسيحية واليهودية الحاليتين؟وأعتقد أن هذه المسألة تمثل مشكلة حقيقية.

المشكلة الثانية، إن حضرتك ذكرت أن الحوار يتطلب اعتراف كلٍ بديانة الآخر، في حين لا أحد يعترف أحد بديانة الآخر الآن ، فلا المسيحيين يعترفون بالإسلام ولا اليهود أيضًا يعترفون به أو بالمسيحية.ولذلك لا مجال لوجود حوار حقيقي، ومن ثم سيستمر الصراع.

د. نادية: يتأكد لي مرة أخرى غلبة المحدد الديني في الأسئلة على المحددات الأخرى للتنوع، في حين أن التعدد والتنوع – وكما شرح أستاذنا الدكتور عمارة– يشمل التعدد الديني والمذهبي والعرقي.

فمعظم الأسئلة إلى الآن تركز على التنوع الديني خاصة المسيحي –الإسلامي، ولاسيما فيما يتصل بالأصول العقدية وليس حتى الممارسات والأوضاع القائمة، بينما نحن موضوعنا أوسع من ذلك كثيرًا.

أ. حسن –جامعة الأزهر:

النقطة الأولى،أشعر أن هناك قصور شديد في فهم مسألة التعددية، وبالتالي أود طرح السؤال الآتي، وهو :كيف نعالج هذا القصور في الفهم؟

د. نادية: عند من تشعر بهذا القصور؟

أ. حسن: أشعر به على المستويات المختلفة، فكيف ننشر الفهم الصحيح على هذا الاتساع؟

النقطة الثانية، كيف يكون التعامل مع مسألة التعددية على مستوى الفرد وكذلك على مستوى المؤسسات كالجامعة، في ظل هذه الاختلافات؟

د. نادية: هذا السؤال في صلب وفي صميم سلبيات فهم التعددية، من حيث أسبابها ومظاهرها وكيف يمكن التعامل معها، وهذا هو موضوعنا.

متحدث – طبيب أشعة و مدون:

بالنسبة إلى التعدد المذهبي، فنحن إذا نظرنا إلى إيران سيبرز لنا فكرة كيفية إدارة العلاقات بين السنة والشيعة لاسيما وأن الدستور ينص على مذهب معين. ونحن نريد أن نعرف كيف كان هذا الأمر على مدارنا تاريخنا الإسلامي، فكيف تعاملت الخلافة وتعامل الخلفاء مع الآخر المذهبي؟

أ. مها سعيد– الفرقة الرابعة– تجارة إنجليزي:

من الواضح أن مفهوم الأمة ظهر مع الإسلام بالرغم من أنه قبل ذلك كانت هناك الإمبراطوريات الفارسية والرومانية وغيرها، فما الفرق بين الأمة والإمبراطورية؟ وما المزايا المعنية التي جعلتنا نطلق هذا المفهوم ولم نقل إمبراطورية؟

د. نادية: نحن لم نُطلق شيء، ولكن الله هو الذي أطلق هذا المفهوم.

أ.يسرا مصطفى – خريجة كلية ألسن– مترجمة وكاتبة بإسلام أون لاين:

أولاً– لفت انتباهي مسألة الحوار من الناحية الدينية، وهذا ربما لأن هذا هو المطروح على الساحة حاليًا ويُولد لدينا الكثير من الأسئلة.

د. نادية: ولكن د. محمد قد رسم لنا خريطة التعدديات الكثيرة كالتعددية القومية واللغوية المتمثلة في الأكراد والأمازيغ، والدينية كالتعددية القبطية– الإسلامية، وكذلك المذهبية بين السنة والشيعة، ما أريد قوله أن خريطة التعددية متشعبة وممتدة عبر أرجاء العالم الإسلامي كله وليس فقط مصر, ونحن الآن نحاول تغطية أبعاد مختلفة، حيث تطرقنا في العام الماضي إلى مسألة بناء الجماعة الوطنية في مصر.

المتحدثة: تحدث د. عمارة عن الحوار وأن الدين ليس شقاق، ولكني أود أن يوضح أكثر النقطة المتعلقة ببعض الآيات الخاصة بحسن التعامل مع أهل الكتاب مثل قوله تعالى: "لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"(سورة العنكبوت: آية 46) ، ولكن هناك أيضا الحديث الصحيح الذي كثيرًا ما يقرأه الناس والذي جاء فيه: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"، والتي تجعل بعض الناس يقولون أن الإسلام انتشر بحد السيف، بعكس ما اقتنع به أنا شخصيًا.وأريد أن يوضع د. عمارة كيف أن الإسلام ترك المجال للناس كي تختار الدين، حيث كثيرين لا يعرفون ذلك.

ثانيًا: يُتحدث كثيرًا عن أن هناك إسلام في إيران وآخر في تركيا وآخر في السعودية، وأن هناك طرق كثيرة تختلف باختلاف الدول، كما رأينا طالبان حين أمسكت بالحكم في أفغانستان.

ونود أن نعلم ما يجب أن يحدث حين تكون هناك دولة إسلامية مركزية أو أمة مع وجود ولايات مختلفة، فما الحدود التي تسمح بها الدولة للحركة والتنوع؟فهل مثلاً يجب أن يُفرض الحجاب؟

بمعنى هل يجب أن تكون الدولة رقيبة على كل شيء، فلا تسافر أي امرأة بمفردها كما هو الحال في السعودية أو في أفغانستان كما نسمع؟

فمن خلال خبرتنا وحضارتنا، ما الحدود التي يسمح للأمير أو الوالي أن يتدخل بها ؟ وما الأمور التي ليس له فيها ذلك؟

متحدث – آداب المنصورة– قسم صحافة:

تحدث د. عمارة عن أن هناك أقباط يُطالبون بعودة اللغة القبطية، وهذا يُعد تقوقع على الذات. وأرى أننا كمسلمين أيضًا لدينا هذه الرغبة في العودة إلى التاريخ، سواء من خلال ارتداء زي معين للرجال أو السيدات أو غير ذلك.فهل هذا سببه خلل في البناء؟ فلماذا لا نتجه إلى أوضاعنا الحالية وبلادنا؟

فكون المسلمين متحدين أم لا لم تعد هذه هي المشكلة الحقيقية، كما أن هناك الآن مسائل تأخذ أكبر من حجمها، حتى أن هناك الآن مشكلة تتمثل في أن الأطفال الصغار أضحوا يسألون

أسئلة كثيرة من قبيل: هل المسيحيون مثلنا؟ ألن يدخلوا الجنة؟فلماذا لا يهتم كلّ بشأنه وبالمبادئ الأساسية لدينه؟

د. نادية:

يبدو أن ما قلناه بأول الجلسة من أن غرضها هو أن نتحدث على مستوى الحضارة الإسلامية والتعارف على ثقافات الشعوب الأخرى بها كمنطلق للحوارات البينية، يبدو أنه غير متحقق /مستوعب لديكم في الأذهان. وأخشى أن التمركز على الذات المصرية منذ البداية هكذا يضرب صميم غرض الدورة بأكملها.

وأتمنى أن يحاول د. محمد في إجاباته توسيع الموضوع؛ حتى نؤسس للدورة أكثر مما نتحدث في جزئية واحدة منها ندور حولها جميعًا.

صيدلي من المنصورة:

من الواضح أن التعددية بها إثراء وقوة لكلٍ من الفرد والمجتمع، حيث يُصبح المجتمع متماسك وعلى قلب رجلٍ واحد، ولكن الواقع الذي نعيشه عكس ذلك تمامًا، فالمجتمع مُجزأ، وكلٌ يتبنى وجهة نظر معينة في مواجهة الآخر، حتى أصبحنا نعيش في مجتمع مفسخ وضعيف. وهنا نجد سياسات اقصائية بطريقة غير عادية سواء في البيت أو في المدرسة أو في سائر المجتمع وعلى صعيد الواقع السياسي والدولي.

والسؤال إذن هو: كيف يُمكن نشر الفكر التعددي الصحيح لنؤسس مجتمع مؤسسي دولي؟ وكيف نحول هذا الفكر إلى سلوك عملي سواء مع أولادي وزوجتي أو مع سائر المجتمع وعلى الصعيد السياسي؟ وكيف يمكننا نشر هذا الوعي التعددي في المجتمع المصري تحديدًا؟

متحدثة- بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية ومحررة:

أولاً- هناك خطأ شائع، وهو الخلط بين مفهومي الأمة والدولة، (فهل نحن أمة إسلامية تم تجزئتها إلى أكثر من دولة؟)، حيث دومًا ما يكون هناك خلط بين وحدة الدولة ووحدة الأمة، وأنا أرى أن كل منهما يختلف عن الآخر.

ثانيًا هناك بعض الممارسات الخاطئة من المسلمين الذين لا يفهمون التعددية بمعناها الصحيح، وبالتالي نجد أن الآخر ينفر من المسلمين ويأخذ انطباع بأن الإسلام لا يقبل التعددية.

وللأسف، فإن هذه الممارسة الخاطئة هي السائدة والمنتشرة في العالم الإسلامي، وهي التي تتسبب في وجود صورة خاطئة عن المسلمين لدى الغرب.

أ. أروى- الفرقة الثالثة- آداب إعلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الواضح أن د. محمد عمارة يرفض عودة اللغة القبطية، في حين لا أرى مشكلة في ذلك، فهذه المسألة تتعلق بالحرية، ولن تؤثر على اللغة العربية.

أيضًا لي تعقيب على من تحدثوا حول أننا نكفر الآخرين، فنحن بالنسبة لهم أيضًا "كفار"، ولكلٍ عقيدته.

أ. عبد الجواد الجعيدي –أصول دعوة:

أولا أعتقد أن لدينا مشكلة فيما يخص مستويات التعدد، فهناك مشكلة بداية من التوصيف، كما لا يوجد وقت لفرز الأمور وتحليلها وتعليلها. وعلى سبيل المثال هناك فرق بين التعدد والتنوع وبين التعايش، فالتعدد والتنوع يأتي في الإطار الداخلي للثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية والدين الإسلامي، أما التعايش فيخص العلاقة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات وبين الدين الإسلامي وغيره من الديانات الأخرى، فمع غير المسلمين هناك تعايش.

وبالنسبة إلى المستويات، ففيما يتعلق بهذا الجانب، نجد أن هناك مستوى أخبرنا عنه الله سبحانه وتعالى، وهو الخاص بمن لم يُقاتلوننا ولم يُخرجونا من ديارنا، ويقول سبحانه وتعالى في النص القرآني: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ (سورة الممتحنة: آية 7). ثم هناك مستوى من يُحاربون الله ورسوله، ويقول تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (سورة المجادلة: آية 22).

إذن، من كان يُحاد الله ورسوله ويؤلب على المسلمين غيرهم، لا نتعايش معه، ولا يوجد منطق لدى المسلمين أو غيرهم يُبيح التعامل والتعايش مع من يؤلب عليهم، إلا إذا كنت ضعيفًا ولا أعي شيءً مما يدور حولي.

الأمر الآخر، إن التنوع في الفكر الإسلامي يُجابه بمعوقات كثيرة جدًا، فالفكر السلفي لا يقبل بالتنوع وبقسوة. وهذا الأمر يتعلق بمستوى التعايش، وذلك سواء كان مع الشيعة أو الصوفية أو الجماعات المتعددة باختلاف مسمياتها. فكيف نقضي على هذا، أو بمعنى أصح كيف نجعل المسلم يتربى على ثقافة تقبل التنوع؟

وأخيرًا، إن الاعتقاد في الآخر أمر، والتعايش معه أمرٌ آخر. فأنا إن لم أعتقد في نصراني أنه كافر، فقد كفرت بما نزل على "محمد"، فأعتقد فيه ما أعتقد، ولكني أتعامل معه بكل مودة وبكل حب وبكل إنسانية.فهذا مستوى وذاك مستوى آخر.

د. نادية مصطفى:

الملاحظة الأولى: من الواضح – وكما علقت– أن الأسئلة تسير باتجاه اختزال الموضوعات التي سنعمل عليها خلال الدورة وبشكل شديد جدًا، فقد حدث اختزال لما تحدث عنه د. عمارة إلى عامل واحد، كما تم اختزال هذا العامل في إطار دائرة ضيقة جدًا هي الدائرة الوطنية. وهذا ليس هدف الدورة من الأساس.

فهدف الدورة يتحدد بمستوى كلي نستعرضه لنجعلك تفكر على مستوى كلي خاص بالأمة وبالحضارة الإسلامية بتنوع شعوبها وثقافاتها وأوطانها، كما أنه في بجانب هذا التنوع هناك بداخل كل وطن تنويعات متعددة.

وبالتالي، كنت أتمنى أن نخرج من حديث د. محمد –لاسيما وأننا هنا بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية– بعدة أمور **أولها**، ما إذا كان من الضروري أن نربط في فهمنا وفي دراستنا للتاريخ الإسلامي بين التاريخ السياسي وبين التاريخ الثقافي والحضاري صعودًا وهبوطًا.

فلدى تصور مفاده أن منحنى الحضارة والدولة الإسلامية كان في صعود سياسي واقتصادي ومجتمعي حين كانت قضية التعدد والتنوع في قالبها الإيجابي، بينما اقترن السقوط والانحدار في المنحنى السياسي والتمكين وكذلك في القوة بشكل عام والمكنة والوضع الداخلي أيضًا بانحدار في المكون الثقافي والحضاري والمجتمعي الداخلي.

فهل يصح إذن أن ندعو إلى تحقيق هذا الربط بين التاريخ السياسي وبين التاريخ الثقافي والحضاري بأوسع معانيه؛ بما يقودنا إلى قضية التعدد والتنوع العرقي والقومي والمذهبي والديني أم لا؟ وهذا على النحو الذي يجعلنا نقول حقًا أن الأمة في وحدتها كان ذلك أساس القوة والعكس صحيح كما يحدث لنا الآن، فما نعانيه جميعًا ليس أسبابًا بقدر ما هو أعراض.

الملاحظ الثانية، وهذا سؤال خاص مني، وهو بالنسبة إلى التعددية السياسية وليس فقط تعددية العرق والقوم أو الدين، فكيف ترى حضرتك غياب التعددية السياسية في تاريخنا الإسلامي بمعنى معين، وهو تآكل آليات تداول السلطة عبر تاريخنا الإسلامي، ولا أقول غياب الحرية السياسية بالمعنى القائم حاليًا والموجود في ذهننا عن أشكال الديمقراطية الغربية وكيف نحاسب تاريخنا عليها، ولكن هل كان هناك آلية لتداول السلطة احترمت في تاريخنا، بحيث تكون التعددية السياسية قد احترمت، وبالتالي ما نعيشه من استبدادٍ ومن فسادٍ، ويُرجعه البعض إلى أنه آفة أصيلة في ثقافتنا، هل هو هكذا؟ أم هل هذا نتيجة أسباب أخرى؟

د. عبد الحميد أبو سليمان:

بالتأكيد إن محاضرة د. عمارة لا تحتاج إلى تعليق، وكان أهم ما بها الرجوع إلى الوثائق التاريخية.

وما أود قوله أننا ونحن في قسم العلوم السياسية لا يجب أن نقع في خطأ نقع فيه بكثير من القضايا، والتي تنتهي إلى الخلط بسبب عدم الدقة في فهم المقترحات. فنحن نتحدث باستمرار

عن الدولة وكأنها السلطة التنفيذية، ولكن الأمر ليس هكذا، فالدولة أرضٌ وشعب ونظام، والسلطة التنفيذية والحكومة جزء من النظام.وتزداد خطورة هذا الخلط في قضيتي علاقة الدين بالدولة وبناء النظام الاجتماعي.

ولذا، أرجو من طلبة العلوم السياسية تحديدًا عدم الخلط في هذا الأمر، فالدولة شيء والسلطة التنفيذية أو الحكومة شيء آخر، وهذا يجب أن يكون واضحًا في التحليل، حتى لا أسمع تعليقات بقسم العلوم السياسية بها هذا الخلط.

د. محمد عمارة:

بالطبع نحن أمامنا دقائق معدودة لتناول نقاط تزيد على الثلاثين نقطة أو سؤال.

لقد أشار كثيرون إلى موضوع "**التكفير**". وأريد أقول أن هناك فرق بين التكفير وبين الكفر، فكل صاحب دين يعتقد أن الآخر كافر بدينه، وقد ذكرت ذلك في كتاب "الإسلام والآخر"، حيث إن كل إنسان في الدنيا مؤمن وكافر في نفس الوقت، فالمؤمن بالماركسية هو كافر بالليبرالية والعكس صحيح. وهذا ليس عيبًا.

فأنا مؤمن بأن "عيسى" هو نبي الله ورسوله، ولكني كافر بأنه ابن الله، بينما المسيحي قد يؤمن بأنه ابن الله ويكفر بأنه عبد الله. والقرآن ذاته يستخدم هذا المصطلح، إلا أننا نخشى هذه المسألة، فهناك قوله تعالى: ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ (سورة إبراهيم: آية 22)، أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ (سورة البقرة: آية 256)، فالإنسان يكفر بشيء ويؤمن بنقيضه.وهذا يجب أن نشرحه للناس حتى لا يغضب أحد، نحن نعتبره كافر، وهو أيضًا يعتبرنا كذلك.

أما "التكفير"، فهو شيء آخر، إذ يدخل في نطاق من يشهدون أن لا إله إلا الله، أي أن نكفر من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وهذه هي الآفة، التي يوجهها السلفي ضد الصوفي والعكس، فالصوفية مثلا يُكفرون "ابن تيمية".

وقد كتبت هذا الكلام في كتاب "فتنة التكفير"، والذي أثار ضجة، حيث ذكرت أن الصوفية يقولون أن "ابن تيمية" أدخل التثليث في العقيدة، أيضًا إن الشيعة يُكفرون الصحابة وأهل السنة، أي يَكفرون 90% من الأمة الإسلامية.

وهذه آفة لابد من الحوار لتحجيمها والخروج من أسرها، حتى تكون هناك تعددية، فأي "مُكفِّر" هو في المقام الأول كافرٌ بالتعددية، إذ إن من يُكفر الآخر يعني بذلك أنه يُقصيه ويقصر الأمة على ذاته، ولذلك فإن أعدى أعداء التعدد والتنوع هو وجود نزعة التكفير لدى أي مذهب من المذاهب.

كذلك كانت هناك إشارات في كثير من الأسئلة إلى **عيوب الداخل**، وهذا أمر صحيح، فنحن إذا علقنا جميع مشكلاتنا على الغرب، سنغمض أعيننا عن عيوبنا الداخلية. وقد ذكرت في كثير

مما كتبت أننا أمة نعاني مأزق له جناحان، هما: تخلف موروث، وهيمنة غربية تحرس هذا التخلف الموروث.

فالدولة العثمانية أُحتفظ بأمراضها وأسموها رجل أوربا المريض إلى أن حان الوقت ليرثوا تركته. والاستبداد لدينا الآن هو أمر داخلي ولكن يحرسه الغرب أو يصنعه، أيضًا فإن الأمية وعدم زراعتنا ما نحتاجه من قمح وكثير من أمراضنا هي أمراض داخلية، ولكن الغرب يحرس هذه الأمراض الداخلية لتظل هذه الأمة مستضعفه ومسيطر عليها اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا وأمنيًا.

وكان هناك سؤال حول "**أجندة حوار الأديان**"، فنعم هي أجندة خارجية، وبابا الفاتيكان – وحسبما ذكرت مجلة News Week– وهو كان في زيارة إلى الولايات المتحدة منذ ما يقرب من الشهرين. حينما أرسلت له مؤسسة بعمان فى الأردن بأن هناك 138 شخص من المسلمين يطلبون الحوار معه، رد ممثل الفاتيكان وقال إن الحوار مع المسلمين صعب لأنهم يعتقدون أن "القرآن" من عند الله، أي أنه كي يحاورني يَريد مني أن أتنازل عن أن "القرآن" من عند الله، وهذه أجندة.

أيضًا، مذكور في الـ News Week أن البابا يضع بندين في أجندة الحوار الذي من المفترض أن يُعقد بين روما وعمان مرتين وأولهما، هو الحرية الدينية والتي تعني حرية التنصير وحرية بناء الكنائس في السعودية، أما الثاني وهو الأخطر، فهو فصل الدين عن السياسة في الدولة الحديثة، أي العلمنة.

وما أريد قوله أن هناك أجندة لحوار الأديان موضوعة خارجيًا. ونحن لسنا ضد الحوار، وإن كان ما يجري في رأيي حوار طرشان، وقد كتبت ذلك منذ زمنٍ وبعيد.فالحوار بالنسبة لنا يجب أن يتوافر به حد أدنى مقبول، حتى وإن لم يكن سيحقق جميع النتائج التي نريدها، فعلى الأقل يجب أن نستطيع من خلاله أن نعرف بأنفسنا.

فأنا لست ضد الحوار، ولكني مع إعداد المحاور. وهم بالفعل يُعدون المحاور بخلاف محاورنا الذي لا يفقه شيء، فلا يعرف الآخر أو يعرف عنه؛ولذلك، فإننا نجد الحوارات تعقد في فنادق خمس نجوم بإيطاليا وغيرها، ولكن لا طائل منها.

فالمهم هو المشاركة في وضع شروط الحوار، حتى وإن كان ذلك في أدنى المستويات على النحو الذي يُساعدنا في التعريف بأنفسنا والإجابة على الشبهات، وكذلك يُمكننا من معرفة الآخر والحكم عليه.

أما عن التساؤل: **ما المانع من إحياء اللغة القبطية؟**

فأنا لست ضد إحياء لغوي للقوميات في العالم الإسلامي، فالأمازيغ من حقهم ذلك، والأكراد أيضًا، ولكن هذا بشرط أن تكون هناك حماية للعربية لغة الإسلام بالنسبة لنا جميعًا، فالأكراد الذين طالما حموا العربية والقرآن عليهم أن يستمروا في ذلك بجانب حمايتهم لغتهم.

أيضًا من نشر الإسلام بالمغرب، إنهم الأمازيغ، والذي أعاد الجزائر إلى العروبة والإسلام هو "عبد الحليم بن باديس" وهو أمازيغي، كما أن "بن بيلا" أمازيغي أيضًا، والذي كان مسؤلاً عن التعليم بمجلس الشورة الجزائري هو كذلك أمازيغي.إذن، فلا يجب أن تكون الأمازيغية أو الكردية على أنقاض العربية.

أما بالنسبة لنا في مصر، فنحن قومية واحدة، فالمسلمون لا يُمثلون قومية معينة ولا يُمثل المسيحيون قومية أخرى، حتى يكون هناك إحياء لغوي لقوميتهم ولكن اللغة القبطية هي لغة قديمة، وإذا ما رجعت الأمم والشعوب إلى لغاتها القديمة، لأصبحت هناك فوضى علمية لا يقول بها عاقل.

ولكن إذا كان الأقباط لديناهم قومية مختلفة ومنفصلة عن المسلمين، كان سيُصبح من حقهم إحياء لغتهم. أما اللغة القبطية فهي –كما ذكرت لكم– لغة هجين وليست هي لغة الإنجيل أو لغة "عيسى" "عليه السلام".

فنحن بمصر أمة واحدة وقومية واحدة وشعب واحد وعرق واحد وثقافة واحدة، حتى أن "مكرم عبيد" قال في عام 1939 بمجلة الهلال:نحن مصريون وعرب، ودافع عن الوحدة العربية منذ ما قبل الجامعة العربية؛ كما دافع عن الهوية الإسلامية إذ قال: نحن مسلمون وطنًا، مسيحيون دينًا.

وفي دستور 1923، اتفق المسلمون والمسيحيون واليهود على عروبة الدولة كلغة وعلى هوية الدولة الإسلامية، حيث النص على أن دين الدولة الرئيس الإسلام.أما ما يحدث اليوم، فهو انقلاب على المسيرة الحضارية والثقافية، بينما إذا كان الأقباط قومية مثل الأكراد لكان من حقهم إحياء اللغة التي يُريدون.

وفيما يتعلق **بالعقد الاجتماعي**، فنحن اليوم لدينا دستور يُمثله. وبالنسبة إلى المواطنة، فقد علمنا إياها الإسلام حين قال: لهم ما للمسلمين وعليهم وما عليهم.فالغرب عرف المواطنة على أنقاض الدين، أما نحن فقد علمنا إياها الدين.

وعن **الدولة والأمة**، فالأمة بشر، ولذا أقول أننا أمة واحدة. والاستعمار قد فرق الدولة الإسلامية، ولكنه لم يستطع أن يُمزق الأمة الإسلامية.وهذه من حقائق الواقع الذي نعيش به.

وقد اختلف وضع الدولة في العصر الحديث عنه في التاريخ الإسلامي، ففي التاريخ الإسلامي كان هناك تعظيم للأمة وتحجيم للدولة، فالدول الإسلامية كالأموية أو العباسية أو غيرهما، كل هذا مثل شريحة محدودة وسلطة محدودة، لكن الأمة بمؤسساتها هي التي صنعت الحضارة، حتى أن الجهاد والرباط في سبيل الله كانت الأوقاف هي من تقوم بالإنفاق عليه.

فكل الحضارة صنعتها الأمة والأوقاف، التي هي مؤسسة أهلية، وكانت الدولة مجرد شريك، ولذلك نجد تميز التاريخ الإسلامي بتعظيم الأمة وتحجيم الدولة.

نحن لدينا خطأ في كتابة التاريخ، حيث التركيز دومًا يكون على الدولة، حتى أنه لم يُكتب تاريخ الأمة. فلا يمكن أن تكتب التاريخ الإسلامي دون طبقات العلماء والشعراء ، ودون الخطط التي أرخت للزمان والمكان والاقتصاد وطرق العيش.

فلقد كتبنا التاريخ على أنه تاريخ السلطة، ولذلك يقول العلمانيون مثل فؤاد زكريا وفرج فودة أن 99% من التاريخ الإسلامي ظلام، وهذا لأنهم ينظرون إلى الدولة فقط، فالتاريخ والحضارة قد بنتهما الأمة ومؤسساتها كالصوفية والأوقاف والعلماء والشعراء والفقهاء والمفسرين والمحدثين.

وبالتالي، أقول إن تاريخنا مطلوب أن يُكتب من جديد بحيث يتناول تاريخ الأمة ومؤسساتها التي صنعت الحضارة ، وكذلك الطبقات، إذ إن علم الطبقات هذا الذي هو علم الخطط هو ما يوضح حركة الأمة لما فيه من إلمام بالزمان والمكان والاقتصاد والخانات والطرق وكل هذا.

ثم عندما جاءت الدولة الحديثة منذ عصر "محمد علي"، كانت الدولة القومية بالمعنى الغربي، فأصبحت الدولة الغول، فهي مثل الجبل يحميك وفي نفس الوقت يكتم أنفاسك. ولذا، فمنذ تأسيس الدولة الحديثة في عهد "محمد علي" بدأ الجور على الأوقاف التي كانت تمول الحضارة، فأصبحت تمول من الدولة، والعاملين بها صاروا موظفين لدى الدولة وكذلك المثقفين وأساتذة الجامعات. كما بدأ الجور على الأزهر وسائر المؤسسات التي تمثل الأمة.

وفد كتبت دراسة عن "عمر مكرم"، توضح أن الصراع بينه وبين "محمد علي" كان صراعًا بين الأمة والدولة، إذ إن الأول يُمثل الأمة، في حين يُمثل الثاني الدولة التي كانت هنا بالمعنى الحديث. ولذلك فإنكم إذا تتبعتم الموقف من الأوقاف المؤسسة الأهلية بانية الحضارة لوجدتم الجور عليها من قبل "محمد علي"، إذ جارت نظم العسكر على هذه المؤسسة.

أما **التدافع**، فهذا موضوع أقول أنه يحتاج إلى بحثٍ منفصل، علمًا بأني أعددت عنه شيء صغير، إلا أني أفتح الباب الآن لإعداد دراسات في فلسفة التدافع في مواجهة فلسفة الصراع، ولذا فإني عندما ناقشت "هنتنجتون ناقشته بمنطق أننا حضارة التدافع، بينما هم حضارة الصراع.

وفيما يتصل بموضوع "**المنهج الجدلي**"، وما إذا كان من الجدَل أم من الجدْل، فإنك من الممكن أن تستخدم المصطلح وفق المفهوم الذي تحدده أنت. أخذًا في الاعتبار أننا عندما نجدل الأفكار، فإن هذا يكون جدْلاً، وهو أيضًا نوع من الجدل، لأن حتى الجدَل بمعنى الجدال هو نوع من التفاعل والأخذ والعطاء في جَدْل الأفكار، وليس مجرد حوار.

أيضًا، كان هناك سؤال عن "**الكبائر الحضارية**"، فصحيح نحن لدينا ذلك، إذ لدينا فروض كفاية التي هي فروض اجتماعية، إلى جانب الفروض العينية التي هي فروض فردية. وقد حدث خلل في الفقه بأننا نعُطي أمثلة لفروض الكفاية بصلاة الجنازة، وأن الإنسان إذا صلى عليه فرد

أو اثنين لكان كافيًا ذلك، إلا أننا لدينا فروض الكفاية التي هي فروض اجتماعية أشد توكيدًا من الفروض العينية، فأنت إن لم تُصل، فإن الإثم عليك وحدك، ولكن إن لم نقم بالتنمية والتعليم– وهذه فروض كفائية– فإن الإثم يقع على الأمة جمعاء.

ولذلك، فإن فروض الكفاية التي هي فروض اجتماعية أشد توكيدًا من الفروض العينية (الفردية)، بل إن حتى الفروض الفردية عندما تؤدي في جماعة يكون ثوابها أكبر، فالصلاة والصوم هما فريضتان فرديتان، ولكن عندما تؤديان بشكل جماعي، يكون هذا أفضل.ولذلك، فإن الكبائر الحضارية أو التخلف عن الفروض الاجتماعية هذه مسألة مهمة وتحتاج بالفعل إلى لفت الأنظار.

وتعلم أن الإيمان بضعٌ وستون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، أي أن إماطة الأذى عن الطريق فريضة من الفرائض الاجتماعية في الإيمان الإسلامي.

كذلك كان هناك سؤال /تعليق حول أن هناك تعسف في بناء الكنائس، وهذا الموضوع فيه كتابات. وألفت أنظاركم إلى تقرير الأهرام "الحالة الدينية" في آخر إصداراته وكان شارك فى كتابته مسيحيون، وقد تطرقت إلى ما به من حسابات وإحصاءات، فوجدت أن نسبة عدد الكنائس إلى عدد المسيحيين أكبر مقارِنة بنسبة عدد المساجد إلى عدد المسلمين.

وعندما كان المهندس "حسب الله الكفراوي" وزيرًا للإسكان ونقيبًا للمهندسين دعا إلى ندوة بالنقابة، وقد كنا تقريبًا 40 شخص وبيننا الشيخ الغزالي والبابا شنودة وعدد من العلماء والمفكرين. وقال الشيخ "الغزالي" –رحمه الله– الكلام الآتي:

"نحن لا نقبل أن يكون لنا إخوان في الوطن يحتاجون إلى كنائس يعبدون ربهم فيها، ولا يجدون الكنائس، ولكننا لا نريد أن نكون مثل لبنان بحيث إن الذي لديه إمكانات يُغير شكل البلدوهويته، فأنتم 5.8% –وبالتأكيد عندما قال هذا لم يُعجب ذلك البابا شنودة ورفض مبتسمًا– وسنأتي بالإحصاءات الداخلية والخارجية التي تخص ذلك ونتفق على مساحة لبناء دور العبادة نقول أنها ألفين فدان أو حتى 10 ألاف فدان، وأنتم تأخذون نسبتكم منها لبناء الكنائس، أما أن تُغير هوية البلد، فهذا ممنوع. وأرى أن هذا الاقتراح صالح إلى الآن، فإذا كانت هناك مشكلة في بناء الكنائس –وأرى أنه لا توجد مشكلة– فهذا الاقتراح يُعد مناسبًا، بل إن الإسلام يُعلمنا أن نساعد في بناء الكنائس.

وقد ذكرت في الفضائيات أكثر من مرة أنه إذا كانت هناك حاجة إلى كنائس، فإن محمد عمارة سيحمل طوبًا ورملاً ويُساعد في بناء الكنائس. فهذا واجبنا الذي علمنا إياه الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وليس المواطنة العلمانية للغرب. فقد علمنا الإسلام أن هؤلاء إخواننا مواطنين نحميهم ونحمي عقائدهم كما علمنا "الرسول" "صلى الله عليه وسلم".

إنما أن تكون المسائل استقواءً وتغييرًا لهوية البلد ودعوة إلى الرجوع أربعة عشر قرنًا إلى الوراء، فهذه قصة أخرى.

وقد قصصت عليكم قصة "الليث بن سعد" مع بناء الكنائس، وكيف أن الإسلام جعل للمسيحيين المصريين كنائس، في حين لم يكن لهم ذلك من قبل، وكيف أننا مسؤلون عن حماية عقائدهم وبيعهم وكنائسهم كما علمنا "الرسول" "صلى الله عليه وسلم".

وبالنسبة إلى السؤال الخاص بكيفية التعامل مع غير المسلمين، فإن التعامل يجب أن يكون في إطار التعددية، ودعوتنا لهم إلى الإسلام ليست دعوة إلى الكفر بدينهم. وهناك إحدى المشاركات قد علقت قائلة: ولكن المسيحية التي نعترف بها ليست هي المسيحية الموجودة الآن، وما أريد قوله أن حتى المسيحية التي نعترف بها والتي تقول أن المسيح عبد الله ورسوله، هذا يقول به مسيحيون وكنائس مسيحية، فنحن على الأقل نقول الآن ما يقول به مسيحيون موجودون في هذا الموضوع، أي لا نرفض المسيحية الحالية على إطلاقها، وإنما نقول أننا نختلف في أشياء مع بعض المسيحيين ونتفق مع بعض المسيحيين، ولكن المشكلة أن الآخر لا يعترف بالإسلام لا جملة ولا تفصيلاً.

وقد سأل كثيرون عن كيف تكون هناك تعددية، نحن يجب أن ندرس ثقافة التعددية، ولابد أن نؤمن بأن الضغط الغربي علينا يجب ألا يدفعنا إلى رفض التعددية.فأحياننا نجد أن التدخل الخارجي يجعلنا نتنازل ونرفض ما لدينا من قيم.

أما موضوع الشيعة، فهذا موضوع كبيرٌ ومتسع وقد كتبت دراسة في هذا الشأن، كما أن هناك دراسة أخرى جيدة لرجل شيعي عاقل يُدعي "أحمد الكاتب" وقد نشرنا الدراستان في كتاب "السنة والشيعة: وحدة الدين واختلاف السياسة والتاريخ" بمكتبة النافذة. وستصدر دراستي مطورة –إن شاء الله– عن دار الشروق.

وفيما يتعلق بموضوع الأمة والإمبراطورية، فإن الإمبراطورية نظام امبراطوري له خصائصه. وأنتم في العلوم السياسية أقدر على أن تفرقوا بينه وبين الأمة، ولكن الأمة بشكلٍ عام تعني وجود أمة من البشر.

وموضوع قوله "صلى الله عليه وسلم": أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا "لا إله إلا الله"، فهذا موضوع كبير أيضًا، و"ال" هنا هي للعهد، فالمقصود أناس محددين، إذ إن ليس كل الناس سيتم قتالهم. وقد كتبت دراسة عن حقيقة الجهاد والقتال وما يتصل بذلك من موضوع الجزية وغيره...إلخ.

وبالنسبة إلى مسألة السلفية، فقد أعددت قريبًا دراسة صغيرة حول لموضوع "السلف والسلفية"، وقد كانت طلبتها مني وزارة الأوقاف ليوزعونها على الأئمة. ومصطلح السلفية هو

بحاجة إلى إعادة نظر، حتى نستطيع أن نفهمه ونفهم معناه إلى السلفيين، فالسلفية ليست شيءً واحدًا، وإنما هي أنواع، وهذا موضوع كبير، لا مجال للدخول في تفاصيله الآن.

بالطبع قد تحدثت د. نادية عن أن المسيرة الحضارية كان فيها صعود كما كان بها هبوط، وهذه هي فلسفة الإسلام في رؤية التاريخ، فالغرب يرى التقدم خطًا صاعدًا والتخلف خطًا هابطًا، أما نحن فلدينا فكرة "الدورات"، وهناك حديث لرسول الله "صلى الله عليه وسلم" يقول فيه: لا يزال الجور بعدي إلا قليلاً حتى يظهر، فكلما ظهر من الجور شيءً توارى من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لم ير العدل، ثم يأذن الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما ظهر من العدل شيءٌ توارى من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لم ير الجور". وهنا نجد فكرة الدورات، فنحن قد مررنا بعصر إزدهار ثم مررنا بعصر تراجع حضاري، ومنذ بدايات القرن التاسع عشر كان لدينا محاولات للنهوض وللتجديد. وهذا كان له انعكاساته في رحابة الصدر مع موضوع التعددية في العلاقة مع الآخر.

د. نادية مصطفى

شكرًا للدكتور. محمد عمارة، وشكرًا للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، وشكرًا لحضراتكم.

الخبرة الماليزية*

د. محمد السيد سليم**

د. نادية مصطفى:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعتقد أن د. محمد يهمه أن يعلم أن هذا الجمع من الطلبة هم طلبة من كلية الاقتصاد ومن تخصصات كليات أخرى أيضًا كالطب والألسن والصيدلة والهندسة والإعلام، إضافة إلى كلية الآداب بتخصصاتها المختلفة، إذ إن هذه الدورة هي دورة تثقيف عامة.

ومن ناحية أخرى، أود أيضًا أن أقدم لكم أ.د. محمد السيد سليم، حيث إن البعض من طلبة الكلية من قسم العلوم السياسية لم تتح له الفرصة كي يُدرّس له د. محمد خلال الأعوام الماضية، وهذا يعني أن هذا البعض قد فاتته فرصة كبيرة، حيث إن د. محمد السيد سليم من أركان تخصص العلاقات الدولية والعلوم السياسية في الجماعة البحثية المصرية والعربية وأستطيع أن أقول أيضًا والدولية، فهو له إسهاماتٌ متميزة جدًا في مجال إنتاج العلم.

ومجال إنتاج العلم هذا مجال مهم جدًا يجب أن نضع تحته عدة خطوط لأهميته، فهو – د. سليم– يفرق بين كون العلوم السياسية علم أو فن، كما له أيضًا باعٌ كبير في مجال نظرية السياسة الخارجية، وتاريخ العلاقات الدولية، فضلاً عن موضوعات أخرى تطبيقية حظت باهتمامه، وهي تمثل خريطة متنوعة من القضايا تمتد على صعيد أرجاء العالم بأسره بداية من الدائرة المتوسطية، والأطلنطية، والعالم الإسلامي.

وبالطبع، فإن المجال الأساسي لاهتمامه والذي راكم فيه ودشن به اهتمامًا في كلية الاقتصاد هو مجال البحوث والدراسات الآسيوية، حيث كان هو مؤسس مركز البحوث والدراسات الآسيوية ومديره لعدة سنوات متتالية. فقد أدخل إلى الكلية والجماعة العلمية والثقافية في مصر مدخل الاهتمام بالشأن الآسيوي، أي دفع إلى الاتجاه شرقًا، وليس فقط الاقتصار على الغرب في الاهتمام.

وبالتالي، كانت مشاركته معنا في هذه الدورة، مشاركة أساسية، خاصة في الحديث عن النموذج الماليزي على اعتبار أنه ساهم في تدشين وتأسيس برنامج الدراسات الماليزية الملحق بمركز البحوث والدراسات الآسيوية، والذي يقوم على خلق رابطة حوارية في المجال المعرفي والتعليمي والثقافي العام بين جزء من جماعة الطلبة الماليزيين والطلبة المصريين في كلية الاقتصاد وفي جامعة القاهرة.

---

* نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

** أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم الساسية، جامعة القاهرة

وكان لقسم مهم من الطلبة الذين حضروا معنا دورات التثقيف الحضاري ويشاركوا في نموذج محاكاة "منظمة المؤتمر الإسلامي" الذي يشرف عليه برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، فرصة الذهاب مع برنامج الدراسات الماليزية في زيارة إلى ماليزيا.

خلاصة القول، إن د. محمد يجمع بين خبرة الإنتاج العلمي المنظم في مجال علم العلاقات الدولية بفروعه ومجال الدراسات الحية في القضايا المختلفة على الصعيد العالمي ومنها قضايا العالم الإسلامي، حيث إنكم تعلمون أن أكبر وجود عددي للمسلمين موجود في آسيا، إن لم تكن هي قارة الإسلام كما تسمى إفريقيا وذلك من حيث نسبة عدد المسلمين إلى عدد السكان.وأعتقد أنها فرصة طيبة لنا أن ينفرد د. سليم بهذه المحاضرة معنا.

ولا أخفي سرًا، أني حاولت مع الإخوة الماليزيين لاستضافة أي منهم لاستيفاء الشكل الذي قررنا أن تخرج به الدورة بحيث يكون هناك متحدث من داخل الخبرة التي نتناولها وآخر من خارجها يكون قد درسها وعايشها وتفاعل معها واهتم بها، ولكن لأسباب عديدة لم نتمكن من أن نقتبس أحد الأساتذة الماليزيين سواء من برنامج الدراسات الماليزية، أو من سفارة ماليزيا، إلا أني أعتقد أن ما سيقدمه لنا د. محمد السيد سليم سيكون شافيًا، شاملاً بإذن الله، متناولاً للأبعاد التي تودون التعرف عليها في هذه الدورة في نماذجها المختلفة، وهي المتعلقة بإشكاليات التكوين الحضاري والثقافي لمجتمعاتٍ إسلامية بعينها، وما إذا كان ذلك له علاقة بالتعدد والتنوع في داخل هذا النموذج كأساسٍ ننطلق منه نحن هنا في مصر والدائرة العربية لنتعرف على نماذج ثقافية وحضارية من شعوب الأمة التي تنتمي إليها ولنتعرف كذلك على جزء من المشاكل التي تواجهنا جميعًا، وخاصة المشكلة المتعلقة بإدارة التعدد والتنوع في داخل الأوطان. وتقدم ماليزيا خبرة متميزة جدًا في هذا الصدد حيث إدارتها للتعدد والتنوع في داخلها على نحو جعله مدخلاً من مداخل التنمية المتميزة التي حققتها ماليزيا حتى الآن.

وأرحب بالأستاذ الدكتور محمد السيد سليم في إطار برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات. وتجدر الإشارة هنا إلى كون مركز الدراسات الأسيوية كان له سبق الاهتمام بمسألة الحوارات الحضارات على صعيد الكلية، ولكن كجزء من منظومة أكبر في عمل المركز، حيث اهتم بالحوار الياباني الإسلامي في مرحلة وقد اهتم أيضًا بالحوار المصري–الكوري على وجه التحديد بدرجة مكثفة، كما كان هناك اهتمام بمتغير الإسلام وأثره في الكثير من القضايا مثل: الإسلام والتنمية، ... وهكذا.

لذلك أعتقد أننا جميعًا في سلة واحدة، نحاول أن يستكمل بعضنا بعضًا لنقدم طرحًا لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية يهتم بالبحث في دور الأبعاد الثقافية والحضارية وفي قلبها الدينية في التأثير والتأثر بالظاهرة الاجتماعية بكل تعقيداتها وتكويناتها وخاصة السياسية منها.

أشكر د. محمد على تشريفنا بالحضور وقبوله الدعوة بالرغم من مشاغله الكثيرة في فترة إجازته القصيرة.

د. محمد السيد سليم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أشكر الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى على هذا التقديم الذي أعتقد أنه أثلج صدري وأعترف بذلك، لكنه أيضًا أعطاني أكثر مما أستحق.

وفي الواقع، فإنني سعيد برؤية ولقاء هذا الجمع من الشباب والشابات في هذه الدورة التثقيفية، التي أهنئ الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى على تنظيمها، لأننا بحاجة بالفعل إلى تبادل مثل هذه الخبرات من زوايا ورؤى مختلفة.

وبحسب ما طُلِب مني، فإني سأتحدث عن الخبرة الماليزية فيما يتعلق بموضوعات الثقافة وحوار الحضارات والتعدد الثقافي وأثر هذا كله على المجتمع الماليزي وحديثي عن ماليزيا سيكون مبنياً على عاملين، أو له مصدران أساسيان:

المصدر الأول، هو طول فترة خبرتي عن المجتمع الماليزي نتيجة زياراتي المتكررة لماليزيا التي تجولت خلالها في أغلب مناطق البلاد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وتحاورت فيها مع الكثير من الماليزيين بالمؤسسات العلمية الماليزية المختلفة، وشهدت فيها ما يُسمى بـ"نخاع المجتمع الماليزي".

المصدر الثاني، هو عملنا الأكاديمي في برنامج الدراسات الماليزية منذ أن أُنشِئ العمل فيما يتعلق بفهم المجتمع الماليزي والبحث والتأليف عن ماليزيا، وعقد المؤتمرات في هذا الصدد، بالإضافة إلى الحوارات مع الأكاديميين الماليزيين الذين يأتون إلى مصر.

والمجتمع الماليزي من المجتمعات المتميزة في جنوب شرق آسيا، فهو يتميز بظاهرة لا تميز مجتمعًا آخر بهذه المنطقة على هذا النحو وهي ظاهرة "**التعدد العرقي**".

فإندونيسيا على سبيل المثال دولة متجانسة عرقيًّا إلى حدٍ كبير، وكل دول جنوب شرق آسيا تقريبًا بها قومية غالبة أو عرق غالب بما فيها اليابان والصين، ماعدا المجتمع الماليزي والذي هو مجتمع متعدد الأعراق والقوميات بشكلٍ حقيقي.

ونحن هنا نتحدث عن مجتمع تعداد سكانه 25 مليون نسمة، مساحته حوالي ثلث مساحة مصر وهي 330 ألف كم^2 تقريبًا، وهو عبارة عن شبه جزيرة ضخمة تمتد من مضيق ملقا جنوبًا إلى الحدود التايلاندية شمالاً، ولكنه يمتد أيضًا إلى شبه جزيرة "بورنيو" حيث يوجد إقليمي "صباح" و"سرواك"، وبالتالي فهو أرخبيل ممتد واسع للغاية. إذ بالرغم من أن المساحة الضيقة، إلا أنها تأتي على مساحة جغرافية تمتد عبر جزر متعددة.

وهذا المجتمع –كما قلت– هو مجتمع متعدد الأعراق بالفعل.

وتقسم الأعراق بماليزيا إلى نوعين: **أولهما**، ما يُسمى bumiputra "بوميبوترا" أي أبناء الأرض، حيث إن "بيموقطرة" بلغة "المالاي" تعني أبناء الأرض، أي الذين يعيشون في الأرض ويرتبطون بها ويعملون عليها ويرتزقون منها.

أما ثانيهما، فيُسمون non-bumiputra "ننبوميبوترا" وهم ليسوا أبناء الأرض، فهؤلاء وإن كانوا يحملون الجنسية الماليزية كالصينيين والهنود إلا أنهم لا يُصنفون باعتبارهم من أبناء الأرض.

وتنصرف كلمة "بوميبوترا" بالأساس إلى الشعوب الأصلية في شبه جزيرة "المالاي"، وهم الشعوب التي كانت قبل قدوم "المالاي" وهم الـ Oranges. وهؤلاء لا يشكلون أكثر من نسبة بسيطة جدًا من سكان ماليزيا لا تزيد على 0.5% وهم مازالوا موجودين، ولهم ثقافة مختلفة تمامًا.

ثم كانت القومية التي أتت فيما بعد وهي قومية "المالاي" الذين هاجروا من جنوب شرق آسيا نتيجة ضغوط الهنود والصينيين واستقروا في هذه المنطقة وأصبحت المنطقة تنسب إليهم.

و" البوميبوترا" يشكلون أكثر من 65% من سكان ماليزيا أخذًا في الاعتبار الـ Oranges الشعوب الأصلية و"المالاي" الذين يقطنون بالأساس في شبه جزيرة المالاي، ذلك بالإضافة إلى عدد بسيط من "الدياك" المتواجدين في إقليمي "صباح" و"سرواك" شمال جزيرة "يورنيو".

وأساس السكان هم "الملاي"، الذين هم مسلمون بالتعريف، حيث إن الدستور الماليزي ينص على أن كل "ملاي" هو مسلم (فأن أقول إني مالاي، فهذا يعني تلقائيًا أني مسلم)، فلا فارق بذلك بين الدين والهوية القومية، ولكن يجب الانتباه إلى أنه هناك فارق بين القول بأني "مالاي" والقول بأني "ماليزي".فكلمة "ماليزي" تعني أنك قد تكون ماليزيا صيني أو ماليزي هندي أو مالاي.

الشيء نفسه موجود بوسط آسيا، فإذا ما قلت أني "أوزبيكي" فإن هذا يعني أني مسلم، في المقابل فإنه إن كان أحد الأشخاص يحمل الجنسية الأوزبكية ولكنه غير مسلم فإنه يذكر هويته الأصلية.

وعن تقسيم " البوميبوترا"، فإن 75% منهم "مالاي" الذين يشكلون القومية أكبر. أما "النبوميبوترا"فإنهم يتكونون بشكل رئيس من الهنود والصينيين ويُمثل الصينيون 26% من السكان بينما يمثل الهنود 7%، أي أن إجمالي نسبتهما 35%، بالإضافة إلى قوميات أخرى قليلة مثل: قومية من يسمون الأوراسيون وهم عبارة عن الأوربيين الذين أتوا زمن الهجرات البريطانية والبرتغالية في القرن الخامس عشر واستقرروا في هذه البلاد وأصبحوا من نسيجها، وفقدوا صلتهم بالوطن الأم سواء البرتغال أو بولندا، وهم مازالوا موجودين وشكلهم متميز، حيث يميلون إلى اللون الأبيض وليس إلى لون "المالاي" التقليدي المعروف –كما ترى لون الإخوة

الموجودين بإندونيسيا، إذ أن الإندونيسيين أيضًا ينتمون إلى قومية "المالاي"- إلا أن هؤلاء الأوراسيين يشكلون نسبة قليلة في ماليزيا.

فنحن إذن نتحدث عن مجتمع متعدد الأعراق يتكون من 57% من المالاي، و26% من الصينيين، و7.5% من الهنود، والباقي قوميات أخرى، أي أن الأعراق الثلاثة الغالبة هي: الملاي، والصينيون، والهنود.

وعن الديانة، فإن المالاي مسلمون، والصينيون بوذيون وبعض منهم ينتمي إلى ديانات أخرى كالتاوية والكونفشيوسية كما أن منهم المسلمين، والهنود هندوس أو سيخ وكذلك البعض منهم مسلمين.

أي أنك إذا تحدثت عن التكوين الديني لماليزيا، ستجد أن الصورة مختلفة فهناك ديانات مختلفة، ولكن نسبة المسلمين 60-61% تقريبًا (وتضم هذه النسبة جميع المالاي (57%) إضافة إلى المسلمين من الصينيين والهنود والقوميات الأخرى)، البوذيين 19%، المسيحيين 9%، الهندوس 6%، الكونفيشوسيون 3%، وآخرين.

<u>والسؤال الآن هو كيف حدث هذا التعدد العرقي في ماليزيا؟ ولماذا ماليزيا؟ أي كيف حدث أن أصبحت ماليزيا ساحة لقوميات متعددة؟ وما أثر ذلك على الثقافات الماليزية؟ وهو الموضوع المطروح في هذه المحاضرة.</u>

حقيقة، فقد طُلب مني أن أتحدث ضمن عناصر المحاضرة عن مقدمة تاريخية بسيطة لبيان كيف حدث هذا التطور وأثره على التكوين الثقافي لماليزيا.

وبطبيعة الحال، فإني قلت أن الـ Oranges السكان الأصليين كانوا متواجدين بهذه المنطقة منذ زمن وباستمرار بحسب ما يؤكد التاريخ المكتوب، وإن كانت الحكومة الماليزية تسعى دائمًا إلى عدم الحديث عنهم، ولنكن أكثر صراحة، فإن هناك درجة من التعتيم على هؤلاء السكان الأصليين.

أما الملاي، فهم نزحوا إلى هذه المنطقة -كما أشير- تحت ضغوط العناصر المغولية والصينية حيث كانوا يعيشون بجنوب شرق آسيا ثم رحلوا إلى شبه الجزيرة في قرون سابقة.

وهؤلاء قد اعتنقوا الإسلام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر كنتيجة إما للاختلاط بالدعاة المسلمين الذين كانوا يعملون بالتجارة، أو التجار الذين كانوا يقدمون الإسلام لهذه الشعوب مباشرة. أي أن الإسلام انتشر في هذه المنطقة بسهولة سواء في الجزر الإندونيسية، ونعلم أن منطقة "أتشه" بإندونيسيا هي أول منطقة تعرضت لذلك ووُجِد فيها الإسلام بقوة، لكنه أيضًا في شبه جزيرة المالاي عن طريق ميناء "ملقا" وسنغافورة، ثم انتشر الإسلام في جميع السلطانات المالية في كل أنحاء شبة جزيرة "المالاي".

فعندما وصل الإسلام إلى هناك كانت ثمة سلطنات مختلفة، لعل أهمها كان امبراطورية/ سلطنة "سريفيجايا"، وهذه كانت امبراطورية ضخمة للمالاي تعامل معها المسلمون ومن خلالها استطاعوا أن ينشروا الإسلام في هذه الأماكن.

وهذه الامبراطورية كانت لها علاقات قوية بالهند، وكذلك كانت لها علاقات قوية بالصين خاصة في عهد أسرة "مل". وقد كانت هذه العلاقات مبنية على التبادل التجاري بالأساس، ومن خلال هذه العلاقات التجارية أتى التجار المسلمون.

أما البرتغاليون، فقد أتوا إلى هذه المنطقة في أوائل القرن السادس عشر. ونحن نعلم أنهم أتوا إلى المحيط الهندي عندما وصل "فسكو دى جاما" إلى ساحل "ملبار" بالهند في مايو عام 1498، إذ وجد هناك عربًا ومسلمين، فشن من قاعدته بهذا الساحل حملة بحرية ضخمة جدًا كانت قمتها معركة "ديو" في عام 1509، وفيها دمر التجارة العربية والإسلامية، كما كان يهاجم سفن الحجاج ويغرقها، وقطع طريق التجارة بين مصر والشام من ناحية ومنطقة جنوب آسيا من ناحية أخرى.

وبعد هذا الانتصار البرتغالي في "ديو البحرية"، بدأ البرتغاليون في مد نفوذهم إلى شبه جزيرة "المالاي"، وعملوا على إقامة مناطق ارتكاز في منطقة "ملقا" من مضيق ملقا وفي الميناء منها بالأساس، ثم سنغافوره بعد ذلك.

وبطبيعة الحال، فإن السبب الأساسي الذي دفع "فسكو دى جاما" للاتجاه إلى هذه المنطقة كان هو تجارة التوابل، حيث كانت هذه المنطقة مخزنًا هائلاً جدًا لها. وقد كانت التوابل تُنقل إلى أوروبا عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر عن طريق التجار العرب إلى شاطئ البحر المتوسط، ثم يأخذها التجار البنادقة إلى أوربا، ولذلك كانت تصل بتكاليف عالية جدًا إلى هناك. وبناءً على هذا، أراد البرتغاليون أن يكسروا الحلقة هذه بأن يذهبوا مباشرة إلى مخازن التوابل في هذه المنطقة ويستولون عليها.

وهذا ما حدث بالفعل عندما ذهب المتكشف البرتغالي "ألبوكريك" إلى هذه المنطقة وأقام نقاط ارتكاز بها. وقد وقعت هذه الأحداث في عام 1511م.

وكانت الحملة البرتغالية خليطًا بين الحرب التجارية وأيضًا الحرب الدينية، إذ إن "ألبوكريك" من شبه جزيرة "المالاي" وتحديدًا من "ملقا"، بدأ في محاولة التنصير بهذه المنطقة، إلا أن ذلك في الواقع قد خدم "المالاي" من ناحية أخرى، حيث أنشأت هذه **التطورات حاجزًا قويًّا** (في ذلك الوقت) لدى "المالاي" وبين الأوروبين، لأنهم –المالاي– حين شعروا بأن هناك ما يمس المسألة الدينية أقاموا حاجزًا قويًّا ضد التنصير، وبالتالي هذا الأمر قد حمى إلى حدٍ كبير التراث الديني/ الدين الإسلامي في شبه جزيرة "المالاي".

وقد استمرت الحملة البرتغالية لفترة من الزمن، ولكن ما لبث البرتغاليون أنفسهم أن بدأوا في التراجع، وخاصة عندما استولت إسبانيا على البرتغال في مرحلة من المراحل. وهنا بدأ يصعد نجم هولندا، وبدأ الهولنديون يحلون محل البرتغاليين في هذه المنطقة وكان ذلك من خلال شركة الهند الشرقية الهولندية، التي تمركزت أساسًا في إندونيسيا، ثم مدت نطاقها إلى شبه جزيرة "المالاي".

وقد قاوم "المالاي" الهولنديين والبرتغاليين من قبلهم ، إلا إن القوة الهائلة لكلٍ من الاستعمار البرتغالي والهولندي جعلت الماليزيين يقبلون الوضع القائم.

ولكن بالرغم من ذلك، لم يحدث أي تفاعل ثقافي أدى إلى تغيير القيم الدينية والثقافية للمالاي، أو نشر ديانات غير الإسلام بهذه المنطقة وإن كانت هناك نقاط ارتكاز للمستعمرين في "ملقا" و"سنغافورة".

وكان "فرنسيس لايت" هو الذي يقود هذه الحملات –المشار إليها–، وهو الذي أسس ميناء "سنغافورة" عام 1676م، ثم ذهب إلى منطقة "بينانج" في الوسط من جزيرة "المالاي" وأسس فيها مركز تجاري، وبالتالي بدأ الهولنديون يحتكرون هذه المنطقة.

ولكن أيضًا، بدأ الهولنديون أنفسهم في التراجع، في حين أخذ نجم بريطانيا يعلو نتيجة الثورة الصناعية –كما تعلمون– في منتصف القرن الثامن عشر. وكانت بريطانيا قد أسست شركة الهند الشرقية البريطانية التي خلقت مناطق ارتكاز في الهند، ونعلم أن شركة الهند هذه أسقطت الحكم الإسلامي المغولي في دلهى في عام 1857م، وقُبض على الامبراطور "بهادور شاه" وأعُدم أبناؤه أمامه ونفي إلى بورما ثم ضموا الهند إلى التاج البريطاني. ومن هناك مدوا نطاق نفوذهم إلى شبه جزيرة المالاي، حيث كانت دائمًا القوى المسيطرة على المحيط الهندي سواء الممثلة في البرتغاليين أو الهولنديون، أو البريطانيين فيما بعد، تتجه إلى السيطرة على شبه جزيرة "المالاي".

و قد وصل الإنجليز إلى هذه المنطقة، وتقاسموا مناطق النفوذ مع الهولنديين في ترتيب استعماري يُشبه تمامًا الوفاق الودي البريطاني –الفرنسي في عام 1904، حيث اتفقا الجانبان على أن يستولى الهولنديون على إندونيسيا في مقابل استيلاء الإنجليز على شبه جزيرة المالاي، وبالتالي كان تقسيم النفوذ طبقًا لهذا الاتفاق.

ووضعت بريطانيا ترتيبات بهذه المنطقة مفادها أنه أولاً تم ضم سنغافورة وميناء ملقا إلى التاج البريطاني مباشرة ثم أنشأت ما يسمى مجموعة مستعمرات في المضايق ، والتي حكمتها من الهند، وقد تمثلت هذه المستعمرات بالأساس في منطقة "بينانج"، وكانت تحكم من الهند بعد عام 1857م، ثم أصبحت تحكم بشكلٍ آخر بعد ذلك.

أما السلطانات المالية –حيث كانت شبه جزيرة المالاي تحكم عبر السلطانات المالية الوراثية في الشمال بداية من ولاية قدح وامتدادًا إلى الشمال حتى ولاية برليس– فقد ضمت في اتحاد واحد، وهذا الاتحاد هو الذي خضع للحكم المباشر البريطاني فيما بعد.

وقد أنشأو نظم هذه الترتيبات السير "أندرو كلار" وفي عام 1896م، أقام الحاكم البريطاني "سكوت مهان" اتحادًا فيدراليًّا بين جميع هذه المستعمرات أي بين مستعمرات المضايق والمستعمرات الشمالية، ثم منطقة "بينانج"، فضم مستعمرات المضايق أي ملقا وسنغافورة ثم اتحاد المالاي أي "بهانج" و"سلنجور" ثم السلطنات الشمالية.

وقد كان هذا أول اتحاد فيدرالي مركزي لهذه المنطقة، التي كانت دائمًا مجموعة مستوطنات متفرقة لا رابط فيما بينهما.

وبدأ الإنجليز فيما بعد عام 1896 في تشجيع هجرة العمالة الصينية والهندية إلى شبه جزيرة المالاي. وكان ذلك أول ظهور حقيقي للقوميتين الهندية والصينية في هذه البلاد، أي أنه حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريبًا لم يكن هناك وجود ملحوظ لهاتين القوميتين إلا في استثناءات تأتي في إطار التبادل التجاري بين المالاي وأي من الصينيين أو الهنود.

أما تشجيع الإنجليز لنزوح الصينيين إلى هذه البلاد فكان مرده عدة عوامل، وهي:

العامل الأول، كان هو إقامة الإنجليز صناعات جديدة في هذه البلاد، وعلى رأسها صناعة المطاط التي جلبوها من البرازيل وجربوها بهذه البلاد، فنجحت نجاحًا عظيمًا، لكن المالاي رفضوا العمل في هذه الصناعة، حيث إنهم مزارعين وفلاحين بالأساس، فهم "بوميبوترا"، أي مرتبطون بالأرض وغير معتادون على العمل في صناعة كالمطاط.

العامل الثاني، هو أن المالاي كانوا يكرهون التعامل المباشر مع الإنجليز، وبالتالي استقدموا عناصر من الخارج تمتاز برخص ثمنها في المقام الأول، بالرغم من قول الإنجليز إنهم استقدموا هذه العمالة لكون المالاي كسالى ويتراخون في العمل.

ومن ثم، فإن السبب الأساسي لاستقدام العمالة الهندية والصينية هو سبب اقتصادي حيث ارتباط "المالاي" بالأرض، إلى جانب السبب الديني المتمثل في رفض المالاي التعامل المباشر مع الإنجليز

ونلاحظ أنه هذا الوقت كانت الهند تابعة للتاج البريطاني، كما كانت الصين تخضع لتقسيمات استعمارية خاصة بعد حرب الأفيون في عام 1842م، ما يعني أنه كان هناك نفوذ بريطاني سهل استقدام هذه العناصر الهندية والصينية، الأمر الذي أدى تدريجيًّا إلى نمو وجود هؤلاء في البلاد، وقد بقوا بها ولم يغادروها مرة أخرى فيما بعد.

وقد ازدادت وتيرة هذا الأمر إلى حد أنه مع نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح المالاي أقلية في شبه جزيرة المالاي، إذ وصلت نسبتهم إلى حوالي 44% من عدد السكان، في حين

شكل الصينيون 45%، أي أن الصينيون أضحوا أغلبية بهذه البلاد، وذلك بحسب إحصاءات عام 1947م.

وهذا بالطبع ما لبث أن بدأ يتراجع فيما بعد الاستقلال، فالمالاي أصبحوا يشكلون –كما ذكرت في البداية– 56.5 – 57% من عدد السكان، أي يشكلون أغلبية، وإن كانت ليست أغلبية كبيرة.

يُلاحظ أن الأمر نفسه قد حدث في آسيا الوسطى، وبالذات في بلاد كازخستان، حيث كان الاستيطان الروسي قد زاد فيها إلى حد أنه وبحسب الإحصاء السكاني قبل الأخير للاتحاد السوفيتي –والذي تم في عام 1979م– كان الروس أكبر قومية في كازخستان وليس الكازاك. وهو ما وقع ببلاد المالاي حين أصبح الصينيون أكبر قومية نتيجة الهجرات المتعددة.

إذن، السياسة الإنجليزية هي التي غيرت التركيبة السكانية لبلاد المالاي وجعلتهم المالاي –كما ذكرت– أقلية في بلادهم مع حلول عام 1947.

وبعد الحرب العالمية الثانية، ومع انتشار التعليم، بدأت تظهر طبقة وسطى جديدة في بلاد المالاي وشرعت في المطالبة بالحكم الذاتي، حيث انتشر التعليم والمدارس المختلفة من مدارس ابتدائية وثانوية دون الجامعات، وحدث بروز لطبقة وسطى شاركت إلى حدٍ ما في الوظائف البسيطة، لكن هذه الطبقة مع انتهاء الحرب العالمية الثانية وضعف الاستعمار البريطاني بدأت المطالبة بالحكم الذاتي، ما يعني أن المالاي كانوا جزءًا من منظومة أكبر تمثلت في ضعف القوى الاستعمارية الذي شجع الشعوب على المطالبة باستقلالها.

وهنا، بدأت تظهر حركة للمطالبة بالحكم الذاتي في هذه الطبقة الوسطى. وأريد أن أقول أن هذه الحركة كانت قد بدأت مع نهاية الحرب العالمية الأولى وتحديدًا في عام 1918، إلا أنه برز نفوذها مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

أؤكد أيضًا إنه مع نهاية الحرب العالمية الأولى لم تظهر فقط حركة للمطالبة بالاستقلال في شبه جزيرة المالاي، ولكن أيضًا حركة إحياء ديني إسلامي، وهذه الحركة تأثرت إلى حدٍ كبير بالفكر الإصلاحي للشيخ محمد عبده الذي هو من العلماء المسلمين المعروفين جدًا لدى هذه البلاد ولدى مثقفيها، إذ أثرت أفكاره الإصلاحية بدرجة كبيرة في فكر التيارات الإسلامية في هذه البلاد.

لكن على جانب آخر، نجد أن حركة الإحياء الإسلامي هذه كانت منقسمة على ذاتها – شأنها شأن كثير من الحركات الإسلامية– فكانت تضم تيار أصولي متشدد يقول بالعودة إلى الأصول أي إعادة بناء الدولة الإسلامية الأولى، وما زالت هذه التيارات موجودة بماليزيا إلى الآن. وهم كذلك يعيشون بالشكل الذي يتصورون أن الصحابة كانوا يتخذونه في عهد الرسول

"صلى الله عليه وسلم"، فيأكلون على الأرض ويستعملون أيديهم في تناول الطعام، ويلبسون ثيابًا معينة تتمثل في الزي العربي التقليدي.

إضافة إلى تيار آخر تستطيع القول أنه أكثر إصلاحية وفهمًا لمتطلبات العصر، فيرى أنه من المهم العودة إلى أصول الدين ولكن بشكلٍ جديد. ونجد أن مفهوم التجديد عند هذا التيار هو ذاته ما كان لدى الشيخ "محمد عبده"، والذي يقول بأن التجديد هو مواءمة الشريعة للظروف المتغيرة، كما يتخذ التجديد معنى العلم وإعمال العقل.

وبشكلٍ عام، يمكن القول إن هذا الانقسام قد أضعف تأثير الحركة الإسلامية في بلاد المالاي فيما بعد الحرب العالمية الأولى، لكن ما لبثت هذه الحركات أن اندلعت مرة ثانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ أحدثت هذه الحرب تطورًا مهمًا بهذه البلاد، حيث احتلت اليابان شبه جريزة المالاي –لاعتبارات كثيرة لا مجال للدخول في تفاصيلها في هذا الإطار– وقد حكم اليابانيون ماليزيا حكمًا عسكريًّا قاسيًّا على نحو جعل الماليزيين –وهذا من غرائب التاريخ– يترحمون على أيام الاستعمار البريطاني. وأحيانًا يحدث هذا إذا ما قاربلت استعمارًا بآخر، علمًا بأن هناك نوعين من الاستعمار أبشعهما على مر التاريخ ذلك النوع الذي مثله الاستعمار الفرنسي بإفريقيا والاستعمار الياباني، فلم يحدث في التاريخ ما فعله الفرنسيون بشمال أفريقيا، أو ما فعله اليابانيون بالصين وجنوب شرق آسيا. فحتى إذا ما قرأت كتب "محاضير محمد" تجده يقول أنهم بدأوا يترحمون على الإنجليز لأنهم لم يمسوا ديانتهم وتركوهم للسلاطين. ومن ثم ولهذا السبب بدأت بعد الحرب العالمية الثانية تنشط حركات المطالبة بالاستقلال. وكانت بريطانيا التي خرجت مدمرة من هذه الحرب قد بدأت تضعف –كما أشير– على نحوٍ جعلها لا تستطيع حكم هذه البلاد.

وكان هناك عامل آخر دفع بريطانيا إلى التفكير في منح هذه البلاد استقلالها، ألا وهو ظهور حزب المالاي الشيوعي، حيث ظهرت حركة عمالية شيوعية ماركسية في هذه البلاد متأثرة بـ" ماوتسى تونج"، ثم بعد ذلك الثورة الشيوعية، ومتأثرة أيضًا بالتفاوت الاقتصادي الرهيب الذي كان موجودًا في بلاد المالاي. وهذه الحركة بدأت في مقاومة الإنجليز مقاومة عنيفة جدًا.

ولكل هذه الأسباب بدأت بريطانيا تفكر في منح شبه جزيرة المالاي الاستقلال، وكذلك في إنشاء "اتحاد المالاي" لتضم كل هذه البلاد إلى اتحاد واحد ماعدا سنغافورة التي فصلتها. وعلى ناحية أخرى، فقد نص مشروع هذا الاتحاد على منح الصينيين والهنود حق المواطنة، بمعنى أن يتحول المهاجرون الذين أتوا من الخارج إلى مواطنين وإذا ما أدركت أنه في هذا التاريخ كان الصينيون يشكلون أكبر أقلية، لاتضح أن هذا إنما كان معناه تحويل بلاد المالاي إلى دولة صينية، ولذلك عارض "المالاي" هذا الدستور معارضه شديدة جدًا، فهو أولاً يفصل عنهم سنغافورة وثانيًّا يُعطي حق المواطنة للصينيين والهنود.

وفضلاً عما سبق، فقد كان للإنجليز هدف آخر من هذه المسألة، وهو مكافأة الهنود والصينيين الذين تعاونوا معهم في أثناء الحرب العالمية الثانية، بينما لم يتعاون المالاي معهم رغم بشاعة الاستعمار الياباني.

ولأسباب أخرى –لا أريد الدخول في تفاصيلها– كإنشاء مجالس تشريعية ليس لها صفة. فقد فشل مشروع "اتحاد المالاي" واحتج عليه السلاطين، ثم فيما بعد أنشئ "اتحاد فيدرالي"، إلا أنه أيضًا –ودون الدخول في التفاصيل– قد تم تشجيع الصينيين على إنشاء تنظيمات خاصة بهم ولأول مرة أصبح لهم كيان مؤسسي هو "الجمعية الوطنية الصينية"، ثم أنشئ "المؤتمر الهندي" بتشجيع من الهند إذ زار "نهرو" هذه البلاد وشجع الهنود على إنشاء حزب سياسي خاص بهم.

وفي نفس الوقت، كان الماليزيون فيما بعد الحرب العالمية الثانية قد أنشأوا "الهيئة الوطنية للمالاي"، المُسماه حاليًا حزب "أمنو" والذي ما زال حتى الآن الحزب الحاكم في ماليزيا. هذا الحزب الذي كان قد أنشأه أحد المثقفين المالاي المسلمين وهم السيد "تنكو عبد الرحمن" الذي ظل يقود هذا التنظيم لفترة بعد تأسيسه وأصبح رئيس وزراء ماليزيا بعد استقلالها. وفي عام 1955 قرر الإنجليز إعطاء هذه البلاد الاستقلال، وفي هذا العام أيضًا صدر دستور عام 1955 وجرت أول انتخابات عامة. ولكن قبل هذه الانتخابات كان قد حدث ائتلاف بين "أمنو" الذي يمثل معظم المالاي وبين التنظيمين الصيني والهندي في تنظيم واحد وحققوا أغلبية ساحقه في البرلمان المنتخب، إذ نالوا 51 مقعد من 54 مقعد تقريبًا.

ولأن "تنكو عبد الرحمن" كان رجلاً متعلمًا بإنجلترا وعلى دراية بالثقافة الإنجليزية وفي نفس الوقت كان الإنجليز يثقون في الهنود والصينيين حلفائه، فوثقوا به وقرروا منح البلاد الاستقلال.

وكان السبب الأساسي لهذا –في رأيي– العمل باتجاه سحب البساط من الحزب الشيوعي للمالاي وقد نجحوا في هذه المسألة وبالفعل فإنه في أغسطس من عام 1957 منحت بريطانيا ماليزيا استقلالها. ويُعد يوم 30 أغسطس هو يوم الاستقلال الوطني الماليزي.

وبطبيعة الحال –وكما يتضح من الاستعراض السابق– فإن هذه البلاد قد تحولت إلى دولة متعددة القوميات بعد أن حصلت القوميات الآتية من الخارج على حق المواطنة وشاركت في أول انتخابات وأصبحت جزءً من نسيج المجتمع الماليزي، وفي المقابل أصبح على المالاي أن يتعاملوا معهم إذا أرادوا أن يفكروا في إقامة دولة إسلامية بهذه البلاد.

وتُعد أبرز التطورات التي حدثت بسرعة شديدة جدًا بعد هذا التاريخ –ولا أريد الدخول في تفاصيل الوزارات المتعددة– هي تلك الاضطرابات العرقية التي حدثت في ماليزيا في 13 مايو 1969، حتى أنه إذا كان 30 أغسطس 1957 هو تاريخ الاستقلال المعروف فإن 13 مايو 1969 هو التاريخ الذي سالت فيه الدماء أنهارًا في كوالالمبور العاصمة وفي معظم المدن

الماليزية نتيجة الصدام بين المالاي والصينيين والهنود، حيث شعر الصينيون إنهم يمثلون القوة الاقتصادية –وقد كان هذا صحيحًا بالفعل نظرًا لعدة أسباب سأذكرها فيما بعد عند الحديث عن الثقافة العامة في البلاد– فهم أصبحوا تدريجيًّا قوة اقتصادية كبيرة وبيدهم معظم الشركات، كما جرت انتخابات في هذا التاريخ استطاعوا أن يحققوا فيها نسبة كبيرة من المقاعد بالبرلمان، وإثر هذا قام الصينيون بتنظيم المظاهرات في كوالالمبور ، احتفالات بأن ماليزيا قد أصبحت دولة صينية، وهنا حدث صدام مع المالاي، حتى أنه يقال أن في هذا التاريخ –13 مايو 1969– قتل حوالي 1200 شخص في كوالالمبور وحدها.

أي أن ذلك التاريخ كان تاريخًا رهيبًا بالنسبة إلى المالاي الذين كانوا يحكمون ماليزيا من خلال "تنكو عبد الرحمن" إلا أنهم في ذات الوقت لا يملكون شيئًا في ماليزيا، أي أنه في حين كان الصينيون يملكون الاقتصاد في يدهم أي أن القوة الاقتصادية كانت في يد الصينيين، سيطر الملاي سياسيًّا، ، مما يعني أنه كان هناك نوعًا من التباين الكامل.

وهذا دفع بحكومة "تنكو عبد الرحمن" إلى إدخال ما هو معروف في ماليزيا باسم "السياسة الاقتصادية الجديدة" New economic policy ، ولنتذكر في هذا الإطار السياسة الاقتصادية الجديدة التي دشنها "لينين" عام 1922 في الاتحاد السوفيتي بعد فشل نشر الفكر الشيوعي، والتي تراجع فيها عن مسألة التأمينات، حيث إنه قد حدث أمرٌ مشابه وإن اختلف مضمونه في ماليزيا، فهذه السياسة الاقتصادية الجديدة في ماليزيا كانت تقوم على أنه لابد من رفع المستوى الاقتصادي للمالاي الذين كانوا يعانون مشكلة سأعود إليها فيما بعد، وهي تتمثل بشكل أساسي في أنهم ليس لديهم حافز قوي للعمل والإجادة أو للفكر الاقتصادي التجاري، إذ إنهم –المالاي– مزارعين، ومن المعروف أن الفلاح أو ابن الأرض لديه عقلية مختلفة عن الصناعي مالك المصنع.

فقد كان الصينيون يمتلكون المصانع، والمالاي يمتلكون الأراضي، وبالتالي لابد من تشجيع المالاي على الدخول في عالم الأعمال Business وامتلاك المصانع والشركات التجارية لمنافسة الصينيين؛ ولتحقيق ذلك فإن السياسة الاقتصادية الجديدة كانت تشترط في العقود الحكومية إعطاء المالاي نسبة أكبر من نسبتهم في المجتمع، أي أنه –وبصراحة– كان هناك نوع من المحاباه للمالاي، على اعتبار أنه لا حل لمشكلة تفاوت توزيع القوى السياسية والاقتصادية في الدولة إلا من خلال هذا السبيل.

وبالفعل، فإن هذه السياسة طُبقت بعد هذا التاريخ على هذا النحو، ثم جاء "محاضير محمد" ليُنفذها بطريقة مختلفة. وعامة فقد نجحت هذه السياسة في رفع مستوى المالاي وجعلتهم حتى هذه اللحظة يقفون على قدم المساواة مع الصينيين.

الخلاصة التي أنتهى إليها مما سبق، هي أن ماليزيا ليست دولة بها ثقافة وطنية واحدة، ولكنها دولة متعددة الثقافات بعكس إندونيسيا على سبيل المثال وكذلك الصين واليابان وحتى بعكس تايلاند، هذه الدول التي بها ثقافة غالبة بخلاف ماليزيا.

وبالتالي، فإن هناك ثقافة للمالاي وأخرى للصينيين وثالثة للهنود، إلى جانب ثقافات أخرى فرعية قد لا يكون هناك مجال للحديث عنها الآن.

وبالتأكيد، فإنه في إطار نقاشكم مع د. محمد عمارة قد تم التطرق لمفهومي الثقافة والحضارة والفارق بينهما، أخذًا في الاعتبار أني أتحدث الآن عن الثقافة وليس الحضارة. وتحديدًا فإني أتناول الثقافة باعتبارها مجموعة الآراء والمعتقدات والأفكار المتعلقة بما هو مقبول اجتماعيًّا كقواعد للسلوك الاجتماعي. فالثقافة عبارة عن رؤية كلية لما هو مقبول ولقواعد السلوك الاجتماعي لمعرفة ما يمكن أن يحدث وما لا يمكن أن يقع في المجتمع، وفيما يتعلق بالشئون المجتمعية بصفة عامة.

والثقافة السياسية فرع عن الثقافة بصفةٍ عامة، هي ما يتعلق بالسلطة السياسية والتوجهات السياسية إزائها.وهنا أتحدث عن الثقافة بشكلٍ عام.

أما الحضارة، فهي مفهوم مختلف، إذ تتعلق بكافة المنجزات الاجتماعية والعلمية والفنية والتكنولوجية لشعب معين، وهنا يحضرني دائمًا كلام العلامة المرحوم "ساطع المصري"، إذ يقول أن الثقافة تتجسد أفضل ما يكون في الآداب واللغات، بينما الحضارة تتجسد أفضل ما يكون في العلوم والصناعة، وبالتالي يمكن أن تنتقل الحضارات من مكان لآخر؛ لأنها يغلب عليها الطابع المادي، ولذلك قد يتحدث البعض عن الحضارة العالمية. وقد ترجمت مؤخرًا كتابًا عنوانه Global civilization" لأستاذ ياباني يقول فيه أن هناك حضارة عالمية في حين يؤكد أنه لا يستطيع قول ذلك بالنسبة للثقافة ويتوافق معه "ساطع المصري" على هذا الرأي، حيث القول بأن الثقافات لا يمكن أن تكون عالمية. وبالتالي، قد تكون هناك حضارة واحدة، ولكن الأمر بالنسبة للثقافات يختلف كما أنها قليلاً ما تنتقل من مكان لآخر وتتميز بالديمومة كما تقبل التغير بشكلٍ بطئ.

وعليه، فإننا نتحدث عن تعدد الثقافات وحوارها أكثر مما نتحدث عن حوار الحضارات.**والثقافة لأي مجتمع لها مصادر متعددة**. فقد يكون مصدر الثقافة هو البيئة الجغرافية، والمكان الذي ينشأ فيه الشعب، وسنرى تدليلاً على ذلك كيف أن البيئة الجغرافية للمالاي أثرت على ثقافتهم تأثيرًا عظيمًا. وأيضًا قد يكون مصدر الثقافة الدين إذ إن الدين مكون للثقافة، وبالتالي أرجو ألا نخلط بين الدين المعتنق والثقافة، حيث إن الدين شيء والثقافة شيء آخر. وبالرغم من ذلك، إلا إني قرأت بحثًا مؤخرًا لأحد الدارسين يتحدث فيه عن ثقافة المالاي ويسرد فيه العناصر الثقافية والقيمية للدين الإسلامي باعتبارها تمثل ثقافة المالاي.

وفي الحقيقة فإن هذا كلام لا يجوز. المالاي مسلمون ويؤمنون بالقيم الإسلامية، لكنهم قد يفسرون القيم الإسلامية بشكلٍ يختلف عن تفسيري لها ولذلك فإن الدين مكون للثقافة وليس هو الثقافة.

كذلك، قد يكون مصدر الثقافة العامل البشري والتفاعل مع الثقافات الأخرى. وهو ما حدث للمالاي حيث إنهم تأثروا بشعوبٍ وثقافاتٍ أخرى.

إذن، فإن كل من عناصر: الدين، البيئة الجغرافية، التفاعلات البشرية هي من أهم مصادر تكوين الثقافة، ولكن السؤال الآن هو كيف ينطق ذلك على الحالة الماليزية؟ وكيف يمكن أن نصب هذه العناصر في حالة المجتمع الماليزي؟

تقع ماليزيا على خط الاستواء، وهو أعلى سنغافورة مباشرة والتي كانت إحدى جزر شبه جزيرة المالاي، وبالتالي، من المتوقع أن يكون الطقس حار طوال العام وممطر أيضًا، فإذا كنت أقول عن الطقس في مصر حار جاف صيفًا دفئ ممطر شتاءً، ففي ماليزيا يقولون حار ممطر طوال العام فلا فارق بين صيفٍ وشتاءٍ.

ويتصل بذلك أن ماليزيا بلاد زراعية حباها الله بأراضي زراعية هائلة جدًا، فبالرغم من أن مساحة مصر ثلاثة أمثال مساحة ماليزيا، إلا أن نسبة المساحة المزروعة لدينا 5% من الأرض، وفي المقابل تشكل المساحة المزروعة بماليزيا والقابلة للزراعة فورًا لا تقل عن 60- 70% من الأراضي الماليزية.وبالتالي، كان النشاط الأساسي بماليزيا هو النشاط الزراعي.

ومع اتساع الأراضي مقارنة بعدد السكان، حيث يعيش حوالي 25 مليون نسمة على 330 ألف كم^2، لك أن تتخيل كيف أن هناك قطار يربط بين أقصى شمال ماليزيا بداية من مدينة "كنجار" إلى أقصى الجنوب عند مدينة "جوهر باهرو" ومن الممكن أن يسير ساعة كاملة لا ترى فيها إنسانًا على الإطلاق في هذه البلاد مترامية الأطراف.

وقد أدى اتساع المساحه، إضافة إلى طبيعة البيئة الجغرافية وانتشار الزراعة إلى قدوم ثلاثة مستعمرين هم: الهنود، والبرتغاليين، والإنجليز.

وأرى أن هذه العوامل المتمثلة في: اتساع المساحة، البيئة الجغرافية، التحدي الاستعماري والتفاعل البشري، وكون أن النشاط الأساسي هو الزراعة، قد أثرت إلى حدٍ كبير في الثقافة الماليزية.

وسأكون صريح جدًا في تناولي لبعض الأمور، التي قد يتحرج منها الإخوة الماليزيون. فبداية أصدقكم القول أني أحب الماليزيين وهم من الشعوب القريبة إليّ حيث عملت في آسيا فترة طويلة ومازالت، وأعترف أن هناك شعور بميل إلى هذه الشعوب، في حين هناك شعوب أخرى لا يميل قلبي إليها إطلاقًا.

وأؤكد ثانية أن الماليزيين أو المالاي تحديدًا هم من الشعوب المهمة جدًا والقريبة إلى قلبي إذ ترتاح إلى التعامل معهم، ولكن نتيجة لعوامل عدة أصبح يُقال أن أبرز عناصر الثقافة الماليزية: فكرة الميل إلى قبول الوضع الراهن ورفض التغيير، أي أن المالاي شعب Status-quo، يميل إلى قبول ما هو قائم ويرفض التغيير خاصة التغيير المفاجئ. فهم يكرهون فكرة التغيير الجذري مهما كانت الفكرة نبيلة وعظيمة، في حين أنهم مع التغيير شريطة أن يكون تدريجي. وهذا ما يفسر لنا لماذا أن الجبهة القومية التي تشمل "الأمنو" الذي هو حزب المالاي مع تنظيمي الصين والهنود ما زالت هي التنظيم الذي يحكم ماليزيا حتى اليوم إذ يُمكن القول أنها دولة حزب واحد مع العلم أنه تجري انتخابات ديمقراطية حقيقية صحيحة، حيث اطمئن الماليزيون إلى "أمنو" وكرهوا التغيير لصالح أي حزب آخر في هذا النظام التعددي. وبالتالي، فإنه قد تقل نسبة تأييد "الأمنو" أو تزيد، إلا أنه يظل محل الثقة.

أيضًا، يُقال إن "المالاي" يميلون إلى بذل الحد الأدنى من الجهد لتحقيق نتيجة معينة، وذلك بسبب انشغالهم بالزراعة وارتباطهم بالأرض، حيث إن أرض الماليزيين –هي كما يقول المصريون– أرض عفية وقوية وبنشاطٍ بسيط تأتي بثمارٍ وفيرة، أي أن عمل يوم يمكن أن يُوفرِ حاجات الأسرة كاملة لمدة شهر.

ولا شك إذن أن هذه الظروف هي ما طورت لديهم فكرة العمل على بذل الحد الأدني من الجهد لتحقيق نتيجة معينة. أيضًا لديهم فكرة الاسترخاء relaxation إلى حد أن البعض يتهمهم بالكسل، حتى أن هذه الكلمة مستخدمة في ماليزيا ذاتها فإذا ما طلبت من أحد الماليزيين طلب معين يقول لك بصراحة "أنا كسلان"، أي لا أرغب في هذا العمل؛ لأنه لا يُضيف شيء جديدًا لدي.

وقال د. عاصر الزماني وهو أستاذ من المالاي في كتابٍ عظيم له حول هذا الموضوع إن هذه الصفات في حقيقتها ما زالت قائمة في ماليزيا حتى الآن كفكرة الحد الأدنى من الجهد، ورفض فكرة التغيير الجذري، وعدم القدرة على مواجهة التحديات إلى حدٍ كبير. علمًا بأني أتحدث هنا عن "المالاي" وليس الصينيين أو الهنود، ولكن سنتحدث عنهم فيما بعد. على جانب آخر، يميل الملاي إلى التواضع الشديد، والتسامح، والكرم الذي قد يصل إلى درجة تفوق كرم "حاتم الطائي" لدى العرب.

فهم يتميزون بالتواضع والبساطة وليس لديهم هذه الدرجة من التعقيدات الموجودة لدينا في ثقافتهم، بل لا يعرفونها. ففي إحدى المرات كنا بمدينة "كنجار" في شمال ماليزيا في زيارة ثم عدت ذات مرة إلى الفندق –وهو الفندق الوحيد بالمدينة– وعند دخولي إلى المصعد وجدت رجل يرتدي ملابس بسيطة ويجلس وحده في زاوية، وحينها خُيِل لي أني رأيت هذا الشخص فيما قبل فرجعت لأنظر إليه مرة أخرى وقلت له الأتي: "هل أنت السيد "عبد الله بدوي" وزير خارجية

ماليزيا –حيث كان في ذلك الوقت في عام 1999 وزيرًا للخارجية وهو رئيس الوزراء الحالي– فأجابني: "نعم". ولم تكن هناك حراسة حوله، وقد تحدثت إليه بنفسي وأخبرته بسبب وجودي هناك وتناولنا الشاي معًا، ثم طلب مني إبلاغ سلامه إلى "عمرو موسى"، فتعجبت لذلك، لكنه جدد طلبه وسألني ما المشكلة في مثل هذا الأمر؟ فأخبرته الوصول إلى "عمرو موسى" ليس سهلاً، فهناك فراسخ وأميال.وأعود لأؤكد أني هنا أتحدث عن وزير خارجية ماليزيا حينذاك وأثناء احتلاله منصبه، ومن الممكن أن أروى قصص أخرى كثيرة في هذا الإطار.

أيضًا، فإن الكرم وحب المسلمين في كافة أرجاء العالم مسألة أصيلة لديهم، ولكن للأسف نحن لا نقدرها، ولا نفهمها، إلا أنها موجودة لدى "المالاي" وفي طبيعتهم.وسأروى قصة أخرى لكسر رتابة الحديث وتشهد عليها الأستاذة الدكتورة سلوى سليمان أستاذ الاقتصاد بالكلية، وزميلي الدكتور علي مبروك في كلية الآداب، حيث كنا قد عقدنا مؤتمرًا في بجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا وعند ذهابنا لولاية "برليس" في الشمال في زيارة ودخولنا إلى الفندق الذي نزلنا به فوجئت باتصال هاتفي يخبرني بقدوم وفد نسائي لمقابلتنا وعندما تعجبت لذلك أيضًا، ذهبت لأرى من هؤلاء إذ لم نكن نعرف نساء هناك فإذا بي أجد زوجة رئيس وزراء ولاية "برليس" –حيث لكل من ولاية من الولايات الماليزية الثلاثة عشر سلطان وولي عهد ووزارة مستقلة (أي هناك ثلاثة عشرة سلطنة وثلاث عشرة وزارة / حكومة)– إذ إنها عندما سمعت بقدوم مصريين مسلمين إلى ماليزيا أتت بوفد نسائي لتحي الدكتورة سلوى سليمان.

وعندما أخبرت د. سلوى بأن زوجة رئيس الوزراء قد أتت بوفد لترحب بها لم تصدق في البداية حتى تقابلت معهم. وقد كانت د. سلوى تعتزم الذهاب إلى سنغافورة لترى الحضارة السنغافورية–الصينية، إلا أنها بعدما شهدت هذا الموقف ألغت هذه الفكرة وامتنعت عن الرحلة مؤكدة أنها لم تر كرم ضيافة وتسامح مثل ما لدى هؤلاء البشر.

أضف إلى هذا أني فوجئت في اليوم التالي بولي عهد "برليس" يدعو الوفد المصري إلى الغذاء لأنهم مسلمون، وولي العهد هذا هو حاليًا السلطان "شاه علي" سلطان ماليزيا.

ما أريده من هذا الحديث هو التأكيد على أن أفكار التسامح والتواضع والكرم وحب الغير، ليست مسألة سطحية لدى الماليزيين، وإنما هي مسألة متجذرة.

كذلك، فإن من عناصر ومكونات الثقافة الماليزية مفهوم "تفادي الصراعات والعداء"؛ فهم لا يحبون الدخول في صراعات مع الآخرين، ينزعون إلى حل المنازعات والصراعات والخلافات عن طريق الحلول الوسط Compromise على نحوٍ ودي، وليس عن طريق القانون والمحاكم، أو المشاجرات. فيعملون على تفادي الصراعات مع الآخرين بأي ثمن. كما يبتعدون عن انتقاد الغير علنًا، فأن تنتقد أحد الأشخاص في مؤتمرٍ عام وعلنًا أمام الناس تُعد مسألة غريبة على الثقافة الماليزية، وبالتالي فإنك إذا انتقدت أحد "المالاي" علنًا في مكانٍ ما تجده يضطرب، ويتعجب، ولا

يستطيع الرد عليك؛ ذلك لأنه لم يتعود على هذا الأمر بخلافنا نحن حيث تعودنا على الانتقاد العلني والصراعات. وهو ما يرتبط لديهم بأفكار العمل الجماعي التي سنعود إليها فيما بعد، فضلاً عن نبذ الصراعات والتسامح والبعد دائمًا عن المواجهات المباشرة مع الآخرين.

ويُقال أن هذا مرتبط أيضًا بقضية أخرى، ألا وهي قضية "التدرج الاجتماعي"، والتي تمثل جزءً مهمًا من ثقافة الماليزيين، وذلك بمعنى "احترام الكبير" مع الانتباه إلى أن الكبير هنا على أساس السن وليس على أساس الوظيفة. فكبير السن دائمًا هو مستودع الحكمة لديهم ويحترم ويؤخذ رأية، حتى وإن كان كبير السن هذا غريبًا عنهم وإذا ما خوطب يُخاطب بلقب يعنى "أخي الأكبر"، وإذا كانت امرأة تُخاطب بلقب يعنى "أختى الكبيرة".أي أن فكرة احترام الكبير وتدرج المجتمع هي أيضًا فكرة أساسية لديهم.

ومن أهم عناصر الثقافة الماليزية –فضلاً عما سبق– عدم الرغبة في تراكم الثروة. فالمالاي ليسوا من الراغبين في أن يصبحوا من ذوى الأملاك الهائلة، أي أنه طالما لديهم ما يفي بأغراضهم الأساسية يكتفون.

والبعض يقول أن مثل هذه الأمور تؤثر في القدرة "المالية" على الدخول في المشروعات والأعمال والصناعات الكبرى مما جعل الصينيين يكتسحون هذه المجالات، ووجود بعض الاختلافات الآن لا ينفي في أن هذه المسألة جزءً من ثقافة "المالاي".

و"محاضير محمد" له كتاب في هذا المسألة بعنوان"The Way Forward "، يقول فيه هذا الكلام من قبيل أن المالاي غير راغبين في تراكم الثروة وأنهم لا يدركون فكرة تدوير الأموال لتأتي بأموال أخرى، حيث إنها تعد فكرة غريبة عنهم في حين أنها جزء من العقلية الصينية.وكان السؤال هو: كيف نغير عقلية "المالاي" بحيث يدركون أن النقود لها قيمة، ويمكن أن تستثمر تجاريًا واقتصاديًا وأن يُبنى بها، وبالتالي الحصول على فوائد من خلالها؟

كذلك هناك ميل لحماية التقاليد الموروثة، واحترامها إلى جانب الحفاظ على أصول الدين. ولذلك فإن شبه جزيرة "المالاي: مليئة بآلاف المدارس الدينية حيث يأخذ كل شيخ مجموعة من التلاميذ الصغار ويعلمهم كما هو الحال في الكتاتيب.

وهناك اعتقاد بأن حرص المالاي على الحفاظ على هذه التقاليد الدينية، إنما مرجعه الهجمات الاستعمارية البرتغالية والهولندية، ثم البريطانية مع التأكيد على أثر البرتغاليين بالأساس، لأن هذا جعل لدى المالاي نزعة Introversion أي الاهتمام بالداخل أو النزوع إلى الداخل للحفاظ على هذه التقاليد إلى حدٍ كبير.

ويشير البعض أيضًا إلى فكرة الإيمان بالقضاء والقدر إيمانًا شديدًا جدًا لدى المالاي، حتى أن البعض يتهمهم بأنهم ينسبون فكرة الكسل والاسترخاء الشديد إلى الإيمان بالقدر.ولدى

"محاضير محمد" كتاب عنوانه "معضلة المالاي" منشور عام 1970 أي قبل أن يصبح رئيسًا للوزراء، وبسببه طُرِد "محاضير محمد" من الحكومة، إذ ذكر فيه ما أقول.

وللغرابة الشديدة فإن هذا الكتاب قد حُظِر ثم أعيد طبعه عندما جاء "محاضير محمد"، وهذا في إطار الحديث عن كسل المالاي والبحث عن سبل لتنشيطهم ليدخلوا في الأعمال والأنشطة الاقتصادية.

وقد كتب أحد الدارسين في دراسة أن "المالاي" –للأسف– نتيجة سوء فهمهم للإسلام ينسبون إليه مثل هذه الأمور التي تُرى كصفات سلبية للإسلام، كأن يقول لك أي منهم لما أبحث عن الغنى في حين أن الله إذا كان يريد لي أن أصبح غنيًا لكنت كذلك، حيث إن المسألة قضاء وقدر على هذا النحو. وهو بذلك يكون غافلاً عن نصوص دينية عديدة تطالب بالسعي والعمل انطلاقًا من أنك على سبيل المثال "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا"، في مقابل تركيزه على نصوص أخرى معينة.

وعلى جانب آخر، فإن "المالاي" لا ينتظرون مكافأة مقابل خدمة يؤدونها، بالرغم من أن بعض الثقافات تقوم على شعار "خدمة مقابل خدمة". فالمالاي قد يقدم لك سلسلة من الخدمات المتتالية دون أن يتوقع منك مكافأة أو خدمة مقابلة، وإذا ما قدمت له مكافأة ما فما تقدمه له لا يُناقشك في قيمته مهما كان. فعلى سبيل المثال إذا ما علم أحد المالاي ابنك القرآن لمدة ثلاثة أعوام، ثم في النهاية أعطيته ثمرة واحدة من جوز الهند فسيأخذها دون أي اعتراض ويُعد هذا أمرًا مقبولاً.

وإذا ما عُدنا إلى مسألة التراخي والكسل، فهناك مثل ماليزي تجدر الإشارة إليه في هذا الإطار يقول: "إن العمل في الصباح من أجل الإفطار، والعمل في الظهر من أجل الغذاء، والعمل في المساء من أجل العشاء"، أي أن العمل بقدر الحاجة والضرورة فقط ويكون الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

يتميز الماليزيون أيضًا بمسألة عدم طرح العديد من الأسئلة، فمن المستهجن في الثقافة الماليزية أن تكون كما يُقال في التعبير الإنجليزي "Argumentative" أي تطرح العديد من الأسئلة والمعضلات والمناقشات، فمن غير المقبول في أثناء الحديث عن موضوعٍ ما أن أقوم بطرح سؤال تلو سؤال وأناقش وأرفض.

علمًا بأن هذه المسألة قد تكون جيدة في بعض الثقافات، خاصة الغربية منها، ولكن في الثقافة الماليزية يجب أن تسمع ما يُقال لك وتطبقه وتنفذه دون اعتراض، لاسيما إذا كان ممن هو أكبر منك لأنه يكون في مصلحتك.وبالتالي، فإن الطفل الذي يطرح أسئلة كثيرة جدًا يعتبر طفلٌ "شقي"، ولابد من تربيته وتعليمه جيدًا.

وفيما يتعلق بالسلوك –باعتبار أن الثقافة جزءٍ من السلوك –فإن هناك جزء من السلوك الاجتماعي– وهو ليس فقط السلوك القولي، وإنما أيضًا السلوك الفعلي– جزء منه ما يسمى Body Movements أي حركة الجسم، فهناك من يُلقى محاضرة دون أن يتحرك على الإطلاق بينما آخر تجده العكس كما هو عند الإيطاليين إذ يعتبر هذا الأمر من السلوك الاجتماعي المقبول سواء تعلق بتحريك اليد أو علو الصوت، بينما هذه المسألة لدى "المالاي" مختلفة حيث نجد فكرة الحركة الجسمية البطيئة وعدم الحركة السريعة في أثناء إلقاء أي محاضرة أو الدخول في نقاش، حتى مع الاستمرار لفترة طويلة؛ ولذلك تعتبر السيدة التي تسير بسرعة في هذه البلاد محل انتقاد فمن المفترض أن تسير الهوينى تمامًا والرجل أيضًا نفس الشيء، وإن كان الأمر بالنسبة للسيدات أكثر أهمية، وهذه القواعد عامة يجب مراعاتها بدرجة أكبر في حالة وجود الكبار.

ومن عناصر ثقافة المالاي كذلك، احترام الآخر، واحترام الضيف.وإذا ما ركزنا على الثقافة السياسية تحديدًا في ضوء ما تناولناه عن الثقافة العامة للمالاي، لوجدنا أنه من المتوقع أن تتميز بـ: احترام السلطة، واحترام من في يده السلطة.وهذه مسألة أساسية يدخل فيها أيضًا عدم الرغبة في التغيير.

ولذلك، أعتقد أن الهجوم على "عبد الله بدوي" رئيس الوزراء الماليزي الحالي وما يفعله "أنور إبراهيم" لخلع "الأمنو" من السلطة لن ينجح وهذا السبب بسيط، وهو أن هذه المحاولات ضد ثقافة "المالاي"، فحيث إن "أنور إبراهيم" –في رأيي– يعمل في عكس اتجاه الريح تمامًا.

سؤالي الآن هو: هل هذه العناصر المتراكمة تاريخيًا مازالت قائمة حتى اليوم؟ نعم، كثيرٌ من هذه العناصر ما زالت قائمة حتى اليوم، ولكنها تتغير تغيرًا بطيئًا نتيجة عدة اعتبارات، الأول منها هو اعتبار السياسة الاقتصادية الجديدة التي وفرت فرصًا للمالاي، إذ حابت الدولة "المالاي" في العقود الحكومية –كما أشير– بحيث إذا قدم الصيني والمالاي نفس العرض للحكومة يُفضل "المالاي" لرفع شأنه.

إلا إنه –وللغرابة الشديدة– عندما تعطي الحكومة عقودًا للمالاي لتشجيعهم على الدخول في مجال الأعمال الاقتصادية، فإنهم –وللأسف– لا يعملون أيضًا، إذ يُعطون العقود لشركات صينية من الباطن لتقوم بتنفيذ العقد. وهذه العملية تسمى في ماليزيا "علي بابا Relations". وذلك مثل الحال في الخليج، فنجد مثلاً أن الذي يحصل على العقد سعودي، أو كويتي، أو إماراتي بينما الذي ينفذ مصري، أو باكستاني، أو هندي.

والسؤال هنا: لماذا يحدث ذلك؟ فلماذا يُفرِط "المالاي" في هذه الفرصة التي تعطيها لهم الحكومة؟!

ذلك، لأن الصينيين أذكياء، ويجيدون اقتناص الفرص، فهم يشجعون هذه المسألة ويحصلون على العقود بثمنٍ أقل، بينما يحصل "المالاي" على ما يُسمى "الأرباح الريعية، أي أن الريع موجود في ماليزيا كما هو موجود في دول الخليج ولكنه في هذه الحالة ليس ريعًا نفطيًا، وإنما هو ريع من الـBusiness في إطار السياسة الاقتصادية الجديدة التي حابت "المالاي".

ولكن على الجانب الآخر، يجب الاعتراف بأن هناك تغير تدريجي، حيث بدأت طبقة جديدة تظهر من الصناعيين والتجاريين "المالاي" الذين يعملون بمجال الأعمال، إلا إنها مازالت محدودة ومازال الصينيين حتى الآن هم المسيطرون على المجتمع الماليزي.

وقد دشنت الحكومة الماليزية أيضًا –بجانب السياسة الاقتصادية الجديدة– ما يسمى بـ "السياسة الثقافية الماليزية"Malaysian Culture Policy ؛ لكي تغير العناصر السلبية التي ذكرتها.وفيما يتصل بهذه المسألة أيضًا، فإني كنت أقرأ اليوم كتابًا عن قيم العمل في الشركات والمصانع الماليزية والتي تسبب مشاكل وكيف يمكن تغييرها.

وقد حددت الحكومة عناصر الثقافة السياسية في عام 1971 كالتالي:

1- يجب أن تتأسس الثقافة على ثقافة "المالاي" الوطنية.

وهذه سياسة معلنة ولا مواربة فيها، أي أن الحكومة هناك لا تقول أن المجتمع متعدد الأعراق، وبالتالي يجب أن تنشأ فيه ثقافة تضم ثقافة أعراقه الثلاثة، وإنما تقول أن الثقافة الوطنية هي ثقافة المالاي صراحة.

2- لكن هذا لا يمنع من قبول بعض المفاهيم الثقافية المناسبة من الثقافات الأخرى كالصينية أو الهندية وإدخالها في ثقافة المالاي To integrate.

3- إن الإسلام عنصر يُحدِد الثقافة الوطنية لـ"مالاي".

وهذه هي العناصر الثلاثة للثقافة الوطنية الماليزية، فهى تتأسس على ثقافة "المالاي"، والإسلام عنصر أساسي منها، ولا مانع من قبول عناصر من الثقافات الأخرى.

بطبيعة الحال فإن الصينيين والهنود لهم قيم ثقافية مختلفة تمامًا عن مجمل العناصر التي تحدثت عنها هنا، وهي في مجملها مجموعة قيم مستمدة من الثقافات الديانات الكونفشيوسية والبوذية والتاوية، وتدور حول قيم العمل الجماعي والعائلة والعمل العائلي، إضافة إلى قيم الإجادة، وتنظيم الوقت، وتحديد الهدف المسبق، والإصرار على تنفيذ الخطة، وأولوية الجماعة على الفرد وليس الفرد على الجماعة.

وهذه المجموعة من القيم أتى بها الصينيون من بلادهم وتمسكوا بها، ونجحوا من خلالها في مجتمع المالاي بأن أصبحوا القوة الاقتصادية الأساسية سواء قبل العصر الاستعماري أوخلاله أو بعده إلى حدٍ كبير.

أما الثقافة الهندية في هذا المجتمع، فهي تمثل ثقافة الأقلية إلى حدٍ كبير. وهي ثقافة مستمدة من الديانة الهندوسية إلى بدرجة كبيرة إلى جانب السيخية، ولذلك تؤمن بفكرة تناسخ الأرواح وأن الإنسان مسؤل عن تصرفاته.

ولكن يجب أن نعترف أن هذه الثقافة في المجتمع الماليزي هي ثقافة مهمشة تمامًا، فالحكومة على سبيل المثال تشجع "المالاي" على التأثر بعناصر من الثقافة الصينية كالقيم المتعلقة بالعمل، والإجادة فيه، والانضباط، لكنها لا تشجعهم على الإطلاق على التأثر بثقافات الهنود الهندوس.ولهذا فهناك مشكلة اليوم في ماليزيا، بسبب شعور الهندوس بكونهم مهمشين.**ولكن إلى أي حد أثر هذا المناخ على السياسة الماليزية؟**

بالطبع –كما قلت– فإن القوة الاقتصادية ما زالت للصينيين، وإن كان المالاي يحصلون حاليًا على قوة اقتصادية متزايدة، الأمر الذي جعل ماليزيا في الوقت الحالي تموج بتيارات سياسية متعددة.

ولكن لنتحدث عن التيارات السياسية الإسلامية بالأساس، ونبحث في كيفية تأثر هذه التيارات بعناصر التعدد التي أشرت إليها؟

بداية فإن الحركات الإسلامية في ماليزيا هي جزء من تيارات سياسية أكبر، كالتيار الذي يمثله حزب "الأمنو" بكل قيمه المتعلقة بالتنمية في إطار الاندماج مع العولمة ولكن مع الحذر من الاندماج السريع فيها وتحقيق التوافق بين الأعراق وغير ذلك من الأفكار التي عبر عنها "محاضير محمد".

و"الحزب الإسلامي الماليزي" "باس"، وهو أكبر حزب إسلامي بماليزيا ويرأسه السيد "عبد الهادي أوانج". وهذا الحزب يحكم الآن في إحدى الولايات الماليزية وهي ولاية "ترينجانو"، كما كان يحكم من قبل في ولاية " كيلنتان"، إلا أنه خسرها في الانتخابات.

وأنصح بقراءة برنامج هذا الحزب على موقعه على الانترنت. وهذا البرنامج يتضح فيه تمامًا مدى تأثر "الحزب الإسلامي الماليزي" بكل ما ذكرته من عناصر ثقافية أهمها تعدد الأعراق بالمجتمع الماليزي.

وهذا الحزب كان هو المناهض تاريخيًا لحزب "الأمنو"، وهو الداعي لبناء الدولة الإسلامية في ماليزيا ومازال، ولكنه يقول بدولة إسلامية على أساس الإيمان بالقيم الديمقراطية. ومن المهم الالتفات إلى أن هذا الكلام يعد جديد في المجتمع الماليزي والقيم الثقافية الماليزية ولكنه يؤكد على هذا لوجود أقليات صينية وهندية في المجتمع.

وفي الوقت نفسه، فإنه يتحدث تفصيلاًعن الدولة الإسلامية التي تنتهي بإقامة دولة الخلافة، وهي دولة تقوم على وجود خليفة يجمع بين السلطنتين التشريعية والتنفيذية، ولكن هذا في المدى البعيد، أما في المدى القصير فإنه يتحدث عن انتخابات ديمقراطية، وسياسة خارجية،

ودفاع، وشؤون الصحة، ووضع المرأة، أي أنه يتبنى برنامجًا مدنيًّا يحاول من خلاله أن يجذب مختلف العناصر الصينية والهندية.

لكن يجب أن نعترف بأن الحزب الإسلامي الماليزي قد أخفق في إقناع أي من المالاي، أوالصينيين، أوالهنود، بأن هذا البرنامج جدي، بدليل أنه في انتخابات في عام 2004 لم يحصل الحزب إلا على سبعة مقاعد فقط في البرلمان من حوالي 290 مقعد، نعم إنه ازداد تواجده في الانتخابات الأخيرة ليحصل على 27 مقعد إلا إنه ما زال حزب أقلية لم يستطع على الأقل إقناع مجتمع المالاي المسلمين بإنه يقدم برنامج حقيقي، ناهيك عن الصينين والهنود.

والحزب لديه مشكلة كبيرة جدًا في التواصل مع الأقليات الأخرى. أيضًا في انتخابات عام 2004 عندما خسر الحزب كثير من مقاعده، قال "أوانج": "إن هذه حكمة الله ونحن راضون به بهذه المسألة" ولم يُحاول التغيير.

ومشكلة "الحزب الإسلامي الماليزي" أنه لا يستفيد من الفرص، فقد توافرت له فرصة تاريخية ليصل إلى الحكم في ظل النظام الفيدالي بماليزيا حيث، توجد حكومة اتحادية وحكومات أخرى للولايات والمقاطعات، حيث من الممكن لحزب معين أن يحكم في ولاية (أ) ولا يحكم في ولاية كولالمبور، وبالفعل فإن "الحزب الإسلامي الماليزي" قد حقق ذلك مرتين في ولايتي "ترينجانو" و"كيلنتان". وهنا كانت الفرصة مهيئة له لكي ينشئ نموذجًا صالحًا يقول من خلاله لمجتمع "المالاي" إنه في حالة وصوله للسلطة في كولالمبور سيكون هذا النموذج هو النظام السياسي الذي سيؤسسه، إلا أنه أخفق في هذه المسألة، لأنه حينما وصل إلى الحكم في الولايات كان يتشدد في التعامل مع الأقليات من الصينيين والهنود ويجيرهم على أشياء ليست محل توافق في قيمهم، أي كان يفرض القيم الإسلامية على الأقليات غير الإسلامية بما يخالف المثاليات الموجودة في برنامجه، ما أدى إلى كثيرٍ من الصدامات التي جعلت الصينيين والهنود لا يثقون بالحزب.

وبالطبع فإن هناك تيارات إسلامية أخرى مثل "بركين"، وهي المنظمة التي تعمل على نشر الدين الإسلامي لدى الصينيين، أيضًا هناك جماعة "أنور إبراهيم" التي هي تنظيم "للشباب الإسلامي" وتضم خريجي الجامعات الماليزية ممن يقوموا بنشر الدين الإسلامي. وهذه الجماعة ما زالت موجودة وتقوم على تطوير فكر إسلامي.كذلك كان هناك "دارالأرقم" وقد ألغيت الآن، وقد كان يرأسها الشيخ "الأشعري" ثم نُفى فيما بعد.

ويمكن القول أن التيارات الإسلامية في ماليزيا أو المسلمون أو المالاي هم مالاي مسلمين صحيحون أتقياء، لكن المشكلة أن التنظيمات التي تعبر عنهم في هذا المجتمع لم تستطع أن تنشئ برنامجًا صحيحًا وتطبقه على نحو يتفق مع واقع أن ماليزيا دولة متعددة القوميات.

د. نادية مصطفى:

شكر د. محمد، ونبدأ في الأسئلة.

المداخلات:

م/ عبد المعطي:

سؤالي الأول: كيف استطاعوا في ماليزيا التعامل مع الجماعات الإسلامية على النحو الذي لم يجعل بينها تيارات تعبر عن فكر متشدد؟ وكيف يمكن الاستفادة من ذلك؟ أي هل أدى اتباع سياسات معينة إلى هذا الأمر، أم أن ذلك راجع إلى طبيعة المجتمع؟

أما السؤال الثاني: فهو حول طبيعة الديمقراطية في ماليزيا، فحضرتك ذكرت أن هناك نوع من الحلول الوسط Compromise، وبناءً على ذلك، فإن سؤال الأساسي هو: كيف أصبحت ماليزيا نمر أسيوي كبير بالرغم من أنهم لم يأخذوا معونات من أي طرف، فكيف استطاعوا رغم هذه الظروف التي تفرض التبعية وما ذكرته حضرتك حول صفات المالاي أن يحققوا مثل هذه النهضة لدرجة أنهم تحولوا إلى نموذج وسط النمور الآسيوية، بمعنى أنهم كيف تمكنوا رغم هذا القدر البسيط من العمل من جانب المالاي تحقيق تقدم حيث كنت أتخليهم مجموعة من النمور فإذا بهم شعب مسالم؟

*** متحدث:**

أعتقد أن السواد الأعظم في دول جنوب شرق آسيا من المسلمين، لا يقل أهمية عن السواد الأعظم من المسلمين الموجود في الشرق الأوسط، ولكن الفرق بين ما يوجد في الشرق الأوسط وما يوجد في شرق آسيا.

أن الفتوحات الإسلامية في الشرق الأوسط جرت عن طريق المعارك بين حكومات المسلمين والحكومات غير المسلمة. أما الدعوة في جنوب شرق آسيا انتشرت عن طريق التاجر وهذا كان أمر جديد في تاريخ الدعوات حيث وصل التاجر المسلم الذي أسميه التاجر الداعية إلى جنوب شرق آسيا.

وقد نشأت بينه وبين الماليزيين علاقات وحوار فدخل الماليزيون الإسلام عن طريق الحوار الذي جرى بينهم وبين التاجر الداعيه. أضف إلى ذلك نقطة وهي أن المالايين أنفسهم كانوا يذهبون طواعية إلى شريف مكة في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي لتعلم الفقه الإسلامي حتى إنه أصبح هناك ما يُسمى الفقهاء المالايين الأوائل.فبالرغم من كون المعتاد أن أصحاب الدعوات دائمًا ما يكونوا هم الحريصون على نشر دعواتهم بأنفسهم، نجد أنه أمرٌ رائع أن يذهب المالاي أنفسهم إلى مكة.

على جانب آخر، نجد أن مسلمى جنوب شرق آسيا قد تعرضوا لحملة تنصير من قبل الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث، ولكن الشخصية الماليزية قد وقفت أمام هذه الحركات وقفة رادعة، خاصة وأن المشروع الماليزي الإسلامي الحالي ألمح فيه ملامح الفكر الإسلامي،

أي أن الشخصية الماليزية الموجودة حاليًا في عام 2008 نلمح بها بعض ملامح الفكر الإسلامي.

وعلى ناحية أخرى، فإني ذُهِلت حينما عرفني أحد الأصدقاء الماليزيين واسمه "خير الأبرار" على أسرته ووجدت أن أحد أفرادها مسيحي، وآخر يهودي وغيره يدين بإحدى الديانات المحلية هناك، بينما هو مسلم والمهم في هذا أنهم جميعًا متعايشون في أسرة واحدة وقد كان حريصًا جدًا على الاتصال بوالدته التي تدين بدين مختلف وكذلك والده، مما يعني قبول التعددية ليس فقط على نطاق الدولة أو الأمة، وإنما على نطاق الأسرة الواحدة كذلك

*** د. محمد السيد سليم يُعقب على المداخلة السابقة:**

ما تقوله لا يمكن أن يكون في عائلة ماليزية مسلمة، فلا يمكن أن تكون العائلة في الأساس مالية مسلمة ثم تقبل بذلك، وإنما هذه العائلة إما أن تكون هندية أو صينية وأسلم أحد أفرادها ليصبح هذا الوضع مقبولاً، حيث العكس لا يحدث.

أ. باريولي–إندونيسي:

أنتمي لمركز الدراسات الإعلامية حول العالم الإسلامي، وفي مرحلة الليسانس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

السؤال الأول: لقد تحدثنا عن ماليزيا، ومن المفروض علينا أيضًا أن نتكلم عن بلد صغير شكلاً ولكن ذو قوة غاشمة في الاقتصاد، ألا وهو "سنغافورة"، فكما تحدث الأستاذ الدكتور "محمد صنايع أو فمان" في كتابه "فلسطين" هناك بلد يسمى بلدٌ حاجز يشطر بين شرق الإسلام وغرب الإسلام هو إسرائيل، وفي جنوب شرق آسيا هناك بلدٌ حاجز آخر يُسمى سنغافورة يفصل بين إسلام ماليزي وإسلام إندونيسي وقيل إن سنغافورة هي مركز الصهيونية في جنوب شرق آسيا. وفي ضوء ذلك فإن السؤال هو: ما توقعكم لمستقبل إسلامَي جنوب شرق آسيا قاصدًا بذلك ماليزيا وإندونيسيا على وجه التحديد؟

السؤال الثاني: ما موقفكم الموضوعي من وجود سنغافورة؟

أ. زهراء بسام– الفرقة الثانية صحافة وإعلام –جامعة الأزهر:

النقطة الأولى: وتتعلق كذلك بموضوع سنغافورة، حيث أتساءل كيف انفصلت لتصبح دولة مستقلة، وهل من المتوقع تكرار سيناريو الانفصال هذا بعد ذلك بمدن كـ"دبي" على سبيل المثال؟

النقطة الثانية: لماذا بالرغم من أن هناك مجموعة من الأقليات بماليزيا أصبحت في وقتٍ من الأوقات أكثر من السكان الأصليين، لم تتمكن أي منها من الانفصال لتكون دولة مستقلة على نفس نمط سنغافورة؟ فهل هذا يرجع لطبيعة المجتمع؟ أم إنه راجع لطبيعة الأقلية التي أصبحت أغلبية؟

بمعنى آخر ما الذي جعل السكان الأصليين صامدين أمام هذه التحديات والإغراءات التي من شأنها إتاحة فرص للانفصال للأقليات مثلما حدث بالنسبة لسنغافورة، لاسيما وأن هناك من يتوقع انفصال "دبي" عن الإمارات؟

د. نادية:

أى ما الذي جعل الاتحاد المركزي بماليزيا يظل مركزيًّا مستقلاً بالرغم من أنه كان من الممكن أن يُقسم؟

*** متحدث لم يذكر اسمه:**

لدي سؤال واحد فقط وهو: إن الحالة الماليزية بها نوع من الرقي وقبول الآخر والحوار معه –فكما ذكرت حضرتك– هناك ثلاث ثقافات أساسية تحالفت معًا في بداية الاستقلال ونجحت في الانتخابات؛ ومازالوا حتى الآن يقدمون صورة راقية للتعايش ولم نسمع عن الصدام سوى في إطار المثال الوحيد الذي ذكرته حضرتك في عام 1969، أما بخلاف ذلك فإنك عندما تتحدث عن ماليزيا لا تشعر بأنها تتكون من أقليات مختلفة. وبالتالي، فما الجديد في التجربة الماليزية بحيث جعل الشعب الماليزي المسلم تصبح فيه هذه الطبيعة المتسامحة والأخذ بالحوار. فهل هذا يرجع إلى جزء من الثقافة الماليزية فقط، أم أيضًا إلى التكوين الإسلامي لشعب "المالاي" وكذلك الفكرة الإسلامية والتيارات الإسلامية هناك؟

د. محمد الشريف– طبيب امتياز:

ما الذي حدث لشعب بهذه الصفات والتكوينات الاجتماعية والتركية الثقافية والفكرية من حيث هو شعب مسالم، ومتعايش، ولا يقبل التغيير لينتقل هذه النقلة المهولة ويصنع هذه الحضارة ويصبح نمرًا أسيويًّا؟

في حين أننا إذا أسقطنا هذا على مصر وتأملنا شعبها لوجدناه يقول بمقولات من قبيل: إن مصر تُسرق منذ زمن بعيد، من نعرفه خيرٌ ممن لا نعرفه، المهم أننا مازلنا نعيش ...إلخ، حتى أننا نرى كيف أن هناك اقتراب كبير جدًا بين نمط تفكير الشعب المصري وطبيعة المالاي كما كتب عنها "محاضير محمد"، فما الفرق في التجربة؟وما أقوله هو مجرد اقتراب قد يكون صواب أو خطأ، ولكن على أي حال أود أن أعرف ما السبب في تحقيق هذه النقلة؟

متحدث صيدلي– المنصورة:

سؤال قريب من السؤال السابق، فـ"محاضير محمد" كان رأيه في "المالاي" ما ذكرته حضرتك، وهو ما تسبب في طرده من الحكومة، وبالرغم من هذا عندما عاد إلى الحكومة لم يُبدل رأيه، بل كان حريصًا على تغيير المجتمع الماليزي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، ومن أجل ذلك وضع لبنات ماليزيا 2020، وهو ما أصبح مشروعًا قوميًّا لكل الماليزيين، ومن

غير المسموح لأي فرد وإن كان السلطان ذاته أن يغير أو يتدخل بأي شكلٍ من الأشكال ليحيد عن أهدافه، وفي هذا الإطار هل كان مجرد اقتداء "محاضير محمد" باليابان هو الحل بتحويله إلى نمر صناعي، أم أنه كانت هناك خطوات فعلية اتخذها لتغيير طبيعة شعب المالاي ذاتها؟

فنحن أثناء دراستنا التجربة الماليزية من المهم أن نقف على ما اتُبع من خطوات لتكون بمثابة دروس عملية بالنسبة لنا كأفراد وليس فقط كمؤسسات؛ حتى يعرف كلٌ منا دوره، لاسيما وأن طبائعنا قريبة من طبائع الشعب الماليزي، وهي طباع في حقيقتها حميدة.

إذن، فالمطلوب منا استثمار مثل هذه الفرصة للخروج بوصايا عملية بداية من المستوى الفردي إلى المجتمعي بحيث نخرج في النهاية بمشروع قومي لمصر 2050 يتوازى مع مشروع ماليزيا 2020.

أ. يسرا مصطفى –مترجمة:

في ضوء حديث حضرتك عن صفات الماليزيين، وفي إطار نظرتنا إلى ماليزيا باعتبارها دولة ناجحة استطاعت أن تنهض بنفسها، فإننا –وبحسب علمي– لدينا مشاكل أكثر من ماليزيا كثيرًا، أود السؤال عن طبيعة رؤية التغيير ودوافعها، فعلى سبيل المثال المسألة المتعلقة بعدم ميل المالاي إلى تراكم الثروة هي أمر يتعلق بثقافة مجموعة من الناس، وإذا كنا نتحدث عن تنوع وتعدد الثقافات، فيكون إذن من حق هذه البلد وهذا الشعب أن يكون له ثقافته، وبناءًا على ذلك، فهل كانت ماليزيا بالفعل بحاجة إلى نهضة، أم أن الأمر كان فقط نوع من فرض الرأسمالية على الماليزيين وغيرهم كنوع من العولمة الرأسمالية بحيث إنهم لابد وأن يُفكروا بطريقة الـ Business ويجب أن يُفكروا بطريقة معينة؟ إذ إني أرى أنهم إن كانوا –المالاي– شعب زراعي يسعى إلى أن يعيش اليوم بيوم فهذا من حقهم.

أ. علي حسن –قسم اقتصاد– كلية التجارة– جامعة الزقازيق:

حضرتك ذكرت أنه كان هناك حزب اشتراكي بماليزيا اتخذ فكرًا اشتراكيًّا ماركسيًا قام بمقاومة الاحتلال، في حين أنك تصف الشعب الماليزي بأنه شعب كسول ولذلك افتقدت الحركة التي تحاول إسقاط الحكم حاليًا. فكيف ذلك؟

أيضًا، ذكرت أنهم أقاموا حائط صد في مواجهة حملات التنصير بمنعها من التأثير في ماليزيا، فما طبيعة حائط الصد هذا؟

وعن النقلة الاقتصادية التي ذكرت حضرتك أنها حدثت في عهد "محاضير محمد"، فهل كانت ناتجة عن الأموال التي أعطاها "محاضير محمد" للمالاي وكانوا هم يعطونها للصينيين، أم أن الأمر ساهم فيه المالاي أنفسهم؟

*** متحدث لم يذكر اسمه:**

أتساءل حول تيار الغزو الغربي الفكري لماليزيا، فإلى أي مدى أثر ذلك في الثقافة الماليزية؟ وما مدى انتشاره خاصة وأننا نجد تأثير مثل هذا الغزو في مصر ينتشر بصورة مخيفة ومريعة في كل مجالات الحياة حتى ما يتصل بالمأكل والمظهر؟

وهل أستطيع في ظل ما ذكرت سيادتك القول بأن التطور المذهل الذي شهدته ماليزيا يعود إلى الصينيين والقوميات الأخرى فقط غير المالاي، أم ماذا؟

وبالنسبة إلى الصفات التي تطرقت إليها، فنعم بها الكثير من الصفات السيئة، ولكن على جانب آخر نجد أن حضرتك نجحت في إلباس صفات طيبة لباس هذه الصفات غير الطبية.

ومن خلال التجربة الشخصية لي في التعامل مع بعض الطلاب الماليزيين بجامعة الأزهر وهم كثير، أرى أن الواقع على غير ما سمعت اليوم، فعلى سبيل المثال وقت صلاة الكسوف منذ أسبوع، اتصل بي عدد كبير جدًا منهم يسألني عن كيفية الصلاة. وبالنسبة إلى البنات منهم تحديدًا فإنهم يتحركون بوسائل المواصلات وفي مدينة المنصورة خاصة بصورة ملفته للنظر جدًا، فهل هؤلاء إذن من الصينيين، أم من المالاي؟

<u>الشيخ هاشم إسلام علي إسلام –واعظ باللغة الفرنسية وعضو لجنة الفتوى بالأزهر:</u>

ألا تلاحظ أننا كثيرًا ما نقصى الإسلام عن واقع الحياة، وألا تتفق معي في الوقت ذاته أن الإسلام هو السبب الرئيس في تقدم ماليزيا في كل المجالات.

وإذا ما كنا نبحث عن أسباب الكسل وغيره، فعلينا إدراك أن شعوبنا العربية مثلاً لا تكف الحديث من المحيط إلى الخليج عن توصيف الوضع البائس الذي نعيشه جميعًا.

أما ماليزيا، فقد استطاعت تحقيق نهضة سببها الإسلام، واستطاعت أن تحفظ التنوع من داخل واقع هذا المنهج الخالد الذي جاء ليكون واقعًا في الحياة العملية، حيث استطاعوا أن يتعايشوا مع الجميع، وتمكنوا كذلك من أن يكونوا قدوة في هذا الأمر، لدرجة أني أذكر أن ماليزيا هي الدولة الوحيدة على مستوى الدول الإسلامية التي تنظم دورة للمقبلين على الزواج، يقوم عليها مجموعة من علماء الشريعة، والطب، والاجتماع، والنفس، بحيث لا يستطيع أي فرد إتمام الزواج دون الحصول على شهادة تفيد التحاقه بهذه الدورة، ولذلك قلت نسبة الطلاق هناك، على عكس مجتمعاتنا العربية حيث حدث ولا حرج عن مسألة ارتفاع نسب الطلاق.

أضف إلى ما سبق ما حققوه من نهضة صناعية في فترة وجيزة، في حين بدأنا نحن مع اليابان، ولكن أين نحن وأين اليابان؟ وأين نحن وأين ماليزيا؟

د. نادية مصطفى:

إذا سمح لي د. محمد، فإن لي عدة استفسارات:

أولاً، أحيى الموجز التاريخي الذي قدمته في مساحة محدودة جدًا من الوقت من خلال التطواف الذي قمت به في هذه الخبرة التاريخية الغنية، والتي أثناء سماعي إياها حاولت إجراء

مقارنة بينها وبين الخبرة الاستعمارية في مناطق أخرى، وما يحدث من تهجير للتحكم في نسبة عدد السكان على نحوٍ يحقق أهداف محددة ونزع جزء معين من المنطقة وجعله مستقلاً، بينما تتوحد الأجزاء الأخرى، أيضًا التمكين الاقتصادي لمجموعة على حساب مجموعة أخرى أي كانت استعداداتها، الأمر الذي يجعلنا نفكر كذلك فيما حدث في الهند، وكيف كان تعامل الإنجليز مع الهندوس في مقابل المسلمين الذين عملوا على استبعادهم، وكيف قسموا الهند.

ولذلك، أقول أن ما قدمته من عرض تاريخي مهم لأسباب كثيرة، وليس فقط كأحداث، فمن خلاله يمكن الوقوف على الأنماط المتكررة من مكان إلى آخر، وفهم تحركات القوى الاستعمارية وكيفية إدارتها لواقع المناطق الإسلامية المختلفة، وإذا ما نظرنا إلى المشرق لأدركنا أهمية هذه الأمور.

وهذا الأسلوب ليس غريبًا على حضرتك، وإنما كان واضحًا عندما كتبت كتاب "العلاقات الدولية" بطريقة علمية تبين أن التاريخ ليس مجرد سردًا للأحداث التاريخية عن أهميتها، وإنما الأهم أن نقرأ هذا التاريخ، على نحوٍ يمكننا من الوصول إلى نتائج.

أيضًا كان من المهم إشارة حضرتك إلى أن الحروب التجارية لم تكن مجرد حروب تجارية، ولكن كانت في جانب كبير منها حروب دينية، ويكتسب ذلك أهميته في ظل ما يُشار حول طبيعة الكشوف الجغرافية، وهل كانت لأسباب اقتصادية؟ أم راجعة إلى عوامل دينية؟ علمًا بأن النظرة العلمية لا يمكن أن تقتصر على جانب دون الآخر.

وبالنسبة إلى ما لدى من استفسارات، فهي كالآتي:

– **السؤال الأول:** ما الذي حدث في صدام عام 1969، والذي كان صدامًا دمويًّا بين المالاي والهنود والصينيين. فما الذي حدث في هذه اللحظة تحديدًا على نحوٍ أدى إلى هذه الصدام؟ ومن أين جاءت الشرارة؟ ومن أي طرق؟ خاصة وأنه في ضوء ما ذكرت حضرتك من صفات وعناصر تتعلق بثقافة المالاي يكون من الصعب حدوث مثل هذه الانفجار، وبالتالي فإن الأمر يحتاج إلى تفسير وتحليل.

– **المسألة الأخرى،** كيف تقيم حضرتك خصائص ثقافة المالاي التي قدمتها، فهل تراها إيجابية أم سلبية، حيث إن المستمع مباشرة لما قلت، وإذا ما أحضرنا إلى جانب ذلك الإطار المرجعي الحداثوي، تبدو هذه الخصائص وكأنها سلبية تمامًا؟ وهل هذه الصفات مسئولة ضمن عوامل أخرى عن استمرار تعايش المالاي مع الصينيين والهنود، على نحو أدى إلى بناء نموذج تنموي تتضافر فيه هذه الأطراف؟ بمعنى هل يمكنني النظر إلى هذه الصفات على أنها ساعدت على استقرار الواقع متعدد الأعراق؟

– **السؤال الثالث:** أليس في هذه السمات جزء مما يُسمى "السمات الأسيوية" بصفة عامة خاصة كالمشي البطيء، والأدب، والتواضع، والاحترام، ونحن نعلم أن اليابانيين أيضًا لديهم هذه

الصفات وكذلك الصينيين؟ فهل لا أستطيع أن أقول أن هذه الصفات هي جزء من صفات المكان والجغرافيا، لاسيما وأنك ذكرت أمرين مهمين في هذا الإطار: أولهما، أن هناك مصادر لتشكيل الوضع الثقافي بماليزيا بينها الجغرافيا والزراعة، واتساع المساحة، والتحدي الاستعماري.

وثانيهما، أنك أكدت أن الإسلام ليس إلا مكون من مكونات ثقافة المالاي، وهذا إنما من واقع رؤية حضرتك لدور الدين في واقع التشكيل الثقافي والحضاري بصفة عامة.

إذن، فهل هناك في هذا الإطار وفيما ذُكر من صفات قواسم مشتركة بين المالاي والصينيين بحكم أنهم جميعًا آسيويين، كما تقول أننا كعرب مصريين، سوريين، وسعوديين، وجزائريين، وليبيين...إلخ، وبالرغم من خصوصياتنا الثقافية لكلٍ منا، إلا أننا بيننا سمات مشتركة بحكم أن جميعنا عرب، ولنا أيضًا سمات مشتركة أكثر عمقًا بحكم أننا مسلمون وفي الحقيقة فإن هذا الأمر يهمني كثيرًا.

-**سؤالي الأخير**: بما إن حضرتك قد درست أكثر من دولة إسلامية بالقارة الأسيوية مثل إندونيسيا، ودول وسط آسيا، كما اهتممت بإيران، ودول الخليج ولفترة من الزمن ليست بالقصيرة، فبالتأكيد أنك وجدت أن هناك خصوصيات ثقافية لشعوب هذه المناطق جميعها، ولكن هل تستطيع أن تقول أن هناك مشترك بينهم بحكم انتمائهم إلى الإسلام؟ وما قدر هذا المشترك ونحن دائمًا ما نقول أن هناك حضارة وثقافة إسلامية واحدة، في حين يُقال أحيانًا أن هناك ثقافات عدة للشعوب الإسلامية وليست ثقافة واحدة، كما ينبرى العديد من الناس للدفاع انطلاقًا من أن هؤلاء جميعًا ينتمون إلى دين واحد له تأثير على الثقافة والسلوك ونظام الحياة؟

وإن كنت لا أطلب إجابات لكافة لهذه التساؤلات، إلا أنه كان ولابد من إثارتها، لأنها بالتأكيد سترد إلينا مرة أخرى عند تناول التجارب الأخرى سواء فيما يتصل بإندونيسيا، أو باكستان، أو إيران، أو تركيا، وبالتالي ربما يكون من المفيد الاستفادة من رؤية حضرتك في مستهل هذه الدورة، خاصة وأنك أستاذ علاقات دولية مهتم بالتفكير العلمي المنظم، واستنتاج النتائج بناءً على وقائع ومعلومات دقيقة، كما أنه ربما يكون منهجك واقترابك مختلفًا عمن يلي من محاضرين فيما بعد.

فأريد أن يستفيد الحاضرون من ملاحظاتك التي لن تكون مهمة فقط بالنسبة للخبرة الماليزية، وإنما ستمثل إطارًا نظريًّا للتعامل مع النماذج التالية، إذ إننا لا نرغب في مجرد الاستماع إلى أخبار ومعلومات يمكن الحصول عليها من مواقع الانترنت المتخصصة في كل نموذج، بل نهدف إلى تعود الفهم والمقارنة، والتفسير والتحليل.

-**والتساؤل الأخير**: هو ما طبيعة "**الإسلام الحضاري**" الذي ترفعه ماليزيا كشعار، حيث تكتسب معرفة هذا الأمر أهمية بالنسبة لنا انطلاقًا من عملنا في إطار المنظور الحضاري للعلوم الاجتماعية، فماليزيا تتحدث عن "الإسلام الحضاري" وهناك موقع اليكتروني حول هذا الأمر،

كما يصدر عنه العديد من الإصدارات، فهل يكون هذا بديل عما يُطلق عليه: الإسلام الماليزي، والإسلام التركي ...إلخ؟

تعقيب د. محمد السيد سليم

حقيقة، أشكر د. نادية مصطفى، وأشكر الحضور جميعًا على هذه الأسئلة العظيمة.وبداية يجب أن أعترف أني أستفيد من هذه الأسئلة التي تدفعني إلى إعادة التفكير فيما قلت، حتى أني إذا قلت هذه المحاضرة ثانية لقلتها بطريقة مختلفة.

في الواقع، لدى إحدى عشرة مجموعة من الأسئلة سأبدأ في الإجابة عنها، وإن كنت ربما لا أتمكن من تغطيتها كاملة، ولكني سأتدرج في الإجابة من الأوضح إلى الأكثر تعقيدًا، خاصة ما طرحته د. نادية.

ولنبدأ بسؤالين محددين، أولهما، الخاص بسنغافورة، حيث وُصِفت بأنها مثل إسرائيل لأنه إذا كانت إسرائيل تفصل المشرق العربي عن المغرب العربي، فإن سنغافورة تفضل جزئين آخرين من العالم الإسلامي وهما ماليزيا وإندونيسيا، ولكن ليسمح لي من طرح السؤال بأن أختلف معه في التحليل لأن سنغافورة جزيرة ثلاثة أرباع سكانها من الصينيين، وقد صوتوا في عام 1963 صوتت سنغافورة لصالح الانضمام إلى دولة ماليزيا، حيث صوت سكان "صباح" و"سروواك" لأن يكونوا جزءًا من الاتحاد الماليزي، بينما الذي رفض أن تكون سنغافورة جزءًا من الاتحاد هو ماليزيا ذاتها، إذ قال "تنكو عبد الرحمن" "لا نريد سنغافورة في الاتحاد؛ وذلك لأن "لي كوان يو" رئيس وزراء سنغافورة حينها كان يهيم بالغرب حبًا ويعتبره النموذج الأساسي، وهو ما كان لا يقبله "تنكو عبد الرحمن"، ولذلك أرادوا التخلص من سنغافورة. وقد رحب "لي كوان يو" بذلك واستقر الأمر على هذا.

أتفق معك في أنه في البداية كان الإنجليز قد فصلوا سنغافورة عن الاتحاد وأن هذه المسألة كانت معبرة عن رغبة بريطانية لإعطاء سنغافورة وضع خاص، ولكن في النهاية –وكما أشرت– فإن السنغافوريين صوتوا لصالح الاتحاد مع ماليزيا، بينما رفض الاتحاد الماليزي هذا.

أيضًا، فإن المسلمون في سنغافورة والذين يشكلون حوالي 15% من سكانها يمثلون جماعة دينية مشوا جدة على نحو محل احترام ويقومون بوظائفهم، ولهم ما يُسمى "المجلس الإسلامي السنغافوري" وله مفتى هو الشيخ "محمد بن سُميط" خريج جامعة الأزهر، وهو رجلٌ فاضل وعالم يرعى شؤون المسلمين

ولكل هذا اختلف معك في أن سنغافورة نشأت لكي تقوم بوظيفة كالتي تمثلها إسرائيل من فصل بين أجزاء العالم الإسلامي. ويجب أن نميز بين كون سنغافورة دولة لها توجهات غربية – وهذا من حقهم شأن دول أخرى– وأن سنغافورة نشأت لتمثل هاجسًا في منطقة جنوب شرق آسيا،

إذ يجب الالتفات لأن مسلمي سنغافورة مسلمين مستقلين لهم أوضاعهم الخاصة، كما أن سنغافورة نجحت في تحقيق نتائج عظيمة، ولها علاقات طيبة بدول الجوار، صحيح أن هناك بعض الخلافات، ولكن شأنها شأن الخلافات بين أي مجموعة من الدول.

وبالمناسبة فإن "لي كوان يو" قد جاء إلى مصر مرتين عام 1964 طالبًا المعونة الفنية المصرية لبناء ميناء سنغافورة، إلا أن الرئيس "عبد الناصر" قد رفض لكونه لا يحب "لي كوان يو".وقد مرت السنوات بعد ذلك لنطلب نحن المعونة من سنغافورة لبناء ميناء شرق التفريعة ببور سعيد، ولكن في المقابل فإن "لي كوان يو" رفض وعندما ذهب "كمال الجنزوري" رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت ليقابله –وقد كنت في سنغافورة في ذلك الوقت– قابله "لي كوان يو" بكل برود، لدرجة أن "الجنزوري" تصور أن السفير المصري بسنغافورة ضالع في هذه المسألة، ولكن هذا السفير أوضح كيف أننا نحن الذين تسببنا في ذلك عندما رفض "جمال عبد الناصر" مساعدة "لي كوان يو" في البداية. ما أريده أن نضع الأمور في حجمها الحقيقي، فبالفعل هناك الآن خلافات بين سنغافورة وماليزيا ولكنها خلافات شأن غيرها بين العديد من الدول، حيث الخلافات المتصلة بالمياه والجسر البحري بين البلدين.

<u>السؤال الثاني:</u> وهو المتصل بالاستفسار عن لماذا لا يوجد فكر متشدد بماليزيا؟

وهذا الرأي أيضًا أختلف معه، لأنه يوجد فكر متشدد في ماليزيا، وهناك جماعات لا شك أنها جماعات متشددة مثل جماعة "دار الأرقم"، والتي كان أعضاءها يأخذون الشباب إلى المناطق الريفية ويعلمونهم الحياة على الطريقة القديمة جدًا. وقد قابلت بعض أعضاء هذه الجماعة. وهم يرتدون ما يُعادل القفطان الأزهري لكن لونه أخضر إضافة إلى العمامة الخضراء، كما يأكلون بأصابعهم، وهم يُفسرون الإسلام تفسيرًا في منتهى التشدد. وهذه الجماعات موجودة وبينها وبين "محاضير محمد" صدام مباشر، حتى أنه ألغى "دار الأرقم" بعد أن أفتى له الأزهر بهذه المسألة.

ويمكن القول أن معظم الجماعات الحالية الأخرى تعمل مع النظام، وتدخل في الانتخابات الديمقراطية، دون أن يعني ذلك أنه لا توجد جماعات مازالت تعمل خارج النظام في ماليزيا، إلا أنها أصبحت الآن مهمشة.

فيما يتعلق بموضوع "**<u>الإسلام الحضاري</u>**"، فإن هذا مفهوم طرحه "عبد الله بدوي" رئيس الوزراء الحالي والذي كان وزيرًا للخارجية، أي أنه مفهوم أتي فقط مع "عبد الله بدوي". وفي تقديري فإن "بدوي" الذي أتى رئيسًا للوزراء عقب "محاضير محمد" ذي الكاريزما وصاحب الأثر الذي لا يُمحى في تاريخ ماليزيا، حيث حكم في الفترة من 1983 إلى 2003 حتى أننا عندما نتحدث عن ماليزيا نقول ماليزيا أي "محاضير محمد"، أراد أن يخرج من عباءة "محاضير محمد" عن طريق تدشين مفهوم جديد يرتبط باسمه، وساهم في ذلك أن "عبد الله بدوي" ينتمي إلى أسرة

إسلامية فكان والده شيخًا وفقهيًا عظيمًا جدًا. ويقصد بالإسلام الحضاري، كما أوضح في كتابه المتعلق بهذا الأمر الآتي: أن نعم نحن نريد دولة إسلامية، ولكنها دولة إسلامية كما يراها الإمام "محمد عبده" أو ما هو أقرب لهذا، فهو لا يقصد أن هناك إسلام حضاري وآخر غير حضاري، وإنما يريد أن يقول أن الإسلام الحضاري هو الذي يتفق ويتوافق مع الحضارة المعاصرة والذي تقبله الحضارة المعاصرة ويقبل هو الحضارة المعاصرة ويقبلها هو.

وقد سُئل "عبد الله بدوي" كثيرًا في هذا الأمر، ولذلك فإنه في كل مكان يذهب إليه بجنوب شرق آسيا يقول هذا الكلام، ويؤكد أنه فُهم خطأ، حيث ظن البعض أنه يقصد أن هناك إسلام غير حضاري، حيث يقول: أنا لا أقصد أن هناك إسلام غير حضاري على الإطلاق، وإنما أقصد التأكيد على الإسلام الذي يقوم على العلم ومنجزاته، وعلى إعمال العقل، والاستناد إلى قواعد الشريعة الإسلامية، وتفسيرها طبقًا للظروف المتغيرة.وأعتقد أيضًا أن "بدوي" يقصد خلق مفهوم يُذكر به فيما بعد.

ويقود معهد " أيكيم" الذي هو معهد التفاهم الإسلامي في كوالالمبور هذا المفهوم الآن ويُحاول تطويره، ولكنه لم يُقدم كثيرًا هذا الأمر.

فيما يتعلق بموضوع "**لماذا نهضت ماليزيا؟**" وقد تكرر السؤال، فهل هذا نتيجة ما فعله "محاضير محمد" للماليزي خاصة ما يتصل بالسياسة الاقتصادية الجديدة؟ أم كان ذلك نتيجة للوجود الصيني؟ أم حدث هذا نتيجة الإسلام؟ وهذه هي التفسيرات الثلاثة التي قدمت في هذه الجلسة.

وقد تكون الإجابة الأيسر أن نقول أن كل هذه الأسباب أدت إلى نهضة ماليزيا، لكني أعتقد مع التسليم بصحة كل هذه الإجابات أن السبب الرئيسي في نهضة ماليزيا يرجع إلى "محاضير محمد" كشخص. إذ إن الفرد يصنع التاريخ، فالفرد النموذج لديه القدرة على صناعة التاريخ. وقد رأيت ذلك في ماليزيا بنفسي وبناءً عليه سأذكر لكم لم أقول هذا الكلام؟

فمحاضير محمد قد نقل ماليزيا من عالم إلى عالم؛ مما يثبت أن القيادة السليمة ذات الرؤية تستطيع أن تحرك مجتمعًا بأسره. و"محاضير محمد" كان طبيبًا حاصل على بكالوريوس في الطب والجراحة من كلية الملك "إدوار" في سنغافورة، أي أنه لم يتعلم سياسة، لكنه ثقف نفسه، واستطاع أن يُقدم نموذجًا.

ومع تسليمي بدور الصينيين، وبدور الدين الإسلامي، إلا أن "محاضير محمد" استطاع أن يقدم نموذجًا صالحًا للجميع، وأهم أسسه هي: 1- أنك أمام قيادة نزيهة وهذا المثال ضربه "محاضير محمد" لكل المجتمع الماليزي، فإذا ما ذهبتم إلى جزيرة تسمى "لنكاوي" بماليزيا –وهي جزيرة سياحية– ستجدون بها متحفًا يُسمى متحف "محاضير محمد"، وقد ظنت للوهلة الأولى أنه

يضم صورًا وتماثيل له، إلا أن من رافقوني في الزيارة أخبروني أني سأرى ما لا أتوقعه، وبالفعل فإني عندما ذهبت إلى هذا المتحف الموجود في ثلاثة أدوار على مساحة واسعة، وجدت ما لا أصدقه، حيث رأيت كل هدية تسلمها "محاضير محمد" طوال فترة عمله بالسياسة إلى يوم أن غادر السلطة وقد أودعها في هذا المتحف، فلم يأخذ شيء لنفسه، أي لم يتربح من السلطة على الإطلاق، فقد ضم هذا المتحف الهدايا من أقل الأشياء إلى أثمنها من سيارات "مرسيدس" لم تستعمل وموتوسيكلات ودراجات وأقمشة ودراجات فضية، ومسجل من الذي أهداه هذا الشيء ومتى. لدرجة أنه عندما زار "محاضير محمد" هذه الكلية مرتين أولاها حينما كان رئيسًا للوزراء في يوم 22 يونيه عام 2000، واستقبل في مدرج الدكتور "زكي شافعي" الذي كان ممتلئًا بالحاضرين، أعطيته حينها طبقًا من الفضة اشتريته بمبلغ 400 جنيه، وقد وجدته في المتحف.

وقد قال لي المرافق الذي كان معي وهو نائب رئيس جامعة شمال ماليزيا لو أن هذه الأشياء بيعت لكان "محاضير محمد" قد أصبح بليونيرًا، لكنه لم يأخذ شيءً لنفسه أو لأولاده وبينهم "مخرز" الذي قابلته هناك، وإن كان يتهم من قبل بعض أطراف المعارضة بذلك.

في رأيي أن هذا النموذج الصالح ما لبث أن انساب في جميع المجتمع الماليزي وأنتج هذه القيم المتعلقة بالأمانة، وعدم التربح.

2- أن "محاضير محمد" اتبع سياسة "اتجه شرقًا" ودخل في شراكة اقتصادية وتكنولوجية مع اليابان خاصة، إذ زار اليابان، وأخذ النموذج الياباني، وشجع اليابانيين؛حيث كان يكره الغرب ولا يعتبر أن النموذج الغربي نموذجًا صالحًا، حتى أن أول مؤتمر "كومنولث" بعد توليه رئاسة الوزراء لم يحضره.

وقد أدت هذه الشراكة مع اليابانيين إلى جلب الصناعات اليابانية إلى ماليزيا، كما كان هناك استفادة من العمالة الرخيصة في ماليزيا، حتى استطاعت ماليزيا اليوم أن تصبح مصدرة للتكنولوجيا، وبحسب إحصاءات تقرير التنمية البشرية لعام 2006، فإن نصف صادرات ماليزيا الصناعية مواد تكنولوجية متقدمة High-Tech، وليست تكنولوجيات بسيطة، أي أن ماليزيا أصبحت حقيقةً دولة متقدمة.

وأرى أن "محاضير محمد" استطاع في النموذج الذي قدمه أن يدمج بين القيم الإسلامية والقيم الاستراتيجية، فقيم النزاهة والثقافة هي في الأصل قيم دينية موجودة بالإسلام. وأيضًا مسألة أن يكون الصدام بينه وبين التيارات المتشددة في أضيق نطاق تدخل في هذا النطاق.

كذلك فإن "محاضير محمد" هو الذي أنشأ البنوك الإسلامية بماليزيا، كما أنه هو الذي أنشأ الجامعة الإسلامية هناك، وهو الذي أقنع كلاً من المالاي والصينيين والهنود بأن الإسلام مكون مهم لهذا المجتمع، ويجب أن يقبلوه جميعًا، لأنه يساعد على التنمية، فكون خليط بين هذه المسائل.

وأؤكد ثانية أن القيادة النزيهة والحكيمة التي قدمها "محاضير محمد" كانت عاملاً أساسيًّا في نهضة هذا المجتمع، ولا شك أنه في نفس الوقت استفاد من الصينيين وخبراتهم.

ونحن للأسف قد تجاهلنا، هذه النقطة المهمة المتعلقة بالاستفادة بالأجانب فعندما بدأنا التنمية في عهد "عبد الناصر" اتبعنا سياسات أدت إلى خروجهم الأجانب من مصر كاليونانيين، والإيطاليين، والذي كانوا يمثلون مصدر خبرة مهم بالنسبة لنا، أما "محاضير محمد" فقد حرص على ألا تخرج هذه العناصر بل تظل كخبرة أجنبية متجانسة باعتبارهم مواطنين، ولذلك يجب أن نعترف أننا خسرنا هذا المصدر للخبرة في خلال أعوام (1956– 1957– 1958)، لاسيما وأن هؤلاء الأجانب كانوا يسافرون إلى بلادهم في أجازات ثم يعودون إلينا بأحدث ما في دولهم من تطورات إدارية وتنظيمية وغيرها.

نقطة أخرى مهمة أود الإشارة إليها، وهي أنه لم يدخل في صدام مع الطبقة الرأسمالية في ماليزيا سواء كانت من الصينيين، أو المالاي، فهو لا يؤمن إطلاقًا بفكرة التأميم، أو المصادرة التي اتبعناها، حيث يقول "أنا لا أؤمم، أو أصادر"، وإنما يترك لكلٍ ما في يده. وفي ذات الوقت قام بعملية تنمية جديدة ليعطي الفقراء والمالاي نصيب أكبر، بمعنى أنه وسع الكعكة الماليزية، ومن الأجزاء الجديدة أعطى المالاي والفقراء نصيب أكبر دون أن يأخذ ما في يد الطبقات الأخرى، إذ أدرك أنه إذا ما قام بذلك فإنه سيكون بداية الانهيار، وقد قال هذا صراحة. وفي ضوء هذا، أدعوكم لقراءة كتاب "الفكر السياسي لمحاضير محمد" الذي أصدره برنامج الدراسات الماليزية، والذي ستجدون فيه هذا الكلام تفصيلاً.

فـ"محاضير محمد" لم يؤمم، ولم يقتبس النموذج الغربي، كما هاجم النموذج الشيوعي الماركسي، وأكد أن لماليزيا نموذجها الخاص بها، وأن نقطة البدء في هذا النموذج هي القيادة الماليزية.

ويجب الانتباه أيضًا كيف أن "محاضير محمد" ذاته جسد كل ما ذكرته من قيم كالبساطة والتواضع، لكنه اختلف عن المالاي في أنه كان مدركًا لوجود قيم سلبية في ثقافة المالاي، واعترف بها منذ البداية في كتابة "معضلة المالاي" سالف الذكر، وسعى قدر جهده لتغيير هذه القيم، فكان يقول أن ما يُمارس من كسل واسترخاء وإيمان مطلق بالقضاء والقدر وإرجاع كل شيء إليه ليس من الإسلام في شيء، وإنما يجب أن يُغير إلى حدٍ كبير.

وبالنسبة: ماذا حدث في عام 1969؟فهذا بالطبع موضوع شديد الأهمية، فلعله من الغريب أن يحدث مثل هذا الصدام أو الانفجار بالرغم من القول بأن المالاي يتمتعون بدرجة عالية من الهدوء والدعة والتسامح والميل إلى عدم العنف وتفادي الصراعات، ولكن ما حدث أنه منذ استقلال ماليزيا عام 1957 وعبر 12 عامًا حتى عام 1969 تراكمت الثروة بشدة في أيدي الصينيين كما أنه خلال حكومة "تنكو عبد الرحمن" ثم حكومة "حسين عبد الرزاق" لم يكن

هناك اهتمام برفع مستوى المالاي، في حين استمر تميز الصينيون كأناس منظمين يعملون كالمجندين والفرق العسكرية، فضلاً عن ذلك فإن "المالاي" وبرغم أن لديهم تنظيم "الأمنو" إلا أنهم لم يُشاركوا في الانتخابات خلال عام 1969 أوقد يكونوا شاركوا بنسب قليلة بينما شارك الصينيون بنسب مرتفعة، وبالتالي أصبح تمثيل الصينيين في البرلمان بمجلسيه أعلى من المالاي.

وقد احتفل الصينيون بهذه المناسبة في الميادين العامة بكولالمبور وأطلقوا الأعيرة النارية وارتفعت أصوات السيارات ورددوا شعارات مثل "وانتشرت الصين"، و"هبط العصر الصيني إلى ماليزيا"، مما شكّل تحديًّا شديدًا للمالاي، حتى أنهم في اليوم التالي واجهوا هذا ردوا بمظاهرات مماثلة وإطلاق شعارات مثل: "نحن المالاي، نحن المسلمون".

وبالتدريج ووفق عقلية الجماعة أو عقلية القطيع وقع الصدام، إذ أطلق عيار ناري من هذا الجانب ورُد عليه بآخر من الجانب الثاني فتحولت المسألة في يوم 13 مايو 1969إلى مذابح لم تشهد لها ماليزيا مثيلاً في السابق أو اللاحق، وإثر ذلك أعلنت الحكومة حالة الطوارئ على الفور، ومُنِع التجول في كولالمبور والمدن الكبرى ، وذلك إلى أن هدأت المسألة.

وقد أدركت الحكومة الماليزية فيما بعد أن السبب الأساسي لهذا الصدام وأساس هذه الاضطرابات تلك النقطة المتصلة بالتفاوت بين مصدري القوة الاقتصادية والقوة السياسية، وأن المالاي لا يدركون أهمية القوة الاقتصادية.

وبالتالي، أصبح هدف الحكومة بعد ذلك –وكما قلت– تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة التي عملت على إعطاء المالاي جزء من القوة الاقتصادية.

هل عناصر ثقافة المالاي بها إيجابيات أم أن جميعها سلبية؟

إن الثقافة –في رأيي– واقع معطي، وقد راقبت وقرأت تقييمات كثيرة حولها، بالرغم من أني لست ممن يؤيدون تقييم الثقافة فهي معطى أحاول فقط أن أتعرف على تأثيره في السلوك الاجتماعي والسياسي، لكن إن حاولت الإجابة على هذا السؤال، فلاشك أن هناك عناصر سلبية في ثقافة المالاي وكثيرون يكتبون عنها وهذا مثل فكرة عدم الميل إلى الإنجاز، وفكرة بذل أقل قدر ممكن من الجهد لتحقيق نتيجة معينة، إلا أنه على الجانب الآخر أيضًا هناك إيجابيات كالأفكار المتعلقة بالتسامح وقبول الآخر، إلا أن ما أريد التبنيه إليه هو أن فكرة قبول الآخر هذه لا تعني أبدًا أن المالاي يقبل الصيني البوذي أو الهندي الهندوسي بشكلٍ كامل، فهو نعم يقبله كمواطن وجزء من المجتمع، لكن تظل دائمًا هناك مسافة قائمة حيث يحاول المالاي الحفاظ على هويته.

وتقول بعض الدراسات/الإحصاءات أن "بينانج" أغلبيتها من الصينيين، وأن كولالمبور العاصمة حوالي 40% من سكانها من الصينيين، أي أن المالاي ليسوا بأغلبية سواء في "بينانج" أو في "كولالمبور"، وكذلك مدن أخرى، ولكن لماذا؟

هذا لأنه حينما تنمو مجتمعات حضارية، يتوسع النشاط الصناعي فيها، وتبدأ الفكرة الصناعية تنتشر في المدينة، فإن المالاي لا يرتاحون لهذه المسألة فيبدأون في الهجرة من هذه الأماكن إلى أماكن زراعية ريفية تتفق مع ثقافتهم التقليدية فالمالاي هاجروا من "بينانج"، لدرجة أنك إذا ذهبت إلى هناك لتصورت أنك في الصين، علمًا بأنه لم يطلب أحد من المالاي أن يهاجروا من هذه المدينة، ولكن هم الذين اختاروا هذه المسألة لأنهم لا يرتاحوا لفكرة وعقلية المدينة، ومناخ الـBusiness الذي يقوم على أن كل شيء مقابله شيء، والأمر نفسه بالنسبة لهجرتهم من " كولالمبور" إلى الشمال.

فيمكن القول أن مسألة قبول الآخر تتركز بالأساس على مستوى النخبة، أما على مستوى القاعدة فإن الأمر يختلف، فما زال من الصعب أن تجد قرية يعيش بها المالاي والصينيون معًا. وبشكلٍ عام، هناك قيم إيجابية فيما يتصل بهذه المسألة كالتمسك بالقيم الدينية والقيم التاريخية، والقبول بالتغيير التدريجي فقط حيث لا يقبلون الطفرة ولذلك رفضوا حزب "المالاي الشيوعي" والذي يدعو لتغير على النمط الشيوعي الجذري، كذلك فكرة دعم استقرار الحكومة حيث حكومة "الأمنو" المستمرة منذ عام 1957 وحتى الآن، أي أن هذا الاستمرار ليس لأن الحكومة تزور الانتخابات، ولكن كل خمس سنوات تجري انتخابات نزيهة يصوت المالاي خلالها لصالح الحكومة. وأعتقد أن هذه فكرة جيدة فطالما أن الحكومة نزيهة وتعمل بشفافية وطالما أنك قادر على إسقاط الحكومة من خلال صندوق الانتخابات فلا مانع أن تبقى الحكومة لمائة عام من خلال التصويت لها عن طريق الانتخاب الحر. وهذا ما كان يحدث في ماليزيا وهذا ما قاله "محاضير محمد" الذي دائمًا ما يُصرِح بأنه ديمقراطي وليس ليبراليًا، حيث "المالاي" لا يقبلون الليبرالية والفكر الليبرالي عامة، فيُعد عيبًا لديهم أن تقول أنك ليبرالي، وقد كتب "محاضير محمد" في توضيح كيف أن هذه المسألة مستهجنة، إذ يقول إني نعم أصوت في الانتخابات ولكن لا يعني ذلك أني ليبرالي بمعنى أن أفعل ما أريد ، فالشاب ليس حرًا في أن يطيل شعره مثل الفتيات، وإنما يُعد هذا أمر غير مقبول ويضعه في السجن جزاءًا له، كما أنه ليس مقبولاً أن ترتدي أي امرأة رداءً قصيرًا، حيث كذلك يُقبض عليها.

فـ"محاضير محمد" دومًا يقول: أنا أرفض فكرة الحرية الفردية المطلقة؛ لأنها لا تتفق مع الدين، ولا تتفق مع قيم المالاي، ولا تتفق مع المجتمع، وفي الوقت نفسه أنا ديمقراطي وأن مجتمع المالاي كذلك ديمقراطي، ولكنه ليس مجتمعًا ليبراليًا، ونحن نرفض الليبرالية في مفهومها الغربي الذي يجعل الإنسان يفعل ما يشاء.

أيضًا طُرح سؤال عن مصادر ثقافة المالاي، وأعتقد أني قد أجبت عليه فيما سبق، كما لخصت د. نادية مصطفى النقاط الخاصة بهذه المسألة، وبالتالي لن أخوض في هذه النقطة مرة أخرى، وإنما بشكلٍ مجمل –وكما ذكرت– فإن العامل الجغرافي كان أمرًا مهمًا حيث المناخ والمساحة، إلى جانب تأثير كلٍ من العامل الديني، والتحدي الاستعماري والصدام الذي حدث مع المالاي، فجميع هذه العوامل ساهمت في تشكيل ثقافة المالاي ويجب أن نفهم هذه الثقافة في ضوئها.

أما فيما يتصل بالسؤال عن المشترك بينهم وبين الأسيويين، وبينهم وبين العالم الإسلامي، فأرى أنه سؤال عظيم جدًا. فلا شك أن هناك مشترك، لاسيما وأن ماليزيا هي حلقة وصل بين عالمين هما: عالم أسيوي موجود شرقًا وهو تحديدًا عالم شرق آسيا وجنوب شرق أسيا بداية من اليابان والصين ودول جنوب شرق آسيا بما فيها إندونيسيا، وعالم آخر هو الغرب منها ويضم الهند والمشرق العربي وبقية العالم الإسلامي، وأتصور أن ماليزيا نقطة تقاطع بين هذين العالمين، أي بين عالم القيم الأسيوية وعالم القيم الإسلامية، وأن هذين العالمين أثرًا في تكوين القيم الماليزية وقيم المالاي بالتحديد بشكل يقول أنه بالفعل هناك مشترك بين قيمهم وقيم العالم الإسلامي، خاصة وأنهم مسلمون في النهاية وهناك نوع من التعاطف بينهم وبين العالم الإسلامي.

هناك مصطلح مستعمل في ماليزيا مقابل مصطلح "شرفة مكة" بلغة المالاي،ربما هو "سربني مكة" وهو المكان الذي كان يلتقى فيه الحجاج من المالاي في تاريخ ذهابهم إلى مكة للحج. وظل هذا المصطلح يُستعمل إلى أن أصبح مفهوم أن ماليزيا أو عالم المالاي نافذة عالم جنوب شرق آسيا إلى العالم الإسلامي والمشرق الغربي، أي نحن نقطة الانطلاق إلى العالم الإسلامي حيث لدينا الفكر الإسلامي، وبلورة القيم الإسلامية جديدة، ما يُفسر علاقتهم الطيبة بالعالم الإسلامي، ولكن في نفس الوقت يجب أن نذكر بأن جزء منهم صينيون آسيويون ولديهم أيضًا فكرة الترابط الجماعي واحترام الصغير للكبير في إطار فكرة التدرج الاجتماعي، التي هي بالأساس فكرة أسيوية موجودة في الثقافتين الصينية واليابانية، ولكن ما يُميز الثقافة الماليزية عن الثقافة اليابانية، أن الياباني الحديث المعاصر صارم ومنضبط، بل فظ وغليظ القلب، وفي بعض الأحيان دون قلب، حيث إن هذه هي يابان الحداثة المعاصرة. وقد تندهشون إذا ما قلت لكم إن أعلى نسبة انتحار في العالم موجودة باليابان، إذ ينتحرون أمام قطار الـ"شنكنش" والذي يسير بسرعة 300 كم في الساعة، أي أن الياباني ينتحر أمام واحدة من أحدث منجزاته؛ ذلك لأن المجتمع الياباني أصبح مجتمع العزلة، والعقلية التجارية التي تقوم على انصرامة والانضباط المبالغ فيه، ولا شيء هناك من التعاطف الاجتماعي، ولكن ما في اليابان هذا ليس موجودًا في عالم المالاي، فنجد معدلات الانتحار غير مقبولة دينيًّا فضلاً عن مجتمعهم الزراعي وما يتميز

به من تراحم وتوافق على نحوٍ غير موجود باليان، وعليك أن تذهب إلى اليابان لتعلم ما أقول، حيث إني ذهبت إلى هناك ما يقرب من سبع أو ثمان مرات وسألت نفسي: هل تحب أن تعيش في اليابان؟ وكانت الإجابة بكل وضوح وصراحة: لا أحب أن أعيش في هذا المجتمع رغم تقدمه الشديد تكنولوجيًّا؛ ذلك لأنه مجتمعٌ لا يعرف البعد الإنساني، هذا البعد الموجود عند المالاي.

أيضًا أتفق في أن الإسلام يخلق مجموعة من القيم، ولكني قد سُئلت منذ يومين أو ثلاثة سؤال مفاده أن الباكستانيين مسلمين وكذلك المصريين في حين تختلف أوضاعهم، وبالتالي على أن أفسر في ضوء ذلك التطورات المعاصرة في كلا البلدين، فكيف قام الباكستانيون بتغيير نظامهم السياسي، بينما يختلف الأمر في مصر.

وهذا يعني أن الدين مجموعة من القيم تأخذ طابع خاص لدى كل شعب ولدى كل قومية أو مجتمع أو بيئة طبقًا لمجموعة من العوامل مثل العامل الجغرافي، والتاريخي، وغير ذلك من العوامل.

إذن، فالدين الإسلامي لدى "الأوردو"، غير الدين الإسلامي لدى المصريين أو المسلمين الهنود. نعم هناك القيم ذاتها، وهناك رابط مشترك بين المسلمين في أي مكان بالعالم بحيث إننا إذا ذهبنا لأبعد قرية في تركيا أو إيران أو في اليابان ذاتها فعلى الأقل سنستطيع أن تقرأ معًا الفاتحة، ولكن عندما تترجم هذه القيم في المجال السياسي فإن الأمر يختلف، ويصبح مجتمع المالاي غير المجتمع الباكستاني أو المجتمع المصري، حيث تأخذ القيم الإسلامية طابعًا محليًّا يقترن بالتراث التاريخي، فنحن على سبيل المثال لا يمكن أن نفسر السياسة المصرية فقط في ضوء أننا مسلمون، وإنما هناك عوامل أخرى كتراثنا الفرعوني القديم، وموقعنا الجغرافي المركزي من النيل.أي أنه هناك قيم مشتركة بين جميع المسلمين، وكذلك بين المالاي خاصة وغيرهم من المسلمين، لكن لا شك أن هناك اختلافات.

وأود في هذا الصدد الإشارة إلى مناظرة دارت في عام 1998 بين أنور إبراهيم والدكتور عبد العزيز التويجري المدير العام للمنطقة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وقد كانت مناظرة رائعة جدًا أشرت إليها في كتاب "الإسلام والتنمية في آسيا" الصادر عن مركز الدراسات الآسيوية، وكانت تدور حول السؤال الذي نطرحه كثيرًا الآن وهو لماذا تقدمت ماليزيا، بينما لم يتقدم المشرق العربي بنفس الشكل؟

وكانت إجابة "أنور إبراهيم"، والتي تتفق مع تحليلي كالآتي: "إننا تقدمنا لأننا فهمنا الإسلام بمعناه الحقيقي، وعلمنا وسطيته، واستطعنا خلق التوليفة الصحيحة بين متطلبات التنمية ومتطلبات الدين الإسلامي"، قاصدًا بذلك أن العرب لم يفهموا الإسلام في معناه الحقيقي، وبالتالي لم يُحققوا التقدم، الأمر الذي لم يقبله "التويجري" الذي قال "إن أثار الاستعمار في بلادنا كانت أبشع كثيرًا مما كان في ماليزيا، حيث دمر الاستعمار البنية التاريخية لبلادنا وكذلك البنية

الاجتماعية، وبالتالي بدأنا من الصفر في مرحلة ما بعد الاستقلال، بينما لم يحدث ذلك لديكم. وبناءً على ذلك فإنكم عندما بدأتم التنمية كان لديكم بنية تحتية تعتمدون عليها".

ولا أريد أن أقول لأي وجهة نظر انحاز، واترك التقدير لكم، وإن كنت أرى –وهذا رأيي الشخصي– أن أنور إبراهيم كان أكثر صحة في رؤيته.

وعن التساؤل حول تأثير الغزو الثقافي في المجتمع الماليزي وكيف أثر ذلك في مسيرة ماليزيا، نعم هناك غزو ثقافي لماليزيا حاليًا، وبالرغم من نجاح الماليزي القدامى في وقف الغزو الثقافي والتحويل الديني البرتغالي والهولندي والإنجليزي وخلقهم جدار أمام هذه المحاولات، فإنه يصعب خلق مثل هذا الجدار في ظل العولمة والفضائيات والأقمار الصناعية والامتزاج بين الشعوب، أي أن القيم الغربية بدأت تؤثر في مجتمع الماليزي إلى حدٍ كبير، وهو ما يمكن إذا ذهبت إلى ماليزيا أن تدركه مباشرة، إذ إن هناك جيل من الشباب الجديد يؤمن بهذه القيم، ولا أخفى عليكم أيضًا أن هناك محاولات جادة وقوية لنشر القيم المسيحية بماليزيا من خلال عمليات تنصير شديدة نتيجة دخول العناصر الأجنبية بشكلٍ كبير، إلا أن هذا جانب مسكوت عنه ولا يتحدث عنه أحد. وهل أفاجئكم إذا قلت لكم أن هناك قضايا معروضة أمام المحاكم الماليزية لشباب يريد أن يتحول عن الدين الإسلامي، بينما ترفض المحاكم الماليزية هذه المسألة، وهذه القضايا عددها ليس بالقليل نتيجة لهذا الغزو الثقافي الغربي.

وقد يكون كلامي هذا مؤلمًا، لكن يجب أن نعترف به ونتنبه له، فبالرغم من أن الحكومة الماليزية تحاول أن تمنع هذا الأمر، إلا أن الآخرين يتحدثون عن المساواة كما حدث في مجتمعنا المصري ولكن في ماليزيا هذه الحالات أكثر. ولكن لماذا؟لأن الماليزي –كما علمتم– يشكلون ما بين 56– 57% فقط من السكان، بينما 43% من السكان من غير المسلمين.

والمسلمون الماليزي لديهم منظمة "بركين" التي تسعى لنشر الإسلام بين الصينيين، وفي المقابل فإن الصينيين لديهم نفس الشيء، كذلك الهنود المسلمين لديهم جماعة التبليغ لنشر الإسلام بين الهنود الماليزيين الذين بدورهم لديهم جماعات تحاول نشر ديانات أخرى في ماليزيا.

أيضًا فإن كان المسيحيين يمثلون 9% من سكان ماليزيا فإن هذه النسبة تعد مرتفعة في مجتمع من المفترض أن يكون سكانه إما من المسلمين أو البوذيين أو الهندوس، مما يعني أن هذه النسبة كانت نتيجة للعمليات سالفة الذكر والمتصلة بالغزو الثقافي الغربي وأعتقد أن "عبد الله بدوي" يسعى جاهدًا لمواجهة هذا الأمر.

ومن هنا أرى أن مفهوم "الإسلام الحضاري" قد يُستدعي أيضًا في هذا السياق، حيث يريد "عبد الله بدوي" أن يُقدم الإسلام للشباب والأجيال الجديدة على نحو يُوضح أن الإسلام ليس هو فقط قطع يد السارق وجلد الزاني، بل الإسلام أكبر من ذلك كثيرًا، فهو نظام سياسي واقتصادي وثقافي.وأؤكد أنه بالفعل هناك غزو ثقافي بماليزيا وتأثيره ليس هينًا إلى حدٍ كبير.

د. نادية مصطفى:

أعتقد أننا أخذنا جرعة كثيفة، ومنظمة، ومنهجية للتفكير في موضوع شائك ومعقد ومتداخل الأبعاد، حيث يطرح كافة أبعاد العلاقة بين السياسي من ناحية، والديني والثقافي والحضاري من ناحية أخرى في نموذج خاص لماليزيا، وتتكرر نفس الإشكاليات حول نماذج أخرى نتناولها في الأيام المقبلة بإذن الله.

باسمكم وباسم برنامج "الدراسات الحضارية وحوار الثقافات" وباسمي شخصيًّا أقدم خالص شكري وتقديري إلى د. محمد لأنه لم يكن هناك من أحد قادر على أن يُقدم لنا هذا النموذج الماليزي من داخله بكل هذا الثراء، وبدون خبرته الشخصية وعلمه الغزير بالموضوع.

الخبرة الإندونيسية*

د. نادية مصطفى:

سيُحدثنا كل من أ. خالد مصلح ود. مصطفى كسبة عن خريطة الواقع الثقافي والمجتمعي والسياسي بإندونيسيا، على نحو نأمل أن يُلقى الضوء على الجوهر الأساسي لهذه الدورة، وهو الكشف عن سمات التعدد والتنوع داخل التجارب محل التناول وبينها التجربة الإندونيسية لمعرفة كيف تقدم نموذجًا في حد ذاتها.

وعلينا أن نُقارنها مع النموذج الماليزي المطروح بالأمس، ثم مع النموذج الباكستاني، الذي سيُطرح اليوم وهكذا، حتى يتضح لنا من خلال الإطار المقارن أن المسألة لا تقف فقط عند تناول كيف تتعدد وتتنوع مكونات بعض الشعوب الإسلامية، ولكن أيضًا الأمر يتعدى ذلك لنتتبع هذا التنوع على صعيد الحضارة الواحدة، حيث التساؤل حول ما إذا كان هذا التنوع سلبي أم إيجابي؟

أ. مصطفى دسوقي كسبة:**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الشكر الواجب إلى أستاذتي العالمة الجليلة الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى على تفضلها لدعوتي للمشاركة في هذه الدورة التدريبية.

كلمتي ستنحصر في بعض المحاور أو النقاط، حيث سنُلقى الضوء على السكان في إندونيسيا، والديانات، وكيفية دخول الإسلام والثقافات الأخرى إلى إندونيسيا. ولكن الجزء الأكبر من مداخلتي سيتركز على ما شاهدته وما عينته خلال زيارات امتدت لما يقرب من تسع زيارات إلى إندونيسيا بدأت منذ عام 2003 واستمرت حتى أسبوعين مضيا.

<u>وعن السكان</u>، فإن معظم السكان في إندونيسيا من المالاي، وهناك –كما تشير الدراسات– حوالي ثلاثمائة مجموعة عرقية، يُضاف إلى ذلك أن هناك أكثر من خمسمائة لهجة. وقد وصل عدد السكان طبقًا لتقديرات عام 2001– 2002: إلى حوالي 228 مليون نسمة، وطبقًا للتقديرات الأخيرة فإنه زاد الآن على 240 مليون نسمة.

هذا التعدد العرقي والتنوع في اللهجات قد لا يستغربه البعض، إذا علمنا أن عدد الجزر الإندونيسية يقترب من حوال ثلاث آلاف جزيرة، وأكبر هذه الجزر جزيرتي "جاوة" و"سومطرة"، إلى جانب بعض الجزر الأخرى مثل "سلاويسي" و"كليمنتان"، أما الجزيرة المحورية فإنها تبقى جزيرة "جاوة". وتضم جزيرة "جاوة" العاصمة السياسية "جاكرتا"، وكذلك العاصمة الاقتصادية

---

* نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

** مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر

والعلمية التي هي "جوك جاكرتا"، كما أن هناك مدن كبيرة أخرى بهذه الجزيرة منها "سورابايا" و"سولا ويسى"، ونجد أن هذه المدن تجمع ما بين ثقافات مختلفة، فإذا ما بدأنا بالعاصمة "جاكرتا" سنرى أن بها عملية تحديث متمثلة في ناطحات السحاب التي تصل إلى أكثر من ثلاثين طابق. وقد ظهرت هذه المباني حديثًا في عهد "سوهارتو" الذي تولى الحكم في عام 1966، ورحل بعد الأزمة الاقتصادية بجنوب شرق آسيا في عام 1977 نتيجة الظروف السياسية والدولية التي حتمت ذلك.

ولكن النمط المعماري الأساس هناك به ملمح مهم جدًا يُلاحظ وجوده بمعظم المباني في إندونيسيا، إذ تتكون من طابق واحد أو اثنين، كما أنه يتعمد على المواد الخام المحلية وخاصة الأخشاب، والتربة الطينية المتوافرة هناك، وبعض الأسمنت المسلح. ويتكلف المبنى هناك على الأكثر ما لا يزيد على ألفين دولار، أي من 10–15 ألف جنيه مصري، وذلك بالنسبة إلى السواد الأعظم.

وهناك نمط معماري آخر هو العمارة الإسلامية التي نراها في المساجد والجامعات ودور العلم عامة بما فيها المعاهد والمدارس، يُضاف إلى ذلك نمط معماري آخر موجود في المطارات كمطرات "جاكرتا"، و"جوك جاكارتا" و"سوباريا"، و"سولو"، حيث توجد تأثيرات بوذية وكنفشيوسية، وهندوكية، بالإضافة إلى وجود أنماط معمارية ترجع إلى عهد الاستعمار الهولندي.

وعن الديانات، فإني أود القول أن عدد السكان البالغ 240 مليون نسمة يمثل المسلمون 85% منه، كما هناك حوالي 0.6% من البروتستانت، و2.3% من الكاثوليك، و0.2% من الهندوس، و0.1% من البوذيون.

ورغم أننا نلحظ أن السواد الأعظم في هذه التركيبة من المسلمين، لكن على جانب آخر نجد أن الصينيين والذين يشكلون فقط 3% من السكان –وهم إما من البوذيين أو قد يكونوا دخلوا المسيحية– يسيطرون على 70% من الاقتصاد الإندونيسي.

وأشارت إلى هذه المسألة الإحصائية "إيمي تشوا" –وهي أستاذة في العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية بالولايات المتحدة وهي من أصل كوري– في كتابها "عالم تشتعل فيه النار"، حيث تقول فيه أيضًا إنه في العالم الذي سادته العولمة والسوق الرأسمالية الحرة أصبح هناك اقتصادات تسيطر عليها الأقليات، وذلك في الوقت الذي تدعو فيه الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة إلى الديمقراطية التي تدفع بأبناء الفقراء إلى القمة السياسية. وهنا يحدث صدام المصالح بين مصالح الأقلية المسيطرة على الاقتصاد وبين ممثل الأغلبية الذي إما يسير في اتجاه تحقيق مصالح الأقلية وهنا سيعد خائنًا لمن انتخبه وقام بتأييده للوصول إلى البرلمان أو قيادة الحزب، وإما أنه يعمل لمصلحة السواد الأعظم والطبقة الفقيرة وهنا يحدث الصدام ما بين الأقلية الاقتصادية وممثل الأغلبية على أرض الواقع وبشكل واضح وظاهر.

وهناك أقليات كثيرة في عدد من الدول لكن ما يهمني الآن هو إندونيسيا. وقد نمت الأقلية في إندونيسيا في عهد "سوهارتو". وهذه الفترة مهمة جدًا لآن "سوهارتو" جاء إلى الحكم في عام 1966 بعد "سوكارنو" الذي تبنى الأفكار الماركسية والشيوعية، وقد حاولت حكومة "سوهارتو" القضاء على هذا النظام وهذه الأفكار على أن يتم في نفس الوقت الحفاظ على وحدة الأمة الإندونيسية، إلى جانب ترسيخ القيم الإسلامية والإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى.

وقد تحققت طفرة حقيقية في الفترة من 1970 وحتى عام 1990، ولندرك أهمية هذه الفترة في حياة الشعب الإندونيسي، لابد وأن نعرف أن متوسط دخل الفرد زاد إلى حوالي عشرة أمثال ما كان قبلها، حتى أن المنظمات الدولية تقول إن متوسط دخل الفرد وصل إلى 70 دولار وذلك في بداية السبعينيات، ثم وصل في بداية التسعينيات إلى ثمانمائة دولار تقريبًا، أيضًا تطورت البنية الأساسية بإندونيسيا وقد شاهدت ذلك بنفسي، كما قرأت أن الكهرباء والمياه النقية وصلت إلى 90% من القرى بجزيرتي "جاوة" و"سومطرة"، وإن كان هناك تركيز على "جاوة" بالدرجة الأولى، وقد حققت هذه الجزيرة معدلات مرتفعة من التنمية خلال عهد "سوهارتو"، ولكن شابت هذه التنمية بعض السلبيات ومنها سيطرة الأقلية الصينية التي تشكل 3% من السكان على 70% من الثروة الوطنية، مما أدى إلى بعض المشكلات العرقية كالمشكلات التي حدثت بين المسلمين والصينيين وترتب عليها هروب الكثير من رؤوس الأموال الصينية إلى خارج إندونيسيا.

وهنا نجد أن بعد الأزمة الإندونيسية وبعد أزمة جنوب شرق آسيا الاقتصادية في منتصف عام 1997، أصبح حوالي 50% من الشعب الإندونيسي تحت خط الفقر نتيجة انهيار قيمة العملة الوطنية الإندونيسية من ناحية وانهيار قيمة الأوراق المالية للشركة الإندونيسية من ناحية أخرى. ووجدنا في هذه الفترة أن بعض من الطلبة الإندونيسيين بمصر والبالغ عددهم ثلاثة آلاف طالب لم يتمكنوا من سداد الرسوم أو الإنفاق على أنفسهم، وإن كنت شاهدت بنفسي حينها كيف أن العديد من رجال الأعمال المصريين قاموا بكفالة ودعم هؤلاء الطلاب حتى مرت المحنة بسلام.وربما يُقدم ما قلت ملخصًا عن الجانب الاقتصادي.

وتعود الآن لنتساءل: كيف دخل الإسلام إلى إندونيسيا؟

إن هذه المنطقة المتمثلة في اليابان والصين وجنوب آسيا، وتايلاند، كوريا، نجد أن جميعها تتمسك بالكنفشيوسية وبالبوذية، وأيضًا الهندوسية، وهذه الثقافات كانت موجودة قبل الإسلام.

ويؤكد الرأي العلمي الراجح أن الإسلام قد دخل إلى هذه البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي بقوة وبكثافة ومن أهم كتابات المؤرخين المسلمين حول هذه المنطقة كتابات "ابن بطوطة" الذي زارها في القرن الرابع عشر الميلادي.

وحقيقة الأمر فإن "ابن بطوطة" الذي ينتمي إلى طنجة بالمغرب –والتي تطل على مضيق جبل طارق ومن يقف أعلاها يرى الحدود الأسبانية على بعد حوالي 10–12 كم^2– قد رحل إلى الأراضي الحجازية من أجل الحج، ثم توجه عقب ذلك لزيارة بعض الدول الأسيوية وبينها إندونيسيا.ولكن كيف دخل الإسلام إلى هذه المنطقة؟

من خلال ما أشاهد الآن من خلال رحلات السفر المتتالية، فإنه يمكننا عقد مقارنة ما بين دبي وسنغافورة، فكلاهما مركز ترانزيت بحرى بين المواني‌ء الدولية، وهذا المركز احتلاه منذ القدم.وقد كان بين سنغافورة وماليزيا منذ القدم ميناء يُسمى ميناء "ملقا" وكانت التجارة تنتقل من دبي ومنطقة حضرموت باليمن حتى ميناء "الديبل" الذي هو "كراتشي" حاليًا، ثم إلى الهند، ومنها إلى سنغافورة وماليزيا.

وكانت الحركة التجارية في هذا الوقت بعهد الدولة العباسية تمكننا من القول بأنه قد تحقق في البحر الأحمر والمحيط الهندي نظام عالمي تجاري أو ما يمكن أن نسميه بـ"العولمة الإسلامية" في ذلك الوقت.وقد حقق هذا النظام الأمن للجميع ولم يكن هناك فرض للقوة، بل كانت التجارة تحقق مكاسب للجميع.

وفي هذا التوقيت، ظهرت الطرق الصوفية وكان لها دور كبير جدًا، وهذا الدور الكبير ترتب عليه انتقال كلٍ من التجار والطرق الصوفية من حضرموت ومن العراق إلى الهند –حيث لم تكن باكستان ظهرت حينها– ثم إلى مضيق ملقا، وعلمًا بأن المسافة بين سنغافورة وإندونيسيا حوالي نصف الساعة بالطائرة وساعتين بالباخرة أو بالقوارب فإن الإسلام انتقل من سنغافورة أو ملقا إلى سومطرة وخاصة منطقة "أتشية"، وتضم هذه المنطقة التي دمرها "تسونامي" منذ عامين أكبر عدد من حفظة القرآن الكريم، كما أن الأساتذة الذين التقيت بهم هناك أثناء حضوري مؤتمر بـ"ميدن" على بعد حوالي مائة أو مائة وخمسين كيلو من أتشية يتحدثون اللغة العربية أفضل كثيرًا من أبناء العالم العربي، وذلك لأنهم يحفظون القرآن من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كانت هذه المنطقة هي بوابة دخول الإسلام إلى إندونيسيا. وبعد انتقال الإسلام إلى سومطرة كان انتقاله إلى جاوة بجميع أجزائها.

أي أن الإسلام دخل إلى إندونيسيا عن طريق التجارة والطرق الصوفية، ولم تحدث فتوحات إسلامية لهذه المنطقة.وهذا يُمثل خبرة تاريخية تفسر لنا كيف ولماذا تم دمج الإسلام في النظم السياسية المعاصرة، ومن أهم الأمثلة على ذلك كل من: الجمعية المحمدية، وجمعية نهضة العلماء.

يبلغ عدد أعضاء الجمعية المحمدية خمسة وثلاثين مليون عضو، أما عدد أعضاء جمعية نهضة العلماء فقد بلغ حوالي 40 مليون ويقول البعض 50 مليون عضو، وقد لعبت هاتان الجمعيتان دورًا كبير جدًا في ترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع، وفي نفس الوقت العمل

على المحافظة على كيان الأمة الإندونيسية، إلى جانب مقاومة الاستعمار، سواء في فترة الاستعمار/الاحتلال الياباني أثناء الحرب العالمية الثانية أو الاستعمار الهولندي قبل ذلك في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العشرين. أيضًا يُشارك عدد كبير من أعضاء الجمعيتين في الوزارة علمًا بأن هناك فصل بين كونهم أعضاء في الجمعيتين كجمعيتين دينيتين اجتماعيتين وبين انتماءاتهم الحزبية، ولا يتركز أعضاء أيٍ من الجمعيتين في حزبٍ واحد، بل ينتشرون في الأحزاب المختلفة. أي أنه يمكن القول أن الجمعيتين قد كان لهما دور كبير في الحفاظ على الإسلام.

ورغم ترجيح كثير من المصادر أن الإسلام دخل إلى إندونيسيا بهذه الصورة الكثيفة في القرن الثالث عشرفى تلك الفترة إلا إن بعض المصادر تقول دخول الإسلام إلى هذه المنطقة قبل ذلك على نحو يرجع إلى العصر الأموي وإن كان بأعدادٍ قليلة حيث وصل الإسلام إلى "تركستان الشرقية" في الصين بمنطقة "كنتون" وذلك في عهد الدولتين الأموية والعباسية.

وما يهمنا في هذا الإطار أن إندونيسيا كبلد عندما زرتها لأول مرة خرجت مني كلمة حسنة هي: "إن إندونيسيا هي جنة الله في أرضه" حتى أن صحراءها تزرع الأرز ثلاث مرات سنويًا، والأمطار هناك موسمية صيفية وهي لها دورٌ كبير في تنمية وتنظيف الأرض.

وهناك من القيم الإسلامية الكثير مما شاهدته بنفسي، إذ إن إندونيسيا تعد من أنظف بلاد العالم، فعلى المستوى الشخصي نجد أن النظافة الشخصية مهمة، وعلى مستوى نظافة البيوت فالجميع يهتم بها انطلاقًا من أن "النظافة من الإيمان"، وذلك ليس شعارًا بإندونيسيا وإنما تحول سلوكًا في الحياة اليومية. ونجد أن المرأة الإندونيسية تختلف عن المرأة في مجتمعاتنا فهي لها كيانها واعتبارها، حيث لا يُفرق المجتمع الإندونيسي بين الرجل والمرأة، بل الجميع يُساهم على مستوى الزراعة وعلى مستوى التعلم بكافة الجامعات فنجد رئيسة للجامعة، ورئيس للجامعة وله نائبتان، كما أن هناك فرع للجمعية المحمدية يُسمى "الجمعية العائيسية". وأذُكر أستاذتنا الدكتورة نادية أنه منذ عامين أو ثلاثة قد طلبوا مني ترشيح من تحضر أحد المؤتمرات وعرضت الأمر على أستاذتنا ولكن ظروفها الصحية لم تسمح حينها. وقد تكرر ذلك ثانية، ورشحت د. نادية لي د. أميمة أبو بكر والتي بعد عودتها شعرت أنني لست أمام أستاذة كبيرة وإنما أمام طفلة تشعر بالانبهار والدهشة من خلال ما رأته من طبيعة أقول إنها جنة الله في الأرض ومن شعب أرى –وأشهد الله على ما أقول– أنه لا يوجد على وجه الأرض مثله لدرجة أنه يذكرني بما نقرأه عن الصحابة والتابعين، فهو يعبر عن سلوك إسلامي قويم شاهدته على وجه الخصوص في مدارس ومعاهد دار السلام. وهذه المعاهد أنشئت في عام 1926 عقب سقوط الخلافة العثمانية في عام 1924، وتلك المدارس التي أنشئت وضعت تقاليد راسخة، هذه التقاليد التي تجمع ما بين علوم الأزهر الشريف وبين العلوم المعاصرة أنتجت طالبًا يعرف اللغة العربية وكذلك

الإنجليزية فضلاً عن معرفته بلغته الإندونيسية، والأكثر من ذلك أن هذا الصرح العلمي أنتج لنا الدكتور "شمس الدين" رئيس الجمعية المحمدية، والذي يعرف اللغات العربية والإنجليزية والإندونيسية، فقد تعلم هذا الرجل اللغة العربية وعلوم القرآن في معاهد دار السلام، ثم درس الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية، ولذا له قدرة على صعيد الحوار والتواصل بين العالم العربي والإسلامي والعالم الغربي

د. نادية: هل معاهد "دار السلام" هذه تابعة للجمعية المحمدية؟

د. كسبة: لا، فهي جامعات ومعاهد مستقلة.

وأثناء مشاركتي بأحد المؤتمرات ذهبت لزيارة هذه المعاهد التي انبهرت بها. ولألخص نظرتي هذه، فإن أيام الأسبوع السبعة خمسة منها للدراسة والاثنين الآخرين يقوم الطالب خلالها برصد درجات زملائه وتنظيف المدرسة أو المعهد والقيام بكافة الأعمال التي لا يوجد عمال للقيام بها، وتقوم الفتيات في معاهدهن بحراسة بوابات المعهد على مدار أربع وعشرين ساعة، علمًا بأن القيادة بهذه المدارس والجامعات جماعية، كما أن كل شخص مفوض له مسئوليات معينة؛ وذلك لأن من أسس هذه المعاهدة أخوة ثلاثة وضعوا حجر الأساس لهذه الرؤية.

والدراسة في إندونيسيا بجميع مراحل التعليم مدفوعة، فلا تعليم هناك إلا مدفوع الأجر أو برسوم ولكنها رسوم ليست بمقدور أي فرد، أما "دار السلام" فقد استطاعت تحقيق المعادلة الصعبة، أي أنها بأقل التكاليف تستطيع أن تخرج أفضل منتج علمي بإندونيسيا لدرجة أن الرئيس "سوسيلو بامبانج " قال أن معاهد دار السلام أصبحت نموذجًا يُقتدي به في التعليم بالبلاد.

وبالرغم من أنك عندما تذهب إلى معاهد وجامعات "دار السلام"، تستطيع أن تلقي محاضرة بالعربية، إلا أني حين ذهبت إلى جامعة أخرى بجاكرتا وجدت أن أستاذ الأدب العربي أثناء حديثة معنا –وكان قد عزمنا على نوع من دجاج شهير هناك يُسمى "دجاج سوهارتي"– لا يقول سوى ثلاث كلمات هي "أنا أحب الدجاج"، أما في دار السلام يتمكن الطلبة والطلبات من أن يحدثونك باللغة العربية الفصحى، والأمر نفسه باللغة الإنجليزية ومظاهر الالتزام تجدها حتى في المرحلة الإعدادية، فعلى سبيل المثال عندما يجمعون الفتيات للاستماع إلى الأستاذ ترى وكأنك تدخل الكعبة فالبنات البالغ عددهم أربع أو خمس آلاف يرتدين الزي الأبيض ويجلسن/ يصطففن بالمسجد وكلهن يحفظن القرآن.

هذه المظاهر جميعها جعلتني أتي إلى مصر وأتصل بمن يهمهم الأمر، حيث كتبت تقريرًا عما رأيت، وهذا التقرير ترتب عليه منح الدكتور "عبد الله زركشي" وسام الجمهورية من الدرجة الأولى في العلوم والفنون، وسلمة إياه السيد الرئيس "محمد حسني مبارك". وهم يعرفون بإندونيسيا قيمة هذا الرجل وقيمة معاهدة.

وبالمناسبة فإن أ. خالد مصلح هو زوج بنت شقيق الشيخ "عبد الله زركشي"، علمًا بأن هناك سياسة تعليمية متبعة تقوم على أن الطلبة الأذكياء يقومون بالتدريس وعندما يتزوجون فيكون ذلك من أسرة الشيخ "الزركشي" والمحيطين به –مما يُوضح عظمة تطبيق القيم الإسلامية– فيحقق لهم بذلك الاستفادة منهم علميًّا إلى جانب تحقيق التواصل الاجتماعي، ونجد في نفس الوقت أن هذا المعهد لا يدفع أجور ومرتبات للمدرسين، وإنما يوفرون لهم احتياجاتهم من منزل وطعام، كما أن هناك نظام الأوقاف الذي يُسهِم في ذلك وقد علمت أخيرًا من الدكتور عبد الله أن رئيس الجمهورية قرر منح سبعين ألف هكتار من الغابات وقفًا لهذه المعاهد، وهم يتفنون في أن تكون مثل هذه الأوقاف هي الممول الأساسي، حيث يستفيدون من خبرة الحضارة الإسلامية التي لعب فيها الوقف دورًا كبيرًا جدًا في التعليم، إذ درس جميع علماء المسلمين بالمدارس التي تم تحديد أوقاف لها.

ولا يدفع الطالب هناك رسوم أكثر من 150 ألف روبية، ولن يُصبح هذا الرقم محل انزعاج إذا علمنا أن الدولار الواحد يساوي عشر آلاف روبية، فإذن الطالب لا يدفع سوى 15 دولار نظير نفقات الطعام والشراب والسكن.

وقد جمعت هذه النفقات على هذا النحو بين هدفين: أولهما، الحفاظ على المستوى القليل من التكلفة التي يتحملها الطالب، وثانيهما، إخراج أفضل منتج تعليمي، فجميع من يتخرج من الطلبة والطالبات يجد فرص عمل، وعلى جانب آخر نجد أن في حقبة "سوهارتو" كان الطالب المتخرج من الأزهر يواجه صعوبات جمة في الحصول على فرصة عمل؛ وذلك يرجع لسيطرة الأقلية الصينية، حيث عملت الولايات المتحدة على دعم الأقليات الصينية والمسيحية، إلا إن هذا النظام قد تم تفكيكه الآن وتم إعادة الاعتبار إلى الأغلبية المسلمة.

وأود في هذا الإطار أن أشير سريعًا إلى أنه بالرغم من أن 85% من السكان من المسلمين. إلا أن الأقليات الأخرى تلعب دورًا كبيرًا في عملية الانتخابات، لاسيما ما يتعلق بالتمويل.

وأهم ما يُستفاد من التجربة الإندونيسية هو معرفة وفهم كيف تم دمج الإسلام في النظام الاقتصادي وفي النظام السياسي أيضًا، وأما الجماعات التي تستخدم الإسلام للترويج لما تمارس من عنف فهي قليلة.

وتوجد هناك الطائفة الأحمدية وقد وافق لهم رئيس مجلس الشورى "أمين رئيس" على أن ينشئوا مقرًا لها، اتساقًا مع أن إندونيسيا دولة تتمتع بالقدرة على استيعاب التنوع الثقافي والحضاري، إلا أنهم أصبحوا الآن يتوسعون ويتوغلون علمًا بأن الأزهر الشريف والمجامع الفقهية قد أقرت بأنها جماعة منحرفة لأن الميرزا غلام أحمد– مؤسس هذه الطائفة– قام بدورٍ يخدم الإنجليز فحين كان المسلمون بالهند يُجاهدون طلب الإنجليز منه وقف الجهاد وعندما قيل له إن

الجهاد فُرض بالقرآن ومارسه الرسول "صلى الله عليه وسلم" ادعى النبوة، حتى أننا نجد حاليًا قناة تنشر مثل هذه الأفكار حول المدهى المنتظر والمسيح الموعود، ولذلك فإنه يتم الآن تحجيم هذه الطائفة، كما طُلِب منها عدم ممارسة أي دعوات.

أما عن أوضاع الأقليات بشكلٍ عام، فإن هناك مناخاً من التعايش، فنجد المسلم يتعايش مع المسيحي أو مع الصيني. ونجد أن المسلم الملتزم يعمل بجدٍ ونشاط بينما المسلم غير الملتزم غير ذلك؛ فيصحوا متأخرًا. كذلك يستيقظ الصيني مع بزوغ الفجر ليبدأ عمله، وأنت على سبيل المثال إذا ما أعطيت الإندونيسي عشرة دولار ومثلهم للصيني فإن الإندونيسي لن يعطيك أكثر مما أخذ منك. أما الصيني فيتفانى في العمل، أيضًا من المعروف هناك أن الصينيين مهذبون.

ومن التقاليد الجميلة التي تجمع بين الثقافات أنه عندما يحضر رئيس الجمهورية أي من الاحتفالات يتم البدء بتلاوة القرآن الكريم ولا يشترط أن يقرأ القرآن الكريم رجلاً وإنما هناك مجموعات من نساء وفتيات من حفظة القرآن الكريم، وبالتالي من يتلو القرآن قد يكون رجل أو امرأة أو ولد أو بنت. وقد شاهدت ذلك بأكبر مسجد في جاكرتا والذي يسع أكثر من عشرين ألف مصلي، ثم يبدأ الرئيس المؤتمر بطرق مطرقة نُحاسية، ويُقال أن هذا من الثقافة الجاوية، وهذه الثقافة عبارة عن مزيج من البوذية والكنفيشيوسية والهندوسية. ويتواجد الهندوس بمنطقة بالي التي شهدت التفجيرات الشهيرة، وهذه المنطقة تناظر لدينا منطقة شرم الشيخ وغيرها من المناطق التي تنال قدر زائد من الحرية حتى أن كافة الأشياء الممنوعة وبينها المخدرات متاحة في "بالي" لدرجة أن الإندونيسيين يرفضون زيارتها وإذا ما "أخبرتهم أنك زرتها يقولون لك: وهل مثلك يليق به أن يذهب إلى "بالي"؟ أي هناك نظرة سلبية لهذه المدينة التي تدار من قبل الهندوس ومن خلال بعض المقامرين والأفاقين.

وتُعد إندونيسيا بلد غنى جدًا بالموارد والطاقة، فأنت إن تمر عليها تجد غابات مكسوة، وهناك أيضًا التوابل مثل القرنفل إلى جانب البن والشاي والدخان، حيث المزارع الخصبة، كما تجد كافة ما يخطر لك من فواكه.

وإذا ما ذهبت إلى أحد المطاعم الإندونيسية ستجد ثلاثة أشخاص أحدهم يُقدم لك سمكًا خاصة رأس السمك لأن الأسماك هناك كبيرة ومنتشرة، كما تُقدم لك الكبده والدجاج، وما يُلفِت النظر أنك لا تحاسب سوى على الطبق الذي أكلت منه وهم يستطيعون تحديد ذلك جيدًا، وهذه الفكرة لها أصول عربية وإسلامية حيث دائمًا ما يُقدم العربي أجود ما عنده.

ولا يجب أن ننسى دور الحضارمة في نشر الإسلام بهذه المنطقة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

د. نادية مصطفى:

أشكر أ. مصطفى على هذا العرض الذي قدم لنا معلومات عن الخريطة السكانية والعرقية واللغوية والجغرافية والثقافية لإندونيسيا.

وقد ألقى الضوء على جانبين مهمين من هذه الخبرة، وهما تطور البعد الاقتصادي بإندونيسيا خلال العقود الأربعة الماضية ومنذ ما قبل الأزمة المالية التي حلت بدول جنوب شرق آسيا قبيل نهاية التسعينيات وما بعدها.

أما الأمر الثاني الذي ألقى عليه الضوء بوضوح شديد هو دور الجمعيات الإسلامية الكبرى بداية من البحث في كيفية دخول الإسلام إلى إندونيسيا وحتى تناول دورها التربوي والتعليمي وتحديد كيف يُمثل هذا مدخلاً أساسيًّا في المجتمع والسياسة الإندونيسية.أيضًا تحدث معنا عن أهم ملامح منظومات القيم السلوكية اليومية في إندونيسية.

وأخيرًا توقف على شكل العلاقة بين الإسلام والسياسة والاقتصاد، ورصد مدى وجود جماعات متطرفة، فضلاً عن نمط العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

وأعتقد أن هذا الطرح يستدعي بعض النقاط التي طرحها أيضًا بالأمس د. محمد السيد سليم ولعل أهمها التوقف على كيفية تمثيل الإسلام أو منظومة القيم الإسلامية نموذجًا داخل تكوين المجتمع والسياسة، وذلك بالمعنى الواسع لمعنى كلمة منظومات القيم التي تتجاوز مجرد وضع الأحكام فقط.

وليتفضل د. خالد مصلح بإلقاء كلمته وأرحب به لأول مرة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

تعريف د. مصطفى كسبة به:

د. خالد مصلح قد أتمم بتوفيق الله دراسة الدكتوراه بكلية الشريعة بجامعة الأزهر حول نظرية ولاية الفقيه ودراستها دراسة مقارنة مع غيرها من نظريات الفكر السياسي الإسلامي.

وحتى نعرف أهمية معاهد "دار السلام"، فإنه يُعد واحد من أبنائها، كما أنه مرتبط بمصاهرة –كما أشرت– مع القائمين عليها، ولكي يُكمل دراسته بمصر فإنه استئذن سنة واحدة من شيخ المعهد، ولكنه أخبرني بعد ذلك أن العام امتد لعامين أو عامين ونصف، الأمر الذي يُوضح كيف أنهم هناك يجدولون الأشياء ويحرصون على تكوين الكوادر.

والعلاقات في "دار السلام" لا تنحصر فقط في أن هناك شخص يعمل في إطارها، وإنما فوق ذلك هناك علاقات مصاهرة، كما يُكرم كل شخص على أدائه، وبالفعل فإن د. خالد شخصٌ متميز وقد التقيت به في أكثر من لقاء؛ ولذلك فإنكم تلتقون بهذه المحاضرة بعقلية ناضجة، فهو

يشغل منصب رئيس اتحاد المثقفين الإندونيسيين الذي أسسه الرئيس "سوهارتو" وأوقف له مبلغ كبير بحيث إن عائد هذا الوقف يُنفق منه على الاتحاد، مع العلم أنه لا يوجد إندونيسي في مصر غير مرتبط بجمعية أو بأي شكل من أشكال التنظيم ليرعاه، أيضًا السفارة لها دورٌ مهم جدًا في رعاية هؤلاء الطلاب والإشراف عليهم بحيث تجدهم في غاية التنظيم وكلٌ يعرف قدر ذاته وقدر زميله بل وقدر الجماعات الأخرى.

د. خالد مصلح*:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الشكر لله والصلاة على رسول الله وآله وصحبه.

بداية أشكر الأساتذة الدكتورة نادية مصطفى، وأعتبر أن وجودي هنا شرفٌ كبير بالنسبة لي، فلا أنسى أني أتواجد بأعرق قلعة علمية بمصر مما يُعتبر شرفٌ عظيمٌ بالنسبة لي إلى جانب وجود د. مصطفى بجواري والذي أعتقد أنه بالغ في تقديري، فأنا لم أبلغ هذا المبلغ الذي تحدث عنه.

وما أريد أن أركز عليه في سياق هذه المناسبة هو البحث في أثر الإسلام في الحضارة الإندونيسية وتبلغ **مساحة إندونيسيا** 7.9 مليون كم^2، أي أنها مساحة واسعة جدًا وعدد الجزر يصل إلى 306 جزيرة، وهناك أكثر من 250 قومية أو قبيلة تتحدث بلغات مختلفة، وعدد السكان طبقًا لإحصاءات 2005 هو 218 مليون نسمة، ويُساوي عدد النساء نفس عدد الرجال مما يُمثل قول الرسول "صلى الله عليه وسلم": "النساء شقائق الرجال".

أما الديانة الرسمية هي الإسلام، حيث يُشكل المسلمون 86.01% من عدد السكان، والمسيحيون الكاثوليك يُمثلون 6.3%، والمسيحيون البروتستانت 3.6%، والهندوس 2.4%، والبوذيون 1.4%، وهناك ديانات أخرى نسبتها 5.2% فقط(*).أي الأغلبية العظمى من المسلمين.

ويوجد بإندونيسيا معبد بوذي يُعتبر قمة الحضارة البوذية بإندونيسيا فيما قبل دخول الإسلام، ولم نر هذا الإنتاج الحضاري حتى في الهند.

<u>وعن مراحل تفاعل الإسلام مع الشعب الإندونيسي</u>، فقد حدث أولاً اتصال بين التجار وملاحي وبحاري العرب والفرس، أي أنه كانت هناك العلاقة التجارية المعروفة، ثم كان الاتصال بين تجار وملاحي المسلمين مع الشعب. وقد دخل الإسلام إندونيسيا في القرن السابع الميلادي.

---

* طالب دكتوراه بجامعة الأزهر

(*) هناك بعض الاختلافات في النسب التي أشار إليها كلٌ من د. مصطفى ود. خالد.

وهناك نظرية مختلفة بشأن دخول الإسلام إلى إندونيسيا، لكن النظرية المعروفة هي تلك التي تقول بأن الإسلام دخل إلى إندونيسيا في القرن السابع الميلادي عن طريق المملكة العربية السعودية، ودخل في القرن الثالث عشر عن طريق الهند وعن طريق الفرس في القرن السابع عشر.

ثم نشأت المجتمعات المسلمة في مناطق مختلفة بإندونيسيا، فمثلاً في "بيرسيك" 1082 وفي سومطرة 1206 وفي أتشيه 1297...إلخ.

كذلك نشأت الممالك الإسلامية مثل مملكة "معبوده" التي تعتبر أول مملكة إسلامية بأتشيه بعد تكون المجتمعات الإسلامية بإندونيسيا وامتدت من القرن الثالث عشر إلى السابع عشر.

أيضًا وُجدت ممالك بجزيرة "جاوة" مثل ممالك "رومية"، "مسترن" و"بندم" وامتدت من القرن السادس عشر وحتى الثامن عشر، أيضًا هناك مملكة "مكسا" واستمرت من القرن الخامس عشر حتى السابع عشر، ومملكتي "تميته" و"ثورية" وبقيتا من القرن الخامس عشر إلى السابع عشر.

إذن تم دخول الإسلام إلى جميع المناطق الإندونيسية في القرن السادس عشر وذلك عن دخول الإسلام إلى إندونيسيا بالكامل، بينما بلغت حضارة الممالك الإسلامية قمتها بإندونيسيا بداية من القرن الثالث عشر وحتى السابع عشر، حيث دخل الاستعمار الغربي الهولندي وقد حدثت مقاومة شديدة من الشعب الإندونيسي واستمرت بداية من القرن السابع عشر إلى بداية الاحتلال حتى الاستقلال أي كانت مقاومة لا تنتهي حتى استقلت إندونيسيا في عام 1945.

ثم بدأت مرحلة من النضال الدستوري، حيث حاول المسلمون إدخال وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين في الدستور، إلا إن الرئيس "سوكارنو" قد رفض هذا، وإن أصبح دستور إندونيسيا يعترف بالإله الواحد.

ويمكن تقسيم هذه المرحلة من التاريخ إلى إندونيسي إلى ثلاث عهود كالآتي:

العهد القديم لـ"سوهارتو" والعهد الجديد لـ"سوكارنو"، ثم العهد الإصلاحي والمستمر إلى الآن.

وعن الجانب المادي لأثر الإسلام في الحضارة الإندونيسية، فهناك المساجد والمقابر والحروف الهجائية والمساكن وأيضًا القصور.

أولاً بالنسبة للمساجد، فإن المسجد بإندونيسيا حُرِص في بدايته على أن يكون تصميمه جامعًا بين الحضارة المحلية والحضارة الإسلامية في مكان واحد، أي لم تأت الحضارة الإسلامية لتهدم وتُهلِك كافة مظاهر الحضارة المحلية.ولذلك لم تقع أحداثًا دموية في دخول الإسلام إندونيسيا، بل اتصف الدعاة المسلمون بالحكمة والموعظة الحسنة بشكلٍ عالٍ.

أمـا المقـابر، فمـن أشـهرها الموجـودة بمملكـة "سـوند "بأنشـيه والتـي تجـد بهـا الخطـوط العربية، وذلك مثل مقام "السلطان محمود" بأتشيه.

وقد اقتصرت الخطوط العربية في بداية العهد الإسلامي بإندونيسيا على القصور؛ نظرًا لأنها تُمثل مستوى رفيع من الفن لم يكن يتقنه إلا قليلون من الفنانين، وإن كان انتشر فيما بعد ودخل إلى المساجد والبيوت وكثير من الأماكن.

وقد تنوعت الصور التي استخدمها الخطاطون، فهناك على سبيل المثال عمل يُشكل زخرفة الخطوط العربية على هيئة أسد على نحوٍ يُدمِج بين الحضارتين الإسلامية والمحلية، وذلك ما يُسمى بـ"أسد على".

أيضًا من أهم المظاهر على رقي وتغلغل دور الخطوط والحروف العربية في الحضارة الإسلامية أن أبناءنا قد استخدموا هذه الحروف في كتابة اللغة الملاوية وهو ما نجده في العديد من الوثائق كوثيقة إنشاء دولة "منهتن".

إذن فإن أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الإندونيسية بارز جدًا حتى أننا تركنا الحروف اللاتنية في وقتٍ ما إلى العربية، وإن كنا نعود إليها الآن.

تأثر المسكن أيضًا بالحضارة العربية، ومثال على ذلك مسكن السلطان "بيتاوى" بجاكرتا ويُعد هذا السلطان من أكثر المسلمين المتدينين بجزيرة جاوة، وقد تميز هذا المسكن بأن له شرفه واسعة بحيث أنه لو كان هناك ضيف يكون حديثه مع المضيف في إطار هذه الشرفة دون أن يدخل إلى المنزل لأن به نساء، ولا يمكن تجاهل هذا التقليد الذي يُعد من القيم الإسلامية.

كذلك، فإن هناك باب من الجانب وليس من الأمام فقط بحيث يدخل منه النساء إن أردن الدخول إلى البيت أثناء وجود رجال به، ويأتي هذا أيضًا في إطار الحرص على الحفاظ على القيم الإسلامية.

وإذا ما دخلنا إلى البيوت الإندونيسية بشكلٍ عام، سنرى أن كل فرد عليه خلع نعله قبل دخول المنزل مما يُعد إكرامًا للمنزل مثلما نكرم بيوت الله انطلاقًا من أن ذلك من النظافة.

أما القصور بإندونيسيا، فإن بها عناصر ثلاثة أساسية أولها مكتب للرئيس أو الملك، وثانيها المسجد للعبادة، وثالثها ميدان واسع يجتمع فيه المجتمع ليستمع فيه الملك أو الرئيس إلى الآخرين ويعقد فيه الأفراح.

إذن فالقصور بإندونيسيا لا تنفصل عن المسجد، وإنما كل قصر بجانبه المسجد، ما يوضح كيف أن أثر الحضارة الإسلامية شديدًا جدًا.

وعلى الجانب التربوي، فإن هناك المعهد الإسلامي، وقد تحدث عنه أ. مصطفى بما يكفي، حيث تحدث عنه كثيرًا.

د. نادية توضح: يجب أن نلحظ أن د. مصلح قد ميز في حديثة عن أثر الإسلام في الحضارة الإندونيسية بين جانبين الأول هو الجانب المادي باعتبار أن هناك جوانب مادية متعلقة بالإنجاز العمراني، ثم كان الجانب التربوي أو القيمي.

د. خالد مصلح: نعم الأمر كذلك .

ويُعد المعهد الإسلامي مصنع للقيادة الفكرية والقيادة السياسية، فيتخرج من مثل هذه المعاهد رجال من العلماء ورجال من الأمراء، وهو يُمثل نموذجًا للمجتمع الإسلامي الخالص، كما تطبق فيه معاني الإسلام إلى أقصى غاية في الداخل، وبالرغم من أن الطالب إذا خرج سيجد مجتمعًا مختلف الأنماط والأشكال، إلا أن هذه التجربة الداخلية قد تُفيده في تعامله مع المجتمع الخارجي على نحوٍ أقرب للصحة.

أيضًا هناك المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والعالية إلى جانب المعاهد العليا والجامعات الإسلامية، وتسير المدارس الإسلامية على المنهج التكاملي، وإن كان ذلك نمطًا جديدًا اتبعته منذ عشر سنوات فقط.

د. نادية: ما المقصود بالمنهج التكاملي؟

د. خالد: المقصود بالمنهج التكاملي أن الطالب بالمدارس الابتدائية العامة أو الثانوية العامة والذي يبدأ يومه من الساعة السابعة صباحًا وحتى الساعة الرابعة مساءً، يدرس الكيمياء والجغرافيا وفي نفس الوقت يحفظ القرآن ويدرسه.

د. نادية: أي أن المقصود بهذا بالمنهج التكامل بين دراسة العلوم المدنية والعلوم الشرعية.

د. خالد: نعم. ولذلك بدأنا نجد أن المهندس يحفظ القرآن –كما وجدنا بمصر– وكذلك الطبيب يستطيع أن يحفظ القرآن ويقرأه جيدًا ويفهم معناه.

وبالنسبة إلى الجانب الاجتماعي، وتحديدًا الملابس، فإن هناك نوع من الملابس التقليدية التي تختلف أشكالها باختلاف درجة تأثير الإسلام. فنجد ملابس للصلاة، كما نجد ملابس للزواج، علمًا بأن الزواج في إندونيسيا في غاية التيسير، وقد تزوجت بمهر عشرة جرامات من الذهب وسورة الصف.

د. نادية: ولكن ذلك قد يكون فقط في وسط معاهد دار الإسلام، فماذا عن بقية إندونيسيا؟

د. خالد: لا إن هذا النظام في الزواج يوجد في كافة أنحاء إندونيسيا، كما أنه يمكن للزوج السكن في منزل أبيه في بداية الزواج حتى يعمل وتستقر المعيشة بعد فترة من الزمن ويتمكن من تجهيز مسكن منفرد فالأمر في غاية التيسير. ولا شك بالطبع أن هذا يأتي في إطار التأثر بالحضارة الإسلامية.

كذلك، فإنه لا توجد فوارق اجتماعية بإندونيسيا في الوقت الحالي. وقد كان التقسيم المجتمعي في الماضي يتم ما بين الطبقات الآتية: المسلمين المتدينين، والعامة، الأرستقراطية. وتختفي أيضًا الآن التفرقة ما بين الرجال والنساء، إذ تعمل النساء بالحدائق وفي كافة المجالات حتى أصبحت المرأة رئيسة للجمهورية كما الرئيسة السابقة "ميجاواتي سوكارنو".

إذن لا توجد أي مظاهر للتفرقة العنصرية بإندونيسيا.فقد زالت الفوارق الاجتماعية.

د. ناديـة: تساءل عن الطبقات: هل الطبقة الأرستقراطية من المسلمين أم من غير المسلمين؟

د. خالد: أما التفرقة بين الطبقتين الأرستقراطية والعادية، فقد قد كانت في وقت من طبقة الممالك وقد زالت بدخول الإسلام.

د. نادية: حضرتك كتبت بين قوسين بجانب طبقة العامة "المسلمون اسمًا"، فهل جميع العامة مسلمون اسمًا ولا يحملون قيم الإسلام الحقيقية؟

د. خالد: نعم، ومثل هذا ما يزال موجودًا

أدعوكم إلى التأمل في الملابس الشعبية المحلية(*)، فهي تأثرت كثيرًا بالقيم الإسلامية، مثل ملابس سكان في مجتمع "الشمال" بأيتشية، والذين يُعدون من أكثر المسلمين تدينًا وتمسكًا بالإسلام، كذلك ملابس شعب سومطره الغربية.

بينما نجد في "جاوة" أن شعبها من أكثر الشعوب تأثرًا بالحضارتين الهندوسية والبوذية.

أما بالنسبة لبعض الشعوب التي لم تتأثر بالحضارة الإسلامية أو الحضارة الهندوسية أو البوذية، فإن الملابس تختلف تمامًا مثلما هو الأمر في تيمور الشرقية.

ومن ذلك نتأكد أن الإسلام يأتي بالحضارة حقًا، وأن الإسلام عندما أتى إلى أندونيسيا قد رفع من درجة تحضرها.

وعلى الجانب القيمي، نرى أن الشعب الإندونيسي شديد التأدب، فأتذكر أنه في الماضي كان عندما يجلس شيخ أو أب في منتصف الطريق، ويأتي شاب راكبًا دراجة، فإنه يتوقف ويحمل الدراجة، وإن كان قد حدث تحول الآن، إلا أنه يبقى مستوى التأدب عاليًا، فهناك على سبيل المثال طريقة معينة للمشي.أي أن التأدب من القيم الأصيلة لدى الشعب الإندونيسي.

أيضًا فإن السماحة والتعاون من أهم سمات الشعب الإندونيسي، فحتى الآن إذا قام أحد الأفراد بأي منطقة بإعداد حفلة عرس فكل من حوله يساهم، فهذا يُساهم ببعض المواد الغذائية

(*) من خلال عرض صور لها.

كالسكر، وأخر يُمده بالمال، وهكذا، كذلك إن بنى أحد الأفراد بيتًا، فالجميع يساعدونه دون أي مقابل.وروح التعاون هذه تعد من أعرق القيم الإسلامية الإندونيسية.

كذلك البكور، ففي إندونيسيا يبدأ العمل في الساعة السابعة صباحًا، إلا أن هناك ازدحاماً في الطرقات، فإن أردت الذهاب إلى أحد المكاتب بجاكرتا، فقد يستغرق ذلك ساعتين أي أنه إذا دخلت المكتب الساعة السابعة، فهذا يعني الخروج من المنزل في الساعة الخامسة.

وتبدأ السوق الشعبية في الساعة الثانية أو الثالثة ليلاً وتنتهي الساعة العاشرة، وتبدأ سوق الجملة تحديدًا من الساعة الثانية عشر؛ ولذلك يكون اليوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا أيضًا، حيث إن المناخ والطبيعة جيدان ولا توجد حرارة مرتفعة.

وعلى الجانب الفني، فهناك الروايات والقصص التي يحكيها القصاص، وهو يُحاكي أصوات أطراف القصة بصوته، ويُدخل فيها المعاني الإسلامية. وقد تأثر الدعاة باندونيسيا بهذا الفن الذي هو بالأساس من الفنون الهندوسية، وكان ذلك مع إحداث بعض التغييرات وإدخال القيم دون هدم هذا الفن بشكلٍ نهائي.

أيضًا هناك ما يُعرف بالقصيدة أو موسيقى "كمبوس"، وهي موسيقى تكون باللغة العربية أحيانًا، وباللغة الإنجليزية أحيانًا أخرى، ولكنها تظل تحمل في داخلها المعاني الإسلامية.

أيضًا هناك "ربانة" /أو درب الدفوف، وهو معروف في مجتمع "نهضة العلماء"، حيث تكثر فيه الصلوات على النبي "صلى الله عليه وسلم"، والمدائح، ونحو ذلك، كذلك نجد الأناشيد الإسلامية، وهي تحتل الآن مكانة رفعية في الفنون الإندونيسية ويدخل في التليفزيون والكاسيت، الأمر نفسه بالنسبة للأغاني الدينية. فلا توجد أي فرقة موسيقية حاليًا بإندونيسيا إلا وتعمل بهذه الأغاني، فأيًا كانت اتجاهات هذه الفرقة، تؤدي مجموعة الأغاني الدينية.

وفي المجال السياسي، كان ظهور مجموعة من الممالك الإسلامية، ومحاولة تطبيق الشريعة على المسلمين من خلال الدستور، إلا إن هذه المحاولات فشلت، ثم كان ظهور **الحزب الإسلامي القوى** ، وثاني أكبر الأحزاب السياسية انتخابًا في عام 1955، وبعد ذلك كان تمركز المسلمين في حزب واحد في عهد "سوهارتو"، ثم ظهرت ستة أحزاب إسلامية كبرى في انتخابات عام 2004 وهي أحزاب: نهضة الشعوب، الوحدة التنموية، العدالة والرفاهية، الأمانة الوطنية، الهلال والنجم، نجم الإصلاح.

د. نادية: هل هناك نسب مرتفعة لتمثيل هذه الأحزاب بالبرلمان؟

د. خالد: نعم هناك تمثيل لهم في البرلمان، وفي المقابل فإن حزب "فولكار" والحزب الديمقراطي المقاوم ذوى الاتجاه الوطني العلماني حصل كل منهما على ما يعادل ما بين 18% و 21% من الأصوات.

وإندونيسا الآن من أفضل الدول التي تتحول عن الديمقراطية الموجهة إلى ديمقراطية حقيقية، حيث تُجري انتخابات عامة سواء برلمانية، أو رئاسية بطريقة ديمقراطية نزيهة، حتى أنه ينتخب كل من رئيس الجمهورية ونائبه بالانتخاب الحر المباشر من الشعب، وكذلك رؤساء المحافظات والمناطق والمدن الكبرى، ورغم ذلك فقد وصف المحللون هذه الديمقراطية بأنها inefficient، فهي ما زالت في حاجة إلى التكاليف الباهظة، حيث إن كل مرشح يحتاج إلى 5 مليار على الأقل كي يُرشح نفسه ويشارك في الانتخابات، ولذا فإنه ما لم يكن الراغب في الترشيح من الأغنياء، فإنه لن يتمكن من الاستمرار بسبب قلة الأموال.

أيضًا، فإن جميع الأحزاب السياسية لم تكن على المستوى المطلوب. وجاء في استطلاعات الرأي أن 79% من الشعب الاندونيسي يرون أن الأحزاب السياسية تقدم المصالح الحزبية على المصالح الشعبية، و 67% يقولون أنها تتمحور حول الحكومة لا المعارضة. و72% يرون أنها غير مستقيمة بالمبادئ، حيث حدث الكثير من الانشقاقات داخل الأحزاب.

أما الأوضاع الاقتصادية، فأبرز ما بها قضايا النمو الاقتصادي والعمالة والبطالة والفقر والهوة الاجتماعية، وقضية انفصال المجال المالي عن المجال الاقتصادي الفعلي(*).

وتعاني إندونيسيا من ارتفاع نسبة الفقر منذ ما بعد الأزمة الاقتصادية، حيث ارتفع عدد الفقراء من 27.20 مليون نسمة في عام 1999 إلى 39 مليون نسمة في عام 2006، أي أن نسبة الارتفاع حوالي 43.56%. وتعتبر هذه النسبة عالية جدًا.

وعن الأوضاع القضائية، فإن تشكيل لجنة وطنية لمكافحة الفساد وسوء استخدام الأموال العامة يُعد من أكبر الانجازات في هذا المجال، إلى جانب إنشاء المحكمة الدستورية.

وبالنسبة إلى الأوضاع الدينية(**)، يمكننا أن نرى تواجد مختلف التيارات الإسلامية، والتي تتفاوت نسب تمسكها بالإسلام، وتختلف درجة لجؤها إلى العنف، وتحتل "الجماعة الإسلامية" القمة في التمسك بالإسلام وفي استخدام العنف، وتمثل هذه الجماعة أقلية بإندونيسيا ولا تؤثر في المجتمع بأي شكل.

كذلك هناك "مجلس المجاهدين" وأعضاؤه من إتباع "أبو بكر بعاشير"، ويقوم بكثير من التفجيرات كما حدث في "بالي"، وهذه أيضًا فرقة قليلة العدد ولا تتأثر بها أغلبية السكان.

ولكن التيار الإسلامي في أغلبه في إندونيسيا يعمل في إطار الديمقراطية، ويُقدم روح التسامح ويدعو بالموعظة الحسنة ويحاول تطبيق مبادئ الإسلام تطبيقًا فعليًا قبل أن يُطبق

(*) يشير إلى بيانات واستطلاعات رأي.

(**) مشيرًا إلى دراسة معدة في لندن.

الشريعة على مستوى الدولة. ويُمثل هذا الاتجاه كل من "الجمعية المحمدية–" وجمعية "نهضة العلماء" والأحزاب السياسية الإسلامية المعتدلة بأندونيسيا.

د. نادية مصطفى: أقدم شكر خاص إلى د. خالد على هذا العرض المدُعم بالصور والأرقام والوسائل التوضيحية المختلفة في كافة الجوانب.

المداخلات:

أ. عبد الرحمن حسام أبو بكر –الفرقة الرابعة – علوم سياسية:

لدى سؤالان إلى د. مصطفى وآخر إلى د. خالد:

بالنسبة إلى د. مصطفى:

السؤال الأول: فيما يتعلق بما ذكرته حول دمج الإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية، فإني لا أستطيع أن أفهم الذي تقصده بالتحديد، فماذا يعني هذا الدمج؟ وهل تقصد أن الإسلام كان موجودًا كدين ثم تم دمجه في إطار ثقافي أوسع أم تقصد البعد السياسي، بمعنى أنه كانت هناك جماعات معينة تم دمجها في الحياة السياسية بشكلٍ أو بآخر؟

السؤال الثاني: لم يتضح لي وجود تحدي حقيقي واجهه المجتمع الإندونيسي فيما يتصل بالحفاظ على التنوع والتعايش، بخلاف ما علمنا عن المجتمع الماليزي، حيث كان أمامه تجدي تمثل في التفاوت وتوازي خطوط الانقسام، وقد تعلمنا في العلوم السياسية أن خطوط الانقسام حين تتجمع يحدث استقطاب اجتماعي أو سياسي على نحو ما. والسؤال إذن هو: ما تحدى الذي يواجه المجتمع الإندونيسي فيما يتصل بإدارة التنوع والتعدد والتعايش؟

د. نادية: علمًا بأن المجتمع الاندونيسي يضم 250 قومية و 500 لهجة.

أ. عبد الرحمن: وبالرغم من ذلك لا يتضح لي أين التحدي، في حين أن ماليزيا تضم ثلاث قوميات فقط ونجد بينهم صراع من نوع ما.

بالنسبة إلى د. خالد:

إن سؤالي أقرب إلى البعد الإنساني، حيث أود أن تذكر لي ثلاثة أشياء تفتقدها حين تذهب إلى إندونيسيا، وثلاثة أشياء أخرى تفتقدها حين تأتي إلى مصر؟

أ. شعبان عاشور – مدرس رياضيات للمرحلة الثانوية:

التقيت في أثناء أدائي للعمرة منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا شابًا إندونيسيًا، وسألته عن مسألة التنصير، وما إذا كانت موجودة حقًا أم لا، وهل لها أثر.

وفي الحقيقة فقد أقر الشاب بهذا الأمر، أما الآن، فإن هذا الأمر ما بين شد وجذب حيث التساؤل حول وجود هذا الأمر وما إذا كان له تأثير، وإذا كان له تأثير فهل هناك حملات مضادة من المسلمين؟

م. عبد المعطي ذكي:

الحقيقة، نحن لدينا جانب معرفي بالإسلام كبير جدًا. وقد قابلت مجموعة من الإندونيسيين في الحج ووجدتهم ينظرون لنا باعتبارنا صحابة الرسول، ولكن هم لديهم الجانب السلوكي أفضل كثيرًا.

وهذا أمر يُحيرني، فهل ذلك يرجع إلى أن البلاد التي تُفتح عن طريق الجيوش لا يُمكَّن فيها الإسلام مثلما يُمكَّن عن طريق التجار، حيث الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي يُساعد على تغلغل الإسلام شيءً فشيءً حتى يدخل قلوب الناس؟فقد وجدت سلوكًا رائعًا من الاندونيسيين على النحو الذي وصفه د. خالد.

د. نادية: ماذا تقصد بقولك أقل معرفة وأكثر معرفة؟

م. عبد المعطي نحن لدينا علوم ومعارف إسلامية عديدة أكثر من غيرنا.

د. نادية: لكنها موجودة فقط ولا تفعل

م. عبد المعطي: نعم

الأمر الثاني: إن إندونيسيا حتى وإن لم تطبق الشريعة فإن الإسلام مُمكن في المجتمع، فالمسألة لا تتعلق بمجرد وجود قانون إسلامي.

الأمر الثالث: إني لا ألاحظ أثر كبير للغزو الفكري في إندونيسيا، فما زالت الطبيعة الإسلامية قوية لدى الناس، وما زالت السلوكيات الإسلامية كذلك، لدرجة أني عندما عشت بدول الخليج وجدت أن الإندونيسي أكثر قربًا للإسلام من هذه الدول.

والعجيب أيضًا، أنه حتى الحكام المستبدين منهم لا يحاربون الإسلام، في حين أن الثورة بمجرد قيامها في مصر قامت بإلغاء الأوقاف، كما كان هناك عمل للقضاء على المجتمع المدني، بينما المجتمع المدني باندونيسيا مُمكن.

أيضًا في تركيا شديدة العلمانية، نرى كيف أن المجتمع المدني ممكن بالرغم من الإرث الأتاتركي، فمازال الإسلام مُمكنًا.فلماذا هذا الفارق؟

أ. نهى طارق– بكالوريوس علوم سياسية:

لدي ثلاثة أسئلة:

الأول: ذكر أ. مصطفى في بداية المحاضرة أغلب سكان الجزر الإندونيسية من المالاي، وهم أيضًا السكان الأصليين بماليزيا، فإذا كان كذلك، فلماذا كل من إندونيسيا وماليزيا دولتين منفصلتين، وهما يُضمان نفس العرق؟

الثاني: ماذا عن قضية جزر "الملوك"؟ وكنت أرى منذ عدة أعوام أخبارًا على شبكة الانترنت حول المذابح بهذه الجزر. وكانت المواقع الغربية تقول بأن المسلمين يقتلون المسيحيين، وفي الوقت نفسه تقول المواقع العربية والإسلامية بالعكس، ولذا أود معرفة حقيقة ما حدث هناك؟

أيضًا أود أن أسال عن الوضع بتيمور الشرقية، وكنا قد درسنا في مادة تطور العلاقات الدولية أن ما يحدث في تيمور الشرقية من مذابح هو مثال للاستبداد الإندونيسي ضد تيمور الشرقية، ومن ثم فكانت اندونيسيا بالنسبة لنا هي الدولة المعتدية وأهل تيمور هم الضحايا. وبالتالي، أود معرفة ما حقيقة هذا الأمر؟

الثالث ذكر د. خالد أن المدارس بإندونيسيا تدرس المواد الإسلامية كمواد أساسية وإجبارية، فلماذا لم يفكروا كما هو الحال بمصر في أن تكون المادة الإسلامية مادة بسيطة وغير أسياسية /اختيارية، حتى لا تهدر الوحدة الوطنية؟ وهل هي بالفعل تدرس للجميع؟

أ. جيهان الكرامي –محامية– باحثة دكتوراه في العلوم السياسية عن إندونيسيا:

أريد التعرف على دور الأحزاب السياسية باندونيسيا في تنمية الوعي السياسي للفرد الاندونيسي.

وهل هناك قيود على تمثيل الأحزاب السياسية في البرلمان؟ وإذا كانت هناك قيود، فهل تشكل عبءً على ممارسة الحقوق السياسية؟ وهل تكوين الأحزاب السياسي كحق سياسي جائز، أم له شروط تحكمية؟ وماذا عن مبادئ الوحدة والديمقراطية المعروفة باسم ؟ فهل مطبقة على الوجه الأمثل؟ أم هي مجرد ديمقراطية ورقية؟

أ. نجلاء صلاح الدين –باحث اجتماع سياسي بمعهد البحوث والدراسات العربية:

سؤالي موجه إلى د.خالد مصلح:

هل ارتفاع نسبة الفقر يعود إلى الأزمة التي شهدتها إندونيسيا، وكذلك الزلازل المستمرة؟ وهل القيم الاجتماعية كالتسامح تأثرت بهذا الأمر، لا سيما وأن المعروف عن الإندونيسي هو دماثة الخلق كما يتضح في وقت الحج؟

أ. شيرين حامد فهمي –باحثة دكتوراه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية:

لدي سؤالان:

الأول، وهو موجه إلى أ. مصطفى، كنت قد قرأت في تقرير "راند" الصادر في عام 2007 أن الولايات المتحدة ستحاول أن تستخدم مسلمي الأطراف ضد مسلمي الدول المركزية والذين يُسمون "المسلمين الأصوليين"، أي أن دول الأطراف كإندونيسيا وماليزيا ودول جنوب شرق آسيا يمكن استخدامهم باعتبارهم مسلمين أكثر ليبرالية، وسيقدمون الإسلام الليبرالي المتسامح الهادئ/ ذو النفس الهادئ، فما تعليق حضرتك على هذه المسألة؟

علمًا بأنه من ضمن المؤسسات التي أُنشِئت بهذه المنطقة في هذا الإطار مؤسسة تسمى "Labe for all" وهذه المؤسسة تقوم بترجمة الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية وتدخل فيها بعض المفاهيم الليبرالية.

الثاني، وهل بالفعل هناك الإسلام ليبرالي كما يصفون؟ وإن كان على هذا النحو؟ فكيف وقف الإندونيسيين –بحسب ما سمعت من حضرتك– أمام التغريب بشكلٍ أقوى من مسلمي الدول المركزية؟

وهل الإسلام الليبرالي الذي يتحدثون عنه أكثر صلابة من الإسلام الموجود بالدول المركزية؟ وما سبب أن مسلمي الأطراف كانوا أكثر صلابة في مواجهة تحدي التغريب، وهم قد واجهوا التغريب مثلنا تمامًا، حيث عانوا من الاحتلال الهولندي والبرتغالي والهندي والبريطاني والياباني؟ فلما كانوا أكثر صلابة من العرب؟

د. نادية: الأسئلة موجهة للأستاذين، حيث تكامل الطرحان في نفس النقاط.

د. وائل : صيدلي من المنصورة:

الأمر الأول: ذُكِر أن إندونيسيا تمكنت في خلال عشرين عامًا أن تكون أحد النمور الاقتصادية، وبناءً على هذا نريد معرفة المقومات التي اعتمدت عليها خلال هذه الفترة وهي فترة قصيرة بالتأكيد.

الأمر الثاني: أن اختلاف العرقيات واللهجات أسهل طريقة تمكن القوات الغازية والمحتلة من تفكيك المجتمع بحيث لا يصبح بهذه الصلابة، فما المقومات التي جعلت المجتمع الإندونيسي بمثل هذه القوة؟

الأمر الثالث: أُكتشف أن الثروة في اندونيسيا تتركز في أيد أقلية هي من الصينية، والأمر نفسه في ماليزيا، فهل هذا مخطط عالمي؟ وكيف اتخذ الإندونيسيين اتجاهًا عكسيًا ليتمكنوا من الحفاظ على ثروتهم؟

الأمر الرابع: نحن دائمًا نرجع أزماتنا سواء الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية إلى نظرية المؤامرة والمخططات العالمية، وبالرغم من أننا نرى ثروات مماثلة بإندونيسيا ومع أنها على الحدود مع الصين، وكان من الأيسر على الدول الغربية أن تخترقها، من خلال المؤامرة، إلا إن ذلك لم يحدث، فلماذا تمكنت نظرية المؤامرة من التأثير بنا ولم تتمكن من التأثير على مثل هذه المجتمعات التي أصبحت بهذه القوة التي نراها؟

أ. شريف عبد الرحمن –باحث بمعهد الدراسات الإفريقية:

تحدث د. مصطفى عن نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، وقد أكد أن الطرق الصوفية كان له دور كبير في هذا الأمر، ولكني لا أجد للطرق الصوفية أي دور في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا؛ إذ إن نشر الإسلام بهذه المنطقة كان في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وقد بدأ عن طريق التجارة، والتي كانت تأتي من خلال طريق الروس أو طريق نهر السند أو طريق البحر الأحمر مع الخليج العربي مع المحيط الهندي.أما الطرق الصوفية،

فلها دور في نشر الإسلام سواء في شمال الصحراء الأفريقية أو جنوبها، حيث لاءمت الشخصية الأفريقية.

وبالنسبة إلى دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، فقد تمثل في تدعيم الإسلام بعد نشره، ولم يصعد هذا الدور إلى دور شرافة مكة، حيث التعاطف مع دول جنوب شرق آسيا، فكان يذهب إليها سكان جاوة وسومطرة، أو يُرسل شريف مكة إلى هؤلاء من الفقهاء من يعلمهم الإسلام.

ويأتي بعد هذا الدور دور الأزهر الشريف الذي اعتبره معجزة التاريخ الإسلامي في الشرق الأوسط، وهو الذي دعم الإسلام هناك بشكلٍ واضح وقد فاق دوره أي مؤسسة أخرى فيما يتصل بنشر وتأصيل الإسلام بجنوب شرق آسيا.

وأعتبر أن ثقافة التعدد والتنوع واضحة جدًا بالأزهر الشريف، فهو المؤسسة الوحيدة التي تدرس المذاهب الأربعة أو أكثر وتتعاطى مع الثقافات الأخرى. فالعقلية السعودية على سبيل المثال تتحدث عن مذهب واحد هو مذهب "أحمد بن حنبل".

ويُذكر أن جامعة "نوكبرتو" بغرب أفريقيا أيضًا تتعامل مع المذاهب الإسلامية المختلفة.

النقطة الأخيرة: إني أجد ملامح التعدد والتنوع في العلاقة بين الإسلام والقبيلة، فبمنطقة كهذه حيث يوجد 250 قبيلة، ألمح ملامح الدولة داخل كل من هذه القبائل، إذ لكلٍ منها لغتها وشعبها وأرضها.

ويصل عدد سكان القبيلة في بعض المدن الأفريقية إلى ستة ملايين مواطن وقد تعامل الإسلام مع كل هؤلاء فاستطاع بقدرته وقبوله للتنوع والتعدد استيعاب هذه القبائل ليجعلها نقطة في منظومة الأمة الإسلامية.

الشيخ هاشم إسلام علي إسلام –واعظ باللغة الفرنسية وعضو لجنة فتوى:

أولاً ما أوجه الشبه والاختلاف بين إندونيسيا وجوارها من دول جنوب شرق آسيا؟ وهل هناك سعى للوحدة بين إندونيسيا وجاراتها من الدول المسلمة أم لا؟

ثانيًا ما أثر التغريب والعلمانية والليبرالية والتبشير في أندونيسيا قديمًا وحديثًا، أي قبل الاستعمار وفي الوقت الحالي؟

وما موقف المسلمين ودرجة وعيهم (خاصة الأحزاب الإسلامية التي فازت في الانتخابات) تجاه مؤامرات التفتيت والتقسيم، خصوصًا وأن إقليم تيمور الشرقية كان البداية وليس النهاية؟

ثالثًا: ما موقع إندونيسيا من النهضة التكنولوجية؟وما موقعها بين النمور الآسيوية؟

رابعًا: نعم إن الشريعة غير مطبقة هناك، ولكن هل الإسلام موجود بإندونيسيا في الجوانب الاقتصادية مثل أنظمة البنوك؟ وهل موجود فيما يتصل بالأنظمة السياسية والتعليمية ومثل هذه الأشياء؟وما توجهكم تجاه الدول الإسلامية؟

أ. ربيع أحمد محمد – الفرقة الثالثة بقسم العلوم السياسية كلية التجارة –جامعة أسيوط:

عند تحدث د. خالد عن الأوضاع السياسية بإندونيسيا، أشار إلى أن إندونيسيا قد تحولت الآن من مرحلة الديمقراطية الموجهة إلى مرحلة الديمقراطية الحقيقية، وما نريد معرفته هو الأسباب والعوامل التي أدت لذلك، فهل كان ذلك بسبب القيادة السياسية أم هناك أسباب متعلقة بالقيم الإسلامية أم غير ذلك؟

أ. محمود بيومي– الفرقة الثانية– كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

لدى عدة أسئلة:

أولها: كيف تعالج إندونيسيا وضع الجزر المطالبة بالنفصال؟ وما سياسة استراليا تجاه هذه المحاولات الانفصالية؟

ثانيها ما السبيل إلى إصلاح النظام السياسي الإندونيسي من منظور الجماعات والأحزاب السياسية في اندونيسيا؟وما صورة المستقبل؟

ثالثها: أسأل أيضًا عن حدود دور العسكريين في السياسة الإندونيسية، وما وزن رجال الدين في السياسة؟ وهل هناك نزاعات طائفية كالنزاع بين السنة والشيعة؟

رابعًا:أيضًا هل ما زالت إندونيسيا تلعب دور بوابة مكة الأمامية إلى جنوب شرق آسيا؟ وكيف تلعب هذا الدور؟

أريد أيضًا أن أنوه إلى أن إندونيسيا أثبتت خلال الأزمة المالية في عام 1998 أن التنمية المستقلة وليس الاعتماد على الغرب والقروض والديون هي السبب الرئيس لاجتياز الأزمة.

التعقيب:

أ. مصطفى كسبة:

شكرًا إلى أستاذتنا الفاضلة د. نادية، وفيما يتعلق بسؤال أ. عبد الرحمن حول دمج الإسلام في الحياة السياسية والاجتماعية فإنه لم يحدث بإندونيسيا تهميش للجمعيات الإسلامية الكبرى خاصة الجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء.

وتمتلك الجمعية المحمدية 159 جامعة وكلية خاصة بمصروفات وتُدَّرس بها مختلف التخصصات، وهذه الجمعيات لها أوقاف ومستشفيات. وقد حضرت مؤتمرًا للجمعية المحمدية في العام الماضي وهو يعقد كل أربعة أعوام يُسمى مؤتمر "التنوير"، وقد أشار رئيس الجمهورية

بنفسه إلى دور هذه الجمعية في مجالي التعليم والصحة، إلا أنه ما زال دورها في المجال الاقتصادي في حاجة إلى المزيد لمواجهة الفقر والبطالة، ولكن المشكلة تكمن في قلة موارد هذه الجمعيات؟

وبالنسبة إلى **الدمج في الحياة السياسية**، فإنه لم يحدث تهميش لهذه الجمعيات؛ وذلك لأن هناك فصل بين الجمعية كجمعية والعمل السياسي لأعضائها، فمن يريد ممارسة العمل السياسي عليه الذهاب إلى الأحزاب.

وإذا نظرنا إلى الخريطة السياسية الآن، سنجد أن الدكتور "هدايت نور واحد" رئيس مجلس الشورى هو خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أيضًا الدكتور "دين شمس الدين" خريج جامعة أمريكية، وهو أستاذ في العلوم السياسية وله دور ونفوذ كبيران لأنه ينتمي إلى الجمعية المحمدية التي تساهم بخمسة أو ستة وزراء في الحكومة، إلا إن هذا لا يكون باسم الجمعية وإنما من خلال الأحزاب.

وفيما يتعلق بجمعية "نهضة العلماء"، فإن "هاشمو مزادي" خاض الانتخابات الماضية كنائب لرئيس الجمهورية لكنه فشل ولا يريد تكرار التجربة.

ونجد الآن من خلال صفحات الإنترنت خاصة الإندونيسية كيف أن دكتور "دين شمس الدين" يطرح نفسه كمرشح لرئاسة الجمهورية في العام القادم، أيضًا نرى دكتور "أمين رئيس" وهو كان رئيسًا للجمعية المحمدية وانتخب كرئيس لمجلس الشورى وشارك في الانتخابات الرئاسية لكنه لم يوفق لأنه لم يكن لديه التمويل. وهنا تجب الإشارة إلى أن قوة التمويل التي يملكها الصينيون تلعب دورًا مهمًا جدًا في الانتخابات، كذلك تلعب القوة التمويلية التي توجهها الولايات المتحدة وأستراليا دورًا كبيرًا في تحديد المرشحين.

وعن **التعدد والتنوع والتعايش**، فإنه هناك صراع مكتوم بين المسلمين والصينيين وبين المسلمين والمسيحيين، حيث أُنشِئت ما يقرب من حوالي عشر جامعات كاثوليكية و بروتستانتية، والتي تأخذ الطلبة الفقراء ثم تمنحهم درجات ماجستير ودكتوراه بأقصى سرعة ممكنة ليصلوا إلى مراكز مرموقة. وقد شاهدت الشهر الماضي بإحدى الجامعات أن أحد الأساتذة والذي يُعد رجل ملتزم ومرشح لمركز ما قد تواطأ مع مجموعة من الصينيين والمسيحيين والأحمدية ليتم اختيار امرأة من الأحمدية بدلاً منه، أي أن المال له خطورته في استمالة الأشخاص، وقد شاهدت ذلك بنفسي.

وقد شهدت منطقة "سلاويسي" وهي ولاية من الولايات عدد سكانها 30 مليون نسمة نصفهم مسلمين والنصف الآخر مسيحي صراعًا مريرًا في منتهى القسوة، حيث تجد القتال ليس بالبندقية أو ما شابهها وإنما بالساطور والسيف.

ونجد الحكومة الإندونيسية الآن وخاصة نائب الرئيس "يوسف كارلا" وبعض المخلصين يقولون إنه يجب تحويل الجهاد من مفهوم قائم على الاقتتال داخليًّا بالسلاح إلى جهاد لطلب العلم والتنمية الاقتصادية.

وهناك رجل من الرجال المخلصين هو دكتور "عبد الله زركشي" قد عرض على كل من رئيس الجمهورية ونائبه القيام على هذا، فتم جمع مجموعة كبيرة جدًا ممن يجاهدون للدفاع عن الإسلام ومقاومة التيار التغريبي وقام بزيارة المملكة العربية والسعودية ومصر وقال أنظروا إلى مصر والحضارة المصرية حيث مقر العلم والعبادة، فلابد أن تكونوا علماء كما في الأزهر، واستطاع أن يصل إلى نتائج ممتازة، إذ خفت الآن درجة العداء.ويُسمى الشيخ "عبد الله" هذا العمل "**الدبلوماسية التربوية**".

هناك أيضًا **التحدي الاقتصادي**، فعندما يكون هناك أغلبية تشكل 85% تمتلك 30% أو أقل من الاقتصاد، وأقلية تشكل 3% تمتلك 70% منه، فلا شك في أن ذلك يُمثل تحديًّا، حتى أن الجمعية المحمدية نظمت مؤتمرًا هذا العام –وقد شاركت فيه– بمشاركة جمعية صينية بوذية بشأن السلام العالمي وحوار الحضارات، وحضرته أعداد كبيرة جدًا.

وقد لمحت من خلال مؤتمرات عديدة حضرتها خلال هذا العام أن هناك نغمة/توجه – كما أشير –يدل على أن الاستراتيجية الأمريكية بها بدائل عن الإسلام الموجود بالشرق الأوسط واستخدام أطراف وكذلك طبقات كثيرة، وهذه النقطة مهمة جدًا بكل تأكيد ومن فضل الله أني شاركت في مؤتمرات كثيرة وأقول أن المنتدى الثاني للسلام العالمي الذي نظمته الجمعية المحمدية بعنوان "كيف نواجه العنف"، كان معظم مدعويه من أساتذة العلوم السياسية والسفراء، وقد ركزوا على أن العالم الإسلامي هو مصدر العنف. وهنا طُرِحت رؤية بديلة مفادها إصلاح النظام الاقتصادي العالمي كمدخل للسلام العالمي والاستقرار، وأتيت بشهادات لخمسة من علماء الاقتصاد الحائزين على جائزة نوبل بينهم الفرنسي "موريس إبلبيه"، و"جوزيف إسدجلس" كبير مستشاري الرئيس الأمريكي الأسبق "كلينتون"، حيث أكد الجميع أن العولمة تدار بطريقة سيئة، حتى كادوا يقولون أن العولمة تديرها مافيا.

ويرى "موريس إبلية" أن سبب مشاكل العالم الآن هو النظام النقدي في القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد طرح رؤية بديلة هي تمامًا رؤية النظام الإسلامي للاقتصاد، وخاصة ما يتعلق بالنظام المالي والنقدي.أيضًا "إميتش" تقول –كما ذكرت– أن الأزمة تكمن في أن هناك أقلية تسيطر على الاقتصاد.كذلك "جون جراي"، الذي تحدث في كتابه "الفجر الكاذب": أوهام الرأسمالية العالمية" عن أن هذه السوق العالمية هذه وهم وأنها ستسفر عن حروب، كاد يقول إن العولمة والظروف المحيطة التي نشهدها حاليًا توشك أن تكون هي ذاتها السابقة على الحرب العالمية الأولى، وبالتالي، فهي لابد وأن تؤدي بشكلٍ أو بآخر إلى صراع مماثل.

أما أنا فقد طرحت رؤية إنسان مسلم من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية في علم الاقتصاد، وكانت مفاجأة بالنسبة إلى الحضور ودار حولها الكثير من النقاش، إذ رأوا كيف أن إصلاح النظام النقدي العالمي من خلال النظام النقدي الإسلامي من شأنه تحقيق العدالة والحرية في تداول الأموال وتوفير حد الكفاية لكلٍ من أفراد المجتمع، فضلاً عن الاستقرار النقدي والاقتصادي عامة. وأقول كباحث وخبير اقتصادي أن 10% فقط من إجمالي النقود المتداولة على مستوى العالم تُستخدم في تمويل مشروعات إنتاجية حقيقية، بينما 90% تُستخدم في تمويل المضاربة في العملات والأسواق والأوراق المالية، علمًا بأن كل ما نشاهده الآن في هذا الإطار يقول العلماء إنه مقامرة ويسمونه "كازينو المقامرة العالمية".

هناك محاولات أيضًا لاستخدام الطرق الصوفية كبديل عن الإسلام المجاهد أو الإسلام المقاوم.كذلك يستخدمون الأشراف ويُحاولون الرفع من شأنهم، وسيُعقد مؤتمر بالمغرب عن الأشراف، والصوفية، إلى جانب مؤتمر آخر سيُعقد في مصر قريبًا، وفي نفس الإطار سيُعقد في مصر مؤتمر "الأمن المجتمعي"، كما حضرت بالجزائر مؤتمرًا عن الأمن في الشريعة الإسلامية، حيث يُركز الجميع على البعد الأمني ويترك الجوهر. وحقيقة فإن الإسلام ليس دين عنف، ولكن المقاومة والدفاع عن الأعراض والأموال والأوطان والعقيدة هي أمور من أسس وصلب العقيدة الإسلامية.

وفيما يتصل بالجزئية الخاصة بالتساؤل حول **لماذا يستخدمون الأطراف والهوامش ضد المركز؟**، فإن هناك أمر يجب أن نشير إليه بثقة –مع احترامي للجميع– وهو أن الإسلام موجود بمصر في الأزهر، وقد ذكرت لأحد الإخوة أن مصر ليست قوة كبيرة في مجال الاقتصاد أو السياسية، ولكنها قوة ثقافية عظمى وذلك بفضل الأزهر الشريف في المقام الأول، فالأزهر الشريف له نفوذ واسع في العالم الإسلامي حتى أن الإندونيسيين يُسمون أبناءهم على أسماء علمائه مثل: الشبرملي، الدمياطي، وهذا حال كل الأسر ذات الوزن هناك، أي لنا نفوذ ثقافي بهذه المنطقة.

فكما يقول "شيمون بيريز" في كتابه "الشرق الأوسط الجديد"، إن معظم العالم يتأثر بما ينتج من كتابات ومن أفكار بهذه المنطقة.ونحن هنا كالأساس أو القطب الذي يُصدر للعالم أفكار الإسلام، والأزهر هو صاحب هذا الدور.

وبالنسبة إلى دور الولايات المتحدة وأستراليا في ضخ أموال ضخمة جدًا إلى إندونيسيا، فإني أذكر أنني لا أرى أي فرد إندونيسي بالفنادق ذات الخمس نجوم والتي أنزل بها هناك، بل أرى صينيين، إذ أنهم أغنياء جدًا –كما أشير– ولكن أيضًا هناك مساعدات من الولايات المتحدة وأستراليا بمليارات الدورات من أجل تقوية هذا الجناح.

وأؤكد أن المركز هو المقصود من هذا كله، حيث توجد مصر الأزهر وبغداد عاصمة الخلافة العباسية.

وهنا أقول كلمة أخيرة بشأن ملمح تاريخي هام، وهي أن القرن الثالث عشر الميلادي– السابع الهجري الذي دخل فيه الإسلام إندونيسيا هو ذاته القرن الذي سقطت فيه بغداد على يد المغول، كما شهد حروبًا صليبية، هذه الحروب شهدنا فيها كيف أُسر "لويس التاسع" في معركة فارسكور، وحدث أيضًا في هذا القرن تولى أول امرأة في العالم الإسلامي الحكم هي "شجر الدر"، كذلك شهد هذا القرن ازدياد /انتشار التصوف المغربي حتى جاء إلى مصر، وبخلاف ما قاله أحد المتدخلين عن الطرق الصوفية، فإني أؤكد أن التجار والطرق الصوفية قد لعبوا دورًا كبيرًا في نشر الإسلام، وأركز على الطرق الصوفية تحديدًا، إذ كان لها دورًا بارزًا في نشر الإسلام في كلٍ من آسيا وأفريقيا، وتحديدًا الطرق الصوفية الصحيحة التي تعتمد على مرجعية القرآن والسنة، وتعتمد أيضًا على السلوك والعمل؛ ولذلك نجد أن السلوك والعمل المعبر عن الإسلام هو الغالب على سلوك الإخوة بإندونيسيا.

أيضًا، يمكن القول إن التاجر المسلم كان يُراعى الله في كافة أموره، وكان عندما ينزل إلى بلد يتزوج منها، وتجد أنه عندما يستيقظ صباحًا يستخدم السواك ويتوضأ ويستحم وغير ذلك من مظاهر النظافة، الأمور التي ترتب عليها أن الزوجة كانت تنقل للأخريات من قريباتها مثل هذه السلوكيات، حتى انتشرت وانتشر معها الإسلام بين البيوت والأسر.

د. خالد مصلح:

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً– بالنسبة إلى **ما أفتقد؟** فإني أفتقد المطر بما يرتبط به مما وراء المطر من جبال ومزارع، فإذا ما ذهبتم إلى إندونيسيا ورأيتم كيف ينزل المطر، فسيكون ذلك مشهدًا عظيمًا بالنسبة لكم، إلى جانب بعض الأشياء الأخرى التي افتقدها.

ثانيًا: فيما يتعلق **بالتحول من الديمقراطية الموجهة إلى الديمقراطية الحقيقية**، فهذا بالأساس مطلب شعبي، جاء نتيجة فشل النظام الذي جاء به "سوهارتو"والذي أحدث أزمة اقتصادية، فقد اعتمد على اقتصاد السوق وفتح الأسواق للخارج، ولهذا السبب مات إنتاج المصانع الوطنية كمصانع الملابس فضلاً عن المحاصيل الزراعية، حيث دخل الصينيون وغيرهم، في حين لم تكن هناك مناعة داخلية، بل أنه عندما التقي الرئيسي "سوهارتو" ببعض الفلاحين الذين اشتكوا له هذه المسائل، أجابهم بأن هذه هي المصلحة وأن عليهم أن يتأقلموا.

ولكن كيف للإنتاج المحلي البسيط مقاومة تلك المصانع العالمية الكبيرة! وقد استمرت الأمور على هو النحو حتى تدهور وضع الإنتاج الوطني وظهرت البطالة وارتفعت نسبتها، كما بدأ الاعتماد على القروض، ونتيجة لهذا حدثت أزمة اقتصادية في عام 1998. وقد استخدم

الشعب هذه المناسبة لإسقاط الرئيس "سوهارتو" وتمثلت المطالب الشعبية حينها في ثلاثة مطالب،أهمها ألا يتدخل العسكريون في السياسة، وبالفعل لا يوجد الآن بالبرلمان سوى عدد محدود من العسكريين، فلا يُسمح لهم بالتدخل في السياسة إلا المتقاعدين منهم، إذ يُمكنهم الترشح في الانتخابات.وبسقوط "سوهارتو" حدث تحول حقيقي في العملية الديمقراطية.ونرى أن هذه التجربة الإندونيسية رائعة، ويشعر بذلك جميع الشعب الاندونيسي.

ثالثًا: وعن الأمر المتعلق بالمحاولات بالانفصالية، فإن "سوهارتو" تعامل مع هذه المسألة بالقوة العسكرية، وهذا بالتأكيد أحدث نوعًا من الكراهية، على النحو الذي حدث في "أتشية"، إذ نتجت كراهية تسكن في الأعماق، فالشعب في "أتشيه" إذا عرف أنك من "جاوة" فهذا يعني بالنسبة له أنك مستعمِر، فالمستعمر بالنسبة له ليس هو الأجنبي وإنما من ينتمي إلى جاوة، وهذا التصور/ الشعور منبعه استخدام القوة مع المحاولات الانفصالية.

وبالنسبة إلى "تيمور الشرقية"، فإن الأمر يختلف، فهي ليست جزءً من المنطقة الإندونيسية، وإنما كانت ضمن المناطق المستعمرة من البرتغال. وقد أدخل "سوهارتو" هذه المنظمة ضمن إندونيسيا، وذلك ليس من الذنب في شيء لأنه معروف أن البرتغال هي المستعمر، ولكن هذه المسألة دائمًا ما تحدث مشاكل دولية بالنسبة إلى إندونيسيا.

وقام "حبيبي" بحكم ثقافته بإجراء استفتاء شعبي في "تيمور الشرقية"، وهنا تدخلت القوى العالمية، وكانت المطالبة باستقلال هذه المنطقة.

مع العلم بأن شعب تيمور الشرقية يختلف عن شعب "أتشية"، لأن الأخير شعب مسلم أصيل في إندونيسيا، بينما شعب تيمور الشرقية ذو أغلبية مسيحية، وإذا دخل إلى اندونيسيا سيدخل كعضو غريب، ولذلك لم يشعر أي إندونيسي بالأسف لخروج "تيمور الشرقية" من إندونيسيا.

د. نادية مصطفى:

مع احترامي الشديد لما قاله د. خالد، إلا أن التعليق الأخير الخاص بأن تيمور الشرقية ليست مهمة لأن بها أغلبية مسيحية، بينما الأمر يختلف مع أتشية لأن بها أغلبية مسلمة يكشف عن معيار غير سليم للحكم بقبول استقلال أو انفصال أجزاء عن الأراضي؛ ما من شأنه أن يفتح بابا التجزئة في العالم كله على أساس ديني.إن المشكلة الأساسية تكمن في تحديد ما إذا كانت "تيمور الشرقية" ركنا ركينا من إندونيسيا تاريخيًا أم لا؟ وهذا هو المعيار.

الخبرة الباكستانية*

د. نادية مصطفى:

والآن سنعايش الخبرة الباكستانية. ويُسعدنا أن يكون معنا اليوم للحديث عن هذه الخبرة الأستاذ الدكتور يوسف عامر أستاذ الأوردو في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

وهو يعرف، بحكم تخصصه في اللغة، باكستان من الداخل من خلال وثائقها ومصادرها. وأيضًا معنا للحديث في الموضع ذاته دكتور محمد نجيب خان المستشار الإعلامي للسفارة الباكستانية بمصر، ويُشرفنا أيضًا بالحضور مستشار السفارة الأستاذ سيكندار ببلال لمير.

وحقيقة أود توجيه خالص الشكر إلى الأستاذ الدكتور يوسف عامر لقبول الدعوة. وكنت قد التقيت د. يوسف في أحد المؤتمرات بالخارج وكان لنا حديث مطول حول الثقافة والسياسة وكيف يمكن لأساتذة اللغات الشرقية أو غيرها من أنماط اللغات بحكم اطلاعهم على مصادر من داخل الخبرات المختلفة أن يُقدموا عونًا لنا في دراسة هذه النماذج.

كما أشكر د. نجيب خان شكر خاص لأنه ما إن اتصلنا بهم حتى أبدى كامل الاستعداد للتعاون في تنظيم اللقاء.

وكذلك الفريق المساعد له سواء الفنين منه أو الترجمة، إذ سيتحدث بالإنجليزية ثم ستكون هناك ترجمة إلى العربية.

د. يوسف عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة آل عمران: آية 8)

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم: آية 41).

أستاذتي الجليلة الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى، الأساتذة الأجلاء أعضاء المنصة، السادة والسيدات الحضور، الجمع الكريم، سلام الله عليكم ورحمة وبركاته.

بادئ ذي بدء، أسجل شكري وتقديري لأستاذتي الدكتورة نادية مصطفى وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وجامعة القاهرة على تفضلها بإتاحة الفرصة لي كي ألتقي بسيادتكم جميعًا لنتحدث سويًّا عن النموذج الباكستاني أو التجربة الباكستانية أو الخبرة الباكستانية أو إسهامات باكستان في الحضارة الإسلامية.

ولابد أن نعرف في بداية الأمر أن الثقافة أو الحضارة الإسلامية إنما هي حضارة ذات أسس واضحة، ولكنها تتميز بتنوع الروافد. فالحضارة الإسلامية ظهرت في شبه الجزيرة العربية

---

* نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

** أستاذ الأوردو- كلية اللغات والترجمة- جامعة الأزهر

ثم بعد ذلك، وباعتبارها حضارة لا تخص أي منطقة أو أمة، انتقلت أسس هذه الحضارة إلى كل بلدٍ دخله الإسلام.

وعليه، فقد تعددت مصادر وروافد الحضارة الإسلامية، ولكن مع هذا التعدد للمنابع، هناك أسس ثابتة لهذه الحضارة.

فكل بلد يضيف أو تكون له تجربته في إسهاماته في الحضارة الإسلامية وتطورها ورقيها، ومع ذلك فإن كل بلد أو ثقافة تحرص على التمسك بأسس هذه الحضارة التي تقوم على التوحيد والعدل والأخوة الإنسانية والمساواة والتسامح والأخوة الإنسانية والمساواة والتسمح واحترام حقوق الآخر وحريته الدينية مع التفاعل معه والزكاة، وغيرها من أسس الحضارة الإسلامية.

إذًا، هل يصح أن نقول إن هناك إسلامٌ مصري وآخر باكستاني، وكذلك إسلامٌ إندونيسي؟

بالنسبة لي، أرى أن هذا خطأ، إذ إن جميع هذه الدول تندرج تحت حضارة واحدة وهي الحضارة الإسلامية التي تقوم على أسس ثابتة في مختلف العصور والأزمان والأماكن، وإن كانت كل بلد يضيف إلى هذه ثقافة بناءً على عدة عناصر كموقعه الجغرافي وتفاعل ثقافته الأساسية مع الثقافة الإسلامية.

أما باكستان، فإني أرى أنها نموذج جيد فيما يتصل بإسهاماتها في الثقافة والحضارة الإسلامية.فقد أُسست باكستان في عام 1947 أي منذ ما يقرب من واحد وستين عامًا ، إلا أنه وفي هذه الفترة الوحيزه، قد تمكنت باكستان من أن يكون لها إسهام وفير– ولا تزال– في كافة عناصر الحضارة الإسلامية، أي أسهمت في شتى مجالات المعرفة والعلم، والأمور الحياتية كذلك.وهذا ما سنتناوله بإيجاز شديد.

ولكن السؤال الأخر، إنه لما كان ليس من المنطقي أن نقول بأن دولة ما قد أسهمت في حضارة في خلال ستين عامًا دون أن يكون لديها أساس للقيام بذلك، فإن السؤال الذي يطرح نفسه ما الأساس الذي كان لدى باكستان للإسهام في الحضارة الإسلامية؟ أو هل الحضارة الباكستانية هي امتداد لحضارة أخرى؟

نعم، إن النموذج الباكستاني في الحضارة الإسلامية هو امتداد للحضارة الإسلامية وتفاعلها مع الحضارة الهندية. حيث من المعروف أن الإسلام دخل شبه القارة الهندية على يد التجار العرب، وكذلك الفاتحين.

فالتجار العرب كانوا قد هاجروا إلى تلك البلاد ونشروا الإسلام من خلال معاملاتهم فقط أي حسن أخلاقهم وحسن تعاملهم من الآخر والصدق والثقافية.وهنا دخل الكثير إلى الدين الإسلامي بناءً على هذه المعاملة.كذلك كان لرجال التصوف –وهذا أمرٌ مهم جدًا– دورٌ قوى في نشر الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية في بداية الأمر .وعليه، يميل الشعب الباكستاني

ومسلمي الهند إلى نزعة التصوف، وبالتالي يقوم المجتمع الباكستاني على احترام رجال العلم والمشايخ.

إذًا، حين اختلطت الثقافة الإسلامية عن طريق كلٍ من التجار والفاتحين ورجال التصوف بحضارة بلاد الهند القديمة، حدث نوع من أنواع التفاعل، وبناءً على ذلك نجد كيف حدث تهذيب وتعديل لبعض الأمور والسلوكيات في الحضارة الهندية القديمة، وليس هذا فحسب، بل أثر الإسلام بتعاليمه السمحة في مختلف الديانات الهندية القديمة.

فحين تفاعلت الحضارة الإسلامية مع الحضارة الهندية القديمة، ظهر نموذجًا مميزًا من الحضارة الإسلامية. وهذا النموذج يقوم –كما ذكرت في بداية الأمر– على أسس الحضارة الإسلامية الثابتة من توحيد وعدل ومساواة وغيرها من الأسس الواضحة.

ولعل أكبر دليل على تفاعل الحضارة الإسلامية مع الهندية وليس الصدام بينهما كما يزعم البعض، هو ظهور لغة جديدة تحمل اسم اللغة الأوردية.

فهذه اللغة من أبرز نماذج التفاعل الحضاري بين المسلمين حتى أصبحت هذه اللغة هي التي توحد بين سكان شبة القارة الباكستانية، الهندية حاليًا، حيث من المعروف أن لكل ولاية بهذا الإقليم لها لغتها وثقافتها، بينما تقوم اللغة الأوردية بدور وسيلة الاتصال بين الأقاليم وبين الثقافات وبعضها البعض.

فحين انقسمت باكستان في عام 1974، من المؤكد أنها بدأت من هذا النموذج الثقافي الذي تكون عبر العصور في شبه القارة الهندية –الباكستانية.وهناك من يقول أن هذا الاختلاط قد أوجد في البداية نموذج يقال له الثقافة أو الحضارة الإسلامية الهندية.

وأهم ما يميز النموذج الحضاري الباكستاني، هو المجتمع الإسلامي الذي يقوم في كافة أموره الحياتية على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أسهم هذا النموذج بقدرٍ وفير في الحضارة الإسلامية، على الرغم من حداثته.

ومن المعروف أن باكستان حين أسهمت فى الحضارة الإسلامية – وبحسب ما يقولون– لم يكن لديها ورقة أو قلم، وهذا رمز إلى أنه لم يكن بأيديهم البنية التحتية من مصانع وغيرها من الأدوات الأساسية للرقي والتقدم، ولكنهم استطاعوا مع هذا أن يوجدوا نموذج للحضارة والثقافة الإسلامية متقدم في كافة الأمور في هذه الفترة الوجيزة.

فقد أصبحت باكستان تمتلك التقدم التقني والنووي وما إلى ذلك. وهنا أرى أن هذه التجربة تثبت أن الإنسان إذا أراد إثبات ذاته والتقدم بإمكانه ذلك.

وهذا هو المعنى الذي أشار إليه العلامة والفيلسوف والشاعر المسلم الكبير "محمد إقبال".

إذ قال: إذ أراد إثبات ذاته وتقدم وعمل من أجل فلابد وأن يتقدم.

وهناك خصائص للنموذج الباكستاني في الثقافة والحضارة الإسلامية، فمثلاً في مجال التعليم، من المهم إدراك أن باكستان تتميز بزيادة نسبة التعليم بها، ومن الأمور المهمة في هذا الإطار أن النموذج الباكستاني في الحضارة الإسلامية تبنى أن التعليم يجب أن يستمر حتى الحصول على درجة الدكتوراه، وليس مجرد الرضا بدرجة الليسانس أو البكالوريوس.وهذا العنصر إنما يوضح قيمة الرقي والتقدم في الطابع الثقافي الباكستاني.وهذه أيضًا أولى خطوات الرقي والتقدم ذاته وكذلك الحوار مع الآخرين.كذلك، فإنهم يهتمون بالتعليم الفني وبشكل عام فإن المجتمع الباكستاني يقدر ويحترم العلم والعلماء والمشايخ.

أيضًا، نجد أن التعاون بين أفراد المجتمع أمر مهمٌ للغاية في النموذج الباكستاني، إضافة إلى احترام الكبير في كافة أقواله وأفعاله. وهذا أمر مهم جدًا في طريق الرقي والتقدم بأي مجال من مجالات الحياة. فالأخ الكبير في درجة الوالد، والأخت الكبرى في درجة الأم، فالكبير في السن له احترامه وله تقديره، حيث إن المجتمع الباكستاني يقوم على نظام الأسرة، أي من الممكن بسهولة وبساطة أن يقيم الأبناء بعد زواجهم مع رب الأسرة، الأمر الذي وُجِد في مجتمعنا المصري من قبل.

الأمر الآخر، هو انتشار التعليم الديني، فلدي المجتمع الباكستاني رغبة قوية وشديدة في تعلم الدين الإسلامي وأموره. ومن هنا كانت لهم إسهامات كثيرة وجيدة وطبية في مجال الدراسات الإسلامية.

وربما أجد فرصة هنا للقول بأن أول من كتب ردًا على ما كتبه المستشرق "ويليام موير"William Muir في كتابه الذي يعني بالعربية "حياة محمد" (صلى الله عليه وسلم)، كان مصلح اجتماعي وأديب اسمه السير سيد أحمد خان، وذلك في عام 1871 تقريبًا، حيث جمع مصادره بعد أن قرأ الكتاب وتفاعل معه. علمًا بأنه حرص على تجميع مصادره من مكتبات مختلفة، كما سافر إلى لندن وجمع ما أراد من المكتبة البريطانية، لدرجة أنه مكث هناك لمدة سنة، وهذا حتى تمكن من كتابه الرد المناسب.وهذا ما سأتحدث عنه في نهاية هذه الوريقات لأوضح ما هو المنهج الذي يقوم عليه النموذج الثقافي الباكستاني في الرد على المستشرقين والتحاور معهم.

كذلك، فإن المجتمع الباكستاني يهتم اهتمامًا كبيرًا يحفظ القرآن الكريم. وقد ذكر لي أحد الأصدقاء والزملاء من الأساتذة الباكستانيين في الجامعة أن هناك قرية في إقليم "البنجاب" يحفظ كل أفرادها تقريبًا القرآن الكريم.وعلى أي حال، فإن هذا أمر نجده في مختلف البلدان الإسلامية.

ويرفض المجتمع الباكستاني أي سياسة تخالف السياسة الإسلامية، هو يقوم على الحياء، الذي هو سمة عامة لكافة أفراده، انطلاقًا من النبي "صلى الله عليه وسلم": "الإيمان بضع وستون شعبة" والذي خص فيه الحياء بالذكر.أيضًا، يقوم المجتمع الباكستاني على مبدأ عدم الاختلاط

بين الرجال والنساء، ولذا فإن في المناسبات كالأفراح والتزاور وما شابه ذلك يكون هناك أماكن للرجال وأخرى للسيدات.

ومن أهم أسس المجتمع الباكستاني كذلك الاحترام المتبادل بين الزوجين ومن هنا نجد أن نسبة الطلاق قليلة جدًا، إذ يُعد ذلك بالمجتمع الباكستاني عيبًا كما أن هذا المجتمع يحترم المرأة ويُقدرها، فإذا قيل إن هذا المكان بوسائل المواصلات مخصص للسيدات، لا يقترب منه أحد.

وقد ولى المجتمع الباكستاني المرأة أعلى المناصب بالدولة ومن هنا رد على المستشرقين وبعض المعترضين ممن يقولون بأن الإسلام دين يظلم المرأة؛ لأنه لا يبيح لها تولي المناصب العليا بالدولة، حيث كان سلوك المجتمع الباكستاني ردًا عمليًّا على هذه المزاعم.فحين تولت المرأة الباكستانية أعلى منصب في الدولة لم يكن هناك أي اعتراض من أفراد المجتمع كما يحدث في بعض المجتمعات.

ويقدم لنا النموذج الثقافي الباكستاني حرية التعبير والرأي، بمعنى أنه يعتمد على هذا المبدأ، فيتأسس على حماية حقوق الأقليات التي تشكل 5% من المجتمع، وجميعها تمارس كافة حقوقها، ولا توجد أي مشاكل في هذا الأمر، فما سمعنا طوال فترة الستين عامًا الماضية عن حدوث أزمات من هذا النوع، بل إن المعابد التي تركها الهنادكة والبوذيين في منطقة قبل أن يهاجروا إلى الهند، لم يَقدم الشعب الباكستاني على هدمها.

وقد ذكرت فيما سبق أن الشعب الباكستاني يميل إلى النزعة الصوفية، ونجد فيه أهل السنة والجماعة وهم أكثرية، وإلى جانب ذلك هناك أصحاب بعض المذاهب الأخرى كالشيعة على سبيل المثال.

والمجتمع الباكستاني يقدم لنا نموذجًا في التفاعل الحضاري، وهذا من الأشياء التي أرى أنها توجد تشابها كبيرًا بين النموذج الثقافي الباكستاني وغيره من الثقافات الأخرى، وخاصة التي تدخل في نطاق الحضارة الإسلامية لاسيما وأن هجرة الباكستانيين إلى الأقطار العربية وغيرها للعمل وخلافة، تحدث تأثير وتأثر بالثقافات الأخرى.وأهم ما يميز الفرد الباكستاني أنه حين يذهب إلى أن قطر آخر يحافظ على هويته وعلى ثقافته.

والنموذج الثقافي الإسلامي بباكستان يتميز بأنه متنوع اللغات، حيث إن لكل إقليم لغته المختلفة عن غيره، ومن ثم له ثقافته وحضارته، وبالتالي فإن هذه اللغات تسهم في إثراء التنوع بالنموذج الثقافي الباكستاني. أما اللغة الأوردية تحديدًا فهي اللغة القومية لدولة باكستان الإسلامية، وهي الذالموحد الذي يوجد بين هذه الأقاليم وبعضها البعض.ولما كان من المعروف أن اللغة إنما هي هوية الشعب، فإن جميع الشعوب تعمل على الحفاظ على هذه الهوية.

وبالنسبة إلى الملبس، فإن المجتمع الباكستاني دائمًا ما يختار الملبس الذي يُلائم الإسلام.

كذلك، فإن هناك تنوع في العادات والتقاليد؛ نظرًا لتنوع البيئة الجغرافية بين بعض الأقاليم، حيث من المعروف أن الطبيعة الجغرافية تساعد على ظهور أنواع مختلفة من الثقافات والعادات والتقاليد في الملبس وغيره.

وللمجتمع الباكستاني دورٌ واضح في تطوير الفنون الجميلة التي ورثها عن النموذج الثقافي الإسلامي الذي وجد في شبه القارة الهندية قبل ذلك.فله إسهام طيب فيما يتعلق بالفنون الجميلة بمختلف أنواعها، سواء فن العمارة أو الرسم والخط وغيرها من الفنون.كذلك، فإن المجتمع الباكستاني يُبرز لنا ثقافة الاهتمام بالحرف اليدوية. وللمرأة الباكستانية دورٌ قوي بهذا النموذج الذي يجعلها تعمل وتنتج وهي بالبيت.

وفي مجال الأدب، فإن النموذج الثقافي الباكستاني قد أسهم إسهامًا وفيرًا في هذا الإطار ويُعد الشاعر والفيلسوف الكبير "محمد إقبال" أفضل نموذج يُقدم بالأدب الباكستاني.

وقد استمد "إقبال" فلسفته من الإسلام، وتقوم فلسفته على الحركة ولا تعرف السكون، فهي فلسفة بناء المؤمن القوي ، حيث لم يبكِ على الأطلال من ماضٍ عتيق ومجدٍ تليد ضيعه المسلمون، وإنما يُقدم الحلول لمشاكل المسلمين والعالم أجمع.

ومن هنا قدم "إقبال" نظرية الذاتية أو معرفة الذات، بما يعني أنه يجب على المسلم أن يعرف ذاته ويكتشف قدراته، ومن هنا يتقدم. إذ بدون ذلك لا يستطيع المؤمن المشاركة في بناء وطنه وصنع الحضارة.ثم دعا المسلم إلى تربية النفس والعمل على صياغتها في القالب الذي أراد الله سبحانه وتعالى له.

وقد تحدث إقبال قبل ظهور إسرائيل عن الخطر اليهودى بشكل واضح، وقال ما ترجمته – والترجمة للدكتور عبد الوهاب عزام–

لا يزال الزمان يصطلى بنارٍ لم تزل في حشاه دون خمود

لا دواء بلندن أو جنيف فوريد الفرنجة ملك اليهود،

أي أن "إقبال" كأنه يعيش معنا الآن. فقد قدم وجهة النظر هذه وهذا الرأي الصائب قبل وجود إسرائيل نفسها، حيث توفى عم 1938.

معنى البيت الأخير "لا دواء بلندن أو جنيف" أن المفاوضات وما شابه ذلك لن تجدي بشيء، لأن الأساس أن وريد الفرنج بأيد اليهود.

ويقول في قصيدة بعنوان "الشام وفلسطين" ما معناه أنه لو كان لليهود حق في تراب فلسطين، فلما لا يكون للعرب حقٌ في الأندلس؟

ونفس المعنى يقول شاعرنا المصري "محمد التهامي"، وهذا هو التفاعل، حيث يقول:

إن الذي زيفوه كل كذبُ ما لليهود بدارٍ أهلها عربُ

والهدف من ذكر هذه الأبيات هو إثبات أن الأدب الباكستاني، أو لنقل الأدب الذي يُقدم من خلال النموذج الثقافي الباكستاني لا يهتم بقضايا باكستان فقط، وإنما أيضًا يهتم بقضايا الإنسان في كل مكان، إذن للأدب الباكستانى وجهة نظر واضحة في هذه الشئون.

وكلنا ربما سمع بأشعار "إقبال" التي تعنت بها "أم كلثوم" هو قد دعا الله سبحانه وتعالى وقال:

قيثارتي ملئت بأنات الجوى لابد للمكبوت من فيضان
صعدت الى شفتي خواطر مهجتي ليبين عنها منطقي ولساني
أنا ما تعديت القناعة والرضا لكنما هي قصة الاشجان
يشكو لك اللهم قلب لم يعش إلا لحمد علاك في الاكوان

ثم يقول:

حديث الروح للأرواح يسري وتدركه القلوب بلا عناء
هتفت به فطار بلا جناح وشق أنينه صدر الفضاء

ويقول كذلك:

على قوة الحق تحيا الشعوبُ وتجتاز في المجد حد المحالِ
فلا شعبٌ يقوي بلا وحدةٍ تضم الصفوف لنيل المعالي

ويكتب الشاعر الباكستاني المعاصر الآن عن قضايا فلسطين والعراق والبوسنة والهرسك والشيشان إلى غير ذلك من القضايا، فمثلاً هناك شاعر يقول:

سواء كان بوش أو صدام أو شارون
فلا قبل لأحدٍ أن ينعم بثمرة السلام
وما دام رفاق العنف موجودين
فبيوت السلام مبنية على جرف هارٍ

ويقول كذلك:

أقر بأن هذا عصر الرقى والنور
ولكن الروح في انحطاط والظلام سائدٌ.

والحقيقة هي أنه على الرغم من أن الإنسان المعاصر يتقدم علميًّا وتقنيًّا تقدمًا خطيرًا، إلا أنه تأخر أخلاقيًّا، وهذا ما يشير إليه الشاعر الذي يُعبر عن نموذج الحضارة الإسلامية في باكستان ووجهة نظره فيما يحيط به من أمور في العالم.

وفيما يتصل بمجال الدراسات الإسلامية، فإن الباكستانيين لهم باع طويل وإسهامات وفيرة. ولكني سأقصر الحديث هنا على منهج علماء باكستان في الرد على المستشرقين والذي يتميز أولاً بالتزام بالهدوء التام والحوار مع المعارض واحترام رأيه، فيُخطابه بـ"السيد" فيقول على سبيل المثال: "إن السيد والعالم الجليل" فلان "مع أنه فرنسي الجنسية إلا أنه يجيد اللغة العربية وله دورٌ بارز في ترجمة كتاب كذا أو لكتابته حول الأدب العربي أو اللغة العربية أو ما شابه ذلك، أو لكنه حين تحدث عن نقطة /قضية كذا فيما يتعلق بكذا لم يُحالفه الصواب.

ثم يبدأ العالم الباكستاني في التحاور مع العالم الآخر ليُذكر بقول الله سبحانه وتعالى لسيدنا "موسى" و"هارون" عليهما السلام عند أمره إياهما بدعوة فرعون الذي لم يدع النبوة بل ادعى الألوهية، وعلى الرغم من هذا أمرهما الله قائلاً: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾(سورة طه: آية43). فلا يصح إذًا عند دعوة أي إنسان أن أبدأ بقول إن ذلك الفاسق كذا وكذا.وكان هذا المنهج الباكستاني في الرد على المستشرقين والكتب الأخرى التي ربما يصدرها المستشرق.أيضًا، هناك الاعتماد على قوة البرهان والهدوء بدلاً من الهجوم وأسلوب الخطاب وقوة البيان.كذا الاعتماد على ما ورد في الكتاب والسنة النبوية.

أما في المجال السياسي، فلا ننكر أن النموذج الثقافي الباكستاني كان له دور واضح وله فلسفة في هذا الخصوص، حتى أصبح لباكستان وضعها السياسي في الساحة الدولية على الرغم من حداثتها.

ويميز النموذج الثقافي الإسلامي في باكستان الفرق بين مفاهيم الدولة والنظام والحكومة. وقد كان ذلك من أهم أسباب الرقي، وهنا يظهر التمييز: هل لى أن اختلف مع النظام أم مع الحكومة أم مع الدولة؟ علمًا بأنه لا يوجد أي إنسان يختلف مع الدولة أي الوطن، بينما قد يُختلف مع الأفراد المعنية بالأمر، إذا ما وُجِد نوع من أنواع التقصير، وهذا لا يعني أن أقصر في واجبي أو أن أهدم شيء أو ما شابه ذلك.

وأرى أن هذا الانتماء القوي الوطن هو ما جعل باكستان تتقدم وترتقي.كذلك يتمتع هذا النموذج الثقافي بثقافة الانتخابات والتعبير عن الرأي وحريته أيضًا. كما يُقدم لنا هذا النموذج فرزًا جيدًا بين من يستحق المكانة ومن لا يستحق.

ولا يُنكر أحد أن هذا النموذج الثقافي يُساهم –بل بمعنى أدق يُشارك– في تشكيل ثقافة بعض الأقطار العربية بسبب الهجرة إلى العمل وما إلى ذلك.

ما ذكرته ربما يقول لي أحد بشأنه إن هذه إيجابيات ، ولكن هذا ما أنا مطالب به فقط من وجهة نظري.فما أريد أن أقوله من خلال هذه الورقة هو أن الثقافة والحضارة الإسلامية حضارة واحدة، ولكن لها روافد، وهذه الروافد تُثري هذه الحضارة، والتي تقوم ورغم هذا التنوع في المصدر وفي المنبع على أسس ثابتة.

أشكر لحضراتكم جميعًا حسن الاستماع، وأشكر أستاذتي لأنها أتاحت لي هذه الفرصة. وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

د. نادية مصطفى:

شكرًا د. يوسف على هذا العرض. وأعتقد أن الوجه الآخر المكمل للعملة سيزيد الأمر وضوحًا. وليتفضل د. محمد نجيب خان.

د. محمد نجيب خان*:

أود أن أشكر د. نادية مصطفى ود. يوسف عامروالأستاذ سيكنداروأحيكم جميعًا فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ويسعدنى الحديث إليكم عن باكستان .

يظن الكثيرون أنى مصرى فشكلى يبدو مصريا كما أن أبى قد اختار لى اسم أول رئيس لمصر "محمد نجيب" لأن أبى وكل باكستانى يحبون مصر بشدة، واعتبر كل المصريين أخوتى.و أشعر بالامتنان الشديد للدكتور يوسف فقد قدم صورة شاملة جيدة عن الثقافة الباكستانية.

المترجمة:**

وأود أن أبين لكم مدى الروابط التي ربطت بين الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد مابين النهرين مع حضارة نهر الإندز التي قامت عليها الحضارة الباكستانية. وهذا من خلال معرفة كيف كان تصاعد الاتصال بين الشعب المصري والشعب الباكستاني منذ قديم الأزل.فالحضارة الباكستانية ترجع إلى ما قبل 2 مليون سنة. وهناك آثار وجدت تدل على ذلك.

أود أن أبين لكم ما هو الفرق بين كلٍ من الثقافة والحضارة. فالثقافة هي السلوك الذي يعتمده بني البشر في مجموعة ما ونوع الحياة التي يختارونها لكي يعيشونها عبر فترة محدودة من الزمن.وعندما تطول هذه الفترة ويستمر الناس في تكوينهم ثقافتهم عبر الأزمنة، عندئذٍ يكونون ما يُعرف بالحضارة.فالحضارة نتاج للثقافة.

ويتضح أن التقارب بين الحضارة المصرية القديمة وحضارة نهر الإندز التي هي الحضارة الباكستانية قد جاء من خلال انتقال مجموعات من البشر من جنوب آسيا ووسطها إلى باكستان ومنها إلى بحر العرب ومنها إلى الدول العربية.فهذا الانتقال بين هذه المناطق يرجع إليه الفضل في الترابط الأزلي بين الحضارتين.

---

* المستشار الإعلامى بسفارة باكستان،

** تم تفريغ ماقامت المترجمة بترجمته، وعن عدم الإشارة الى المترجمة فإن هذا يعنى قيام المحرر بالترجمة

إن الترابط بين الحضارتين منذ قديم الأزل كان سببًا فيما بعد للانتقال السريع للحضارة الإسلامية إلى باكستان، فقد كان هناك بالفعل صلات تجارية وحضارية وثقافية بين الحضارتين قبل ظهور الإسلام عن طريق كل من بحر العرب والخليج.

وتوجد بباكستان منطقة مشهورة جدًا تسمى قرية الملاحة أو البحارة، والذين كان كل عملهم هو الانتقال من منطقة بحر العرب إلى منطقة نهر الإندز لنقل البضائع والتبادل التجاري بين المنطقتين.

وهذا هو الذي ساعد على انتشار الإسلام في هذه المنطقة بصورة كبيرة وسريعة.

وهناك تقارب كبير جدًا بين الحضارتين، سواء كان في التراث أو الملبس أو المأكل ونوعية الحياة، حتى أن كثير من الناس عندما يُقابلون الباكستانيين بمصر يُخطأون في أنهم مصريين، ثم يكتشفون فيما بعد أنهم أجانب، فيقولون لهم عذرا.

وفي واقع الأمر، إن التشابه إلى حدٍ كبير في المأكل والملبس ونوعية الحياة وحتى في الآثار، حتى أن بعض الآثار القديمة بباكستان تشبه إلى حدٍ كبير الآثار الموجودة بالمتحف المصري، وهي محفوظة بمتحف شهير بباكستان هو متحف "لاهور"، والذي هو من متاحف المدن الرئيسية. فالتشابه والتقارب بين الحضارتين هو من قديم الأزل.

وهناك صور على سبيل المثال لمدينة "منتدو"، والتي هي من المدن التي اكتشفت عبر الحفر، إذ وُجِدت مدن كاملة كما تجدون الآثار الفرعونية القديمة.وهذه المدن وجدت مدفونة كاملة تحت الأرض، ويعود تاريخها إلى ما يقرب من 5– 6 آلاف عام، أي بالتزامن مع الحضارة المصرية القديمة.وتدل هذه الآثار القديمة على الترابط بين الحضارتين.

هناك أيضًا آثار للحضارة البوذية القديمة موجودة على أراضي باكستان بكثرة، ويأتون إليها من الدول الآسيوية.وهي آثار قديمة جدًا مما يدل على أن باكستان كانت مهدا للديانة البوذية أيضًا.

بعد ذلك جاءت مرحلة الإسكندر الأكبر واستيلائه على هذه الأراضي الشاسعة وإقامة حضارة عليها. وعقب هذا كان الحدث الأعظم، وهو ظهور "محمد بن القاسم" الفاتح الإسلامي الشهير إلى شبه القارة.وبفضل هذه الحركات التي كانت في عهد الدولة الأموية انتشر الإسلام بها.

فهناك واحد من أقدم المساجد بالعالم وليس بباكستان فقط. وهو يشتهر بالرسوم والتكوينات الإسلامية القديمة.هذا إلى جانب الحصون الإسلامية والقلاع، إذ إن هذه المنطقة بسبب كبرها ومساحتها الشاسعة، قد قامت عليها الكثير من الحروب من أجل إنشاء الإمبراطورية الإسلامية على تلك الأراضي.فكما توضح العديد من الصور، فإن الحضارة الإسلامية متغلغلة بأرض شبه القارة.

وباكستان بها جبال وصحارى وأنهار وتنتشر بها الزراعة وهذا كانتشار الزراعة في شمال مصر وجنوبها ومختلف مناطقها نتيجة وجود المياه.

وهناك من المساجد القديم والحديث بباكستان، فعلى سبيل المثال هناك مسجد الفيصل، وهو ملك السعودية.ومن السدود، سد "تقِلا" وهو مثل السد العالي بمصر، فلدينا أشياء كثيرة كالتي بمصر. و إذا ذهبتم إلى باكستان فقد تتصورن أنكم جئت إلى أرض العجائب أو الجنة في الأرض.كذلك سترون المدن الكثيرة ، وقد تضاعف عدد السكان بباكستان ليُصبح 61 مليون نسمة تقريبًا.

د. نادية مصطفى:

أعتقد أن العرضين اللذان قدمهما كل من د. يوسف عامر ود. محمد نجيب خان كانا وافيان. وقد قال د. محمد نجيب أن اسمه يرجع إلى اسم أول رئيس مصري محمد نجيب، وهذا حبًا من أهل باكستان لمصر منذ عهد الثورة.وهذه ملاحظة سريعة. ولنبدأ الأسئلة.

المناقشات:

هاشم إسلام علي إسلام – واعظ باللغة الفرنسية بالأزهر:

لا شك أن الشعب الباكستاني شعب متدين وشعب ملتزم ونكن له كل احترام، كما أن باكستان هي جنة الله في الأرض. ولكن هذا الموقع الفريد لباكستان، لاشك أنه جعلها محط مؤامرات كثيرة قديمًا وحديثًا، ولذلك لاحظنا بعض المشاكل بعد ما يُسمى بالحربين العالميتين، وهذا مثل المشاكل الآتية: القضاء على بعض مؤسسات العمل الخيري، وإغلاق بعض المدارس الدينية والمساجد، وعلى رأس المشاكل في هذا الإطار ما يتعلق بمشكلة المسجد الأحمر، وعزل القضاة، وضرب مناطق القبائل في وزيرستان. وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

والسؤال إذن: أليس من الأفضل اعتماد سياسة التنوع والحوار التي تقرب وجهات النظر وتحل الخلافات كما حدث قديمًا مع سيدنا علي ابن أبي طالب وابن العباس عندما حاورا

الخوارج، وبالفعل تقلصت المسألة، وكذلك في عهد عمر بن عبد العزيز، وهذا كبديل عن الصدام؟

السؤال الثاني: ألا تخشون أن تؤدي التدخلات الخارجية إلى تفتيت باكستان كما حدث سابقًا مع بنجلاديش؟ وألا تخشون المبالغة فيما يُسمى "الحرب على الإرهاب" والانسياق وراء أمريكا والتي تدخلت بالضرب المباشر أحيانًا في بعض المناطق الباكستانية علنًا؟

والسؤال المطروح أيضا: ألا تخشون على مستقبل القنبلة الذرية الباكستانية من وجود أي محاولة لضربها أو لضرب مفاعلاتها النووية تحديدًا؟فماذا تتوقعون بشأن مستقبل باكستان، خاصة مع تربص كل من الهند وإسرائيل لضرب قدراتها النووية؟

د. نادية مصطفى:

لنكون أكثر وضوحًا، فنحن هنا لسنا بدورة لدراسة السياسة الباكستانية أو السياسية الأندونيسية، أو الماليزية أو الإيرانية أو التركية، وإنما نحن نقترب من موضوع ذي خصوصية، وهو خريطة التنوع والتعدد في الحضارة الإسلامية وبينها هذه النماذج الخمسة، إلى جانب التنوع والتعدد داخل كل من هذه النماذج.

فالأساس بالنسبة لنا هو التركيبة السكانية والناحية التاريخية والأبعاد الثقافية، على نحو ما يُبين التفاعل وما له من انعكاسات سياسية بعد ذلك، فلابد أن أبدأ من التنوع والتعدد الثقافي كي أصل إلى السياسي وهذا هو بؤرة تركيزنا، وليس القضايا السياسية لكل دولة، وإلا لكان من الأفضل أن نخصص خمس أو ست دورات لهذا الموضوع. ولعل هذا كان واضحًا في ورقة العمل التي أعددناها بشأن هذه الدورة، وقد قمنا بتوزيعها على المشاركين، كما تم نشرها على موقع البرنامج.

وبالتالي، إذا سُئل سؤال ذو أبعاد سياسية، فيجب ربطه بموضوع الدورة، فعلى سبيل المثال، إن الموضوع الخاص بالمدارس الدينية من الممكن ربطه بطبيعة التكوين داخل باكستان، ولنقف عند هذا الحد. وهذا ليس توجيها لكم في اتجاه معين، وإنما تركيزا على موضوع الدورة.

(تم عرض الفيلم الخاص بباكستان)

المترجمة تعليقًا على الفيلم:

كما ترون بالفيلم هذا هو العلم الباكستاني، وهذه هي الآثار الإسلامية القديمة، ونوع الحياة التي يعيشها الشعب الباكستاني، وهي مشابهة إلى حدٍ كبير للحياة بمصر.

وبالنسبة إلى الآثار التاريخية، فإن مدينة "هوجنتاوه" هي مهد الحضارة القديمة، والتي استخرجت من تحت التراب والرمال، وهي مدينة كاملة بشوارعها وبيوتها وما كان بها من أنظمة لتوليد المياه حيث الأبار والمخازن.وهذا مثلما استخرجت الآثار الفرعونية القديمة.

فهي تمثل تصورًا للحياة القديمة التي كان يعيشها الناس منذ أكثر من 6- 7 آلاف عام، أي في نفس الفترة التي تواجدت به الحضارة المصرية القديمة على أرض وادي النيل. ونحن كما نقول إن مصر هبة النيل، نقول إن باكستان هبة نهر الإندز.

ويتوافد السائحون من كافة أنحاء العالم للتعرف على هذه الحضارة التي لا يعرفها الكثيرون، فهي واحدة من أربع أقدم حضارات على الأرض. ولذا هناك العديد من المنتجعات والمناطق الترفيهية, وقد كان هناك أسلوب حياة متكامل، حيث الحضارة العريقة والآثار التي تعود إلى الحضارة البوذية.

فباكستان ليست دولة حديثة، وإنما هي دولة عريقة، إذ بها آثار لحروب الإسكندر الأكبر، إلى جانب القلاع الإسلامية القديمة التي تدل على الحروب التي جرت لإقامة الإمبراطورية الإسلامية على أرض شبه القارة.

كما أن هناك أيضًا المساجد القديمة، إذ بها مسجد من أقدم المساجد بالعالم وأروعها حيث الرسومات الجميلة والألوان الزاهية، إضافة إلى حدائق "شاليما" الجميلة التي ليس لها مثيل في العالم، والتي أقامتها الإمبراطورية الإسلامية القديمة، كذلك هناك منارة باكستان. ومسجد "بتشاهي"، والذي كان في وقت من الأوقات أكبر مسجد بالعالم. هذا فضلاً عن الجامعات الحديثة والمدن والفنادق.

والمساجد في رمضان تحديدًا تكون في كامل أبهتها وزينتها مثلما في مصر.كما أن هناك الاحتفال بالموالد الشعبية مثلما يحدث في مصر تمامًا، حيث إن التقارب شديد جدًا بين الشعبين.

ومن أهم المساجد بباكستان، مسجد "فيصل"، وهو على اسم الملك "فيصل" ملك السعودية الأسبق. وهناك أعداد كبيرة تتدفق على هذا المسجد.وبالنسبة إلى حفلات العرس والزواج، فهي تجري بالساحات.

وعلى جانب آخر، هناك معابد السيخ، إذ إن باكستان دولة إسلامية، والإسلام أساسه التسامح، وبالتالي فإن أتباع الديات الأخرى يجدون الحرية لممارسة شعائرهم على أرض باكستان. والأقلية السيخية تحتفل بمناسباتها الدينية على طريقتها من خلال آلاتهم الموسيقية.كما أن هناك من أتباع الديانة السيخية من يُشارك بالجيش الباكستاني.

ومن أهم الجامعات جامعة "البنجاب" بلاهور، حيث المعامل الإلكترونية الحديثة، وهي أحد أقدم الجامعات مثل جامعة القاهرة بمصر. ويتدرب الطلاب في كلية الطب على سبيل المثال على أحدث الآلات، كما أن هناك أعظم الأساتذة.

ومع تقدم الحياة، فإن الشعب الباكستاني يُحافظ على أصالة ملبسه، وكذا طرق العرس التقليدية، أيضًا هناك الآلات النحاسية كالتي في "خان الخليلي"، وصناعة المجوهرات وعروض

الأزياء.كما أن هناك الطعام الباكستاني المميز كطريقة صنع الخبز والحلويات مثل الكنافة بمصر، إلى جانب الأرز الباكستاني الشهير.

وفيما يتعلق بالاحتفالات أيضًا، فإنها تختلف من منطقة لأخرى بباكستان. وهناك رقصات الطبول والخيول، حيث هناك رياضات الخيل المتنوعة.كذلك فإن صناعة الطائرات الورقية مشهورة جدًا بباكستان، ومن أشهر الاحتفالات احتفالات الربيع، إذ يخرج الناس إلى الهواء الطلق.

وتشتهر باكستان بالمشغولات اليدوية، والسجاد اليدوي الشهير والمجوهرات والأحجار الكريمة.كما أن بها المصانع الحديثة والأسواق، علمًا بأن المنسوجات من أهم ما تشتهر به باكستان، لما تتميز به من أشكال للنقوش وأنواع الأقمشة، خاصة الأقمشة القطنية الرقيقة.أيضًا نجد الصناعات الحديثة والمتطورة والصناعات الثقيلة وصناعات الأغذية.

كما يُمكننا أن نرى بباكستان سائر مظاهر الحياة الحديثة. فباكستان بالرغم من أنها دولة زراعية في المقام الأول، إلا أنها حاولت مجاراة التقدم الصناعي، حتى أصبح هناك الكثير من الصناعات القائمة على الزراعة بباكستان.

وهناك علاقات تجارية بين مصر وباكستان، حتى أننا نرى الشركات المصرية هناك، وبشكلٍ عام فإن الاستثمار المصري كبير بباكستان.

وفيما يتعلق بالمحاصيل الزراعية، فإنها تكاد تكون نفس المحاصيل المصرية، وهذا الأمر أحد عوائق التبادل التجاري بين البلدين، حيث إن تشابه المحاصيل يكاد يصل إلى درجة التطابق.

وتتميز باكستان بالموانئ الشهيرة، والتي تضم أحدث السفن لنقل البضائع. وكذلك مطاراتها تمتاز بالتطور. ويوجد البنك الدولي الباكستاني بكراتشى، وهو كالبنك المركزي بمصر.وتتميز باكستان بصناعة الأدوات الرياضية، حيث تشتهر بها على مستوى العالم.

وعن تأسيس الدولة، فإن "محمد علي جناح" هو الذي قاد الكفاح لتأسيس دولة مستقرة للمسلمين. وبالنسبة إلى النظام السياسي فهناك رئيس الدولة ورئيس الوزراء ومجلس الشورى.

والسيدات لهن وضع متميز، حيث تجد المرأة بجانب الرجل حتى في مجال الشرطة. كما حصلت إحدى السيدات على وسام الشرف الأرفع في الدولة كسيدة تقود طائرة باكستانية، وهذا في مسابقة اشترك بها رجال ونساء، إذ هناك العديد من السيدات، في سلاح الجو الباكستاني، حتى أنهن يقدن طائرات مقاتلة.

والجيش الباكستاني رفيع المستوى، فهو على سبيل المثال يضم الغواصات ، وقد وصل الأمر إلى أن الغواصات تصنع محليًا بباكستان. كما أن هناك صناعة طائرات بباكستان

بمساعدة الصين، وبشكل عام فإن هناك تصنيع متطور للأسلحة وهناك معرض سنوي شهير جدًا يُقام بباكستان لعرض الأسلحة المتطورة المصنوعة محليًا، ويجئ إليه الزائرون من مختلف دول العالم.

وتحرص باكستان على العلاقات الخارجية مع كل دول العالم والدول الإسلامية بشكل خاص، إلى جانب الصين.

و كذلك تجدون بباكستان الكثير من الاحتفالات الدينية، ويشعر الشعب الباكستاني بمشاعر رائعة من البهجة والفرح في المناسبات الوطنية والدينية المختلفة.

أيضًا هناك رياضات مختلفة بباكستان كرياضة الهوكي الشهيرة والاسكواش، وهناك رياضات معينة تشتهر بها باكستان، إذ إن هناك رياضات فريدة من نوعها. وتمارس رياضة الكريكت فى الشارع مثلما هو الحال بالنسبة لكرة القدم بمصر.

ومن أشهر المطربات "نورجيهان"، وهي في مرتبة "أم كلثوم" وتشبهها بالفعل.أيضًا، تتواجد الموسيقى الحديثة بباكستان، كموسيقى البوب، حيث تعد باكستان حقًا مثالاً للتنوع الثقافي.ولكن ما زال الشعب الباكستاني يحتفظ بتراثه القديم، رغم اختلاطه بالثقافات الغربية.

وتتسم الأراضي الباكستانية بتنوعها ما بين صحاري وجبال وتضم باكستان حوالي 45% من أعلى قمم العالم، وبها ثاني أعلى قمة بالعالم بعد قمة "إفرست"، وهي قمة "كيتو".ويوجد بباكستان جبال الهمالايا، وهناك أماكن تصلح لممارسة رياضة التزحلق بها، فالتزحلق ليس قاصرًا على أوروبا كما كنا نتخيل. أما المناظر الطبيعية بباكستان، فهي من أكثر المناظر الخلابة بالعالم.

ومعظم التنقل بباكستان يكون عبر القطارات، والتي تسير لمسافات طويلة بين المناطق المختلفة. وقد أنشئت بباكستان أقدم خطوط السكة الحديد بشبه القارة الهندية، وكانت الأنفاق تحفر بالجبال وهي للسياح فقط، حيث ينتقلون بين المناطق السياحية. وهذه الجبال الباكستانية يذوب فيها الثلج لتصير أنهارًا حتى أنه هناك خمس أنهار، لذلك يمكن القول أن أغلب باكستان أراضي زراعية إضافة إلى المنطقة الصحراوية.وتستمر الأنهار الباكستانية في تدفقها حتى تصب في بحر العرب.

أما السياحة، فتتركز في المناطق الجبلية والمناطق الإسلامية القديمة التي تعبر عن التراث الإسلامي بكل ما يتميز به جمال، وفي ظل جمال الطبيعة المتميزة. كما أن هناك كرم الضيافة الباكستاني المتميز.

تابع المناقشات:

أ. أنالينة – طالبة بكلية الدراسات الإسلام والعربية بجامعة الأزهر (بالأنجليزية)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عندما تحدث د. مصطفى كسبة عن أندونيسيا ذكرالطاءف الأحمدية التى تضم اتباع ميرزا أحمد، سؤالى عن رأى الحكومة الباكستانية فى الطائفة الأحمدية؟ وما وضعهم الآن فى باكستان؟

السؤال الثانى عن الوضع الأمنى فى باكستان ، فعندما قررت السفر إلى باكستان حذرنى كثيرون ، وقالوا أن باكستان غير آمنة بالنسبة لنا كطلبة، فما الوضع الآن؟

متحدث:

تحدث د. يوسف عن أننا منذ عام 1961 لم نسمع عن خلافات طائفية بباكستان، وأن هناك شكل من أشكال التنوع والتسامح في داخل المجتمع الباكستاني، كما تحدث د. نجيب خان عن أن هناك اتصال تاريخي بين باكستان وبين حضارات العالم القديم وأن هذا استمر حتى قيام الحضارة الإسلامية.

وما أريد قوله هو أنه برغم هذا التعدد والتسامح، لا أستطيع أن أفهم التاريخ السياسي لباكستان، فقد بدأت باكستان بعملية انفصال عنيف جدًا، ثم استمرت في الاغتيالات والانقلابات المسلحة والنزاعات القبلية، فكان للسلاح دور أساسي في الحياة السياسية الباكستانية.

وبالتالي، لا أستطيع استيعاب كيف تكون هناك ثقافة التسامح التي تم الحديث عنها متوافقة مع ما يحدث في باكستان.

د. نادية مصطفى:

أي أن ما قُدِم من المحاضرين عن هذا النموذج يُخالف في نظرك الواقع الباكستاني كما نراه، بداية من نشأة باكستان.

المتحدث:

أود أن أفهم بالضبط طبيعة الثقافة السياسية الباكستانية.

*** صحفية:**

تعليقًا على ما قيل بشأن التسامح في باكستان، ماذا عن علاقات الشيعة والسنة بباكستان؟ فنحن دومًا نسمع عن بعض الهجمات المتضادة المتبادلة بين الطرفين.

أيضًا بالنسبة إلى انفصال باكستان عن الهند، أليس هذا دليلاً على عدم القدرة على التعايش بين الهندوس والمسلمين في شبه القارة؟

د. محمد منيب:

في الحقيقة إني استمعت من د. يوسف عامر خلال المحاضرة إلى كلام جميل جدًا، فهو تحدث عن الحضارة الباكستانية ابتداءً من الحضارة الهندية، وأنا أختلف مع الأستاذ الدكتور في هذه النقطة المهمة جدًا، فالحضارة الباكستانية تأتي ابتداءً من الحضارة العربية، حيث دور "محمد القاسم" وانتشار الإسلام بباكستان عن طريق التجار العرب، وحتى الآن نجد معظم المسلمين بباكستان من أصول عربية.وبالتالي، فإن الحضارة الباكستانية بباكستان تبدأ من الحضارة العربية، وهي ليست امتدادًا للحضارة الهندية.

وفيما يتعلق بالأحمدية القاديانية أيضًا، نريد الإيضاح.

د. محمد نجيب خان:

فيما يخص الوضع الأمنى، فإن هناك فرقًا بين ما نراه وبين ما يقوله الناس، فإذا زرتم باكستان فسترون أن السلام يسود معظم ربوعها، وتوجد ظروف معينة على الحدود، لوجود قوى أجنبية عديدة على الحدود وهى القوى التى تحتل أفغانستان، ونحن لا يمكننا ضمان الأمن على الحدود. لكن داخل باكستان ستجدون الأمن التام، فلا مشاكل فى الطرق ولافى المدارس أو الجامعات أو فى أى مكان، لكن وسائل الإعلام كمحطات التليفزيون والصحف وخصوصصا الدولية منها تسبب خلطًا فى الأمور. هذا ما يتعلق بالوضع الأمنى فى باكستان. ولايوجد إرهاب بالنسبة للطلبة.

بالنسبة للسؤال المعتلق بشأن الطائفة الأحمدية، فإن باكستان تبلغ نسبة المسلمين فيها مابين 95% إلى 96% والحمد لله، ويوجد بعض الهندوس والسيخ والمسيحيين. المسلمون منهم السنة والشيعة والطائفة الأحمدية وطوائف أخرى كما تعلمون. لكنى أرى أن كل المسلمين فى دائرة واحدة، فجميعهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وأذا كانت هناك بعض الاختلافات فهذا لا يمثل مشكلة. فكل فرد مسئول عن نفسه، فإذا كان للبعض اعتقادات خاصة بهم فهم مسئولون عنها أمام الله، وينبغ أن نسعى للتعايش والتناغم، وينبغى ألا نضهد من يخالف عقيدتنا. الأحمدية فرقة فى باكستان، ولا ظلم فى باكستان.

د. محمد منيب:

بالنسبة إلى سؤال الأخت من إندونيسيا عن الأحمدية، فإن جميع الفرق الإسلامية تؤمن بختم الرسالة والنبوة وأن النبي "صلى الله عليه وسلم" هو خاتم النبيين والمرسلين، ولكن الأحمديين لا يؤمنون بختم الرسالة، ولذلك فهم يخرجون عن هذه الدائرة، فما يقولون به هذا ليس في إطار الاختلافات القليلة التي تحدث عنها د. محمد نجيب، حيث إنهم يرون أن ميرزا الله أحمد القادياني هو نبي الله بعد النبي "صلى الله عليه وسلم".

وقد أصدر قرارًا قبل عشرين عامًا بأن الأحمديين خارجين عن الإسلام، ولكن هم أقلية في باكستان مثل الهندوس أو السيخ، كما أن باكستان تحترم مشاعرهم وشعائرهم مثلما تحترم الهندوس والمسيحيين وغيرهم، وذلك في إطار التسامح الموجود بباكستان.

د. يوسف عامر:

بسم الله الرحمن الرحيم

بالنسبة إلى الأخ العزيز الذي تساءل كيف نقول أن النموذج الثقافي بباكستان يتسم بالتسامح والعدل ...إلخ، في حين أن الواقع السياسي يُخالف هذا تمامًا، فأنا أتحدث عن النموذج الثقافي الذي يتمتع به المجتمع، ولا أتحدث عن سياسة الدولة أو نظامها، وهذه واحدة.

الأمر الآخر، إن كل منا يُدرك أن هناك بعض السياسيين في مختلف الدول يستفيد من عراك بعض القوميات مع بعضها البعض، خاصة في البلاد التي توجد بها قوميات وما زالت مختلفة.إذن، فحديثي عن المجتمع الباكستاني وتمسكه بالثقافة والحضارة الباكستانية، ولا أتحدث عن السياسة.

فقد حدث لباكستان في فترة وجيزة أكثر من انقلاب عسكري، ولكن هذا لا يعنيني، إذ أتحدث عن الجانب الثقافي، التزم به السياسيون أم لم يلتزموا هذا شأن آخر، أما أنا فيعنيني الشعب أو المجتمع.

وفيما يتعلق بالشيعة والسنة، فمن الطبيعي أنه إذا كان هناك بلد يعيش به مذاهب فقهية مختلفة، أن يحدث تصادم أو أن تكون هناك بعض الخلافات بين هذا وذاك.

ورأيي الشخصي فيما يحدث بشبه القارة الباكستانية– الهندية، أن السياسيين هم من يُحركون مثل هذه الأحداث،

وفيما يخص الانفصال الذي قامت به باكستان عام 1947، وما إذا كان دليل على عدم تعايش المسلمين مع الهندوس، فهذا أمرٌ خاطئ تمامًا. فذلك الانفصال قام بتدبير و بحيل إنجليزية، والدليل القاطع على هذا، هو أن فكرة تقسيم شبه القارة الهندية –والتي كانت تسمى بهذا الاسم– ما ظهرت في الوجود إلا بعد الاستعمار البريطاني. فقد عاش المسلمون مع الهندوس وغيرهم من ملل ومعتقدات في شبه القارة الهندية لمدة 800 عام أي ثمانية قرون لم يحدث خلالها أي انفصال ولم يدع أحد من أي فريق إلى انفصال، حيث إن هذه فكرة استعمارية أو لنقل حيلة سياسية.

وثمة أمر جدير بالإشارة هنا، وهو أن إسرائيل قبل أن تظهر، كان هناك شخص إسرائيلي يُدعى "عزرا بن يوسف" في بداية القرن العشرين، كان يقوم بجمع الأطفال اليهود في فلسطين ويُعلمهم اللغة العبرية، أي أنهم قبل إنشاء إسرائيل انشأوا لغة؛ لأن من هوية أي دولة اللغة.

فالإنسان له ثلاث هويات هي: اللغة، والوطن، والدين، وإذا سقط شيء من هذه العناصر، لسقط الأنسان تمامًا.

وهناك مستشرق إنجليزي يُدعي "تيكلار" ذكر في عام 1800 أن اللغة الأوردية هي التي تربط سكان شبه القارة الهندية جميعًا بلغة واحدة. وفي فترة من الفترات كتب الهندوس هذه اللغة بخط يُشبه اللغة السنسكريتية القديمة، وما إن وجد هذا اهتمام من المتلقين حتى عادوا إلى كتابتها بالخط العربي.

ولكن ذلك المستشرق قد اتخذ هذا الأمر وسيلة، حتى أنه ذكر أن هذه اللغة التي تكتب بالخط العربي هي لغة خاصة بالمسلمين نشأت مع دخول المسلمين إلى أراضي الهند، وأن اللغة الأوردية التي كانت تكتب بالخط السنسكريتي، هذه لغة لا علاقة لها بالإسلام أو بالمسلمين، ولكنها خاصة بغير المسلمين أي الهندوس وهي نابعة من اللغة السنسكريتية.وهنا أخذ الهنادكة على عاتقهم إحياء الهوية الهندوسية.وهذه كانت النواة، إذا أدت هذه الفكرة إلى إنشاء دولة باكستان.أي أن هذا أمر إنجليزي بحت.

وبالنسبة إلى القول بأن الحضارة الباكستانية الآن هي امتداد للحضارة الإسلامية في شبه القارة الهندية، فهذا أمرٌ طبيعي؛ لأن منطقة باكستان كانت تابعة إلى الدولة الإسلامية التي ظلت في الهند أكثر من ثمانية قرون. فكيف نغفل هذه الفترة، التي قام المسلمون خلالها ببناء حضارة عظيمة نحترمها ونجلها، كما أن لها فضلٌ عظيم على الحضارة الإسلامية.

إذن، فهذه الثقافة الباكستانية هي نتاج للتفاعل الحضاري الإسلامي – وليس الصدام– مع الحضارة الهندية القديمة التي لا تقوم على التوحيد.

ولكن هناك أمر جديد بالإشارة أيضًا، وهو أن حين قامت باكستان حدثت مشكلة تمثلت في قول البعض: هل نلزم أنفسنا بالحضارة الإسلامية التي ظهرت في هذا البلد، والذي هو البلد الإسلامي الذي كان في منطقة الهند قبل انفصال باكستان، أم نربط أنفسنا بالعرب؟

وفي ضوء ذلك، كانت هناك بعض المحاولات لانضمام باكستان إلى جامعة الدول العربية، وأُخذ في وضع مشروع لجعل اللغة العربية هي لغة باكستان، ولكن هذا لم ينجح.وبالتالي، فالحضارة الإسلامية التي توجد في شبه القارة الهندية –الباكستانية– هي امتداد للحضارات العربية والتركية والفارسية وكذلك حضارة بلاد وسط آسيا.

وهذه الحضارة النموذج، إنما هي دليل قوي جدًا على أن الحضارة الإسلامية تتفاعل مع كافة الحضارات، على الرغم من أن الحضارة الهندية هي حضارة لا علاقة لها بالتوحيد.

أ. عبد الرحمن حسام– الفرقة الرابعة– علوم سياسية:

النقطة الأولى: في الواقع، إني أتعجب جدًا كيف نتحدث عن التعدد والتنوع والتعايش في باكستان، في حين أن باكستان انقسمت عن الوطن الأساسي، مع الاعتراف بأنه بالفعل عندما يخرج الاستعمار يقوم بوضع قنبلة موقوته، وهذا ما حدث مع شبه القارة الهندية التي كانت كتلة بشرية واحدة، ولكن لماذا وصل الحال إلى هذا؟

النقطة الثانية، لماذا نتحدث عن السياسيين بباكستان فقط انطلاقًا من مصالح ولاعتبارات السياسية، في حين أنهم لم يكونوا يستطيعون التحرك بفاعلية، إذا لم تكن هناك بنية ثقافية واجتماعية تساندهم؟

د. نادية مصطفى:

أي كيف نتحدث عن ناحية مجتمعية بانفصال عن الممارسات والأشكال السياسية؟

المترجمة:

هناك نقطة مهمة من الضروري توضيحها، وهي أن ما نسمعه في الوسائل الإعلام وبعض وسائل الإعلام الغربية تحديدًا يكون مغرضًا، فلا تُقدم صورة حقيقية لما يحدث في الدول الإسلامية، ولذا يجب مراعاة ذلك عند طرح الأسئلة، فالواقع الفعلي ليس كما تُصوره لنا وسائل الإعلام الغربية.

د. نادية مصطفى (بالإنجليزية):

لأننا فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فإننا إن اهتممنا بالثقافة وبالسكان فى بلد ما، فأننا ندرس أثر هذه المتغيرات على السياسة بصفة أساسية. ومن ثم فإن أسئلة طلابنا ترتبط بذلك، حتى لوكان هذه الأسئلة متأثرة بوسائل الإعلام الغربية، ولذا فعلينا التعامل مع ذلك وعلينا أن نجد إجابات..

أ. شريف عبد الرحمن –باحث بمعهد الدراسات الإفريقية:

في ضوء الخبرة الباكستانية، ألحظ أن الحضارة أو الثقافة الإسلامية هي ثقافة استيعاب، وليست ثقافة السيطرة والصراع، تختلف في هذا اختلافا مطلق عن غيرها من الحضارات العالمية، حيث فشلت كل من الحضارتين اليونانية والرومانية في استيعاب ثقافات الشعوب التابعة لها، بينما ربطت الحضارة الإسلامية بين الشرق والغرب بسبب ما لديها من قرة استيعابية.

ومن هنا أستطيع أن أقول أن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تتميز بثلاث مقومات هي: اللغة العربية، الدين الإسلامي، الثقافة الإسلامية.

النقطة الثانية، وهي تتعلق بالقدرة الذاتية وقد كنت أتمنى عرض هذه النقطة المهمة في سياق ما كنت أسمع، فالإسلام أضاف جانبًا مهمًا فيما يتصل بمسألة التعدد والتنوع.

فالتجربة الماليزية عرضت لسماحة المالاي في استيعاب التجار المسلمين، أما باكستان، فبها تجربة خطيرة جدًا، وهي التجربة المغولية، فالمغول سيطروا على باكستان وقضوا على الدولة

الخوارزمية وأضعفوا الهوية الإسلامية، ولكن الإسلام مع ضعفه حينذاك استوعب هذا البعد المغولي وبُنيت الحضارة الإسلامية الجديدة.

صيدلي من المنصورة:

لعل أهم ما يُميز باكستان هو الصفة الإسلامية، فهناك أكثر من 95% من شعبها مسلم والحمد لله، كما أن الجماعات الإسلامية بها موجودة بقوة، أيضًا نعتبر القنبلة النووية الباكستانية قنبلة نووية إسلامية.

ولكن في أي انتخابات، نجد حزب الشعب ذو الاتجاهات والميول الليبرالي العلمانية هو المسيطر على مقاليد الأمور، فكيف حدث ذلك؟

أ. أحمد –كلية شريعة وقانون:

الأمر الأول، لي سؤال محدد يتعلق بالتنوع الطائفي في داخل المسلمين بباكستان، خاصة وأنه من الواضح تأثر الدين بالسياسة وانعكاسه في تشكيل البرلمان وتشكيل الحياة السياسية في باكستان، لكن ما طبيعة الأثر الثقافي في هذا التشكيل، ونحن نعلم أن "بوتو" كانت شيعية في حين أغلبية المجتمع سنية، الأمر الذي يضع العديد من علامات الاستفهام؟

الأمر الثاني، ويتصل بالفصل غير المبرر بين الحالة المجتمعية والحالة السياسية بباكستان، حيث نقول أن المجتمع متسامح بينما الحالة السياسية غير متسامحة.

أيضًا فكرة أن انفصال باكستان كان رغبة إنجليزية خالصة، هي فكرة غير صحيحة، فقد اجتمع مصطفى النحاس بوفد لمناقشة حالات اضطهاد المسلمين بالهند.وبشكل عام كانت هناك رغبة من غير بريطانيا لانفصال باكستان عن الهند.

أ. أحمد حلمي – موقع إسلام أون لاين – القسم الإنجليزي.(بالإنجليزية)

لدى ثلاثة أسئلة:

الأول: بعد ستين سنة ، كيف تقيمون تجربة الانفصال؟

الثانى : ما الخطوات التى اتخذتها باكستان لتؤثر فى ثقافاتها المتعددة؟

الثالث: مارؤيتكم لمستقبل النموذج الباكستانى بعد مشرف؟

د. محمد نجيب خان: أنا متفاءل جدًا، لأننا والحمد لله نحقق أهدافنا فى التقدم والسلام والرخاء، كما أننا قوة نووية فى المنطقة. كما أن مؤسساتنا قوية وشعبنا قوى. وحتى إن كان الشعب لا يحب الرئيس فإنه يستطيع تغييره، ونفس الأمر بالنسبة إلى نواب البرلمان، وهذا علامة على الحيوية، فالشعب هو الذى يملك القرار، وهذه هى الديمقراطية. ولذلك نقول الحمد لله لأن بلادنا بخير.

متحدثة: صحافة وإعلام – جامعة القاهرة:

السؤال الأول: حضرتك ذكرت أن المجتمع الباكستاني يتميز بحرية الرأي والتعبير، ولكن في الفترة الأخيرة تولي الحكم العسكر، فهل هذا أثر على ثقافة حرية الرأي والتعبير سلبًا أم إيجابًا؟

ففي مصر على سبيل المثال تأثرت الثقافة المصرية بشكلٍ ما عقب قيام الثورة وحكم العسكر.

السؤل الثاني، من المعروف أن المجتمع الباكستاني يتبنى الإسلام الوسطى، في الوقت الذي نسمع فيه عن قضايا باكستانية بشأن وجود عناصر من الطلبان، ومن المعروف منهج طالبان المتشدد، فكيف يكون ذلك مع ناس/ مجتمع يتبنى فكرة الإسلام الوسطى، فهل هذا رد فعل على سياسات حكومية، أم هو نتيجة لثقافةٍ ما؟

أ. **يسرا مصطفى (بالأنجليزية):**

سؤالى الأول عن المرأة فى باكستان ، ما الوضع العام للمرأة مقارنة بالدول المجاورة

د. محمد نجيب خان:

تتمتع المرأة فى باكستان بمكانة متميزة ، فأول رئيسة وزراء فى العالم الإسلامى هى بينظير بوتو، للمرأة مقاعد عديدة فى البرلمان

يسرا مصطفى:

سؤالى الثانى : مالموقف العام من طالبان فى باكستان ، وماذا عن الفكر الإسلامى فى باكستان

د. محمد نجيب خان(المترجمة)

إن أتباع طالبان هؤلاء هم أفراد، ومع مرور الوقت أصبح هذا النمط نوع من الخطأ في طريقة التفكير.وهذه الطريقة يتبعها البعض، فيشدد ويُغالى، وبالتالي يسمح لنفسه بالاعتداء على الآخرين وعلى الأرواح، فيبتعد بذلك عن روح الإسلام.

وهناك نقطة مهمة، وهي أن البعض يتساءل كيف لشعب متسامح مثل الشعب الباكستاني أن يساعد أناس متشددين.وفي واقع الأمر، إن الإنسان الباكستاني على اختلاف درجة ثقافته وعلى اختلاف درجة تعليمه، ينظر إلى الأمر من منظور خاص جدًا، وهو أن الطالباني هذا شخص مسلم وقف على ضعفه أمام قوة عالمية كبرى ليقول لها لا تتدخلى.

إذن، فالشعب الباكستاني على اختلاف ثقافته وتعليمه ينظر إلى طالبان باعتبارهم أشخاص مسلمين وقفوا في وجه اعتداء خارجي، صحيح هؤلاء لا يتوافق معهم في أعمالهم ولا يُقر تصرفاتهم كما يختلف معهم في توجهاتهم، لكن حبه للإسلام يجعله ينظر إلى الطالباني كشخص وقف أمام قوى معتدية.

د. يوسف عامر:

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية، أسجل شكري لكل من تحاوروا وتناقشوا، إذ إن ذلك دليل على اهتمامهم وتفاعلهم مع المحاضرين أو المتحدثين.وفيما يتعلق بانفصال الوضع الاجتماعي والثقافي عن الوضع السياسي، فأنا حريص جدًا على مسألة التخصص، حيث إني الآن بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، في حين أني درست الأدب والثقافة، ولذا فقد كنت محددا جدًا عبر تناولي الجانب الثقافي والاجتماعي فقط، ولم أتطرق إلى الجانب السياسي، فهذه هي مهمة السياسي ومهمة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فعلى السياسي أن يأخذ منى ما أقوله من كلام موثق ويستمع إليه ثم يُعيد عرضه من خلال تحليله السياسي.

وبالتالي، فلن أتطرق إلى الحديث كمحلل سياسي حتى لا أظهر جهلى أمام المتخصصين.

في حين أني إذا كنت أتحدث أمام عامة الناس، فبالتأكيد سأستفيد مما أعرفه وأمتلكه من مقدرة ضئيلة جدًا في التحليل السياسي نتيجة الفترة التي عملت خلالها مراسلاً لبعض التليفزيونات العربية أثناء وجودي بالهند.فأنا لدى بعض المعلومات، لكنها لا تفى لأن أرد بها أمام محللين سياسيين.

وقد التزمت بموضوع الحوار، وهو النموذج الثقافي الباكستاني. وهذا النموذج تلتزم به السياسات والأنظمة أولا تلتزم، فهذا أمرٌ لا يعنيني كمتحدث ثقافي واجتماعي.

وفيما يتعلق بالمغول والثقافة الباكستانية كثقافة استيعاب، وهو ما يعد عكس ما حدث مع روما، فهذا أمر طبيعي؛ لأن النموذج الثقافي الباكستاني تفاعل حين اعتنق الدين الإسلامي. والمغول أنفسهم و"جنكيز خان" و"هولاكو" ...إلخ. والذين عُرِفوا بأنهم مدمرين، أصبح أحفادهم فيما بعدهم من أسسوا وأوجدوا عناصر قوية في الحضارة الإسلامية في بلاد باكستان والهند.

والنماذج الأثرية التي رأيناها الآن هي نماذج لهؤلاء المغول. وأنا لن أتحدث تاريخيًا تفصيلاً، وإنما فقط أ ذكر بعض الإشارات أمام علماء، تكفي بالنسبة لهم الإشارة.

وفيما يتصل بالانفصال، فالغرب يصنع فكرة بسيطة كنواة لما يريد، ثم يُتركها ويرعاها في الخفاء. وهذا مثلما فعل في البلاد العربية إذ قال: إنكم مصريين لستم بعرب وإنما فراعنة, فكانت دعوة للاهتمام بالنزعة الفرعونية وكان القصد ألا نتحد جميعًا كعرب حول حضارة أو ثقافة واحدة.

وهذا نفسه ما فعله ذلك المستشرق أو ذلك الخبير البريطاني، والذي يُطلقون عليه الآن في أمريكا "خبير"، فيقولون هذا خبير في المجتمع المصري، وهذا خبير في الاقتصاد المصري، أو هذا خبير في النكتة المصرية ثم بدأ الجانب الهندوسي يُحث على إحياء الهوية الهندوسية.وجاءت ظروف أخرى دعت إلى هذا الانفصال.وما يهمني هنا هو فقط الإشارة إلى النواة الأساسية التي دعت إلى هذا الانفصال.

وفيما يخص طالبان والإسلام الوسطى، فأوكد الأمر الذي أشارت إليه أستاذتي الجليلة وهو أن المجتمع الباكستاني مجتمع أسرى وقَبَليّ كذلك. وهذا في الوقت ذاته لا يتعارض مع الثقافة الإسلامية أو النموذج الثقافي الباكستاني ، حيث إن كل مجتمع متمسك بعاداته وتقاليده غير المخالفة لأسس الحضارة الإسلامية. وإذا وجدت طالبان بشكلٍ أو بآخر وبسبب نظام أوجده الروس أو بسبب أنظمة سياسية أيًا كانت... وهكذا، فإن هذا لا يُزعزع مقدرة النموذج الثقافي الباكستاني الموجودة بالمجتمع، ولا يعنيني السياسي لأن هذا ليس مجالي، بينما يعنيكم أنتم كمحللين سياسيين أثر تلك السياسة الحالية أو غيرها.

د. نادية مصطفى:

في الحقيقة، إنها كانت جلسة ثرية في تفاعلاتها. و أولاً، فإني أشكر د. يوسف على كونه يعتبر جميع الحاضرين محللين سياسيين، فليس جميعهم ينتمون إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وليس جميعهم يدرسون في قسم العلوم السياسية، وإنما نحن أمامنا نخبة متنوعة من طلبة بمختلف الكليات والجامعات بتخصصاتها المختلفة.

وفي الواقع، فإنه من الواضح أن هناك اهتمامًا بباكستان كأحد أركان الأمة الإسلامية، وكدولة أساسية كبرى من دولها، ومن الواضح أن هناك اهتمام بمتابعة أخبار باكستان السياسية خاصة أكثر من الاهتمام بمتابعة تكويناتها وتفاعلاتها المجتمعية والتي لا تظهر في الإعلام. كما أني أتفق مع د. محمد نجيب خان في أن الإعلام دائمًا يُركز على مظاهر العنف والصدامات في المجتمعات، كما هو الحال لدينا في مصر حيث تركيزه على الخلافات بين الأقباط والمسلمين وكأن هناك عملية اضطهاد منظم أو إبادة.

وإن كانت هذه الظواهر لها أسبابها وتفسيراتها مهما صغرت ومهما كبرت، وهي في صميم العلاقة مع التوظيف السياسي للاختلافات الدينية والقومية والمذهبية، سواء كان هذا التوظيف في الداخل أو في الخارج. وهذه نقطة، فباكستان موضع اهتمام، ولكني أقول لكم إن هذه الدورة لن تُغطي كل شيء، خاصة وأنه كان هناك أسئلة شديدة الشمول لدرجة أنها تحتاج إلى ندوة منفصلة. ولكن الكتب والمعلومات كثيرة، وعليكم أن تقرأوا قليلاً، حيث إن الدورات لن تعطيكم المعرفة والعلم بمعلقة، فنحن فقط نفتح نقاط، على أن تستكملوا المعرفة بشأنها فيما بعد، وإلا سنظل من مستهلكي الثقافة المسموعة، والتي هي أخطر آفات المعرفة والثقافة.

النقطة الثانية التي كشفتها هذه المناقشات، هي أن التاريخ مهم، فهكذا تاريخ باكستان كجزء من الهند فيما سبق، وكذلك تاريخ الهند في تفاعلها مع الجزيرة العربية ومع الفتح الإسلامي ومع المغول، وأيضًا تاريخ الهند كإمبراطورية إسلامية منذ ثلاثة أو أربعة قرون، ثم احتلالها فتصفية هذا الحكم الإمبراطوري، ثم حدوث التقسيم بعد ذلك، حيث يُسمون ما حدث تقسيمًا وليس انفصالاً، فالتقسيم غير الانفصال.

وهناك أمور كثيرة، ولكني في نهاية المطاف أشكركم كثيرًا، وأشكر حقيقة د. محمد نجيب خان للمجهود الذي بذله معنا.وجميعًا نأمل لباكستان بعد الرئيس "مُشّرف" مستقبلاً زاهرًا، كما نأمل لأنفسنا أيضًا مستقبلاً زاهرًا مع الديمقراطية في مصر.

الخبرة التركية(1)*

أ. نوزاد صواش**

تقديم د. نادية مصطفى:

يأتي الاهتمام بالنموذج التركي بشكل خاص بخلاف النماذج الأخرى بهذه الدورة نتاج الرغبة في تفعيل حوار مصري–تركي، كان قد دشنه في ديسمبر الماضي برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات ومؤسسة "أبانت" بعقد مؤتمر أكاديمي، دار فيه حوار هام بين خبراء وأساتذة وإعلاميين ومفكرين مصريين وأتراك، وكان عنوانه "تركيا جسر بين حضارتين". وخلال أعمال هذا المؤتمر تم تداول الكثير من النقاش حول كثير من القضايا التي تهم الدورة.

وكان الأهم هو ما جرى على هامش هذا المؤتمر بجانب النشاط الأساسي؛ حيث جرت زيارات ولقاءات مع روافد متعددة من المجتمع المدني التركي، الذي له أنشطة متميزة في مجال التعليم ما قبل الجامعي، والتعليم الجامعي، والمؤسسات الثقافية والتربوية والصحفية والإعلامية في التلفزيون والصحافة، إلى جانب اتحادات رجال الصناعة. وكانت نهاية هذا اللقاء اتفاق وتوافق على ضرورة استمرار هذا الحوار بأشكالٍ مختلفة لعل من أهمها أن نُطلع جيل الشباب على المشترك بين الجانبين في التاريخ وفي الواقع المعاصر.

ومن ثم أفردنا للنموذج التركي يومًا بأكمله وكذلك الإيراني؛ لأن برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات دشن كذلك في نهاية العام الماضي حوارًا مع المركز الدولي لحوار الحضارات الذي يرأسه الدكتور خاتمي.

يُسعدنا أن يشترك معنا فيما يتعلق بتقديم النموذج التركي الأستاذ نوزاد صواش، وهو من أوائل الشخصيات التركية التي التقيت بها في مصر حين بدأ بالاتصال منذ أكثر من عامين وتوالت اللقاءات في أسطنبول وفي القاهرة،والأستاذ نوزاد رئيس القسم العربي بأكاديمية العلوم والبحوث في اسطنبول ورئيس تحرير مجلة "حراء".

ربما إذا قلت أكاديمية "البحوث والعلوم" في أسطنبول، فإني لن أجد أحد منكم يعرفها كثيرًا، ولكنها من أكبر المؤسسات العاملة في هذا المجال والتي لها إصدارات متعددة في جميع مجالات المعرفة والثقافة والعلم ولديها دار نشر من أكبر الدور في تركيا الحديثة.وقد اطلع الوفد الذي سافر من الكلية على هذه الأنشطة.

أيضًا، مجلة "حراء" تصدر باللغة العربية، وهي قناة من قنوات التواصل العربي–التركي التي يهتم بها هذا النوع من النشاط المدني في تركيا في توجهه نحو فتح قنوات للحوار والتعارف

---

* نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

** رئيس القسم العربى بمركز الدراسات الأكاديمية-المشرف العام لمجلة حراء- إسطنبول

وتدعيم هذا الحوار مع الدائرة العربية الذي نأمل أن يكون مركزه ونواته على المستوى الأكاديمي والشبابي بجامعة القاهرة.

وإذا كان أ. نوزاد سيقوم بالحديث معنا مباشرة في هذا الموضوع، إلا أنه يسعدنا أيضًا أن يكون معنا اليوم في هذا اللقاء اهتمامًا به الأستاذ مصطفى أوزجان رئيس مجلس إدارة مستشفى "السما" والمشرف العام على مجموعة المؤسسات التعليمية التركية وأيضًا الأستاذ جمال ترك رئيس أكاديمية العلوم والبحوث في اسطنبول وأيضًا الأستاذ إسحاق المدير العام لمركز النيل التعليمي وهو يعلم اللغة العربية للأتراك والعكس صحيح أيضًا، حيث يعلم اللغة التركية للمصريين ويقوم بدور أساسي بيننا وبين المؤسسات المدنية التركية ذات الاهتمام بفتح قنواتٍ مع العرب، إذ إن ليست كل المؤسسات المدنية التركية مهتمة بهذا التوجه.

ونأمل أن نستمع إلى أ. مصطفى قليلًا بعد الأستاذ نوزاد إن رغب في ذلك.

أ. نوزاد صواش:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأساتذة الأفاضل، السيدات، الإخوة، الأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصباح الخير.

بداية أشكر د. نادية مصطفى على هذه اللفتة الجميلة وهذه الدعوة الكريمة للتحدث في موضوع ضخم جدًا في الأصل ويصعب عليّ أن أحيط به وأستوعبه.وأرجو أن أكون عند حسن الظن ويوفقني الله في الجزئية التي سأتناولها وأن تسعفني اللغة أيضًا.سأتحدث ربما عن الجزئيات، ولكني سأحيل الكليات إلى فهمكم الواسع والعميق إن شاء الله.

موضوع الندوة بصفةٍ عامة هو موضوع مهم جدًا وهذا لأننا نحن الآن كعالم إسلامي نبحث عن ذواتنا. فعندما ننظر إلى التاريخ القريب نرى خطًا فاصلًا بيننا وبين التاريخ.فنجد أن هناك حضارة ومساجد ضخمة، و أسواق ومدنية قديمة، و نموذج بشري إنساني أنتجته هذه الحضارة، حيث هناك صورة مشرفة نعتز بها.

ثم ننتقل إلى الوقت الراهن فنجد الصورة مختلفة، حيث صورة من الجهل بالعالم وربما بذواتنا وتخلف اقتصادي وتفرقة بيننا.

الآن نحن نبحث عن ذواتنا وعن هويتنا ونبحث عن كيفية بناء صرح روحنا من جديد وبناء حضارتنا من جديد مستفيدين من الماضي، لكن نطمح أيضًا أن يكون لنا وزن في العالم كما كان لنا سابقًا ويكون لنا دور فعال في العالم.

كيف لنا هذا؟ وكيف حققه أجدادنا وأسلافنا؟ وكيف حققه المسلمون بصفةٍ عامة؟

من خلال التنوع والإضافات التي جاءت من مصر ومن الهند والمغرب وأوربا ثم جُلبت في أماكن مختلفة بالعالم الإسلامي.

وهذه الندوات والحديث عن أهميتها أظن أنه معروف.

أما عن **التجربة التركية**، فإنها كما سبق الحديث عنها تجربة صعبة، لأنها تجربة استغرقت عشرة قرون تقريبًا في حين أن تاريخ الإسلام بأكمله كما تعرفون أربعة عشر قرنًا.

فما الإسهامات التي حققها الأتراك مع إخوانهم المسلمين؛ إخوانهم في الدين؟ وما المساهمات التي حققها الأتراك مع إخوانهم في الإنسانية؟ إن هذا الموضوع صعب.

وفي الحقيقة، هناك رءوس أقلام كثيرة يمكن الحديث عنها خلال هذه المحاضرة التي لن نتمكن خلالها من التطرق لجميع النقاط.

أود أن أتحدث عن التجربة العثمانية، وذلك لأنها قريبة إلى الناس وتشكل تراكم الثقافة الإسلامية بصفةٍ عامة، ولأنها حاضرة ولا تزال موجودة فيما بيننا. وكذلك إذا أسعفنا الوقت أود أن أتحدث عن تركيا الحديثة وأين هي الآن من الماضي في إسهامها الحضاري؟ وما هي الآفاق التي تتطلع إليها؟ وهل هناك أمل في المستقبل أم ماذا؟ سأحاول أن أتحدث عن هذه النقاط أو أطلعكم على بعض جوانبها.

هناك مقولة مشهورة هي أن الأتراك أصبحوا أتراكًا عندما أسلموا والأتراك الذين تخلوا عن الإسلام ولم يسلموا فقدوا هويتهم التركية. وتعرف الأتراك بالإسلام كان في مرحلة مبكرة على أيد الصحابة الكرام الذين أرسلهم النبي "صلى الله عليه وسلم"، الذين وصلوا إلى أقاصى سد الصين، والمعطيات التي نحصل عليها الآن تثبت لنا ذلك.

والحقيقة، فإننا عندما نتحدث عن التاريخ تقابلنا بعض المشاكل، منها أننا في اعتقادي المتواضع لا نملك المادة الكافية لنقوم بتعليقاتٍ وتقويمات ناضجة؛بمعنى أننا عندما نريد أن نتحدث عن الدولة "السلجوقية" أو الحضارة العثمانية فهل نملك المادة الكافية لذلك؟

هل كشف التاريخ لنا هذه الصفحات؟ علمًا بأن أحد الأساتذة بالمغرب العارفين بالأرشيفات العثمانية قال لي يومًا أن أسطنبول بها 80% من تاريخ الأمة الإسلامية. فهل نحن استطعنا أن نكشف هذه الثمانين بالمائة؟

وكل يوم نطلع على وثائق جديدة عن الماضي، فنجد أن تحليلنا ورؤيتنا للتاريخ رؤية سطحية جدًا؛ لأنه ليس من السهل أن تبنى حضارة، خاصة ونحن الآن مستقلين منذ سبعين عامًا أو مائة عامًا، ونعرف أن بناء حضارة أو بناء ثقافة ليس بالأمر السهل.وكل يوم تطالعنا وثائق جديدة في الحقوق والأوقاف ومعاملة الدولة الإسلامية التركية.ويحتاج هذا التاريخ إلى باحثين، وهؤلاء الباحثون في البداية يحتاجون إلى وسائل للوصول إلى المصادر الضرورية وأهم شيء ربما هو اللغة التركية، فالمعلومات عن الدولة العثمانية التي أسسناها معًا قليلة، وربما غير موضوعية ومكتوبة من قبل أقلام غربية وأقلام مغرضة بشكل عام.

ربما نستطيع أن نقول إن المثقف أو الباحث التركي الآن يكتشف تاريخه حديثًا من خلال تعلمه للغة العثمانية من جديد، وعودته إلى الوثائق، وتغيير رؤيته هو نفسه، فيعيد اكتشاف هذه الحضارة من جديد. فالوسائل تكثر والباحث يحاول تجميع هذه الوسائل.

ما أقصده من التحدث في هذا الموضوع أنه ليس سهلًا؛ لأننا نحتاج إلى معطيات أكثر وأكثر، ولكن ما لدينا من معطيات إلى الآن يعطينا قناعة بأننا نحتاج إلى تصحيح كثير من المعلومات الثابتة، كما نحتاج إلى تصحيح بعض الرؤى. وربما تساعدنا هذه المحاضرة على تحقيق ذلك.

الإسلام بالتأكيد هو دين حضارة، والأتراك عندما بحثوا في الإسلام وجدوه مناسب لفطرتهم، حيث إنك تقبل الفكر القريب لحضارتك وعاداتك وتقاليدك. أما إذا كانت حضارتك مقولبة في قوالب معينة فإنها تستغرق وقت حتى تستوعب الفكرة وتعرف أنها معقولة.

والمؤرخون يفسرون إسلام الأتراك في منتصف القرن العاشر جماعات بما يقرب من مائتي خيمة –هكذا يعبرون– فأسلموا مرة واحدة، بأن الأتراك رأوا أن الإسلام مناسب لطبيعتهم. ولكن لماذا؟

لأنهم قوم أسسوا دولاً من قبل ووجدوا أن هذا الدين الجديد مناسب ربما لكي ينقلهم نقلة نوعية. وهم أيضًا بطبيعتهم محاربون، وفكرة الجهاد الموجودة في الإسلام ناسبت هذه الروح الجهادية لديهم، ثم الأمر نفسه بالنسبة للفضائل التي يدعو إليها الإسلام.ثم جاءت الهجرات من دول آسيا الوسطى إلى الأناضول المقر الأساسي الذي أسلم على يده الأتراك كما تعرفون.لكن المهم جدًا هنا هو التأكيد على أن الإسلام يمتلك طاقة روحية عجيبة وعندما يسلم الإنسان نفسه إلى هذه الطاقة ويفهمها فهمًا دقيقًا فإنها حقيقة تنقله نقلة نوعية.

والأتراك عندما استسلموا إلى الإسلام استسلامًا كاملًا، ظهرت حضارة جديدة في ما وراء النهر – و هى كلمة لها رمزية ودلالات فما وراء النهر توحي كأنها كقصص ألف ليلة وليلة حيث التساؤل حول ما يُمكن أن يوجد في ما وراء النهر– بعد دخول الإسلام. وقد أنتجت هذه الحضارة شخصيات عملاقة لا يزال تأثيرها قائمًا حتى الآن فهناك الإمام البخاري من بخاري والإمام الترمذي في الحديث من ترمذ بأوزبكستان وأبوداوود السجستاني من سجستان وكذلك الإمام مسلم الخراساني وأمثالهم من الشخصيات الكبيرة كالرازي وابن سينا والبيروني والخوارزمي وكل هذه المناطق والشخصيات موجودة بدول آسيا الوسطى. وإلى اليوم إذا ما ذهبتم إلى هذه الديار ستجدون هذه المعالم موجودة وقائمة وتعمل بطريقة أو بأخرى.

ولكن تستطيعون أن تقولوا إن الإسلام خرج من الجزيرة العربية، فاستوطن في العراق وأسس لنفسه حضارة، ثم انتقل جناح منه إلى الشام وانتقل جناح آخر إلى ديار الأتراك وبلاد ما وراء

النهر، فأسس هناك حضارة، فعادت من هناك هذه الحضارة وكان لها دور كبير في تأسيس الحضارة الإسلامية.

ولا نتحدث هنا عن العرق، ولكن نقول أن الإسلام نفخ في هؤلاء القوم الذين يحبون الانطلاق والإسهام ويمتلكون طاقة، فأحدث لهم نقله نوعية حتى ساهموا كجندي مرة وكعالمٍ مرة أخرى، وبالتالي ظهرت حضارات مختلفة.

حضارة دول آسيا الوسطى قد تكون مجهولة بالنسبة لكم، ولكننا اكتشفناها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وعندما تذهبون إلى هناك ترون الآثار الضخمة الرائعة.ثم هناك أيضًا آثار "الغزناويين" الذين نقلوا الإسلام إلى أقاصى الهند، ثم "تاج محل" وغيره من الآثار العظيمة.

نحن لم نبن الآن مسجدًا كمسجد السلطان أحمد، ولم نر مؤسسة كتاج محل، أو مدرسة كمدرسة بخاري؛ ولذلك قد لا نعرف ما معنى المعاناة وما معنى الإنتاج والإثمار لأن هذه الأمور ليست بسيطة.

لذلك، فأنت عندما تدخل إلى مسجد كمسجد السلطان أحمد فتجد هذه الزخارف الساحرة وهذه القبة التي وكأنها تتصل إلى السماء مباشرة وهذه المآذن التي كأنها كالصواريخ التي ستنطلق إلى السماء، فكل مبنى بذاته يشير إلى السماء.

ولكن نحن لم نبن مثل هذه المؤسسات؛ ولذلك بالطبع لا نفهم هذه المعاناة ولا نعي ما مكانة الروح. وهذا بالدرجة الأولى يحتاج إلى استسلام كامل إلى المصدر الذي هو الوحي الذي نزل أساسًا لكي ينمي مواهب وطاقات الإنسان المختلفة من إبداعية وفنية وقلبية.

فعندما ننظر إذن إلى الحضارة الإسلامية التي انبثقت من أماكن مختلفة من العالم وعندما ننظر إلى الحضارة العثمانية كذلك، سنجد أنها ما هي إلا انكشاف لمواهب الإنسان. فالإنسان التركي أو الهندي أو العربي أو المسلم عمومًا عندما استسلم لهذا المصدر نفخ فيه الروح فنمى كل طاقته.فالفن أو الموسيقي لا يظهر في الإنسان تلقائيًا، وإنما المصدر الوحي هو الذي لديه الطاقة لكي يُزيح الغبار عن مناطق الفن والرقة والدقة في الإنسان، وبجانب ذلك يكون هناك انتشاء روحي أو انتشاء عقلي.

وعندما أنظر إلى تاريخ الإسلام يمكن أن أقيس كيف أن هذا المصدر لديه الاستعداد لكي ينشئ إنسانًا بكل ما تعنيه الكلمة. فيكون إنسان يعرف كيف يفكر ويكون له تفكير خاص ونمط خاص من الشعور والإحساس، وأيضًا يكون له رؤية خاص إلى العالم والطبيعة.

فأي من هذه المواهب والإبداعات ما هي إلا تجسيد لهذه المرجعية إذا ما أحسن الناس الاستسلام إليها وإدراكها، أما إذا لم يحسنوا ذلك وبقوا منغلقين فلن تُكتشف هذه الجوانب الخفية والطاقات المكنونة في داخل الإنسان ولن تظهر أبدًا.

أنتقل مباشرة إلى الدولة العثمانية والثقافة العثمانية. فمنذ السبعينيات وحتى الآن، هناك حركة في الغرب وفي تركيا لاكتشاف هذه الحضارة التي عاشت ستة قرون على وجه الأرض، وأمّنت للأرض جوًا من السلام والاستقرار والعدل والتسامح. لتكتشف لماذا صارت إمبراطورية، واستخدم هنا تحديدًا كلمة إمبراطورية التي تعني empire وفيها معنى الاستعمار،إلا أني أقصد بها الدولة الضخمة مترامية الأطراف التي نجحت في أن تحتضن أديانًا مختلفة وثقافات ولغات متنوعة واستطاعت بنجاح أن يتعايش كل هؤلاء فيما بينهم.

وأهمية هذا الموضوع كبيرة الآن بالنسبة إلى الدولة الوطنية الحديثة لمعرفة إلى أي حد نجحت الدولة العثمانية في أن تفتح المجال لتعايش الأديان واللغات وهنا تبرز أهمية التجربة الوطنية.

الآن يقف العالم الغربي والعالم التركي بانبهار أمام هذه الحضارة العظيمة، خاصة أنه بعد أن خرج العثمانيون من دول البلقان إلى الآن، هذه الدول ما زالت تعيش حالة من عدم الاستقرار؛ فهناك دول تؤسس ودول تقسم إضافة إلى تدخل القوى العالمية كالولايات المتحدة وحلف الناتو، في محاولة لمصالحة هذه الشعوب لكنها لا تنجح في ذلك.في الشرق الأوسط كذلك نجد أنه بعد زوال الكيان العثماني ساد عدم الاستقرار وكذلك في القوقاز أيضًا.

العلماء والباحثون خاصة بالدول الكبرى التي تحتضن الثقافات المتنوعة والأديان المختلفة يتساءلون كيف استطاع العثمانيون أن يؤسسوا سلامًا بدول البلقان التي هي دول ذات أديان ومذاهب ولغات مختلفة وأصبح هناك تعايش بها.

بالنسبة للشرق الأوسط فإن المشكلة لم تكن كذلك؛ لأن هناك انطلاق من نفس المصدر وإيمان بنفس المبادئ كما أن قضايا التاريخ واحدة فكان هناك سلام واستقرار. أما دول القوقاز فكيف حققت هذا؟

تحدثوا عن Pax Ottomana أي السلام العثماني الذي تأسس لمدة أربعمائة عام وعندما نقول أربعمائة عام فإن هذا قد يبدو مدة قصيرة لكن تحقيقها ليس بالأمر البسيط.

فنحن كدولة تركية حديثة ما زال عمرها سبعون سنة نجد بها صدامات فكرية، ومن ثم فإن الحديث عن أربعمائة عام ليس بالأمر اليسير ولكن يحتاج إلى أسلوب خاص في الإدارة ورؤية خاصة للبشر وأسلوب خاص أيضًا في تنشئة الإنسان وبناء عنصر إنساني له نمط معين، بناء مدينة خاصة لها خصائصها وبيت/ أسرة لها خصائصها وأيضًا الشارع والسوق له نمطه، وإلا فإنه من الصعب أن تتمكن الدولة العثمانية من البقاء لمدة أربعمائة عام وتؤسس سلامًا رغم ما مر من حروب؛ حيث قد تقوم الحروب ولكن هناك حياة واستقرار في مكان آخر وحضارة تبنى وهناك مؤسسات اجتماعية تؤسس ونظام مدني يؤسس.

أي أن هناك أمة تبنى وتؤسس ولا تتأثر بشيء فلا يتوقف التأسيس وليس كما يحدث أن وقعت مثلًا أزمة اقتصادية فيتوقف على أثرها كل شيء حتى بناء الإنسان ذاته.

الدولة العثمانية حكمت في ثلاث قارات (الآسيوية، الأفريقية، الأوربية) وشغلت ما يقرب من 24 مليون كم^2، وعاشت ستمائة واثنين وعشرين عامًا، وكانت تفوق الحدود التركية سبعة أو عشرة أضعاف فامتدت إلى أقاصى السودان والجزائر وتونس والمغرب وشمال أفريقيا، حيث ما يسمى بالوصايا التي تحميها الدولة العثمانية حتى أبواب فيينا وأوساط أوربا إلى روسيا، إلى القرم إلى قيرغستان والحجاز وهذه المنطقة.

وكان السلطان "محمد الفاتح" هدفه بعد اسطنبول، المشروع الضخم الكبير، وهو ما عُرِف ب "روميا" أى روما. وكان قد أرسل مجموعة من الفرق بقيادة الوزير الأعظم إلى إيطاليا ودخل إلى تورونتو ونابولي وأخذ بعض المواقع وتوقفت هذه التحركات بوفاة السلطان "محمد الفاتح".

على كل حال، فإن السمة الأساسية للحضارة الإسلامية (وعندما أقول الحضارة العثمانية أو الحضارة التركية فإني أقصد بها الحضارة الإسلامية، فأعذروني) هو الإسلام ذاته. والدولة العثمانية هي دولة إسلامية والمجتمع التركي هو مجتمع مسلم ينطلق من المصادر الإسلامية؛ أي هناك مشترك.

وبالمناسبة فإن هناك نقطة ينتقدها الإخوة المصريون كثيرًا وهي أن السلطان "سليم" عندما دخل مصر أخذ معه مجموعة من العلماء والمفكرين، وقد حدث هذا بالفعل، ولكن ذلك لأن المصريين كان لهم دورٌ بارز في بناء هذه الحضارة/ الدولة الرائعة وهو ما استشعره السلطان "سليم الأول" منذ البداية حين أراد أن تكون اسطنبول عاصمة العالم الإسلامي ولابد للعاصمة أن يكون لها رونقها وأن تكون معمرة بالعلم والثقافة، فكان للمصري –كما ذكرت– دوره التاريخي المعروف في هذا الأمر.

على كل حال، فإن الدولة العثمانية هي قاسمنا المشترك وتاريخنا المشترك. أما الرؤية التي تبدأ الحضارة الإسلامية من البعثة فالأمويين والعباسيين، ثم تقوم بقفزة مباشرة مفاجئة إلى الدول الحديثة فإنها تضعنا في موقف فاقدي الذاكرة، في حين أن من يفقد ذاكرته لا يستطيع أن ينتقل إلى مستقبله، كما أن الذي لا يعرف التاريخ ولا ينطلق من مقوماته التاريخية لا يستطيع تحديد هويته.

وربما وقع في هذا الخطأ بعض المثقفين في تركيا، ولكن هذه الرؤية بدأت في التغير، حيث علمنا جيدًا أن بناء الإنسان من دون ذاكرة وتاريخ حضاري أمر مستحيل؛ لأن التاريخ بالنسبة لنا هو تراكم خبرات، وهو ثروة عظيمة، كما أن البداية من الصفر أمرٌ مستحيلٌ ونحن نعيش هذه التجربة الآن.

وقد كان المواطن العثماني ينطلق من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق في مساحة 24 مليون كم^2 دون أن يحتاج إلى تأشيرة، فيكون بمقدوره أن يذهب إلى أوروبا وأقاصى آسيا أو أي مكان بالعالم.

وكان أهم شيء هو العنصر البشري، حيث إذا أردت أن تبنى مؤسسة أو مدينة وكذلك إذا شرعت في بناء حضارة، ينبغي أولاً أن تؤسس وتكون الإنسان الذي سيبنى تلك الحضارة أو الكيان، وإن لم تنجح في بناء ذلك الإنسان فمهما بنيت من مؤسسات أو قمت بنشاطات لن تجد الثمرة أو النتيجة التي تطلبها، فبناء الإنسان هو أهم شيء.

وبناءً على هذا، فإن الإنسان العثماني كان أهم مقوم قامت عليه هذه الحضارة العظيمة. وإذا ما نظرتم إلى أي مدينة عثمانية كنموذج جزئي ستجدون أن الإنسان الذي بنى هذه المدينة بل هذه الحضارة، عندما فُقِد ضاعت الحضارة من الأساس، وذلك وفق قانون العلية، بينما إذا وُجِد هذا الإنسان واستطعنا أن نصيغه ثانية صياغة معاصرة –حيث لا نقصد استقاء التاريخ كما هو، وإنما نعني بناء إنسانا حديث معاصر– جاءت الحضارة من جديد، بمعنى أنه إذا وُجِد لدينا هذا الإنسان المعنى ستوجد الحضارة وإذا فُقِد ستفقد حضارتنا كما حدث وتظهر حضارة أخرى أكثر تناسبًا مع العصر، ولعل ما يؤكد ذلك أيضًا ما تراه البشرية جميعها الآن في نموذج الحضارة الغربية، وكذلك الإنسان الذي أفرزته، حيث وإن كان هناك تطور في الماديات والوسائل التكنولوجية إلا أنه يغيب الاهتمام بالمبادئ الإنسانية وبالإنسان، وبالتالي فهناك حاجة إلى نموذج بشري من نوعٍ آخر.

وقد نجحت الحضارة الإسلامية أو لنقل الحضارة التركية في الماضي –بالطبع من خلال مشاركة جماعية إسلامية وغير إسلامية لكنها معقولة– أن تُخرِج هذا الإنسان.

وهذا الإنسان في المقام الأول هو إنسان متكامل، بمعنى أنه استطاع أن ينمي كل خصائصه الإنسانية في تكامل، فعندما نقول الإنسان يجب أن نعي كونه عقل وروح وقلب وجسد، وبالتالي فإنك عندما تهتم بناحية من النواحي وتهمل النواحي الأخرى سيخرج إنسان جزئي، أي أنك إذا ما اهتممت بالجسد فقط سيخرج إنسان الجسد وهذا له أحكامه، وكذلك عندما تهتم بالجانب العاطفي فقط ممثلاً في القلب والروح سيظهر إنسان عاطفي بحت ليس له الضوابط المطلوبة في أماكن محددة، وإذا ركزت على الجانب العقلي فقط وأهملت الجانب الروحي العاطفي والوجداني فسيخرج إنسان عقلاني محض ليس له أي مشاعر أوعواطف توجهه النفعية فقط، ومن المؤكد أنه من غير المنطقي وغير المعقول أن يحكم على الأمور من خلال المبادئ المادية فقط.

وبناءً على هذا، كان الإنسان الذي نشأ في ظل هذه الحضارة هو الإنسان المتكامل الذي يهتم بالعقل، والعقل بدوره له مغذيات، فيهتم بالقلب في إطار من التكامل بين العقل والقلب والجسد، فكان التكامل بين الدنيا والعُقبي أي بين الدنيا والآخرة.

وبالتالي، كانت الحضارة التي ظهرت تجسيدًا لهذا الإنسان. وإذا ما نظرتم إلى المدينة العثمانية ستعطيكم فكرة عن الإنسان العثماني، حيث سترون التوازن بين الدنيا والآخرة الذي أشرت إليه وهو ما سأتطرق إليه في بعض الصور، فالمسجد هو الأصل في المدينة العثمانية، إذ هو الجامع الذي يجمع المسلمين منذ البداية. ومن أهم المميزات المعمارية لهذا المسجد أنه يشير دومًا إلى السماء. ثم إذا أتينا إلى الشوارع سترون أن تصميماتها دائمًا تشير إلى ما يمكن أن نطلق عليه "الطرف الآخر" أو الـ"ما وراء"، حيث تعمد الإنسان لدينا تأسيس التكامل بين هذا الـ" ماوراء" والجانب المرئي فتظهر الخوارق.

وعندما يُوصف الإنسان المسلم المتكامل أو الإنسان العثماني المتكامل، يُقال أنه استطاع أن يمزج بين ثلاثة عناصر وهي:

1- **روح المدرسة أو علم المدرسة**، والمقصود هنا المؤسسة التعليمية والعلم الحقيقي الذي يشمل المعرفة بمبادئ العلم ذاته والعلم بالحياة، والعلم بالكون والسنن الكونية، والاهتمام بالفضاء والطبيعة، والإلمام بكل ما يخص الإنسان، والأهم هو قراءة كل هذا العلم بالطريقة الصحيحة.

2- **روح التكية**، أو يقولون التكية والزاوية، مما يعني أن التكايا والزوايا التي كانت في هذا الزمان بمثابة مختبرات تكتشف الجانب الروحي لدى الإنسان؛ حيث مثلت مختبرات في أماكن مختلفة، كل واحدة منها لها أساليبها في الغوص بأعماق هذا الإنسان، كي تكتشف طاقاته وتعثر على نقاط ضعفه فتقويها، وتجد مواطن القوة لديه فتنميها.وتعني روح التكية الارتباط الكامل بالله والارتباط الكلي بالأخلاق، وذلك مع انضباط الثكنة التي هي النقطة الثالثة.

3- **انضباط الثكنة:** أي أن يكون هذا الإنسان جنديًّا أهم شيء لديه الانضباط، فكما يكون لديه الجانب العلمي قوى وكذلك الجانب العملي، فيكون هناك الانضباط الذي يعني أن يفكر هذا الإنسان تفكيرًا رياضيًا منطقيًّا منظمًا، ولا يتحرك دون تخطيط، يُمسك بزمام الوقت فيسيطر عليه ولا يبدده حريصًا على كل ثانية. ونجد بالتصوف مصطلحات تعبر عن هذه الفكرة مثل "ابن الوقت" وهو الذي يستطيع أن يسيطر على الوقت، ولا يستهلكه الوقت.

فعندما نقول انضباط الجندي فإننا نعني أنه حاكمٌ على نفسه، حاكمٌ على وقته.

إذن، لدينا ثلاثية هي: علم المدرسة بمعنى العلم الحقيقي، روح ومعنى التكية أي العالم الروحي، ثم انضباط الثكنة أي الانضباط.

وهذه الشخصية الناتجة عن هذه الثلاثية إنما مثلت شخصية مثالية رائعة قد ظهرت على وجه الأرض، فهي ليست يوتوبيا، حيث أثبتت أنها ممكنة الظهور في عهد الصحب الكرام وفي عهود كلٍ من: الأمويين، العباسيين والعثمانيين، ولو لم تكن هذه الشخصية موجودة لاختلف الأمر كثيرًا.

فمن المهم جدًا أن تظهر هذه الشخصية في شتى مناحي الحياة، وأن يكون لها حضور في مختلف الأماكن من المدرسة إلى المستشفى إلى السوق إلى الجيش والمجتمع والقرية وإلى الدولة ككل في تكامل، وهذا ما قد أخرج لنا النهضة العثمانية في الماضي، كما أن هذه الشخصية ممكنة التحقق فيما بعد.

وقد احتضنت التجربة التركية أو الدولة العثمانية كثيرًا من الثقافات ومن القوميات، حتى أنه يقال أن عدد القوميات التي عاشت في الدولة العثمانية يصل إلى أكثر من خمسمائة قومية، أما الأديان التي ضمتها فهي كما هو معروف الإسلام، والمسيحية بشتى مذاهبها، واليهودية، وربما أديان أخرى، ولكن كل هذه المكونات عاشت حياتها في مناخ من التعايش والتسامح في التجربة التركية أو الحضارة العثمانية: وهذا لم يكن العاطفة المؤقتة التي تفرضها الظروف بمعنى أنه ليس عندما يكون هناك ظرف مؤقت نصبح حينها فقط مضطرون للحوار كي نتسامح معًا، وعندما تزول هذه الحالة المؤقتة نعود إلى صدامنا من جديد، وإنما التسامح والتعايش في هذه التجربة حالة واقعية كما أنها مضمونة من خلال **ثلاثة محاور**:

أولاً: فهي مضمونة حقوقيًا من خلال التشريع الذي حكم هذه القوميات، فهو يضمن حقوق الجميع، فالمسألة لا ترتبط بعاطفة سلطان أو وزير يكون أميل إلى التسامح، ولكن كانت هناك قيود وضوابط عامة وشاملة تتسم بالبقاء والاستمرار، حيث قد تم ضبط هذه القضية دستوريًا، وهناك أمثلة كثيرة بينها أن الدستور الذي أعلنه السلطان "محمود" قال فيه: "أنا لا أعرف أتباعي في الشارع وإنما فقط أعرف أتباعي من المسلمين في المسجد، والمسيحي أعرفه في الكنيسة، واليهودي أعرفه في صومعته، أما في الشوارع فإن الجميع نوعية واحدة". وهذا يدل على التعايش والتكامل.

ما نقصده أن هذا التعايش والتسامح الذي ساد الدولة العثمانية ضُمن دستوريًا ولم يكن عُرضة للأهواء، وهذه نقطة في غاية الأهمية يمكن الإسهاب فيها.

ثانيًا: فإن يوجد قانون فهذا شيءٌ جميل وطيب ويدل على بلوغ مستوى من النضج، ولكن الأهم من ذلك أن يتحول هذا القانون أو التشريع إلى ثقافة، وبالفعل فقد كانت روح التسامح والتعايش مع الآخر ثقافة مغروسة داخل المجتمع العثماني حتى أنك قد تجد منزلاً مسلمًا وجاره مسيحي أو موسوي ويتعامل معه معاملةً إنسانية، فالأديان والعقائد قد تكون مختلفة ولكن كان المسلم يعامل الآخر كإنسان، انطلاقًا من قوله تعالى: (**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**) (سورة الكافرون: آية 6).

ثالثًا: لابد وأن يكون هناك مؤسسات تواصل هذه الثقافة، ولذلك فإن الدولة العثمانية قد أعطت الحرية الكاملة للجماعات والمذاهب المسيحية المختلفة في تطبيق شرائعهم في الأحوال الشخصية والتعبير عن اختلافاتهم البينية الداخلية، فأعطاهم المشرع العثماني الحرية الكاملة في

أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ولم يفرض عليهم قانونًا معينًا بذاته.وهذا بالنسبة للمؤسسات داخل هذه الجماعات غير المسلمة.

فغير المسلمين بالدولة العثمانية قد عاشوا كموطنين؛ وهذا لأن الخليفة وكما يُقال في اللغة التركية خليفة الأرض وليس خليفة المسلمين فقط، فهو خليفة لله في الأرض كلها وهو ما عبروا عنه بالقول بأن الخليفة يُمثل "ظل الله في الأرض"، ما نجد معناه في قوله تعالى: (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)(سورة البقرة: آية 30)، ومن ثم فهو مطلوب منه أن يرعى حقوق جميع الإنسانية مهما كانت الأديان والأعراق والانتماءات واللغات، حيث إن هذه الإنسانية هي عيال الله كما يُقال في الحديث ومن الطبيعي أن يرعى الخليفة حقوق هؤلاء.

وفي هذه الحضارة التي أسسناها معًا، استطاع الجميع أن يحافظ على نفسه وهويته ويبقى كما هو، فلم يأتِ أحد من الخارج ليقول له نحن لا نريدك أن تكون هكذا، إنما بقى المسلم مسلمًا وينطبق هذا على المسلم بشتى أنواعه، سواء الصوفي، أو النقشبندي، أو المنتمي للتيارات الفكرية المختلفة، بل أيضًا تم الحفاظ والحرص على هذا التنوع كما هو، كذلك حافظ المسيحي سواء الأرثوذوكسي أو الكاثوليكي على هويته، أي أن هذه الثقافة ذاتها حرصت على أن يبقى الجميع كما هم، في ظل سعادة إزاء هذه الرؤية فكان كلٌ سعيد بهذه الثقافة التي بناها لنفسه وبهذا الحي الذي بناه لنفسه وبجاره وكذلك سعيد بكافة طرق التعامل.فهذه الثقافة قالت للجميع أن لكم كل هذه الحرية وعيشوا في هذه البلد آمنين كما تريدون.

وعندما نقول هذا الكلام، يجب ألا ننسى المصدر أبدًا، فحين أتى الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلى المدينة المنورة كان المسلمون هناك قلة حيث كان عدد سكان المدينة كان 10 آلاف تقريبًا، بينما كان عدد المسلمين ألف أو ألف وخمسمائة، وكان هناك ثلاثة آلاف من اليهود وأربعة آلاف من المشكرين، وقلة من المسيحيين، ولكن الوثيقة التي وضعها الرسول "صلى الله عليه وسلم" في البداية والتي عُرفت باسم "وثيقة المدينة" أو "كتاب المدينة" وضعت أسس هذا التعايش الذي انطلقت منه فيما بعد كل الحضارات الإسلامية.

إذن، هذا الإطار مكن الجميع من الحفاظ على هويته وثقافته التي يريد العيش في رحابها.

والأصل في هذا أن تكون الدولة هي الدولة الخادمة وليست الدولة الحاكمة. وترى هذا في المقولة الشهيرة للسلطان "سليم" التي قالها عند ما خطب إمام المسجد حلب وذكره قائلاً "حاكم الحرمين"، حيث احتج وقال "استغفر الله، حاشا لله أن أكون حاكم الحرمين، بل أنا خادم الحرمين" وقد استمر هذا اللقب –خادم الحرمين– حتى اليوم، فالخدمة هي الأساس والخدمة هنا، خدمة الإنسانية، إذ قال "صلى الله عليه وسلم": "خير الناس أنفعهم للناس"، أيضًا "سيد القوم خادمهم"، أي كان التأكيد على فكرة الخدمة والتواضع فمهما ارتقيت وكبرت يجب أن تبقى دائمًا خادمًا متواضعًا.

والسلطان "سليمان القانوني" الذي بقى على عرش الدولة العثمانية ستة وأربعين عامًا هي قمة ازدهار هذه الدولة قد شارك في كل الحروب. فطيلة فترة إزدهار الدولة العثمانية شارك السلاطين في المعارك العسكرية إلى عهد السلطان "أحمد الأول"، حيث لم يتركوا معركة إلا كانوا فيها على رأس الجيش. والسلطان "سليمان القانوني" على سبيل المثال توفى في البلقان فلم يتوف في قصره على فراشه وإنما كان مجاهدًا في الثغور.

وكانت عادته التي أرادها وصمم عليها أن يجتمع مجموعة من الجنود والضباط والعلماء وكذا على بوابة القصر ليصطفوا أثناء رجوعه من معركة انتصر فيها ويهتفون عند دخوله قائلين –كما علمهم– "لا تغتر يا سلطان، لا تغتر يا مولاي، فالله أكبر منك". ومن دون هذه الرؤية، لكان من الصعب أن يحكم سنوات طويلة.

وقد كان لدينا قبل ثلاثة أسابيع ضيوفًا من السودان أحبوا أن يزوروا مدينة "أدرنة"، ومدينة "أدرنة" هذه هي ثانِ مدن الدولة العثمانية وحاليًا هي مدينة الثغور على الحدود اليونانية – البلغارية، وفيها من المآثر العظيمة، إذ إن السلطان "محمد الفاتح" وُلِد بها وكذلك السلطان "مراد الثاني"، أي أن بها روحانيات عالية جدًا، وخاصة وأن المساجد بها تعد قمة في الفن والحضارة، وأهم شيء بهذه المدينة مسجد "السينانية" وهو مسجد فخمٌ وعجيب صُب فيه أروع ما لدى المعمار "سينان"، لذا فهو حقيقةً تحفة فنية إسلامية وأتمنى أن تزوروه في يومٍ ما. ورغم أني زرت هذا المسجد مرارًا، لكن في هذه المرة عندما زُرته مع الضيوف السودانيين، قد اطلعت على شيءٍ جديد بالنسبة لي –وقد قلت لكم أننا كل يوم نطلع على شيءٍ جديد والإطلاع على الشيء الجديد يحتاج إلى بحثٍ دائم –حيث قال الإخوة أن هنالك محفل السلطان –إذ بالمساجد السلطانية الكبيرة هناك ما يُعرف بمحفل السلطان– وقد كنت أفكر بأن هذه المحافل هي مجرد قسم خاص يؤسس ليصلى به السلطان لأسباب أمنية، إلا أن عندما أتوا بالمفتاح ليفتحوا هذا المحفل في هذه المرة وجدت به غير ما كنت أظن وسأطلعكم عليه(**يعرض صورة للمحفل**)

هذا هو المحفل، وهذا جانب من حروب البلقان عندما دخل البلغار إلى أدرنه. وقد سقطت في أيديهم ثم بعد ذلك عادت إلى أصلها، وحينها دخلوا إلى هذا المحفل ليهينوا السلطان بذاته لإهانة الدولة من خلال رمزيتها، ولذلك أيضًا أزالوا الزخرفة ولكن بقيت أثارها.

والإمام قد حدثنا عن أن هذا المحفل هو محل اعتكاف السلطان الذي يحرص على أن يصلى بالجماعة /يؤم الجماعة، حيث يختلى في هذا المكان خلال يومين أو ثلاثة في الأسبوع وكذلك في رمضان بهذا نهارًا أو ليلاً وغالبًا ليلاً، وهناك محراب يُصلى به النوافل، وبعد أن ينتهي من صلاته يفتح له موظف معين بابًا بنيًا، وهذا الباب ينفتح على مقابر هي مقابر أجداد السلطان. وهنا يتراجع السلطان ويقرأ له الإمام آية مكتوبة فوق القنطرة هي قوله تعالى: (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) (سورة الشعراء: الآيتان 88–89).

وهذا المعنى هو قمة الدولة العثمانية، وهنا يتراجع السلطان ثانية ليدخل إلى غرفة أخرى بابها تواضع وقد دخلت إليها لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع فاقشعر بدني، إذ عندما تدخلون إلى هذه الغرفة الصغيرة جدًا ستجدون أنها مبنية كالقبر لا يوجد بها نقوش أو زخارف، وليس بها نور على الإطلاق.

وهذه الغرفة هي غرفة التأمل بالنسبة للسلطان، فيتأمل بها الموت والفناء وكيف أن هذا الملك سيزول وبالتأكيد أن هذا الأمر مهم جدًا، لأنه يؤثر تأثيرًا مباشرًا في طريقة تفكير هذا السلطان في تسييره الأمور والبلاد.وهذه الزاوية ستجدونها في كافة المساجد السلطانية، وإن كنت لم أدخل في جميع هذه المحافل، إلا أن منطقها هو ذاته.

تحدث الغربيون كثيرًا عن التسامح والتعايش المثالي الذي عاشته الشعوب العثمانية في رحاب الدولة العثمانية، وهذه المسألة أتجاوزها سريعًا، لكن من الضروري الإشارة إلى بعض الكلمات الهامة التي قالها المؤرخون كقول أحد المؤرخين البريطانيين في كتابه عن السلطان "سليمان القانوني": إن المسيحيين الذين كانوا يعيشون في أوروبا كانوا يفضلون الالتجاء إلى الدولة العثمانية فرارًا من إخوانهم المسيحيين الآخرين.

أيضًا يقول مؤرخ آخر هو "ريتشارد بيتر" أن الأتراك قد حكموا قوميات مختلفة، لكن لم يحاولوا أن يحولوا هؤلاء بأن يفرضوا عليهم ثقافة معينة. وهناك مثال طريفٌ وعجيب يمكن ذكره في هذا الإطار حيث أراد السلطان "سليم" يومًا أن يفرض نوعًا من الأسلمة في دول البلقان. وهنا عارضه شيخ الإسلام في ذلك الوقت معارضةً قوية وقال له إن فعلت هذا أو أصدرت قرارًا من هذا النوع تفرض به الإسلام على قوم بعينهم، فإني لن أعزلك من منصبك فقط، بل سأخلعك وأحلك حتى أنني أفتي بقتلك، فتراجع السلطان "سليم" عن عزمه مما يعني أنه كان خاضعًا لشيخ الإسلام هذا المصدر العظيم لتطبيق المبادئ الشرعية والحقوق، ما نُسميه في العصر الحديث "سيادة القانون".

ومسجل في دفاتر بالكونجرس الأمريكي يقولون أنها عائدة للكنيسة وأنها وثيقة للمسيحية والقسس والرهبان البيزنطيين أن المسيحيين كانوا يدعون قائلين ربنا مُن علينا بالحكم العثماني حتى نعيش ديننا بكل ارتياح.

وقد كتب الملك الصربي في ذلك الوقت رسالة إلى الإمبراطور الهُنجاري يقول فيها: العثمانيون من الجنوب، وأنتم من الشمال تضايقوننا، ونحن كمسيحيين نريد أن ندخل في حكمكم ونقدم لكم ولاء الطاعة، ولكن ماذا ستفعلون في الكنائس الأرثوذوكسية –حيث إن الصرب أرثوذوكس والآخرين كاثوليك– فقال له الإمبراطور الهنجاري: إن هذه الكنائس الأرثوذكسية جميعها ستهدم ويُبنى مكانها كنائس كاثوليكية وهنا أرسل ملك الصرب ذات الوفد إلى السلطان

"محمد الفاتح" الذي أجابه قائلاً: الجميع سيعبد خالقه كلٌ في معابده. ولدينا من هذه الأمثلة الكثير.

وأحد أهم المقومات التي بنت هذا المجتمع وهذا الإنسان، الأوقاف، التي هي أحد تجليات الرحمة، إذ إن الإسلام هو دين الرحمة، كما جاء في قوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) (سورة الأنبياء: آية 107). وإذا ما تطرقنا إلى الإحصائيات الخاصة بمدينة "أدرنة" وحدها – والتي مازلت مبهورًا بها عقب زيارتي الأخيرة لها– سنجد أنه قد أسس بها ستمائة وقف ولاشك أن هذا عدد كبير جدًا، أما عن مجال عمل هذه الأوقاف، فإنهم قد انتهوا من الأمور الأساسية كبناء مسجد أو سوق أو شفاء خانة (مستشفى) أو تأسيس طرق أو مجاري مياه، وهذه هي الحضارة، حيث إنك عندما تنتهي من الخدمات الأصلية تصل إلى التفاصيل والفروعات وتحفر بها، فذلك يعني أنك قطعت شوطًا كبيرًا، وهذا ما تشهده الأوقاف التركية، حتى أنك تجد أوقاف ذات طبيعة طريفة جدًا، فهناك مستشفى للقالق المهاجرة، فهذه اللقالق قد تسقط أو تُجرح أثناء سفرها ولذلك أُسس لها مستشفى خاص، إذ يؤتي بالطيور وتعالج ثم ترسل مرة أخرى، أي أننا تجاوزنا حقوق الإنسان إلى حقوق الحيوان.

وقد قرأت وثيقة ظهرت مؤخرًا تتحدث عن حقوق الحيوان، جاء فيها أن الخيل الذي يُستخدم طوال الأسبوع لابد له من يوم عطلة، فكان هناك قانون خاص/ خط همايوني سلطاني بشأن حق الخيول في العطلة.

وهناك أوقاف تهتم بتسلية المرضى، بمعنى أن هذا الوقف المعني عندما أُسس كان يقوم على أن هناك مجموعات من الناس تذهب إلى المستشفيات ليزوروا المرضى وهذه هي وظيفتهم ووظيفة هذا الوقف. وهؤلاء الناس لديهم عبارات معينة يقولونها لتسلية المرضى مثل قول "ما شاء الله ما شاء الله" "أنت اليوم بخير ومتورد" وغير هذا من كلمات شعرية تركية وقد كانت بيوت الطيور أيضًا محل اهتمام الأوقاف بتركيا، حيث يكون هناك اهتمام بما يُعرف بقصور الطيور والتي تكون موجودة على جدران المساجد والجسور والقصور والمباني الكبيرة، وإذا زرتم المساجد السلطانية بتركيا ستجدون أنواعًا وأشكالاً مختلفة لهذه القصور.

الأمر الذي يُوضِح إلى أي مدى ارتقى الشعور الإنساني في هذه الحضارة، بل أن هذا والإنسان عندما تربيه وتنميه وعندما يستسلم –كما قلت– إلى مصدر الرحمة، فحينها لا يكون فقط عنصر أمن لنفسه ولجنسه ولإخوانه في دينه، وإنما يصبح عنصر رحمة وشفقة لنفسه ولأهله ولإخوانه في الدين وأيضًا لإخوانه في الإنسانية وفي الوجود والخلق، ومن هنا تنبع قضايا كالاهتمام بالبيئة.

نأتي إلى **فكرة التصوف**، وهي نقطة غاية في الأهمية، فالإسلام –كما تعرفون– لم ينتشر بحد السيف، وإنما انتشر بالروح وبالعلم وبالسلوك، وهكذا انتشر الإسلام في ما وراء النهر عن طريق

المسلمون الأوائل المؤمنون والمخلصون في دينهم والمحبون للإنسانية انطلاقًا من أنك لا تستطع أن تفرض فكرًا على إنسانٍ ما وأن إنسانًا لن يقبل فكرًا لم يقتنع به حتى وإن تظاهر بالاقتناع، إذ إنه في أول فرصة يتراجع، بينما إذا عاشت فكرة في مكانٍ ما قرونًا وقرونًا تصبح هذه الفكرة معقولة ومناسبة لفطرة من بهذا المكان الذين سيقبلونها عن قناعة في هذه الحالة، كما سيهتمون بتطويرها فيما بعد.

وما يُسمى بـ"أرناف" أي "الأولياء" تعني الصوفيين وتحديدًا السنية الصوفية الحقيقية القائمة على الضوابط الشرعية والتي تقوم أيضًا على حب الإنسان، والحب الرباني، والمعرفة الربانية، والمحاسبة الأخروية. وقد ظهر في هذا المضمار شخصيات مهمة كثيرة جدًا مثل: مولانا "جلال الدين الرومي"، وجميعهم قد ربوا بالتكايا فيما قد يُطلق عليه الصوفية الإيجابية البناءة الحركية، والتي تبنى المجتمع.

وعندما تنظرون إلى المجتمع العثماني ستجدون التكية –وقد تحدثت عنها في البداية– وتعني اكتشاف بواطن الإنسان وتخليته من الرذائل وتنمية فضائله. وقد مثلت التكية عصب المجتمع، إذ كانت تؤثر على الأسرة والشارع والمسجد والإدارة وكل شيء.

ونجد كمثال على هذا حتمي لا أخوض كثيرًا في الأعماق –ما يتحدثون عنه من أن الحضارة العثمانية هي حضارة عسكر وجيش بمعنى أن القوة هي التي أبقتها طيلة هذه القرون، ولكن لاشك أن هذا تفسير سطحي جدًا فهل يبنى الجيش الحضارة؟ وهل يستطيع الجيش أن يبنى روائع مثل "السينانية" أو "السلطان أحمد"؟ وهل بمقدور الفكر العسكري بناء بيت كأنه جنة ويكون من يعيشون به ويتجولون في الشوارع ملائكة يسيرون على الأرض، بمعنى أن تصبح ثمة حياة أرضية سماوية في نفس الوقت؟

من المؤكد أن ذلك أمرًا صعبًا، ونحن نرى الآن كيف أن الولايات المتحدة هي أكبر قوة عسكرية في العالم، ولكن هل نلحظ أن الجيش الأمريكي هو الذي يصنع أمريكا! وقد كتب أحد الأساتذة المصريون مقالاً في مجلة حراء بعنوان " مدارس ودروس من "ديتون" الأمركية إلى "أبنت" التركية "، ناقش فيه هذه المسألة، كما أني زرت الولايات المتحدة ورأيت أننا عندما نذهب إلى الغرب نرى شيءً آخر غير ما تعودنا، حيث الجامعات الضخمة والكبيرة، وكذلك مراكز البحث واللغات، وستجدون أيضًا تنظيم في المدن والمرور وفي العقلية وفي العمل ...إلخ، وهذا هو الذي يبني الولايات المتحدة وليس الجيش، فالقوة العسكرية فقط تدافع عن الدولة خاصة إذا كانت إمبراطورية، وذلك على نحو يحفظ التوازن العالمي ويحقق السلام إذا ما أراد أي طرف أن يعبث بالاستقرار، حيث إن القوة ستؤديه وتشير إليه حتى يقف مكانه، لكن هل هذا الجيش يستخدم للظلم والاستعمار والقتل والسفك فهذا أمرٌ آخر، وإنما ما بنى الحضارة هي المؤسسات.

وإذا لم يكن كذلك، فإذن فسروا لي سر بناء هذه المدن العثمانية، فهل القوة العسكرية هي التي بنيت هذه المدن التي تشعر عندما تتجول فيها بعواطف عجيبة منها الارتياح والاطمئنان، سواء في الشارع، أو المعبد، وقد كانت كل هذه المؤسسات مؤسسات إنسانية مناسبة لفطرة الإنسان؛ ولذلك يشعر الإنسان فيها بالارتياح والتكامل، حيث ليست بالغريبة عليه وليست نشازًا في الطبيعة، وإنما جزء منها وانبثقت عن قلبها، فلا تناقض بين حضرة الأشجار ورونق الأزهار وبين هذه المدن والمؤسسات التي تشهدها في هذه الحضارة.

إذن، هناك مؤسسات أخرى مختلفة تبنى في المجتمع، وليس الجيش هو الأساس. فالقوة إن لم تعدل ولم تربي تصبح بؤرة ظلم، بمعنى أنك إذا كان لديك جيش يحكم العالم كله، ولكن لم يُهذب ولم يربي فإنه حتمًا سيذهب ليقتل ويسفك ويظلم الناس، وهذا ما نشاهده الآن في أمثلة كثيرة.

وخبرة الدولة العثمانية في هذا الصدد تمثلت في توزيع /تقسيم الجيش إلى أقسام وربطه بالصوفية (المولواية . البكتاشية، النقشبندية)؛ حتى تتم التربية الروحية لهؤلاء وتقام معادلة في ضوء استخدام القوة الذي يحتاج إلى أدب خاص؛ ولذلك نرى في أمثلة كثيرة أن الجيش العثماني عندما يذهب في سفر ما –وهذه قصة حقيقية– ويمر على أرض مزروعة بالعنب/كروم العنب وحينما يقطف عنقودًا منه –وهو ليس من حقه أن يأكله؛ لأنه ليس له– يربط محل هذا العنقود كيسًا من الذهب. والجميع يتصرف وفق هذه التربية التي تحول الجندي إلى مربي لنرى هل عندما سيدخل مكانًا ما سيقتل شيخًا أو امرأة أو سيهدِم ويُدمِر؟ إلا أن من أخذ هذه التربية سيكون من الصعب عليه أن يفعل مثل هذه الأفعال؛ ولذا بقيت القوة العسكرية الضخمة للدولة العثمانية، تلك الدولة التي ورغب الآخرون في الانتماء إليها.فما قصدته الإشارة إليه إذن عن التصوف هو التربية الروحية الفعالة الإيجابية.

ويعتبر المجتمع المدني أحد مقومات التصوف في الدولة العثمانية، وقد كان مجتمعًا مدنيًا فعالاً، لأن –كما نقول– الدولة العثمانية هي دولة وقف، ولأوقاف كانت أوقاف المجتمع أي يبنيها الشعب بنفسه، لذا فهي مجتمعٌ مدني.

إذن فهناك ثقافة مختلفة وإدارة مختلفة، حيث يحب الناس القيام طوعًا بعمل أشياء تفيد المجتمع ما يتمثل في منظمات مثل "أخيلد تشكيلاتا" أي التشكيلات الأخوية، وكانت هذه المنظمات تحكم الدولة العثمانية وتنظم شؤون مؤسسات المهن.

<u>أما الفن في الدولة العثمانية</u>، فمن أهم مظاهره معمار "سينان" أو ما تطلقون عليه "سينان باشا"، وهذا المعمارى ليس تركي الأصل، كذلك فإن الوزير الأعظم "صوقلو" وشخصيات عظيمة أخرى يُمكن أن نعُدها ليسوا أتراكًا في الأصل.

و"سينان" أصله "بوشناق" أو بوسني ولديه أخ أخذ وظيفة في الدولة العثمانية وهو ليس مسلمًا أيضًا، أما "صوقلو" فهو صربي، وكما تعلمون فقد أصبح الصرب الآن أعداءً للمسلمين، وقد كان أغلبية الموظفين في الجيش والعثماني وكذلك الإداريين على هذا النحو، مما يُبرهن على أن هذه الثقافة استطاعت أن تحتضن وتفعل الجميع لتستفيد من إيجابياتهم. وهذا هو الأصل فكيف استطيع أن أطمئن الجميع وأعلمهم معاملة طيبة بحيث يضعوا أمامي خبرتهم؟ وكيف استفيد من هذه الخبرة كي أنشئ حضارة إنسانية؟

لذا فعندما تقول "الخبرة التركية" أو "الدولة العثمانية" فإننا نعني تراكم هذه الخبرة الإنسانية بكل تنوعاتها والتي ساهمت في بناء هذه الحضارة.

وإذا عُدنا إلى المعمار "سينان"، فإنه بني 79 مسجدًا و55 مدرسة وسبعة من دار القراء وهي دور تحفيظ القرآن وعشرين ضريح، وسبع عشرة إمارة خانة، أي مطاعم، وثلاثة من دار الشفاء أي مستشفيات، وخمسة مجاري مياه ضخمة جدًا بإسطنبول، وثمانية جسور ضخمة أيضًا، وعشرين كرواسراي حيث يحتاج المسافرون إلى فنادق على الطرق، وقد كانت جميعها تقريبًا مجانًا ترعاها الأوقاف.كذلك فإنه بنى سبعة وثلاثين قصرًا، ثمانية مخازن، ثمانية وأربعين حمامًا. أي أن المعمارى "سينان" وحده مثل عملية عمرانية ضخمة جدًا، ولكن هناك أيضًا المعمار "خير الدين" وغيره.

وثمة معلومة أود أن أضيفها في هذا الإطار، وهي أن "تاج محل" من معمار "سينان"، حيث إن تلميذا المعمار "سينان" "محمد عيسى أفندي" و"محمد إسماعيل أفندي" بمشاركة خطاط آخر عثماني ذهبوا إلى الهند بدعوة من "جيهان شاه" وأقاموا "تاج محل"، أي أن "تاج محل" أيضًا من العمارة العثمانية.

فهناك طرائف كثيرة فيما يتعلق بالعمارة العثمانية من شأنها أن تبُهِر الإنسان لما تدل عليه من الرقي الفكري والتصور الذي بلغ مبلغًا كبيرًا من العلم، فحين بني المعمار "سينان" "السليمانية" على سبيل المثال وسلمها إلى السلطان "سليمان القانوني" قال له: يا مولاي إني أسلمك معبدًا لا يُهدم إن لم يهدمه ربُنا عز وجل". فقد بناه بناءً متينًا جدًا، لذلك عندما أتى بعضُ العلماء اليابانيين وفحصوا أرضيته قالوا: إن هذا المبنى يحتمل هِزة مقدارها عشر درجات، ومن العجيب أيضًا أن هذا البناء لا توجد فيه عناكب، إذ استخدم "سينان" بيض النعام لكي يحول دون هذا الأمر، ولاشك أن فهم العلاقة بين بيض النعام والعنكبوت يحتاج إلى علمٍ خاص، الأمر الذي يرد بدوره على من يقولون أن الدولة العثمانية كانت دولة جيش فقط وليست دولة علم. وقد أجُريت مؤخرًا دراسة أثبتت أن بيض النعام يمنع العنكبوت، ولكن بنسبة 70%، إلا أن "سينان" كان قد اكتشف طلاء خاص/ صبغة خاصة صبغ بها بيض النعام على نحو جعله يمنع

العنكبوت بنسبة مائة بالمائة، حتى أن المسجد الذي عاش خمسمائة عام ليس به عنكبوت إلى اليوم.

الشيء العجيب أيضًا أنه لا توجد كهرباء، وبالتالي ستشغل الشموع ومن الطبيعي أن يرتقي الدخان إلى الهواء ويُسوِّد القبة، ولا شك أن مواجهة هذه المسألة تحتاج إلى علمٍ عميق سواء في الهندسة أو في طبيعة المواد (كيمياء)، وهنا صنع "سينان" منافذ هواء في قبة المسجد من خلالها تيار هواء يجمع هذا الدخان ويأخذه إلى مكانٍ معين من القبة ليبقى به.

والأطرف والأعجب من ذلك أنهم يأخذون هذه المادة الدخانية التي تتجمع ويضعونها في أكياس صغيرة ثم يُعلقون هذه الأكياس في عنق جملِ المحملِ النبوي الشريف الذي كان يحمل السرة السلطانية والهدايا السلطانية إلى الحجاز وقت الحج، أي يذهب هذا المحمل إلى الشام وهناك يأتي المحِمل المصري والآخر الشامي ثم ينطلقون من دمشق حيث يجتمع الحجاج إلى الأراضي المقدسة مرورًا ببغداد. وقصة المحمِل هذه قصة طويلة، ولكن ما يهمُنا هنا معرفة ما يحدث بهذه الأكياس فتعلمون أن مدة السفر كانت ستة أشهر، وبالطبع فإن الجمل يتمايل ويتحرك وبذلك تذهب هذه المادة التي بالأكياس إلى الأراضي المباركة وتعايش هذا النشاط الروحاني العجيب وبعد العودة من الحج تكون هذه المادة الخام قد نضجت كمادة للحبر الأصيل أو كما يُطلق عليه "حبر حج"، ولأنه حبرٌ مبارك فتُكتب به المصاحف بأيد خطاطين مهرة ويُحتفظ به في إطارٍ من الدقة والرقة.

وبالنسبة إلى الخط تحديدًا، فهناك المقولة المشهورة التي جاء فيها إن القرآن نزل بمكة، وكُتب في اسطنبول، وقُرِئ في مصر، ويُضيف المغاربة الآن أنه حُفِظَ في المغرب. ويُمكن أن نذكر من الخطاطين الشيخ "حمد الله" و"مصطفى أفندي"، و"الحافظ عثمان"، و"عزت أفندي"، بل وكان من الخطاطين السلاطين أيضًا حيث كان السلطان "أحمد" على سبيل المثال خطاطًا وكذلك السلطان "محمود الثاني" وهناك نماذج مكتوبة بأيديهم معلقة في مداخل غرفهم الخاصة، فقد كان السلطان العثماني إداريًا لكنه في نفس الوقت فنانًا، فنجد أن "سليم الثالث" كان ملحنًا ألّف ألحان تاريخية باقية حتى يومنا هذا ويقبل عالم الفن الموسيقى الكلاسيكي بأنها آية من الآيات، كما كان السلطان "عبد الحميد الثاني" ماهرًا في نحت الخشب وإذا ما ذهبتم إلى مسجد "يوجوس" باسطنبول سترون أن الباب من صنعه وهو آية أخرى في الفن.

وكان أغلب السلاطين شعراءً كالسلطان "محمد الفاتح" والذي له ما يُسمى بـ"المخْلَص"، وأيضًا السلطان "سليم الأول"، حتى أنهم كانوا يقولون الشعر بالعربية، فالسلطان "عبد الحميد الأول" مثلاً له قصيدة بالروضة المطهرة عُرِفت بالقصيدة الحُجْرية في مدح "النبي" "صلى الله عليه وسلم"، وإذا ما قرأتم هذه القصيدة ستجدون من السهولة والروعة وكأنها مطبوعة بالعربية.

وفيما يتصل بالورد، فإن له رمزية مهمة جدًا، لأن الحضارة عندما تبلغ القمة تترك الكلام ولا تعبر عن الأشياء مباشرة وإنما تستخدم الرموز. وفي الحضارة العثمانية قد عبروا عن حبهم للرسول "صلى الله عليه وسلم" –والذي كان أصلاً أصيلاً في هذه الحضارة– بالورد حتى أنكم إذا ذهبتم إلى اسطنبول في موسم المولد النبوي سترون الورد حاضرًا في حياتنا بشكلٍ كبير، وهذا لأن الورد جميلٌ رقيق طيبُ الرائحة، كما أن أمير الزهور والورود هو الورد فيحسن أن يكون رمزًا للرسول "صلى الله عليه وسلم".

أما زهرة "اللالة"، فهي رمز لله عز وجل، وذلك لتشابه أحرف كلمة " اللالة" مع لفظة الجلالة "الله" سبحانه وتعالى، واللالة أيضًا وردة رائعة وأنصحكم أن تزوروا تركيا في النصف الأول من شهر أبريل لأنه شهر "اللالة"، حيث تكون هذه الزهرة بمختلف ألوانها مُزينة لاسطنبول بكافة أركانها باعتبارها رمز التوحيد، حتى أنك تجدها على "القِبلة" دون أن يكتب "لا إله إلا الله".

وفيما يتعلق بالعلماء، فهناك علماء كثيرون، وعامة فإن الجماليات كانت في كل شيء، ومع الأخذ في الاعتبار أن الجمال ليس له نهاية وأن ما بعد القمم قمم، كما أن من صفات الله أنه "جميل"، وبالتالي إذ اتعمقت في الجمال فلن تجد له نهاية –فإن العثمانيين وصلوا إلى قمة من قمم الجمال في كل شيء وخاصة في الآذان، إذ إن الآذان والتلاوة في تركيا شيءٌ مختلف، لدرجة أن السائحين الذين يأتون لتركيا أكثر ما يتأثرون به الآذان، وهو له مقامات جيدة، فآذان الفجر مثلاً له تميزه ولدى قصة بشأنه، وهي أن أحد السفراء الفرنسيين وقت الدولة العثمانية أثناء عودته من الحانة قرابة الصبح راكبًا الحنطور سمع آذانًا من مكانٍ بعيد فطلب من سائق الحنطور أن يذهب إلى حيث هذا الصوت الذي تأثر به الرجل كثيرًا، وبعد أن انتهى هذا الآذان في أثناء الطريق وقبل أن يصل إلى المكان المنشود للمؤذن، فإذا بآذانٍ من مكانٍ آخر ولكن بصوتٍ قبيح وأداء سيء جدًا، وهنا طلب السفير الفرنسي من السائق أن يُغير اتجاهه وليذهب إلى مكان هذا الآذان وعندما ذهب التقى بالمؤذن واحتضنه وقبله قائلاً له"لولا آذانك السيء لأسلمت وغيرت ديني".

وسأنهي بعرض الآذان(آذان الفجر) وصور لبعض المساجد

كنت أيضًا أود أن أتحدث عن دور العرب في هذه الثقافة، لكن ربما أغلب معالم هذا الدور معلومة بالنسبة لكم، كذلك بقيت التجربة التركية الحديثة وهي بحث آخر.

د. نادية مصطفى:

حقيقة من الواضح أن أ. نوزاد لديه الكثير بالرغم من قوله في البداية وقبل المحاضرة أنه لا يعرف ماذا سيقول في خلال ساعتين، أما عن التجربة التركية الحديثة فسيقدمها لنا د. إبراهيم البيومي غانم في المحاضرة القادمة.

والآن يود أ. مصطفى أوزجان أن يقدم لكم التحية.

أ. <u>مصطفى أوزجان:</u>

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته,

ترجمة أ. نوزاد لما قاله أ. مصطفى:

السيدات والسادة الأفاضل، بداية اعتذر لأنني لا أستطيع التحدث باللغة العربية.

قدم لنا الأخ نوزاد عرض حول التجربة العثمانية والثقافة التركية، وما نقصده بالتجربة التركية أو الحضارة العثمانية تلك الحضارة التي بنيناها معًا وهذه الجمالية التي أظهرناها معًا والتي هي جمالية الإسلام.

وهنا ينبغي أن أشكر أ.د. نادية مصطفى لهذا النشاط الكبير في هذه المؤسسة العلمية العريقة بالقاهرة وطرحها هذه القضية لكي نستفيد من هذه الخبرة التاريخية التي أسسناها وعشناها معًا، وبلورنا من خلالها جماليات فكرنا وأسلوبنا؛ لذلك فإن هذه الندوة مهمة جدًا، وبالتالي أكرر شكري وتثميني لجهود د. نادية وأشكركم أنتم أيضًا.

وكما تم الحديث في هذه المحاضرة، فإن الإنسان العثماني شخصية متكاملة لا يعيش فقط وقته الراهن وإنما له ارتباطات بالماضي والمستقبل والحال، فيحيا كل هذه الأوقات بكل كيانه.

ونحن أبناء حضارة إنسانية بدأت منذ وجود أول إنسان على وجه الأرض، والأنبياء هم أساتذة البشرية وأساتذة هذه الحضارة، وجميعهم قد أتوا في قرنٍ من القرون وأناروا زاوية من زوايا الحضارة الإنسانية، ونحن أبناء هذه الحضارة المشتركة.

وهذه الحضارة قد نجحت في أن تقرأ الإنسان والكون والحياة قراءةً صحيحة معمقة، وتمكنت من تفعيل كافة الطاقات بنجاح، واستطاعت أن تقرأ التاريخ وتوظفه لخدمة البشرية كلها.

وأبناء حضارتنا نحن التي بنيناها معًا: عرب وأتراك هم من سيملكون المستقبل وسيتمتعون برؤية سليمة متكاملة في قراءة الإنسان والتاريخ وفي التعامل مع الآخر وفي تصورهم للكون والعالم، ونحن أبناء هذه الحضارة لدينا هذا الاستعداد لبناء المستقبل المشترك المشرق السليم.

وقد نُقِلنا خلال هذه المحاضرة إلى وديان الشواهق وتلال التاريخ، وإلى مراحل مختلفة من عقود ذهبية منيرة، فشعرنا بالاعتزاز والفخر، وأعدنا الذكريات من جديد وأحسسنا بالثقة والعزة مرة أخرى.

ولكن قد يسأل الشباب الآن مادام الماضي هكذا، فلماذا نحن الآن على هذه الحال؟ ولماذا نحن متخلفون على الصعيد العلمي؟ ولماذا ليس لنا وزنًا مقبولاً ومعروفًا على مستوى العالم؟ وهو بالفعل تساؤل يمكن طرحه.

ولكن أيضًا قضية العمران أو قضية الإعمار ليست قضية تُحل في يوم وليلة، وإنما هي أمر يمتد لعشرات السنين، كما أن عملية الإصلاح والإعمار تحتاج إلى رؤية جديدة ومتكاملة –كما

ذُكِر آنفًا– وإلى فهم عميق، وهذا كله يحتاج إلى تراكم وتوضيح، وبالتالي إلى وقت ومن المهم أن نسأل من أين نبدأ؟ فإذا ما سألنا هذا السؤال فمن المؤكد أننا سنجد أن القبول والانفعال الداخلي، هو الشرط الأول للبدء؛ لأن الإنسان ينطلق من عقيدة يؤمن بها ومن خلال قناعات لديه وكذلك إيمانه الداخلي، وعليه فإن لم نعد إلى أعماقنا فنزيل السلبيات ونعمق كوامن قوتنا، سيكون الأمر صعب جدًا.

وأكرر اعتذاري لإني لا أعرف العربية أو لا أجيدها كمحادثة، مع العلم أنه في ثقافتنا من لا يعرف العربية لا يعدونه عالمًا أبدًا، وأذكر ذلك لأني سأروي أن "النبي" "صلى الله عليه وسلم" والوحي السماوي في العهد المكي ركز على الإنسان لتأسيس قدر كبير من الفكر المستقيم المتكامل لديه، أي أن البداية كانت بالتركيز على القاعدة الفكرية، كما جمع "النبي" "صلى الله عليه وسلم" بين عقائد التوحيد والنبوة والحشر في تناغم وغرسها لدى أتباعه، فقد غرس عقيدة تربط كل شيءٍ بالله وبالسماء. فقد انتفت جميع الشكوك والشبهات فغرست عقيدة من إيمان خالص نقي مائة بالمائة صالح ليكون منطلقًا لتأسيس أشياء في الواقع. إذ إن الإيمان بالغيبيات والماوراءيات هذا هو الركن الأول المطلوب، كما أن عقيدة الحشر من الأركان الأساسية التي يجب أن تملأ الإنسان لأنها تجعله عندما يخطو ويمشي يُفكر في أن هناك حساب مما ينظم شؤون حياته بكل تفاصيلها.

ولكن بالطبع فإن القرن الذي نعيشه يمثل امتدادًا لقرنين أو ثلاثة مضوا قد أفرزوا لنا و للقريحة البشرية أيديولوجيات مختلفة مثل الليبرالية والشيوعية الماركسية، هذا الفكر المادي الذي أحيانًا ما أحل العلم أو الإنسان محل الدين، وغير ذلك من تيارات. ونظريات كالداروينية التي غُرِست في العقول.

فمن يدرس من خلال المنهج المادي الآن وإن كنا لا نستطيع أن تقول أنه ليس لديه استقامة فكرية، إلا أنه ولاشك يتأثر بالفكر الداروينى وسيُصبِح في ذهنه تساؤلات كثيرة.

واختصارًا، فإننا إذا ما عُدنا إلى الستينيات خاصة في تركيا سنذكر الموجة اللادينية التي تمثلت في الشيوعية والفكر الاشتراكي الذي كان قد غزا كل العالم تقريبًا، هذا الفكر الذي كان يقوم على تنحية الدين عن الحياة ورغم ذلك انتشر حتى بين الفئات المتدينة في تركيا والعالم الإسلامي، حيث أصبحت تتحدث عن الاشتراكية الإسلامية، وبذلك سادت الشيوعية جميع أنحاء العالم الإسلامي وتركيا بالأخص.

وقد تم في هذا التوقيت تعيين الأستاذ "فتح الله كولن" كواعظ لمنطقة إزمير وكمدير فخري لمدرسة تعد الطلبة لكليات الإلهيات، وحينها كان العمل الخيري بين المتدينين بتركيا ينحصر في مجالات محددة كبناء مسجد أو إيواء بعض الأيتام أو وضع سبيل، فضلاً عن إخراج الزكاة، وبذلك تكون قد أديت الواجب المفروض عليك.

ولكن الأستاذ "فتح الله كولن" استطاع من خلال ما يُلقى من دروس أن يُقنِع الناس بأن العمل لا ينحصر فقط في مجالات معينة أو في من يعملون بالعلوم الشرعية، وإنما جميع المسلمين مهما كانت المدارس التي يدرسون بها تقع عليهم مسئولية العمل الخيري.

إذن، المشكلة تكمن في إعادة صياغة الإنسان من جديد، وذلك يتحقق من خلال العملية التعليمية، وهو ما يقود للإشارة إلى أنه أيضًا في تلك الفترة، لم تكن الأسر المتدينة ترسل بناتها إلى المدارس وبالتبعية إلى الجامعات، بل كانت الأسر تتخوف أيضًا من إرسال أبنائها إلى الجامعات؛ لأنه حينما سيذهب إلى الجامعة إما سيصبح لا دينيًا أو شيوعيًا، وإما سيدخل في صراعات وقتال، مما يعني أن المتدين في هذا البلد كان يبتعد تلقائيًّا عن المؤسسات المهمة والخطيرة في المجتمع لأنه ليس له حضورًا هناك، ولكن من خلال الجهود التي قادها الأستاذ "فتح الله كولن" بدأ الناس يُرسلون أبناءهم إلى الجامعات، وتم فتح داخليات أو إقامات لهم لتحميهم من شر ما يتوقعون. ثم بدأ هذا الفكر التربوي التعليمي في الانتشار في جوار مدينة إزمير بغرب تركيا، وعندما رأى الناس ثمار هذا الجهد السلمي الشعبي، بدأوا يتسابقون فيما بينهم كي يفتحوا مؤسسات لإيواء هؤلاء الطلبة، أي أنه أصبح هناك قناعة فكرًا ومنهجًا وعملاً لدى الشعب بضرورة الاهتمام بأبناء الوطن، إلى أن أصبح الشعب التركي كاملاً يُريد العمل في هذا النطاق.

ثم أنه في عام 1980، وقع انقلاب عسكري بتركيا، وقد جاء القرار العسكري في هذا الوقت ليؤيد العملية التعليمية في تلك الفترة، الأمر الذي أعتبره نقلة نوعية للتعليم بتركيا. وقد أصبح الاهتمام بالتعليم واضحًا، حتى أنهم بدأوا يشجعون فتح المدارس الخاصة، حيث كان العمل على تحويل الإقامات والداخليات إلى مدارس خاصة.

وفيما بعد الثمانينيات حيث سقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية في عام 1989، فُتحت أقسام للبنات، حتى أنه لم تخل مدينة تركية من مدارس خاصة بالبنات والبنين أيضًا، وكان الأصل في جميع هذه المدارس أنه أضحت هناك قناعة لدى الشعب التركي أن تكون بعيدة كل البعد عن السياسة والصدام.

وقد لجأ الأستاذ "فتح الله كولن" في هذه الفترة تحديدًا التي شهدت سقوط الاتحاد السوفيتي إلى توجيه نداء للناس والقيام بسفر لزيارة دول آسيا الوسطى والبلقان لمد يد العون لإخواتهم في الدين والدم.

وبالفعل فقد نُقِلت تجربة المدارس الخاصة التركية إلى دول وسط آسيا التركية في الفترة من 1990 إلى 1995، إذ وصل عدد هذه المدارس بتلك البلدان في عام 1995 إلى مائة وخمس وستين مدرسة خاصة، ثم بلغ هذا العدد ثلاثمائة وخمسين مدرسة في عام 2000، كما اتسع نطاقها الجغرافي، أما ونحن الآن في عام 2008 فقد انتشرت هذه المدارس التي ينشأها

المستثمرون الأتراك في كافة أنحاء العالم بالقارات السبع، حيث أصبح هناك أكثر من تسعمائة مدرس تركية حرة راقية بمائة وثلاثين دولة.

والأصل في كل هذه المدارس هو تقديم نموذج للبشرية جمعاء، ويقوم هذا النموذج على بلورة وإخراج القيم الإنسانية الصحيحة، والقيم الإنسانية المشتركة ونقلها إلى حيز الواقع في هذه الدول التي تختلف لغة وعرقًا وقومية وأيديولوجية وفكرًا. وهذه القاعدة الأساسية في هذه المدارس.

فالأيديولوجيات التي أخرجتها البشرية أفرزت نوعًا معينًا من البشر اتسم بالأنانية في مواجهة الآخر يقتل ويسفك دون وازع من داخله. وهذا النوع من البشر هو السائد في الحضارة الحالية، ولذا أضحت الإنسانية الآن في حيرة باحثةً عن مخرج من هذا المأزق الذي سقطت فيه.

والسؤال هو: كيف يكون بإمكاننا نحن كمسلمين أن نضع أمام البشرية نموذجًا مثاليًا بديلاً عن هذا النموذج الجديد ليصبح مخرجًا للإنسانية كلها، وهذا هو الهم الأساسي.

فكيف يمكن أن تهتم بالإنسان وتعطيه قيمة لإنه إنسان؟ وكيف يمكن أن تسهم في بناء هذه الحضارة المستقبلية؟ وكيف تقدم خدمة لهذه الإنسانية التي بلغ عددها ستة مليارات على قاعدة إنسانية بحتة، دون تفريق عرقي أو ديني أو لغوي أو غيره؟ وهذا هو الأصل لدينا إذ قال "صلى الله عليه وسلم": "خير الناس أنفعهم للناس".

ونحن نؤمن بأننا يمكن لنا إحداث تغيير من خلال هذه المؤسسة التي تحتضن تخصصات مختلفة، ولها رؤية واسعة إلى العالم، وذلك عن طريق مثل هذه المناقشات والاستفادة من الخبرات المختلفة، فبذلك سنقدم إضافات متنوعة وإسهامات جديدة للبشرية جمعاء.

وأود أن ألفت نظر الأساتذة الأفاضل لأهمية هذا الأمر، فإن كان أكبر حلم أمامنا الآن أكسفورد وكمبرج لأن هذه المؤسسات تصنع الفكر في العالم بإضافات وإسهامات جديدة، فقد آن الأوان للقاهرة ولهذه الجامعة الضخمة وهذه المؤسسات العلمية الموجودة بمصر وغيرها من الدول العربية والإسلامية المختلفة كاليمين والسودان وتركيا لتقدم إسهامات جيدة وأفكار ومشروعات كبيرة للإنسانية.

أشكركم شكرًا جزيلاً، وأتمنى لكم التوفيق والخير وأن تكونوا جميعًا منارات إشعاع لكل الإنسانية، وأخيرًا أشكر د. نادية مصطفى على هذه الدعوة الكريمة.

د. نادية مصطفى:

أشكر أ. مصطفى وأ. نوزاد على هذه الرؤى المستفيضة، حيث استطاع أ. نوزاد –بلغة عربية فصحى قد تناظر أصحاب اللغة الأصليين– تقديم رؤية بدأت من التاريخ حقيقة ولكنها انتهت إلى الحاضر. فلم يقدم مجرد معلومات تاريخية، وإنما رؤية عكست توجهًا هامًا موجود بتركيا الآن يعمل على إعادة قراءة التاريخ العثماني والدعوة إلى إعادة النظر إليه بطريقة جديدة لتصحيح رؤى كثيرة سائدة عنه.

هذا التوجه يعمل أيضًا على ربط تركيا الحديثة بفضائها الحضاري المحيط بها تاريخيًّا، والذي كان جزءً من إمبراطوريتها التاريخية ذلك الفضاء الحضاري الإسلامي العربي، وعدم الاقتصار على الفضاء الحضاري الغربي الأوروبي فقط.

ذلك التوجه هو –كما قرأت وسمعت في محاضرة أ. نوزاد– التوجه الذي يحرص على الحوار والتواصل مع الدائرة العربية ضمن الدوائر الحضارية المتعددة التي تتجه إليها تركيا منذ عقد مضى بتواصل كبير معها، ثم وصل بنا أ. مصطفى إلى جانب من هذا التوجه من خلال استعراضه هذه الخبرة المدنية التي تركز على عملية التعليم لإنشاء إنسان جديد انطلاقًا من قيم إنسانية مستوحاة من القيم الإسلامية التي هي إنسانية في الأساس، وعلى نحو يوضح كيف يتم التصرف في هدوء والاندماج في هدوء في المجتمع والاقتصاد والسياسة والثقافة وفي العلم أيضًا، دون الاقتصار على شعارات رنانة أو شكليات من الدين، حيث تُبث روح وقيم الإسلام في الجسد الاجتماعي كله وليس في نظامٍ أو دولة فقط.

وأحب أن أوجه شكري إلى دكتور شوقي حسن ودكتورة أوزمان وهما من أساتذة اللغة التركية فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب، علمًا بأن د. شوقي مصري ود.أوزمان تركية، فقد تفضلا بقبول دعوتنا للحضور. وقد قدم الجانب التركى نموذجًا للفنون التركية من خلال معرض صغير في الخارج، نشكرهم عليه شكرًا كبيرًا، خاصة وأننا لم نتمكن من إقامة معارض مماثلة سواء عن النموذج الماليزي الإندونيسي أو الباكستاني. وأشكر أ. نوزاد مرة أخرى. وأرجو أن يكون نقاشًا ثريًا.

المداخلات

مشارك:

أولاً– بداية أشكر المحاضر، وأتصور أن تركيا في مأزق حضاري كبير، إذ إن لها هويتين إحداهما هوية أوربية، والأخرى هوية أسيوية إسلامية.

وبعد إنتهاء الخلافة العثمانية، هل هناك الآن ومع حكم حزب "العدالة والتنمية" حالة من العودة لإحياء الهوية الإسلامية أو الحضارة والثقافة الإسلامية؟

ثانيًا– كيف لتركيا بعد فترة طويلة من نظام حكم علماني له مفهومه الخاص عن العلمنة أن تقدم على تجربة جديدة؟

* **طالب بكلية طب أسيوط:**

قد تكون مداخلتي صادمة بعض الشيء، فكيف تقول حضرتك أن "محمد الفاتح" كان متسامحًا ويُعتبر من أهم أسباب بقاء الدولة العثمانية، في حين أنه فتح اسطنبول فتحًا عسكريًا وليس إسلاميًّا وكان أول من حول كنيسة لمسجد، أيضًا سن قانون يسمح للسلطان بقتل إخوته بمجرد توليه الحكم بحجة منع النزاع حول السلطة فيما بعد، وبالرغم من أنه كان حاكمًا قويًّا جدًا

إلا أن أتباع نفس السياسة من قبل من جاء بعده من خلفاء مع ضعفهم أسهم في سقوط الدولة العثمانية.

*** مشارك:**

أود أن أسأل المحاضر حول الخط الهمايوني الذي أصدره أحد السلاطين العثمانيين فيما يتعلق بالأقليات، حيث كانت له مضامين مهمة جدًا جعلت الدولة العثمانية محل اتهام وتشويه بوصفها وضعت شروطًا مجحفة للأقليات المسيحية.

د. إبراهيم البيومي (توضيح):

<u>الخط الهمايوني</u>، هو مسمى يُطلق على القرارات السلطانية بشكلٍ عام سواء كانت إدارية أو غير ذلك، وسُنوضح هذا الأمر فيما بعد.

*** مشاركة:**

لدي سؤالان:

<u>الأول</u>: إذا كانت النخبة السياسية التركية تنتمي في أغلبها إلى العلمانية، فهل أيضًا أغلبية الشباب أو الشعب التركي يميل كذلك إلى العلمانية، أم أنه يشعر بالانتماء إلى الحضارة الإسلامية؟

وهل حدث تغير في هذه الانتماءات فيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وضرب العراق، مثلما حدثت موجة من الإحياء الإسلامي لدى الشباب العربي؟

<u>الثاني</u>: ويتعلق بالأكراد، إذ من الواضح أنه كان هناك تجاوب وتعايش بين الأقليات زمن الدولة العثمانية وفي ظل الإسلام، وبالتالي فهل ما يحدث الآن من مشاكل خاصة بالقومية الكردية بدأت مع ظهور العلمانية التركية، أم كانت لها أسباب أخرى؟ وهل صعود الإسلاميين في تركيا يمكن أن يسهم في حل المشكلة الكردية؟

***مشاركة:**

فيما يتصل بدور القوى الإقليمية، فإني أرى أن المشكلة مشكلة شعب وليست أزمة نظام سياسي. فقد حُول الآذان إلى اللغة التركية، وحتى الآن تُمنع المحجبات من الذهاب إلى الكليات.وبدأ "فتح الله كولن" على جانب آخر في إنشاء المدارس الدينية لمواجهة المد الشيوعي العلماني.

والسؤال المطروح حاليًا هو لمن سيحُسم الأمر في المستقبل: للهوية القومية التركية أم الهوية الإسلامية؟

*** مشاركة:**

في ضوء تناول أ. نوزاد لخبرة الدولة العثمانية، ما الذي يمكن فعله لاستعادة دولة إسلامية قوية؟

*** مشارك:**

أولاً– ما موقف تركيا خاصة النظام السياسي مما يُقال عن مذابح الأرمن والتي تستخدم كأداة للضغط السياسي في المفاوضات بين تركيا والاتحاد الأوروبي؟ وهل هذه المذابح وقعت فعلاً؟

ثانيًا– تركيا تتجه بقوة صوب الاتحاد الأوروبي في الوقت الذي يُعاد فيه طرح "رسائل النور"، كما كان "نجم الدين أرباكان" قد اتجه إلى تكوين مجموعة الثماني الإسلامية، فهل تركيا تتجه بكل ثقلها إلى الاتحاد الأوروبي، وما موقفها من العالم الإسلامي؟

هاشم إسلام علي إسلام– واعظ باللغة الفرنسية بالأزهر :

البعض يرى أنكم استطعتم تحقيق التعايش والتسامح رغم هذه الأقليات المختلفة في البلاد، وعلى سبيل المثال فقد ارتفع متوسط دخل الفرد في العام إلى ما يقرب من عشرة آلاف دولار. وهو ما يثير التساؤل حول ما يمكن أن تقدمه تركيا للعالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص والعالم على وجه العموم، علمًا بأن في المقابل هناك بعض الأطراف التي تتهمكم بالتنازل عن التسامح والتعايش والديمقراطية، فمثلاً يتهمونكم بمذبحة الأرمن وانتهاك حقوق الأقليات، كذلك يتهمونكم بتكرار استخدام العنف في معالجة القضية الكردية والذي يُسبب آثار سلبية على المجتمع التركي، كما يتهمونكم بالأسلمة ومحاولة فرض الحجاب ومعاداة العلمانية والسعي للقضاء عليها، فكيف تردون؟

*** متحدث: – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية:**

ما وضع الدين الإسلامي حاليًا في الحضارة والثقافة التركية الحديثة بعد مرور أكثر من ثمانين عام على قيام الجمهورية التركية وما حدث من تشويه للطابع الإسلامي والعربي؟

*** تعقيب أ. نوزاد**

بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا على هذه الأسئلة الممتازة والمثرية، ولكن ما أود أن أعرفه هل المحاضرة التي أردت أن أقدمها قد أضافت إلى معرفتكم جديدًا أم لا؟

إذن، إن هذا ما يعنيني ويهمني، وقد قلت أننا أبناء أسرة واحدة باعدت بيننا الأزمات والجغرافيا والسلوكيات والأحداث، ولذا فنحن هنا الآن لنعقد هذا التواصل من جديد، أي نجلس هنا لنعيد التفاهم وهذا مهم.

فالآن أحدثك "أنا"، وأسمع منك "أنت"، فلا أسمع من هذا أو ذاك لأشكل انطباعي أو قناعتي عنك، وإنما من خلالك أنت، ولذلك فأنت أيضًا لا تشكل الصورة عني من خلال هذا أو ذاك ولكن استمع إليّ لأوضح لك الفكرة، ولعل ما قدمته قد أفادنا في تصحيح بعض الأفكار.

وبالنسبة للسلطان "محمد الفاتح"، فإن كل الإداريين يمكن أن ينتقدوا من هذه الجهة أومن تلك، إذ إن الأمر يتوقف على الرؤى، فقد يأتي إداري مثالي، ولكن لا يُعجبك لكونه لا يستقيم وتوجهاتك السياسية فتنقده.

إلا أنك عندما تنظر إلى العام تجد أن الخير غلب الشر، وأن الإيجابيات أكثر من السلبيات، ومن المفترض أننا عندما نحكم على شيء يكون الحكم بالأخذ بالغالب. ولا أقول ذلك دفاعًا عن السلطان "الفاتح" وإن كنت أعتبر الدفاع عنه واجبًا لأن الرسول "صلى الله عليه وسلم". قد مدحه حين قال: "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الفاتح أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

إذن، فعندما توجه إليه انتقادات، يجب أن أتساءل من الذي يتحدث؟ ومن الذي ينتقد؟ ومن الذي يتضرر إذا ما سقط هذا الرمز من حضارتنا، وإذا ما أنزلناه في الحضيض؛ لأن هدم الرموز كان دائمًا من السياسات التي انتهجت طوال التاريخ، فأطلقت بريطانيا لقب "السلطان" "عبد الحميد الأحمر"على السلطان "عبد الحميد"، أي السلطان السفاك، بينما إن كان السلطان "عبد الحميد" قد استمر إلى الآن واستمرت سياساته ولولا الشباب الذين خلعوه، لكانت الدولة العثمانية بقيت حتى الآن موحدة، ومع العلم فإن سياسات السلطان "عبد الحميد" تدرس حتى يومنا هذا خاصة فيما يتصل بالنسبة للسياسات الداخلية ولم شمل البيت الإسلامي، وكيفية شغله الدول الأوروبية بالخلافات فيما بينهم ليكسب الوقت، واستخدام منصب الخلافة لتوحيد الأمة الإسلامية، فهذه رؤية عالمية ولكنها لم تكتمل.

أما السلطان "الفاتح"، فإن الفتح عندنا نعتبره كقول "أنت مني وأنا منك"، فهو ليس احتلالاً، وإنما انتشار، ففتح مكان ما مسئولية، وبالتالي إن لم تكن أهلاٍ لفتح مكانٍ ما فلا تفتحه، حتى أني إذا قيل لي الآن روما لك وكذلك فينيا ونيويورك لن أقبلها، انطلاقًا من أن تسلم أي شيء يُعد مسئولية، فإن لم يكن هناك رؤية حضارية وليس لديك مشروع حضاري يُمكِن من بناء هذه المدينة من بدايتها وحتى نهايتها لا يصح دخولها.

و"الفاتح" سُمِي "فاتحًا"؛ لأنه عندما فتح اسطنبول قد بناها والبناء –كما قلت– أمر يحتاج إلى خبرة ورؤية وتراكم علم، فإطلاق صفة "الفاتح" على السلطان "محمد الفاتح" لم يكن لأنه دخل مدينة "أيا صوفيا"، ولكن لأنه عندما دخل هذه المدينة التي كانت خرابًا وعلى وشك أن تتهدم، بنى بها حضارة كان من أهم مظاهرها مآذن المعمارى "خير الدين"، فبنيت على سبعة تلال، وهذا هو الفتح الحقيقي، حيث إن فلسفتنا قوامها أننا عندما ندخل مكانًا ندخله للبناء وليس للاحتلال، في حين ترون الآن الذين يدخلون إلى أماكن ماذا يفعلون بها.

والآن يعتبر المؤرخون السلطان "الفاتح" صاحب رؤية واسعة؛ لأنه نقل الدولة العثمانية التي كانت إمارة صغيرة لتصبح إمبراطورية عالمية لا تقوم على الاستعمار، فكانت –كما ذكرت– الدولة الخادمة وليست الدولة الحاكمة، وما نحتاجه الآن إعادة اكتشاف هذه الرؤى، ولذا نذهب الآن لتعلم العثمانية.

<u>وذلك ينقلنا إلى السؤال الثاني المتعلق بالعلمانية</u> فالعلمانية تجربة، وكذلك الدولة الوطنية تجربة، كما أنكم تعيشون الآن تجربة، بل إن العالم جميعه يعيش تجربة حاليًا. والتجربة كي

نطلق عليها تجربة تحتاج إلى وقت حتى تعطينا المعطيات الأساسية اللازمة للتقييم السليم وأظن أننا قد بدأنا في هذه الأيام بمراجعة أنفسنا. فحقيقة إن النخب التي بنت الدولة وضعت لنفسها أهداف وفق رؤى معينة، فالبعض قال بتنحية الدين جانبًا كما فعلت بعض الدول الغربية ونتبنى قيم حضارة مادية بحتة لأن الغرب هكذا تقدم، والبعض الآخر قال نبقى بعض القيم الإسلامية ولكن ننحي الدين جانبًا على صعيد الحياة الإدارية وما يدخل في هذا الإطار، لكن ما ينبغي أن نعرفه أن الدولة التركية الحديثة ليست منفصمة كل الانفصام عن التاريخ ففي نهاية المطاف المجتمع هو ذاته ولم يتغير رغم ما تعرض له.

فالأمر أن البعض أراد الحداثة إلا أنك إذا نظرت إلى تركيا أو الدولة التركية ستجد أن هناك رؤى مختلفة حتى أن بعض المثقفين الجدد الآن بتركيا يتساءلون: هل فُهم "أتاتورك" فهمًا صحيحًا؟ فهل كانت غايته هي هذه؟ هل أراد إبعاد الدين تمامًا عن الدولة، بالرغم من أن له تصريحات كثيرة يقول فيها: إن ديُننا ديُن العقل والعلم...إلخ؟ هل يا ترى أن بعض المجموعات أخذت من الرجل فكرته، ثم قولبتها على نحو ينفع مصالحها؟

فهناك بتركيا حاليًا موجة من الاعتقادات بأن جنرالات متقاعدين ورجال أعمال متقاعدين أيضًا وغيرهم من شخصيات عجيبة يعملون في العمق ضد هذا البلد.

والأساس في كل ما سبق –كما ذكرت– التجربة، فالرجل جرب الشيوعية ثم رأى أنها لم تحقق له ما يريد، فقال لأكن ليبراليًا وأجربها.

وتركيا تبحث الآن عن ذاتها، وكذلك المسلم التركي أيضًا، فنعم هو قد بدأ الحداثة ولكنه انتهى برفض كامل إلى أن قال أننا يمكننا الاستفادة من هذه الحداثة بشكلٍ ما، فأتقلم معها وأندمج فيها لكن دون أن أذوب، وإن كان البعض قد اندمج وذاب.

إلا أن التجربة التي تحدث عنها الأستاذ "فتح الله كولن"، هي عقد مصالحة بيننا وبين التاريخ وهذا أولاً، ثم عقد مصالحة بيننا وبين الدولة، خاصة وأن الشعب التركي والشعوب الإسلامية عامة ليست بالثورية، حيث إن مسألة الثورة والخروج على الحكم والحاكم ليست من ثقافتنا، بل إن لدينا في الثقافة الأدبية التركية العثمانية ما يُسمى بـ"أدب الدولة"، إذ أن الدولة بالنسبة لنا مقدسة، وتعلمون أن الأسرة العثمانية– التي هي أسرة السلطان وحيد الدين خان– نُفِيت إلى خارج تركيا ومُنِعت من الدخول إليها حتى وقت قريب، ولكن ربما هي الأسرة الحاكمة الوحيدة في العالم التي نفيت خارج بلدها –تركيا– وعاشت حياة فقر مُدقع جدًا، ولكن هل سمعتم أن أحد أفراد هذه الأسرة قد شكل في أوروبا تنظيم معارض وجمع أنصارًا ثم عاد لتركيا من جديد ليقوم بثورة؟ بالتأكيد هذا لم يحدث؛ وذلك نتيجة لتجذر ما يُسمى "تربية الدولة"، حيث الثقافة والتربية لا يُبنيان بين عشية وضحاها وإنما عبر مئات السنين.

وهناك قصة ذات صلة لابد أن أرويها في هذا الإطار، مفادها أن حفيدة السلطان "وحيد الدين" والتي كانت تعيش بباريس قالت :"أثناء حرب استقلال تركيا كان هناك نشيد يُغنيه الجميع كان فيه:يحيى كمال باشا، عاش كمال باشا.وكنت أغنيه حينها دون أن أعرف معناه، ثم قالت لها الخادمة قولي: اللعنة على كمال باشا وبالتأكيد فإن السلطان سيكافِئك، وذكرت أنها بالفعل غيرت النشيد وقالت كما اقترحت عليها الخادمة فإذا صوت من أعلى كهزيم الرعد يناديها: تعال، فصعدت، فإذا بها ترى أباها مقطب الوجه ويقول لها هذا الرجل أنا الذي نصبته "باشا"، وأبدًا لنٍ أسمح لأحدٍ من أحفادي أن يسُب جنديًا تركيا"؛ لأن الأصل هو بقاء الدولة و أن تعيش الأمة، وهذه هي تربية الدولة.

لذلك، نجد أن الأستاذ "بديع الزمان النورسي" –وهو من الرموز الإسلامية البارزة والمؤثرة في تركيا– بالرغم من أنه اعتقل ونفي وسجن، حتى أنه يقول: سمموني أكثر من تسع مرات، واعتقلوني وظلموني وسجنوني ولكني أسامح جميع هؤلاء، وهذه أيضًا تربية الدولة، بينما إن قال: اخرج على كل هؤلاء، فإن الخط الإسلامي في تركيا سيكون ثوريًا.

فهذه هي تربية الدولة، حيث النضج في التعامل مع المشكلات ورؤية الأمور. وقد تغلغل هذا السلوك في جينات الشعب. وهكذا يؤكد الأستاذ "فتح الله كولن" إذ نرى كيف له معارضون بالرغم من أنه بعيد كل البعد عن الدولة ورغم أنه حقيقة قد بنى المجتمع وأنه –كما أشرت– قد عقد مصالحة بين الشعب والتاريخ وبين الدين والدولة، إلا أنه مع ذلك رسخ الإسلام المجتمعي بتركيا من خلال تعليم غيره، فيقول: أنت عنصر الأمنِ؛ لأن المسلم يجب أن يكون عنصر الأمن في هذا البلد ولا يمكن للمسلم مطلقًا أن يكون إرهابيًا، فالإرهاب بعيدٌ كل البعد عن الإسلام، بل إنه إذا ضاع الاستقرار، نحن سنؤسس الاستقرار حتى نكون فدائي المحبة، وإذا ضربك أحدٌ لا تضربه، وإذا شتمك لا تشتمه، ولكن ابن واطلب القلوب.

فهذه هي تربية الأمة التي جعلت فطرة أبنائها صافية، نعم قد يشوبها بعض الشيء، ولكن بعد فترة سيعود الأمر لما كان عليه.

نعم شجرة الأمة اهتزت، لكن جذورها قوية ولا تزل، هذه الجذور فقط تحتاج إلى تقوية وترشيد دون الصدام، وإنما بالعقل السليم الذي نخاطبه، ونخاطبه بالفعل في المجتمع التركي والمجتمع الغربي والمجتمع الإنساني. وإذا ما نهض هذا العقل السليم وإذا ما وجد خطة، ووجد خطابه سيكون البديل للخط غير السليم، ذلك الخط الذي قام على الفتنة والإفساد في الأرض، فإما أن تقوم العقول السليمة في البشرية كلها وتحسن الخطاب، وإما سنترك الأمر برمته للتيار الآخر الذي يقتل ويسفك.

وعن قضية الأرمن، فهذه قضية غربية بالأساس، وعليكم دراستها لتعلموا ذلك. وقد تساءل رئيس مؤسسة التاريخ أين ذهب الأرمن، أين ذهب مليون أرمني؟ ويقول الأمريكيون والفرنسيون

أن مليون أرمني قد هجروا، إلا أن هذه الأمور لها جذور تاريخية، والحقيقة أنهم بقوا بتركيا ولكن بعضهم تحول فنحن لدينا دونمة من أنواع مختلفة كدونمة اليهود ودونمة الأرمن ودونمة الروم، وهؤلاء تتركوا أو تأسلموا، أي أنهم غيروا أسماءهم أيضًا.

أي أن هذه القضية أُفتعلت وصُعدت خاصة في فترة الثمانينيات في عهد "تورجوت أوزال" الذي كان شخصية سياسية عالمية لها رؤية واسعة جدًا فتحت تركيا على العالم في حين أنه لا يُراد لتركيا أن تنهض؛ لأن نهضتها شُكل نموذجًا، وهنا الخوف إذ إن النموذج الملموس هو الأهم والأكثر إقناعًا من النظريات، فأن تؤسس نظرية هذا جميل، ولكن أن تنقل هذه النظرية إلى حيز الواقع هذا الأهم.

ختامًا، فإننا عندما ننظر إلى تركيا لنحللها، ينبغي أن نهبط إلى الأعماق، لأن الرؤية من الخارج لن تعطينا الصورة الواضحة فرؤية الواجهة السياسية هذه لن تعطينا فكرة دقيقة عن الوضع في تركيا فقد مرت تركيا بمراحل مختلفة، والمجتمع التركي هو الذي يُغيِر ويُحوِل وكذلك هو الذي يبني –وما أقوله قد يحتاج لدراسة– أما السياسة فهي التي تتأثر من خط المجتمع وحينما أفلس الإسلام السياسي في معناه الكلاسيكي بتركيا –وهذا أمر يجب أن يدرس– فإن ما شد السياسيين المتدينين بتركيا هو ذلك الخط المجتمعي الإسلامي السليم الذي طالما بني وتحمل كل شيء رغم المآسي التي واجهها، وكل هذا كي يزرع ويبني وقد تأثر السياسيون المتدينون بذلك الأمر.

ومن هنا، خرجت تجربة سياسية جديدة، وعلى أي حال فإن الرهان ليس على السياسة، لأن تركيا مر عليها وبها الكثير من الأحزاب السياسية فيأتي حزب ويذهب آخر خاصة في ظل الحياة الديمقراطية.

وعلى جانب آخر، قد ينسحب الاستثمار الغربي من تركيا عبر استراتيجية معينة كالتي اتبعها في الشرق الأقصى وماليزيا فجأة.

وبالتالي، فالرهان الحقيقي على المجتمع، إذا ظُن أنه إذا كانت هناك تجربة تركية أو نموذج تركي بالفعل، فإنه موجودٌ بالأعماق البعيدة عن السياسة ولكن التي تؤثر عليها أيضًا والتي تبنى المجتمع والدولة وترشد طريق الحداثة التركية.

وعن علاقات تركيا بأوروبا، فمن المؤكد أن تركيا سيكون لها ارتباط مع أوروبا كما الشرق، خاصة وأن العالم قرية صغيرة ومن الطبيعي أن يكون لتركيا علاقات بمختلف أنحائه. والسياسة مختلفة الأساليب، ولكن بالطبع نحن أوروبيون، إذ ذهبنا إلى فينيا وإلى الأندلس، بل إن أوربا ذاتها إسلامية ولا يمكن أن تستغنى أوروبا عنا أو نستغنى نحن عن أوروبا، وكذلك نحن شرقيون أيضًا لا يمكن أن نستغنى عن الشرق الأوسط ولا يمكن له أن يستغنى عنا، فمن الصعب أن يصير الشرق الأوسط بلا تركيا. أو أن تبقى تركيا بلا شرق أوسط، لاسيما وأن المستقبل لحوار

الحضارات إذا أردنا للخير أن يعم، بينما إذا رغبنا في أن يثبت "هنتنجتون" نظريته فإن الخط الموجود الآن في هذا الاتجاه.

ويجب أن نُبلور هذه الفكرة ونصُرح بها بقوة في العالم العربي والإسلامي وكذلك العالم غير الإسلامي من خلال العقول السليمة، حتى يكون المستقبل كما نريده ويسود السلام في كل العالم.

د. إبراهيم البيومي غانم:

أشكر الأخ العزيز أ. نوزاد على هذا الإيضاح، وعلى المحاضرة من قبل، وعلى تأكيده على هذه الرؤية الواضحة بذاتها، حيث الرهان الحقيقي على الخط المجتمعي وليس على الخط السياسي، فالخط المجتمعي هو الذي يبنى القاعدة الحقيقية للعمل السياسي، وهذا حديثٌ طويل.

أريد فقط أن أختم بكلمة واحدة وهي أن هذا الحديث، إنما هو حديث أبناء الأمم الكبرى، وليس بحديث دول مأزومة أو دول تشعر بأنها دول منكسرة أو في حالة هزيمة نفسية.وعلينا أن ندرك تمامًا أننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الخطاب ويجب أن نتعلمه

الخبرة التركية(2)*

د. إبراهيم البيومي غانم**

تقديم د. نادية مصطفى:

بسم الله الرحمن الرحيم،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

استمعنا في الصباح إلى ما يمكن وصفه وتسميته بالرؤية، والتي قدمها أ. نوزاد. وهو وإن كان ركز على التاريخ، إلا أنه وصل به إلى الواقع على اعتبار أنه –كما قلت– يُمثِل التوجه الموجود الآن بتركيا، والذي يعيد الاعتبار لتاريخ الدولة العثمانية، داعيًا لإعادة قراءتها من خلال وثائق ورؤى جديدة غير تلك التي سادت العقود الماضية سواء تحت تأثير العروبيين أو القوميين العرب في الدائرة العربية أو العلمانيين في تركيا، والذين أرادوا إسقاط تاريخ تركيا كله على اعتبار أنه التاريخ الذي قادهم إلى الانحدار والتدهور. ومن ثم، فهو –أ. نوازاد– قدم ملامح وخصائص الثقافة التركية من خلال استدعاء هذه الخيوط التاريخية والحديث عن الدولة العثمانية مركزًا بذلك على عدة قضايا وعدة أدلة، حيث تحدث عن قضية التسامح في الدولة العثمانية، وتكلم عن طبيعة الحضارة التي أفرزتها هذه الإمبراطورية، انطلاقًا من أن القضية الأولى التي تثير دائمًا الاتهام للدولة العثمانية هي القول بأنها لم تكن دولة متسامحة أو العكس بأنها كانت متسامحة بدرجةٍ كبيرة جعلت الأقوام والأديان المختلفة على ما هي عليه دون أن تجذبها حقيقة إلى حظيرة الإسلام.

والقضية الثانية التي تناولها والتي تثير جدلًا آخر هي تلك المتعلقة بالتساؤل عما إذا كانت الحضارة العثمانية حضارة عسكر فقط وحضارة فتوح وجهاد عسكري فقط ولم يكن لها أي إسهام حضاري أو إنساني؟ وبالطبع نجد هناك رأي آخر يقول بعكس هذا.

وليُدلل على ما أراد في شأن هذين الأمرين ومن قلب نسيج المجتمع والثقافة ومنظومة القيم والسلوك التركي، فقد تحدث عن الأوقاف، وتحدث عن التصوف، وحتى وهو يتحدث عن المساجد والقصور والفنون لم يتحدث عنها بلغةٍ جامدة مادية، ولكن تحدث عما يكمن وراءها من روحٍ ورؤية مبينًا –كما قال– أن النموذج العثماني الإنساني أو **الإنسان العثماني** شكل نموذجًا متكاملًا يجمع بين العقل والروح والقلب، ويجمع بين رؤية الكون عن الإنسان وعن الطبيعة وغير ذلك من الأمور الفلسفية التي قدمها في شكل أدلة ملموسة استدعي في سياقها مراجعة للتاريخ العثماني.

بالطبع ما قدمه ليس محل اتفاق بين الكثيرين، فهناك نقاشٌ واختلافٌ عليه ولكنه قدمه كإنسان له رؤية معرفية ويعمل في مجال التعليم والثقافة والإعلام، وذلك وفق رؤية معينة تهدف

---

* نص تفريغ المحاضرة

** أستاذ العلوم السياسية بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

إلى إعادة بناء الإنسان بصفة عامة والإنسان المسلم بصفةٍ خاصة والإنسان التركي بصفةٍ أخص على نحو يكتشف هويته.

الأستاذ نوزاد والأستاذ مصطفى لم يتوقفا بنا عند الخبرة المعاصرة كثيرًا، ولكننا معنا اليوم –على نحو سيمثل بإذن الله تراكمًا على ما قُدِم في الصباح– الدكتورإبراهيم البيومي غانم الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية وخريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وهو أحد الباحثين المتميزين في مجالاتٍ عديدة خاصة بالمجتمعات والدول الإسلامية والعالم الإسلامي، ومن أبرز اهتماماته الاهتمام بمجال الوقف، حيث إن موضوع رسالته للدكتوراه كان عن الوقف، وقد تم نشرها ثم تابعها بسلسلة من البحوث والدراسات المتعمقة بهذا المجال بحيث أنك عندما يذكر الوقف يُقال د. إبراهيم البيومي، فأدخل في دائرة الاهتمام الفكري والسياسي والعملي موضوع الأوقاف التي هي في صميم الخبرة التركية.

أيضًا اهتم د. إبراهيم منذ عدة سنوات اهتمامًا مُركزًا بالخبرة التركية، كما اهتم بها العديد من الباحثين نظرًا لتميز هذه الخبرة، وذلك ليس لجانب سياسي بحت كما قد تظنون، إذ أننا لا نقدم بهذه الدورة قضايا سياسية بحتة، ولكن نحاول أن نبحث في جذورها المرتبطة بالثقافة والدين والحضارة والتاريخ. ومن هنا كان هذا المزج الذي ربما حتى الآن قد يكون مستعصيًّا على بعضكم تحقيقه وتحقيق هذا الربط الذي هو قلب هذه الدورة والغاية منها.

د. إبراهيم البيومي غانم:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فإني أشكر الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى على هذا التقديم وعلى هذه الدعوة للمشاركة في هذا البرنامج المهم جدًا والمتميز غاية التميز من كل زواياه التي يتعاطى بها مع هذا الموضوع وغيره من موضوعات التثقيف الحضاري، ليُقدِمها لمجموعة من خيرة أبنائنا من الطلبة والطالبات والأخوة والأخوات الباحثين وغيرهم بغرض تعميق فهمنا ورؤانا لهذه القضايا المهمة، التي لاتهمنا فقط على المستوى المحلي أو الوطني، وإنما تهمنا أيضًا على المستوى العالمي وعلى المستوى الإقليمي وكل المستويات، وهذا بمنظور متميز.

وهنا أؤكد مرة أخرى على تميز المنظور الذي نتحدث انطلاقًا منه، وندعو إليه، ونتحاور في تفاصيله، ونسعى في تعميمه، والمناقشة فيه سواء بالأخذ منه والقبول به أو بالنقد. فالأمر مفتوح وعلينا أن نطلع على هذا المنظور الذي هو المنظور الحضاري.

ومعنى المنظور الحضاري –وكما ذكرت د. نادية– هو الذي لا يتناول القضايا مجزأة أو منفصلة أو منعزلة بعضها عن بعض، وإنما ينظر إلى القضايا الكبرى خاصة نظرة عامة ونظرة شمولية، وليس المقصود بالنظرة العامة أو الشمولية هنا أن تكون نظرة سطحية أو سريعة، وإنما

نظرة تجمع كل العناصر الرئيسة المكونة للمنظور في النظر للقضية الواحدة. فننظر إليها نظرة شاملة تتضمن كل جوانبها وليس برؤية تجزيئية تنتج معرفة جزئية أو معرفية منعزلة أو مشوهة عن الواقع.وهذه فكرة مبسطة عن المنظور الحضاري الذي نتبناه وننطلق منه.

وأنا أيضًا قبل أن أدخل في بعض القضايا المتعلقة بالنموذج التركي أريد أن أقول ملاحظة أخرى تتعلق **بطريقة التفكير ومنهاجية التفكير**، فنحن نعاني كثيرًا من قصور في منهاجية التفكير، ودعوني أقول **التفكير الاستراتيجي أو بتعبير آخر الرؤية الاسترتيجية أو الرؤية الحضارية.**

* ما معنى الرؤية الاستراتيجية؟

هي أن ننظر إلى الأمور الأكثر أهمية، وأن نربط بين القضايا الرئيسة انطلاقًا من المنظور الواحد، وندرك هذه القضايا في أبعادها التاريخية، وأبعادها المستقبلية مرورًا بالواقع بطبيعة الحال، ولكن ما أريد أن أشدد عليه هنا هو أن الرؤية المستقبلية جزء ومكون رئيس من مكونات الرؤية الاستراتيجية والرؤية الحضارية في الوقت نفسه.

ولا يمكن فهم الأوضاع الحديثة في النموذج التركي بدون فهم الخلفية التي تحدث عنها أ. نوزاد في المحاضرة السابقة، كما لا يمكن أن نعمق معرفتنا بما يجري الآن في تركيا سواء على صعيد السياسة الداخلية بها، أو على صعيد الحركة الإقليمية المتنامية الصاعدة لتركيا سواء على صعيد السياسة الإقليمية أو العالمية أيضًا دون أن نرجع لهذه الخلفية أو هذا المخزون الثقافي والحضاري والمجتمعي والسياسي للدولة العثمانية؛ لأن كل ذلك يمثل انطلاقة وخلفية ضرورية ولازمة لفهم ما يحدث الآن.

وهذا هو الشأن لما يتعلق بالدول الكبرى والدول ذات التاريخ العريق وذات الحضارات العريقة الممتدة في التاريخ والممتدة أيضًا في الجغرافيا.

وكان أستاذنا المرحوم الدكتور حامد ربيع يقول عبارة كنا لا ندرك معناها وقت الدراسة تمام الإدراك فكان يقول إن الشعب السعيد باستمرار هو الشعب الذي ليس له تاريخ، فأنت تجده سعيد لأن ليس لديه مشكلات أو هموم وقضايا كبرى وتجارب أو عبء يحمله تجاه ذاته أولًا وتجاه العالم ثانيًا. فالشعب الذي ليس لديه تاريخ ليس له رسالة، أما الشعب الذي له تاريخ وله حضارة تجده دائمًا في حالة اهتمام وحالة تأهب وقلق، حيث يعيش حالة من التحدي طوال الوقت كأنه يشعر بما عليه من عبء ومسؤولية كبيرة ليس فقط تجاه نفسه، ولكن تجاه العالم المحيط به أيضًا. وقد تحدث بشكلٍ جيد أ. نوزاد عن هذا الأمر. ولذا، أشعر بحرج شديد جدًا للتحدث بعده، حيث تحدث عن بداية الخلفية وتحدث بإسلوب محبب جدًا إلى النفس من خلال معانٍ عميقة وعبارات رقيقة تصل مباشرة إلى القلب، فيضع علينا نحن المتحدثين بالعربية عبء كبير جدًا حتى نصحح ألسنتنا وتستقيم لغتنا العربية كما هي مستقيمة عند أ. نوزاد. وهذا في

الحقيقة اتجاه متنام في تركيا الحديثة وهو الاتجاه إلى اللغة العربية –وكما قال أخي مصطفى أيضًا– فهم يعتبرون من لا يتقن العربية ويتحدثها حديثًا صحيحًا فصيحًا لا يُعد من العلماء مهما بلغ من الشهادات العلمية والدرجات العلمية؛ لأن العربية هي لغة القرآن وأساس ووعاء الثقافة الإسلامية والحضارية بشكلٍ عام.

على أي حال ما الذي نهدف إليه من هذا الجزء الثاني من المحاضرة، حيث أعتبرها بالفعل جزءًا ثانيًا من محاضرة نوزاد؟

وحقيقة، فإن الذي تهدف إليه المحاضرة هو **إعادة الحالة التركية إلى وعينا**.

فيجب أن نسترد ونسعيد الوعي بتركيا؛ لأن هذا الوعي قد تعرض إما لفقدان امتد لعقود طويلة جدًا من الزمن، أو لتشويه أكثر من الفقدان في مراحل معينة من المراحل المختلفة للتطور الحديث في العلاقات ما بين العرب والأتراك منذ سقوط الخلافة العثمانية.

هدفنا أيضًا أن تزيد قدرتنا على الفهم، فلا نستعيد الوعي فقط، ولكن نستعيد خبراتنا التحليلية والمنهاجية على فهم ما يجري في تركيا وفهم ما تشهده هذه المنطقة التي تسمى **العالم التركي**، فتركيا ليست فقط تركيا المعروفة بحدودها السياسية التي يُشار إليها وتعرف في المجتمع الدولي بالدولة التركية وعاصمتها أنقرة ...إلخ، ولكن هناك عالم بالكامل يطلق عليه العالم التركي يمتد من حدود البلقان في غرب تركيا إلى سور الصين العظيم في الشرق، حيث هناك أعراق وأجناس تنتمي إلى أرومة واحدة وثقافة واحدة ودخلت في الحضارة الإسلامية منذ فترة طويلة، وكان العامل أو العنصر الأساسي الذي دمجها وأعاد صياغة هويتها هو دخولها في الإسلام. وهذه المسألة ليست نادرة أو فريدة في التاريخ السياسي العالمي فقبائل "الجرمان" في أواسط أوربا على سبيل المثال كانت قبائل لها وضعية لن نخوض فيها كثيرًا، لكن عندما دخلت في المسيحية أُعيد تعريف هويتها وكذلك الجنس الأري أو الجرماني كله بهذه المنطقة وأصبح جزءًا من الحضارة المسيحية في أوروبا القديمة.

كذلك بالنسبة للأتراك أو العنصر التركي، فعندما دخلوا في الإسلام أُعيد تعريف هويتهم بالكامل وأصبحوا ركنا من الأركان الديمجرافية والجيوسياسية المُشَّكِلة للحضارة الإسلامية وللحضارة العالمية بشكلٍ واسع.

نريد إذن أن نزيد قدرتنا على فهم ما يجري في تركيا الحديثة من هذا المنطلق الواسع ومن هذا المفهوم العريض، كذلك نريد أن نزُيل هذا الغموض الذي يُحيط على وجه التحديد بتركيا الحديثة منذ نشأتها على أيد "مصطفى كمال أتاتورك"، وأن نزيد قدرتنا على اختبار أو توقع ما يُمكن أن يؤول إليه مستقبل العلاقات بين العرب والأتراك بشكلٍ جيد.

هذا ما أتصوره بشأن أهداف هذه المحاضرة، وإن كان بطبيعة الحال لن نستطيع أن نلبي مثل كل هذه الأهداف، ولكن يُمكننا رسم إطار لما يجب أن يكون عليه اهتمامنا العلمي والثقافي

والمعرفي فيما يتعلق بالحالة التركية **أو تركيا** أو التاريخ العثماني وكل ما يتعلق بهذا الجزء المهم جدًا في الوعي وفي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

هناك قضايا كثيرة جدًا في هذا الشأن، وسأختار بعض المشكلات التي تمثل قضايا إشكالية في الوقت نفسه ويدور حولها خلافات كثيرة فيما يتعلق بالنموذج التركي. وهي كالآتي:

أولها– إنه من تطورات ما يجري الآن في تركيا نجد أن هناك حاليًا جدل في العالم العربي والإسلامي وداخل النخب المهتمة بالتطورات الجارية في تركيا حول **ما الذي يعنيه النموذج التركي في ظل حزب "العدالة والتنمية" على وجه التحديد؟** والتساؤل المباشر هنا هل هو يقدم نموذجًا إسلاميًّا للسياسة ولإدارة المجتمع والدولة، أم أنه يقدم نموذجًا غير إسلامي ولا صلة له بالمرجعية الإسلامية؟وهذا سؤال مهم جدًا ويدور حوله جدل كثير. وسأوجز الإجابة عليه لننتقل إلى مشكلة أخرى.

إذ هناك اختلاف حول هذه المسألة، حيث يوجد من يرى أن الحزب نفسه أعلن بشكلٍ صريح أنه ليس حزبًا دينيًّا وأنه حزب ديمقراطي محافظ، كما أن أحيانًا بعض قيادات الحزب تقول إنه ليس حزبًا (إسلاميًّا) بين قوسين. والذين لا يعرفون تطورات الأوضاع السياسية والأوضاع القانونية والدستورية وحقيقة الصراع الدائر داخل المجتمع التركي بين تيارات سياسية وفكرية مختلفة قد لا يُقدرون معنى هذه الكلمات ويأخذونها بشكلٍ سطحي وسريع، فيقولون إن الحزب نفسه يقول إنه ليس حزبًا إسلاميًّا ففيما الجدل حول هذا الموضوع.

وهذا في الحقيقة يدعونا للحديث حول ما المقصود بالحزب الإسلامي؟

فهل هو الحزب الذي يرفع شعارًا إسلاميًّا، أو يكتب اسمًا إسلاميًّا، أو يضمن اسمه لفظ "إسلامي" مثلًا؟أم هو الذي يتبنى ويُنفِذ ما يقصده وما يريُده الإسلام في إدارة شؤون المجتمع والدولة؟

وإذا ما أوجزنا واختصرنا الطريق، أقول إن هناك مسألتين أساسيتين للحكم على مدى إسلامية أو عدم إسلامية حزب يعمل في الشأن العام أو يعمل في إدارة المجتمع الدولة وبمعنى أصح يقود إدارة المجتمع والدولة.**وهما:**

المسألة الأولى: الأمن

المسألة الثانية: الاقتصاد

فإدارة شؤون المجتمع والدولة كما تريدها السياسة الإسلامية بالمعنى الواسع ليست هي تخصيص القيم كما هو في المفهوم السياسي الغربي أو الصراع حول القيم وليس هو " The game of power" أو تقاسم مراكز القوى وغير هذا من تلك المفاهيم الأساسية في بناء علم السياسة في المنظور الغربي، ولكن السياسة في المفهوم الإسلامي هي القيام على الأمر بما يصلحه وتدبير شؤون الناس حتى تكون أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد.

هذه هي المعاني الأصلية والأساسية للسياسة الشرعية في المنظور الإسلامي والسياسة بهذا المعنى ترتكز على نقطتين أساسيتين هما: تدبير شؤون الناس أي حفظ مصالحهم سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو مصالح السلم الأهلي، والحفاظ على الأمن والتماسك الاجتماعي والتماسك الوطني.

وهاتان هما النقطتان الأساسيتان للحكم على مدى إسلامية حزب ما. فإذا كان هناك سياسة تهدر المصالح أولا تأخذ المصالح في اعتبارها فهي غير إسلامية.

وإذا كان هناك سياسة تحافظ على المصلحة وتسعى إلى رعايتها وتحترمها وتدافع عنها وتبذل كل ما في وسعها لإدراك مصالح الناس وتحسين أوضاعهم في معاشهم، وشروط حياتهم وترقية نوعية هذه الحياة، فهي سياسة إسلامية من منطلق المرجعية السياسية الإسلامية بغض النظر عن مسألة العقيدة الآن.

والجانب الآخر هو الأمن، فيجب حفظ الأمن فلا يكون هناك هرج أو مرج أو فتن واضطرابات أو عدم استقرار وما إلى ذلك.وهذان هما المرتكزان الرئيسان اللذان يحكمان على مضمون السياسية.

أما بعد ذلك، فكلها إما تفاصيل تأتي في ظل هذين المعطيين الرئيسيين أو تفاصيل أخرى ليست الدولة مكلفة بها، وليس من يقود الدولة أو المجتمع هو المسئول عنها، وهذا كأمور العبادات وكل ما يدخل تحت صنف العبادات في الإسلام، فهذه الأمور ليس مكلف بها جهاز الدولة، حيث إن الدولة ليست رقيبة على ضمير الفرد أو سلوكه وما يأتي أو يدع من هذه التكاليف الشرعية العبادية المخاطب بها كل إنسان بمفرده كالصلاة أو الصوم وأداء كل الفرائض الإسلامية.

فمسئولية الدولة هي المشترك العام الذي يجمع كل المواطنين الذين يعيشون تحت ظل سلطة الدولة الإسلامية أو السلطة التي تستند إلى المرجعية الإسلامية في إدارة شئون المجتمع والدولة.

وهذا هو معيار الحكم على الاقتراب أو الابتعاد عن المرجعية الإسلامية، أما مسألة الشعارات أو التفاصيل، فإنها في رأيي لا تصح أن تكون معيارًا للحكم إلا من منظور ضيق (سلفي) بين قوسين وفقهي حرفي ضيق جدًا لا يُدرك أبعاد المعطيات السياسية والواقعية.

الإشكالية الأخرى:

وهي تتعلق بالنموذج التركي حاليًّا. وهذه الإشكالية تتصل **بالصراع بين العلمانية والإسلامية في تركيا.**

وهذه من المشكلات الكبرى التي يدور بالفعل حولها صراع سياسي وفكري وثقافي، وصراع حول هوية المجتمع التركي، وعلاقته بتكويناته المختلفة بالدولة.

ومع كوني أؤكد أن هناك جمهورية ثانية سنتحدث عنها في إشكالية ثالثة، فإن هذه القضية يرجع تاريخها –كما تعلمون جميعًا– إلى ما قبل تأسيس الدولة التركية الحديثة أو الجمهورية الأولى عام 1924 على يد "مصطفى كمال أتاتورك"، حيث كان هناك تيارات تسعى إلى إصلاح وتقوية الدولة العثمانية، ولكن نتيجة العديد من الصراعات والاختلال في موازين القوى الدولية التي سادت القرن التاسع عشر واستمرت إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، أصبح هناك وضع جديد تعين فيه على النخب التركية السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية أن تختار ما بين عدة اختيارات كثيرة جدًا أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى، فالخلافة العثمانية لم تسقط سقوطًا حرًا هكذا كما تسقط ورقة الشجر في الخريف، وإنما سقطت بعد نضالات وبعد حروب وصراعات طويلة امتدت من بدايات القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى وانتهت بمعاهدات فرضها المنتصرون منها معاهدة لوزان وسيڤر، وكان منها ما هو سري وما هو علنى وفرضت على الدولة القديمة التي كانت تمثل واحدة من تسع دول كبرى وقطب من أقطاب النظام الدولي في ذلك الوقت أن تتضاءل وتتراجع إلى حدود محدودة وضيقة جدًا.

ومن الناحية الجغرافية أود أن أقول لكم معلومة واحدة فقط، وهي أن الدولة العثمانية إلى عام 1919 كانت تمد سلطانها على مساحة جغرافية وبشرية مساحتها 5 مليون كم^2، ولكن بموجب معاهدات الحلفاء التي فُرصت على المنهزمين وتركيا منهم، ومن خلال بنود معاهدة لوزان أصبحت مساحة تركيا التي أجبرت النخبة وبينها السلطان الأخير والحكومة الأخيرة على القبول بها هي 770 ألف كم^2 أي تقلصت مساحتها من 5 مليون كم^{2}إلى 770 ألف كم^2 أي أقل من مساحة مصر. والمساحة الجغرافية لتركيا حاليًا منذ معاهدة لوزان إلى الآن هي 770 ألف كم^2 وأكثر قليلًا (أقل من 800 ألف كم^2) في حين مصر مليون كم^2 مع الاختلاف في التضاريس والديمجرافية ...إلخ.

وهذا أحد المعطيات التي تبين كيف أسفر هذا الثراء عن انسلاخ كل الأجزاء التي كانت منضوبة تحت رداء الدولة العثمانية وأصبحت شظايا متفرقة بل ليست فقط متفرقة ولكن واقعة تحت سلطات الاحتلال الأوربي البريطاني أو الفرنسي على وجه التحديد إلى جانب مناطق النفوذ الألماني في بعض البلدان...إلخ.

وفي ظل هذه المعطيات كان لابد من الاختيار بين بدائل كثيرة جدًا. وإذا ما ألقينا الضوء على الخيارات التي اضطرت إليها تركيا في ذلك الوقت، سنجد أنه كان عليها أن تختار بين أن تصبح دولة مفروض عليها هذه الالتزامات وهذه الضغوط من القوى الكبرى المهيمنة التي لا ترحم ولا تعرف إلا مصالحها بطبيعة الحال وبين أن تصبح أكثر من ثلاثين دويلة وهذا عدد الإثنيات والقوميات والعرقيات والملل والنحل التي تضمها فكان الاختيار كما كان، وهذا ما عبر عنه "مصطفى كمال أتاتورك" نفسه حيث قال إن علينا أن نجمع كل الأقليات والقوميات

والإثنيات التي لم تنفرط ولم تخرج من رداء الدولة العثمانية وهي كلها في منطقة الأناضول، و كان ذلك بجمعها في دولة واحدة تحت سياسة عنيفة جدًا وهي سياسة التتريك. وقد كانت سياسة التتريك موجودة قبل ذلك فتم الاستمرار فيها.

وهذا أحد الأسرار المهمة التي يجب الوعي بها عندما ننظر إلى مجريات السياسة التركية بعد ذلك. لمعرفة ما الاختيارات الكبرى التي انحازت لها النخبة العسكرية والنخبة البيروقراطية والحكومية التي استولت على السلطة في ذلك الوقت؟ ولماذا اختارت هذه الاختيارات؟ وما المصالح التي جعلت الأمور تطورت بعد ذلك بشكل عنيف قاطع تحت وطأة قراءة مختلفة تمامًا أملتها ظروف ما على النخبة التي حكمت جهاز الدولة في تركيا (الجمهورية الأولى) حتى وصل الأمر إلى حد الانسلاخ الكامل عن كل العمق التاريخي والحضاري والثقافي الذي كان يربط تركيا الحالية بكافة أجزاء الدولة أو الإمبراطورية العثمانية مترامية الأطراف حينها.

في تلك الظروف جاء الخيار العلماني –ولا أحد يستطيع أن يزايد على د. نادية مصطفى أو شخصي الضعيف في هذه المسألة بالتحديد– حيث يجب أن نصحح الرؤية في هذه الجزئية، بأن نعرف أن في تلك الفترة كانت العلمانية مكون من بديل استراتيجي كامل، كما كان أصحاب القرار في هذا الوقت غير مخيرين ولم يكن أمامهم فرصة كبيرة لاختيار بدائل أخرى أكثر جدوى وآلية في هذا الوقت.

وربما لهذا السبب لا يوجد في الأعمال الكاملة الخطب أو الرسائل الكاملة لمصطفى كمال أتاتورك مؤسس الجمهورية الأولى والمنشورة تحت عنوان "نطق" التي هي كلمة عربية وتركية في آن واحد، لا يوجد فيها وهي شيء ضخم تعريف محدد للعلمانية؛ كالقول مثلًا بأنها تعني فصل الدين عن السياسة أو عن الدولة، ناهيك عن محاربة الدين أو غير ذلك. فكل ما جاء حول هذه المعاني هي تأويلات وتفسيرات جاءت على أيد النخبة العسكرية والنخبة البيروقراطية التي سيطرت على جهاز الدولة بعد ذلك، فوضعوا هذه التعريفات عندما استقرت الأمور إلى حدٍ ما، أما عند "أتاتورك" نفسه لا يوجد تعريفات من هذا النوع، فلا يوجد لديه ما يقول أن العلمانية تعني معاداة الدين،الأمر الذى يختلف عن ما استقرت عليه الأحزاب العلمانية المتطرفة منذ ما بعد "أتاتورك" إلى وقت قريب في الفترة بين 1970– 1975.

والغريب أن سياسات القمع والتشدد في مواجهة المشاعر الدينية والرموز الدينية كانت أكثر عنفًا وأكثر بطشًا فيما بعد "أتاتورك" علمًا بأني لا أجمل "أتاتورك"، ولكن هذه حقائق ووقائع.

"فأتاتورك" عندما بدأ يطبق مراحل سياسته التي سُميت "سياسة المراحل"، والتي تعني مراحل الانتقال من الدولة العثمانية وتقاليدها وقوانينها وأعرافها الدولية إلى دولة وطنية محدودة في إطار دولي جديد مختلف عما سبق، بدأ ينتقل من مرحلة إلى أخرى فألغى الحروف العربية كل هذا ضمن سياسة التغريب وكان قد اتبع سياسة التتريك فيما يتعلق بالأعراق والأقوام

بالمجتمع التركي حيث اتسعت سياسة التتريك لبناء المجتمع الحديث ليخرج من حالة الضعف القديم والهوان إلى أن يكون دولة قوية، ووجد أن السبيل لقوة دولة هو أتباع سياسة التغريب وفق المعسكر الغربي.

وكانت هذه هي المسألة الأساسية حيث التساؤل حول كيف نكون دولة قوية وكان ذلك بالقول بضرورة اتباع النموذج الغربي بكل ما يتطلبه النموذج من تغيير في العادات والتقاليد والقوانين والمؤسسات وكل شيء.

ثم أقول –وعليكم أن تنتبهوا– أنه بدأت بعد ذلك أن تظهر تفسيرات وتأويلات أكثر تشددًا لماهية العلمانية وما هية الحداثة وكذلك التغريب، وهذا من قِبل النخبة التي سيطرت على جهاز الدولة والمؤسسة العسكرية على وجه التحديد.

بعد ذلك، التساؤل هو: هل استسلم المجتمع التركي لهذه السياسات؟

لا، فقد كان هناك باستمرار– حتى منذ تأسيس الجمهورية الأولى على أيد "مصطفى كمال أتاتورك"– التيار الآخر وهو التيار الإسلامي التقليدي المحافظ أي كانت التسمية، وهو التيار الذي عبر عن التحفظات التي وصلت إلى درجة الرفض والدخول في صراعات مع التيار الذي هيمن على تركيا وسعي إلى عزلها عزلًا تامًا عن ثلاث دوائر تنتمي إليها، وهي:

الدائرة الأولى: هي الدائرة الحضارية التاريخية التي تنتمي إليها تركيا، وهي الدائرة الإسلامية، حيث إن النخبة العلمانية التي سيطرت على جهاز الدولة سعت إلى فصل وإلغاء كل ما له صلة بهذه الدائرة.

والدائرة الثانية وهي الأخطر بالنسبة إلى الأتراك حتى من الناحية القومية، وهي الدائرة الطورانية أو دائرة العالم التركي نفسه، حيث الجمهوريات الإسلامية في بلاد القوقاز وامتداداتها في أواسط آسيا. فكان هناك نزعة إلى فصل تركيا عن هذه الدائرة أيضًا وكأنك تقطع أجزاء جسد واحد هو المجتمع التركي. وبغض النظر عن العقيدة أو الإسلام فإن هؤلاء كانوا من نفس العنصر التركي ولكن نجد أن حتى هذا الارتباط تم فصله.

والدائرة الثالثة: والأساسية بالنسبة لنا على الأقل، هي الدائرة العربية وقد ساد هذا التيار وهذه الأيديولوجية حتى وقت قريب جدًا على مستوى الدولة والخيارات الاستراتيجية الكبرى حيث القول بأن تركيا ليست جزءًا من العالم الإسلامي وليست جزءًا من العالم العربي بكل تأكيد، وإنما تقرر أن تكون جزءًا من العالم الأوربي الحديث.

المؤرخ المشهور "أرنولد تونبى" له عبارة شهيرة تلخص ما حدث بالنسبة تركيا في هذه الفترة وطيلة هذه العقود فيقول أن تركيا منذ عام 1924 إلى الوقت الذي توفى فيه وهو في السبعينيات تقريبًا كانت مثل الغراب الأسود الذي أراد أن يصبح مثل طائر النورس الأبيض النقي فدهن نفسه باللون الأبيض، ولكن الحقيقة –ومازال الكلام "لتونبى"– أنها لم تعد تشبه الغراب ولم

تصبح نورسًا بل أصبحت مسخًا إذ خاصمت هويتها ولم تكتسب هوية جديدة. وهو يقول كلمات مكثفة لها دلالة في هذا الإطار.

هذه الإشكالية أعتقد أنها في طريقها إلى الحل الآن بعد أن خسرت منها تركيا وأدركت كل الأطراف في تركيا –بما فيها أكثر الأطراف تطرفًا للعلمانية ممثلة في حزب "الشعب الجمهوري" ورئيسه "دينيز بايكال" والذي حرك الأمور ضد حزب "العدالة والتنمية" فيما يتعلق بمسألة الحجاب– أدركوا أن هذا الصراع كان سلبيًا وأضعف تركيا ولم يُفدِها في شيء، إذ كان أغلبه غير حقيقي ومُزيف، فأصبح ضرره أكثر من نفعه.

وهناك دلائل كثيرة حول هذا الموضوع لن أستطرد فيها، ولكن فقط نأخذ مثال أخير، وهو حكم المحكمة الدستورية العليا في قضية حل حزب "العدالة والتنمية" قبل فترة قصيرة وكان الذي حرك هذه القضية طبقًا للدستور المدعي العام التركي "عبد الرحمن ياجينكايا "، وطالب فيها المحكمة الدستورية العليا بحل الحزب وحظر العمل السياسي على بعض أعضائه لمدة خمس سنوات بحجة أن الحزب تحول إلى بؤرة لممارسة أنشطة مناهضة لعلمانية الدولة، والتي هي العلمانية ركن أساسي من أركان بناء الدولة التركية.

باختصار، فإن حكم المحكمة جاء بالاكتفاء بمعاقبة الحزب بخصم نصف الدعم الحكومي الذي يقدم من الدولة للأحزاب بما فيها الحزب الحاكم وهو بالمناسبة 20مليون دولار في السنة فأصبح حزب العدالة والتنمية يحصل على 10 مليون دولار فقط.

جوهر هذا الحكم الذي يصدر لأول مرة من المحكمة الدستورية هو أن هناك وعي جديد وفهم مختلف داخل معاقل الدولة، وخاصة المعاقل التي يُسيطر عليها العلمانيون المتشددون بالدولة حتى القضاء والمحكمة الدستورية العليا والجيش ومجلس الأمن القومي.

هذا الحكم يقول إن هناك فهم جديد وتصحيح ذاتي وهناك تغليب للمصلحة الوطنية في ضوء معطيات حقيقية وإنجازات فعلية على الأرض أنجزها حزب "العدالة والتنمية" منذ مجيئه إلى السلطة في نوفمبر عام 2002.

وهناك حكم آخر صدر قبل هذا الحكم بقليل يتعلق بالسيد "فتح الله كولن"، وهو مرجعية تربوية وفكرية ومجتمعية كبيرة لعددٍ كبير جدًا من الأنشطة والمؤسسات في تركيا وامتداداتها خارج تركيا. رُفعت عليه قضية منذ عشر سنوات يُطالِب فيها الادعاء بمعاقبته وحظره من القيام بالنشاط العام الذي يقوم به وحظر المؤسسات التي يقوم عليها لنفس السبب؛ وهو أنه يقوم بأنشطة مناهضة لعلمانية الدولة.

ولكن المحكمة الدستورية حكمت بحكم يؤكد أيضًا أن هناك شواهد على أن هناك فهم ووعي جديد داخل الدولة التركية نفسها يغلب المصالح الوطنية على الصراع الأيديولوجي الفج دون مضمون، والذي يهدر طاقات البلد في غير طائل حيث أخلت ساحة "فتح الله كولن" لأنه لا

يوجد دليل على صحة الادعاءات، كما لم توجد أدلة على صحة الادعاءات التي وجهت فيما بعد لحزب "العدالة والتنمية" بشأن القيام بأنشطة مناهضة لعلمانية الدولة.

فتعريف العلمانية نفسه محل خلاف؛ لذلك فإن المحكمة الدستورية نفسها لم تجد دليل يدين هؤلاء. فرغم أن الدستور التركي ينص على أن العلمانية هي أحد المبادئ الستة التي تقوم عليها الدولة التركية، إلا أنه لا يوجد تعريف معين لهذه العلمانية.

فهي كلمة فضفاضة، وهي ممارسة فعلية، حيث إنها أكثر تأثيرًا في الواقع من التعريفات النظرية فالذي يتحكم هو التعريف الفعلي الذي يمسك بزمام السلطة والمؤسسات ذات النفوذ القوي كالمؤسسات الفضائية والمؤسسات العسكرية، فتلك هي التي حددت ورسمت مفهوم العلمانية.

ومن المفارقات أن الجدل حول العلمانية والإسلامية انقلب رأسًا على عقب. ففي فترة من الفترات كانت التهمة الرئسية التي توجه إلى التيار الإسلامي أنه تيار شكلي يهتم بالقشور ولا يهتم بالمسائل المهمة ولا يشتبك مع المشاكل والقضايا التي يعاني الجمهور منها بالفعل وعلى رأسها القضايا الاقتصادية والحريات العامة وغير ذلك من القضايا الكبرى اقتصاديًّا واجتماعيًّا وقوة الدولة نفسها، بينما يهتم التيار الإسلامي فقط بمسألة الحجاب باعتبارها مسألة شكلية في أذهانهم وكذلك بعض الشعائر والرموز الشكلية. أما الآن أصبح الجدل منعكس، فأصبح من يقيم الدنيا ولا يقعدها بسبب مسألة الحجاب هو التيار العلماني.

والسؤال هو إذا كانت هذه مسألة شكلية كما كان رأيكم في السابق، فلماذا إضاعة كل هذا الجهد وكل هذه الموارد والطاقات وإهدارها بشأنها؟ ولماذا تطالبون بإنزال حزب وصل إلى سدة السلطة بتأييد 16 مليون صوت بنسبة 47%من إجمالي المصوتين بسبب تهمة كنتم ترونها شكلية ويُتهم التيار الإسلامي بالاهتمام بها؟ فإذا كانت مسألة الحجاب شكلية وتهمة فلماذا تُحدِثون كل هذا الارتباك والاضطراب الكبير وعدم الاستقرار السياسي في رفع هذه الدعوات؟وكذلك بالنسبة إلى باقي القضايا.

المسألة التي نتحدث عنها، هو أنه ليس المهم في السياسة سطحها، ولكن السياسة في أعماقها، والمهم كذلك هو بناء القوى من أسفل وليس بناءها من أعلى.

وبناء القوى من أسفل يكون عن طريق بناء وتربية الإنسان وتشكيل وعيه وتحديد اختياراته في فترة مبكرة جدًا قبل مرحلة الدخول في الأحزاب أو التصويت ...إلخ.

وهذا المنهج هو "**المنهج المجتمعي**" **وليس** "**المنهج الدولي**" (الذى يركز على الدولة)، وهو ينحاز إلى الرؤية العميقة للفكر الإسلامي وللمرجعية الإسلامية باعتبار أن الإنسان هو الهدف وهو المركز، وأن حرية الإنسان هي في قمة أي سياسة تستند إلى المرجعية الإسلامية.

ولا أقول أن الجدل بين العلمانية والإسلامية انتهى، ولكن أقول أنه في طريقه إلى الانتهاء، فهو ينحسر إلى حدٍ كبير، فلم يعد هناك التشنج الضخم والهائل، ولم يعد حتى الأمر كما هو في معاقل العلمانية بالجيش والقضاء.

الإشكالية الثالثة: وتتعلق بالوضع الراهن والتصورات الحادثة في تركيا تتمثل في أن هناك صعود متوالي للدور الإقليمي لتركيا مركزيًا وفي منطقة أسيا والقوقاز والشرق الأوسط بشكل عام ومنطقة البلقان وأسطيع أن أقول أيضًا أن هذا الصعود على مستوى السياسة العالمية.

ما هو السر؟ وما الأسباب؟ ما هي المتغيرات التي تفسر لنا هذا الصعود التركي في الوقت الذي نشهد فيه تراجع قوى إقليمية بالمنطقة ومنها الدور المصري حتى في القضايا الأكثر قربًا بالنسبة لنا ومنها القضية الفلسطينية وقضية العراق والوضع في سوريا وعلاقتها مع إسرائيل؟

بالتأكيد جميعكم يعرف أسماء نجوم في السياسة التركية محفوظة ومنها: "علي باباجان" وزير الخارجية، و"طيب أردوغان" رئيس الحكومة، و"عبد الله جول" رئيس الدولة. وهذه أسماء نجوم من المفترض أن نكون أكثر وعيًا بها ودراية بتحركاتهم وأفكارهم لأن نجوم السياسة هؤلاء هم الذين يصنعون التغيرات بيننا وبين تركيا.

هذا الحضور المكثف لهؤلاء النجوم بالفعل يشرف أي تركي بل وأي شخص يتابع هذا الحضور القوي، وهذا التحول المتعقل والمتزن الذي ينقل دولته من دولة هامشية في السياسة الإقليمية وطرفية في السياسة العالمية إلى دولة مركزية لها حضور قوي وفاعل. ولا يمكن تحرير أي سياسة إقليمية إلا بالرجوع إليها وأخذ مشورتها على الأقل. ومن ثم فإن هؤلاء نجوم حقيقيون ويستحقون التحية والإجلال، بعكس أناس آخرون وقيادات أخرى بالمنطقة تنحسر وتتراجع حتى أنها لم تعد تستطيع المحافظة على المصالح الوطنية القطرية بالمعنى الضيق وليس بالمعنى الاستراتيجي المنفتح على الإقليم كله كما يتصرف الأتراك الآن.

ما الذي يفسر هذا الصعود؟الذي يفسر هذا الصعود **عاملان هما:**

العامل الأول: وجود رؤية استراتيجية واضحة لدى النخبة الحاكمة في تركيا الآن وبأغلب أطيافها، وليس فقط ذوى المرجعية الإسلامية.

العامل الثاني: صعود جيل جديد من السياسيين يحمل هذه الرؤى التي يمكن أن يسهم فيها خبراء ويمكن أن تكون حصيلة تطور وتراكم على مدى عقود طويلة، ولكن المهم النخبة الجديدة التي تحمل هذه الرؤى وتضعها موضع التطبيق.

هناك جيل جديد هو جيل وسط حتى من الناحية العمرية. فخلال زيارتنا لتركيا أكثر من مرة وجدنا أنه في أغلب المؤسسات حتى في مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات السياسية بما فيها حزب "العدالة والتنمية" هناك دور كبير للشباب.

"فعلي باباجان" الذي هو وزير خارجية تركيا عمره 41 عامًا ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في بدايات الخمسينيات والقيادات الأخرى في الثلاثينيات والأربعينيات.فهناك جيل جديد من السياسيين يتحمل المسئولية، ولكن ليس فقط ذلك بل هو لدية رؤية استراتيجية واضحة.

هذه الرؤية الاستراتيجية ساهم فيها بالأساس أحد أبناء جيلنا **وهو الدكتور "أحمد داوود أوغلو"** كبير مستشاري رئيس الوزراء التركي حاليًا ومنذ فترة طويلة*. وهو له كتاب بعنوان "العمق الاستراتيجي: مكانة تركيا في النظام الدولي" وهو مكتوب بالتركية صدر عام 2001 قبل وصول "العدالة والتنمية" إلى السلطة وطبع إلى الآن أكثر من 20 مرة ومقرر على معظم مراكز البحث والكليات الاستراتيجية والعسكرية بتركيا.

و"أحمد داوود أوغلو" هو من أبناء المرجعية الإسلامية إذا جاز التعبير ومن أصحاب المنظور الحضاري، وهو كتب الفلسفة إلى تقوم عليها السياسة التركية الحالية وتطبقها وقال إن حصيلة 80 عامًا من خبرة الدولة التركية في الاتجاه إلى الغرب والتنكر إلى التاريخ والتطلع إلى الحضارة الغربية في ظل فصل وقطع أوصال تركيا عن العالم التركي ومثل هذه الأمور يجب أن ننظر إليها بنظرة موضوعية.

فحصيلة طيلة هذه الفترة أن تركيا صارت دولة صغيرة بعد أن كانت دولة كبيرة وأصبحت دولة تابعة بعد أن كانت دولة قائدة في النظام الدولي وتصرفت بأقل من إمكاناتها وقدراتها الحضارية والجغرافية وحتى الاقتصادية. لماذا ذلك؟

لأنها أصبحت أداة أمنية في أيدي حلف الأطلنطي. فلاحظوا كيف أن المجتمع الغربي وأوربا على وجه التحديد كانت استجابتها للاتجاه إليها من ناحية الدولة التركية العلمانية أنها اعتبرتها عصاة أمنية فقط فلم تدخل في الاتفاقات الاقتصادية ابتداءًا من "بريتون وودز" Bretton Woods التي نظمت الأوضاع الاقتصادية وأعادت بناء أوربا بعد تدميرها في الحرب العالمية الثانية، وذلك لأن تركيا ضعيفة فاقتصادها ضعيف ومهلهلة وبالتالي لم تدخل في أوروبا حتى الآن الموحدة وتلك مسألة سنأتي إليها فيما بعد.

فكان السؤال المركزي الذي طرحه "أحمد داوود أوغلو" في هذا الكتاب –العمق الاستراتيجي– الأتراك يتساءلون لماذا نُقدم باستمرار عند الحديث عن الأمن ونُؤخر باستمرار حين يكون الحديث عن المحاور الاقتصادية؟وهذا سؤال مشروع بنسبة مائة بالمائة.

إذن، لابد من إعادة النظر في هذه المنظومة كلها وبالفعل أعاد "أغلو" النظر بها في كتابه الضخم المكون من أكثر من ثمانمائة صفحة، والذي أشبهه –"أوغلو"– بأنه "كسينجر" السياسة

* كان ذلك وقت إلقاء المحاضرة ، وقد تولى أحمد دواود أغلو منصب وزير خارجية تركيا فى أوائل شهر مايو 2009

التركية وذلك للتشبيه فقط وليس للإشادة بكسينجر. فهو العقل الاستراتيجي الكبير الذي يضع أسس الدولة المركزية التي لها دور إقليمي كبير في هذا الكتاب وغيره.

وقد وضع "أحمد داوود أوغلو" خمسة مبادئ للسياسة التركية حتى تستعيد تركيا هيبتها ومكانتها كدولة مركزية وليس كدولة تابعة وهذه الرؤية تنطلق من تصميم وإرادة وليس استكانة وخضوع لأمر الواقع والقول بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان؛ لأن الذين يفكرون بهذه الطريقة يبقون كما هم مثلما تعلمون في بلدان أخرى كثيرة: بينما الذي يضع لنفسه هدف واضح يقول نحن لدينا إمكانات دولة مركزية ولذلك يجب أن نصل لهذه المكانة.

أما هذه المبادئ الخمسة فهي:

1- توسيع الحريات في الداخل، وهو ما قام عليه حزب "العدالة والتنمية" منذ مجيئة للسلطة في عام 2002، وحماية الأمن الوطني بحزم لأن توسيع الحريات لا يجب أن يؤدي إلى اضطرابات وفتن وقلاقل.

2- تصفير المشكلات ونقاط التوتر بين تركيا ودول الجوار.

وفي عام 2001 كان لتركيا مشكلة كادت تصل إلى حافة الحرب بين الحين والآخر مع كل دولة جارة بلا استثناء بما يشمل سوريا والعراق وأرمينيا بطبيعة الحال طوال الوقت وكذلك مع بلغاريا واليونان وإيران. بينما اختلف الأمر الآن.

3- الاتجاه إلى الاقتصاد والتركيز على المشكلات الاقتصادية على وجه التحديد، إذ لابد أن تأخذ أولوية في سياسة الدولة التركية.

4- أن تحضر تركيا على الساحة الإقليمية، إذ من العيب أن تظل غائبة. حيث لاحظ "أوغلو" في هذه الدراسة الاستراتيجية المهمة أن تركيا لم تحضر حتى كعضو مراقب في محادثات السلام التي بدأت بمدريد عام 1991 بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ولكن أُهمِلت تمامًا.ومن ثم، أكد أن هذا الأمر لابد أن ينتهي وأن القضايا المهمة المحيطة بتركيا لا يجب أن تغيب عنها، بل تحضر وتحضر بقوة في هذه القضايا مثل قضية السلام العربي-الإسرائيلي وقضية الملف النووي الإيراني وقضية العراق ومشاكل القوقاز. وبالفعل تلاحظون الآن الحضور الفاعل للسياسة التركية في حرب القوقاز الأخيرة.

5- اجتهادات دبلوماسية نشطة متعددة الأبعاد تقوم على مبدأ "لسنا مع أحدهم ضد الآخر".وكانت السياسة التي تتبعها تركيا قبل ذلك هي سياسة المحاور، أي الانضمام لطرف ضد الآخر كما هو معروف في سياسة الأحلاف الإقليمية والدولية، ود. نادية مصطفى هي خير من يمكن أن يحدثكم تفصيلًا عن هذا الأمر.

فرأى "أوغلو" أنه لابد من مغادرة هذه السياسة بالكامل والدخول في علاقات إيجابية مع مختلف الأطراف مهما كانت النزاعات بين هذه الأطراف وبعضها البعض أو بينها وبين تركيا، مؤكدًا أن تركيا ليست دولة جبهة تحارب في كل اتجاه وإنما دولة مركزية لها عمق حضاري وعمق تاريخي وجيوسياسي كبير. وبالتالي، لا يجب القبول بأقل من دور سياسي كبير يوازي الإمكانات التركية.

وهذا ما تحقق بنجاح كبير جدًا، حيث أصبحت تركيا الآن تمسك برئاسة منظمة "المؤتمر الإسلامي" وأصبحت عضوًا مراقبًا في جامعة الدول العربية، كما أن المحادثات بين سوريا وإسرائيل صارت تتم عن طريق تركيا وأضحت تركيا، وسيط أو شبه وسيط في الملف الإيراني. وهو ما يختلف تمام الاختلاف عن وضع الدولة الطرفية الذليلة لشروط الأحلاف والقوى الكبرى.

هذا الموضوع يجرنا إلى مسألة أخرى وهي الإشكالية التالية:

الإشكالية الرابعة: وهي مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي.

أحد الأسئلة التي طرحت في المحاضرة السابقة هو: هل الأجدى والأجدر لتركيا أن تكون عضوًا في الاتحاد الأوربي، أم أن توثق علاقتها بالعالم الإسلامي؟

من المنظور الاستراتيجي –وأعود ثانية لهذه الكلمة– علينا في هذا الإطار الأخذ بكلمة أننا أبناء حضارة إنسانية ويجب أن يكون لدينا أفق استراتيجي واسع وليس مجرد أفق ضيق أو محلي فقط.الأفق المحلي نعم هو جزء من بناء الأفق الاستراتيجي، ولكن يجب ألا نقتصر عليه.

نحن إذا فكرنا بطريقة استراتيجية الآن سنجد أن من الأفضل مائة مرة أن تكون تركيا عضو في مركز من مراكز صنع القرار العالمي على أن يكون العالم الإسلامي كله خارج هذا إطار.فلا يوجد لدى العالم الإسلامي مثلًا أي دولة عضو دائم بمجلس الأمن، ومنظماتنا الإقليمية كمنظمة المؤتمر الإسلامي، الجامعة العربية، الاتحاد المغاربي، ومجلس التعاون الخليجي جميعها تكوينات بسيطة ليس لديها الرؤية الاستراتيجية الواسعة التي تسعى إلى حضور عالمي على مستوى العالم.

أيهما الأفضل بالنسبة لنا أن نتجه إلى الضعفاء والمضطهدين والمنكسرين والمهمشين من المنظور الاستراتيجي الدولي، أم أن أكون عضو في أحد الأبنية الرئيسة لصنع القرار الدولي وهي الاتحاد الأوروبي، علمًا بأنه لا يوجد من يناقش كون الاتحاد الأوربي واحد من أهم مراكز صنع القرار الدولي.

أيهما أفضل أن أسعى للدخول في هذا المركز أم أن أظل تحت وطأة العواطف المشاعر الطيبة التي لا تكسب كثيرًا في عالم السياسة الدولية التي لا تفهم هذه اللغة، بينما تقوم على لغة المصالح والقوى؟!

بالتأكيد من الأفضل أن تكون تركيا عضو دائم بالاتحاد الأوربي أي قائد.نعم هناك صعوبات كثيرة أو سيرفضون في نهاية الأمر، لكن هذا التوجه الاستراتيجي الذي لا يعني أبدًا التخلي عن الجذور الإسلامية أو عن الثقافة أو الدور الحضاري الإسلامي، بل العكس لم يأت هذا التوجه على هذا النحو إلا بعد أن أدركت النخبة السياسية الحاكمة في تركيا عمق وأهمية هذا المكون الحضاري وهذا العمق التاريخي، هذا جعل الأتراك يساومون الآن الاتحاد الأوروبي بهذه الأوراق فيقولون إنهم دولة ذات حضارة وذات امتداد كبير جدًا في العالم التركي وفي العالم العربي والإسلامي وفي دورنا معكم أيضًا؛ لأن تركيا جزء منها يقع في القارة الأوروبية وهو لا يتجاوز 3% الذي يسمونه "تراكيا" و97% يمثل منطقة الأناضول التي تضم الأعراق التركية.فهم يقولون أنهم جزء من القارة والأوروبية صحيحًا أنه يشكل 3% من مساحة تركيا إلا أنه جزء لا يستطيع أحد أن ينكره.

ويقولون أيضًا للأوربيين أنتم تقولون أنكم النادي المتحضر والمجتمع الديمقراطي ثم عندما نبدأ في إجراءات الانضمام يذهب الرئيس الفرنسي "جيسكار ديستان" الذي وضع الدستور الأوربي ويقول نحن نادٍ مسيحي. فهل أنتم إذن نادي ديمقراطي أم نادي مسيحي ترفضون تركيا به؟

هذا الخيار وهذا الهجوم الاستراتيجي من تركيا –ولا أوافق المحللين العرب الذين يقولون أن هناك هجوم استراتيجي تركي على العرب– ولكن ما يجري هو جزء من إعادة بناء استراتيجية/ مكانة تركيا على الساحة العالمية، والجزء الأكبر منها أنهم يضربون باتجاه القوى الأكبر بجوارهم وهي دول الاتحاد الأوروبي.

ويُلاحظ أن كل الشروط التي وضعها الاتحاد الأوربي والإيجابي منها تحديدًا يصب في صالح المبادئ الخمسة التي تحدثنا عنها الآن وبينها توسيع الحريات في الداخل.فشروط كوبنهاجن الموضوعة للانضمام للاتحاد الأوربي وتوسيع عضويته هي نوعان من الشروط هما:

* شروط سياسية: تقول بأنه يجب أن يكون هناك نظام ديمقراطي وضمان لحكم القانون ودستور ومحاكم وقضاء مستقل وإزالة القيود على الحريات السياسية وتشكيل الأحزاب إلى آخر هذه المنظومة السياسية، وهذا هو عين المطلوب؛ فهذا ما يضعه حزب "العدالة والتنمية" الحاكم موضع التطبيق بكل قوة.

* شروط اقتصادية: وتتعلق بالاقتصاد الحر وتقوية البنية التحتية والبنية الداخلية للاقتصاد التركي حتى يكون على قدر المنافسة وعلى مستوى الكفاءة والقدرة مع اقتصاديات الدول الأوربية.وهذا يؤكد مصالح الناس حيث يفتح فرص عمل جديدة ويعطي كل ذي حقٍ حقه ويحارب الفساد حتى يصل كل شيء إلى صاحبة ولا يتسرب في شقوق الفساد.

وكل هذه المعايير ما هو العيب بها؟ وما هو غير الإسلامي بها؟ بالعكس فإن هذا يحقق المصلحة مائة بالمائة ويقوي الدور الذي تسعى تركيا للقيام به في محيطها.

هذه رؤية استراتيجية عميقة لا يمكن أبدًا اختزالها في قضايا فرعية أو مسائل جزئية. وحتى المسائل الجزئية والقضايا الفرعية فإن هناك رؤية وأولويات لها.

وتحديد الأولويات وترتيبها هو جزء من منهاجية التفكير في المرجعية الإسلامية –وأتحدث هنا عن نفسي ولا أحمل الحكومة التركية شيء من هذه الإحالة– إلا أن هذا فعلًا من صلب المرجعية الإسلامية لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴾(سورة قريش:الآية 4)

فهناك تشديد على الاقتصاد والأمن، والأمن هذا مفهوم واسع لا يعني فقط أمن الدولة بمعنى الأمن الشرطي وهذا هو عمق الدخول في مفهوم السياسة من المنظور الإسلامي، والأمر لا يتعلق فقط بمسألة الحجاب.

وهناك طُرفة فيما يتعلق بالحجاب أرجو أن يُستفاد بها في تركيا خاصة أن هذه المسألة حساسة وإشكالية ويتم تضخيمها بشكل كبير جدًا، وهي أني كنت ألقى محاضرة في مكانٍ ما وقالت فتاة بما أنهم يمنعون الفتيات من دخول الجامعة بالحجاب فإنه من الممكن أن يكتُبن عليهً ليعيش أتاتورك" أو يضعن صورته وإذا منعن، فإن بذلك تكون الجامعة تمنع "أتاتورك" الذي كان مع المساواة والحرية وحق المرأة في التعليم، مع العلم بأنه لا يوجد في الدستور التركي أو حتى القوانين التركي ما يمنع الحجاب وإنما المسألة هي أوامر فعلية بحكم تعريف العلمانية بأنها مقابلة للدين.

ونحن لم نسمع في أي أمة من الأمم عن تمييز بسبب الزي، فقد نسمع فقط عن تمييز بسبب الدين أو العرق أو اللون أما الزي فهذا أمر غير مقبول.

الإشكالية الأخيرة: وهي فيما يتعلق بانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي وما الفوائد؟نعم هناك عقبات وهي تتصل بعمق بالعنصر الثقافي أكثر من العنصر السياسي بشكل مباشر لأن وفقًا للعنصر السياسي تكون المعايير مرتبطة بالحرية والديمقراطية والنادي الديمقراطية.

لكن المعارضات وردود الفعل سواء في ألمانيا أو في فرنسا خاصة في عهد "ساركوزي" وفي بعض الأحزاب الإيطالية كلها تنطلق من أرضية حضارية ثقافية تاريخية وهذا ما تسعى تركيا الآن لأن تتصالح مع نفسها فيه. وهذا ما كان يتحدث عنه "نوزاد" في تناوله للعمق التاريخي لأن هذا ما يحاربون تركيا على أساسه وليس على الأساس السياسي المباشر.فالعقبات ستأتي من هذا الباب ولكن هناك فوائد كثيرة جدًا.

يُقال إنه بفرض أن تركيا قُبِلت في عضوية الاتحاد الأوربي ستصبح "جزءً" من المنظومة الأوربية وصوتها سيكون صوت واحد وسط عدد كبير جدًا فلن تؤثر في القرار وهذا شيء غير

صحيح.فكما قلنا فإن مجرد حضورها في مركز من مراكز صنع القرار الدولي هذا مهم ومكسب في حد ذاته.

الأمر الثاني، أنها ستحد من ابتزاز إسرائيل –وهذا متغير مهم جدًا– للمجتمع الأوربي؛ إذا إن إسرائيل تبتز الدول الأوربية منذ زمن طويل جدًا لأنها منفردة في المنطقة وتدفع بأنها داخله تحت حمايتهم، بينما إذا انضمت تركيا "للاتحاد الأوربي" سيصبح هناك صوت آخر يحد من هذه الابتزاز.

أيضًا، سيقوي الاقتصاد التركي بدرجة أكبر مما هو عليه الآن، ومن ثم سيصبح التعاون الاقتصادي الإسرائيلي–التركي غير ذي مضمون، لأن تركيا أحد الضغوط الأساسية التي اضطرتها للتعامل مع إسرائيل عسكريًّا واقتصاديًّا وغير ذلك الأزمة الاقتصادية التي أوصلتها إلى حد الإفلاس في عام 2001، حيث كان صندوق النقد الدولي سيُعلِنها دولة مفلسة.

ومن ثم، إذا تم إنعاش اقتصاد تركيا وأصبحت إحدى الدول والأوربية، سيُصبِح خط العلاقة بين تل أبيب وأنقرة ضعيف وواهن وغير ذي موضوع بالمرة. وفي السياسة لا يوجد أبيض وأسود أو شيء قاطع يقول أن المصلحة هنا والمفسدة هناك، ولكن هناك دائمًا تداخل وتغير من فترة لأخرى.

أيضًا، إذ أدخلت تركيا إلى الاتحاد الأوروبي ستكون صوتًا للعالم الإسلامي داخل العالم الغربي وعامل إفهام وسلام وتوصيل جيد للرؤية الحضارية الإسلامية والرؤية الحضارية الغربية كذلك، لأننا لسنا من أنصار النزاع أو الصراعات المسلمة.

أود أن أقول كلمة أخيرة فيما يتعلق **بإشكالية العلاقات العربية التركية أو التركية–العربية.**

هناك نظرية سادت العلاقات التركية–العربية طوال الجمهورية الأولى التي أسسها "أتاتورك" واستمرت إلى ما قبل وصول حزب "العدالة والتنمية" إلى الحكم. "وأعتقد كما يعتقد كثير من المحللين الأتراك أن هناك بدايات لتأسيس جمهورية ثانية بتركيا منذ خمس أو ست سنوات وفق ملامح مختلفة تمامًا عن الجمهورية الأولى. فهي جمهورية تقوم على أساس تقديم المجتمع على الدولة، والحريات على القيود والشروط الأمنية التي تفرضها النخب المسيطرة على أجهزة الدولة البيروقراطية والحكومية والاقتصاد، والمصالح على الشعارات".

وهذه النظرية التي سادت الأتراك والعرب هي نظرية "الانسلاخ المتبادل". فكل طرف ينسلخ وينكر ويزور عن الآخر ولا يلقي له بالًا ويتجاهل وجوده أصلًا.

ولكن ما الخلفية الفكرية والمعرفية لهذه النظرية؟

الخلفية ببساطة أن القوميين الأتراك والعلمانيين الأتراك المتطرفين لخصوا مشكلة تركيا في أن العرب هم السبب الرئيس في شد وجذب وتركيا إلى التخلف والتأخر والخروج من التاريخ،

وذلك في ظل صعود نبرة التتريك والقومية الطورانية المتلبسة بالتغريب.فقالوا أن المشكلة برمتها أتت من اتجاه العرب، وبالتالي لابد أن نشطب هؤلاء لنتحاشى ما يأتي لنا من جانبهم.

على الجانب الآخر، القوميون العرب والعلمانيون العرب رأوا أن المصيبة الكبرى على مر التاريخ العربي هي الحكم العثماني والستار الحديدي الذي أُسدِل على العالم العربي لحجب الحداثة والتطور والتقدم.

بسبب هذه الرؤية المتبادلة ، اعتبر الأتراك أننا سبب المشكلة ونحن كذلك اعتبارناهم المشكلة؛ كانت النتيجة أن انقطعت العلاقات وجفت أو كادت تجف بيننا وبين الأتراك لمدة سبعين عامًا هو عمر الجمهورية الأولى.

وعندما تعود المياه إلى مجاريها الآن فيعود الاهتمام بالثقافة الإسلامية وبالدوائر الكبرى التي تنتمي إليها تركيا: العالم الإسلامي، العالم التركي، والعالم العربي فإنه تتحسن العلاقات بيننا شيئًا فشيئًا ويصبح هناك اهتمام كما رأيتم باللغة العربية مثلًا. وهذا النموذج في غاية الأهمية، فإلى عام 2000 لم يكن هناك بالجامعات التركية قسم واحد بأيٍ من كلياتها يدرس آداب اللغة العربية؛ حيث إن الحرف العربي نفسه ثم تغييره في أيام "أتاتورك" واستخدم الحرف اللاتني وليس ذلك فقط ، بل إن مضابط مجلس الوزراء التركي منذ عام 1924 وحتى عام 1940 لم يذكر فيها لمرة واحدة اسم العرب على الإطلاق. وهناك شواهد أخرى بينها تغيير الآذان، أما الآن فهناك ستة أقسام في ست كليات في ست جامعات تركية حكومية تدرس اللغة العربية وآدابها وذلك خلال الست سنوات الأخيرة فقط.

وهناك عدد كبير جدًا من المدارس الأقل من التعليم الجامعي تهتم بتدريس اللغة العربية. هذه هي الروح التي تمتد وتستعيد الوشائج والصلات الطبيعية التي قطعت بفعل فاعل بيننا وبين الأتراك الذين هم جزء مهم جدًا من الحضارة الإسلامية فهم بناة الحضارة الإسلامية.

هذا الاتجاه هو الذي يقرب بيننا وبينهم وما أعتقد أنه سيستمر في التقريب بيننا وبينهم أكثر هو استمرار النموذج التركي في التقدم في طريق التحول الديمقراطي وتوسيع الحريات، حيث إن أس البلاء هو في تقييد الحريات والنظم الاستبدادية والحكم غير الديمقراطي.

إن مدخل الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلاقات الطبيعية التي لا تكون فيها توترات أو صراعات أو ازورار هو التطور الديمقراطي وتصفير المشكلات مع الجيران والانفتاح على الجميع ومغادرة سياسة التحالفات والأحلاف والعلاقات الثنائية والمحاور، ومغادرة أوضاع التبعية والضعف والاستذلال والاستكانة للقوى الكبرى، وأن ندرك أننا بإمكاننا أن نكون قوة كبرى ويكون لنا حضور على الساحة الإقليمية والساحة العالمية أيضًا.

د. نادية مصطفى:

شكرًا د. إبراهيم على هذا العرض وهذا التحليل العميق الذي ركز على إشكاليات الواقع الراهن للنموذج التركي، مبرزًا العلاقة بين الأبعاد السياسية والأبعاد غير السياسية، على اعتبار أن خبرة حزب "العدالة والتنمية" خلال العشر سنوات الماضية وما قبله من أحزاب تولت الحكم استدعت بقوة على الساحة التركية ما يتصل من أمور تتعلق بالهوية التركية ومكوناتها، سواء هوية المجتمع أو هوية النظام. وهذا جزء من التنوع والتعدد داخل المجتمع التركي فليس المقصود بالتنوع فقط التنوع الديني أو المذهبي أو القومي.

خاصة وأن الغالبية العظمى من سكان تركيا مسلمين وأغلبيتهم أيضًا سنة، وإن كان بها أقلية شيعية ومجتمع كردي كبير أيضًا، لكن إلى جانب هذه الأبعاد هناك التنوع والتعدد في التيارات والتوجهات المعرفية وانعكاساتها الفكرية والسياسية. وأعتقد أن النموذج التركي يقدم خبرة قوية في هذا الأمر وهو ما أسماه د. إبراهيم الجدال بين العلمانية والإسلامية في هذا النموذج سواء في أبعاده التاريخية أو أبعاده المعاصرة.

وشكرًا د. إبراهيم على هذه الجرعة الكثيفة.

المداخلات:

أ. سناء البنا: بكالريوس علوم سياسية:

الأمر الأول: وهو بالنسبة لوضع العلمانية في تركيا بين الدولة وبين المجتمع، ففي فترة من الفترات أوشكت أن اقتنع أن العلمانية هذه الموجودة بتركيا هي علمانية غريبة، وليست العلمانية التي نعهدها والقائمة على فصل الدين عن الدولة وعدم إدخال الحياة الدينية في المجال العام اطلاقًا.

فمن يعيش في المجتمع التركي يكتشف أنها تتعلق فقط بما يصدر عن الدولة والكتب التي تصدر عن العلمانيين من خلال المؤسسات التي تنشر لهم والنخب التي تقرأ لهم. أما الناس /الشعب على أرض الواقع غير ذلك فمن يمشي في الأسواق سيعرف ذلك جيدًا.

الأمر الثاني: وهو يتعلق بالحجاب، حيث إن دعاوي منع الحجاب الآن لم تعد تستند على المنطق سواء لدى المفكرين هناك أو حتى الصحافة.فالصحافة هناك أيضًا بدأت تتساءل لماذا منع الحجاب؟فمع وصول حزب "العدالة والتنمية" للحكم، انتظر كل من صوت له أن يحل هذه المسألة ويلغي منع الحجاب، لا سيما وأنه كما ذكرت حضرتك لا يوجد قانون يمنعه.

ولكن عندما لم يقدم حزب "العدالة والتنمية" على هذا بمجرد وصوله للسلطة ظل الانتظار لهذه الخطوة، وعندما اتخذت خطوة فعلية من الحزب بهذا الصدد، بدأ الحديث عن "الأرجكنون" هذه المنظمة الإرهابية التي اكتشفت مؤخرًا في تركيا، وهو ما غطى على مسار الأحداث وجعل مسألة الحجاب في تركيا مقلقة.

وهذه المنظمة هي منظمة إرهابية أعضائها من مؤسسات العسكر والجيش والصحافة، تخطط لاغتيال مجموعة من النخبة الحاكمة بينها رئيس الدولة، إضافة للتعاون مع الأكراد في التفجيرات الأخيرة.وقد ظل الشعب التركي في مأساة طيلة الشهرين الماضين بعدما تم التأكد من أن أعضاء هذه المنظمة هم شخصيات لها سلطة حقيقية وهو ما أثر على مسألة الحجاب.

الأمر الثالث: بالنسبة إلى الاتحاد الأوربي، فماذا إذا انضمت تركيا له ثم جاء حزب آخر غير "العدالة والتنمية" كحزب "الشعب الجمهوري" مثلًا؟فهل نتوقع أن ذلك سيكون أيضًا مكسب لنا كعرب ومسلمين؟

أ. إبراهيم عرفة: صحفي بأسلام أون لاين:

السؤال الأول: توقعت أن تركيز المحاضرة سيكون على مسألة التعايش الحضاري في التجربة التركية وهنا سؤالي:

فنحن نتكلم عن صورة الأتراك لدى العرب خاصة وأن الإعلام يصورهم كمستعمرين استعبدوا الشعوب التي حكموها، ومن ثم فإننا نريد توضيح على مدى التعايش في الدولة العثمانية وكيف تم التعامل مع الشعوب التي حكمتها؟فما القوانين التي استخدموها؟ وما حقيقة الخط الهمايوني؟ وكيف كان التعامل مع الأقليات؟

السؤال الثاني: حضرتك ذكرت أن النخبة في فترة "أتاتورك" كانت مسيرة وغير مخيرة في مسألة الاختيار العلماني، وأرى في ذلك تبريرًا لموقف "كمال أتاتورك"، رغم أنه كان هناك كثير من التشدد في هذه الفترة ربما لا نراه في الدول الأوربية. فما حقيقة ذلك؟

المسألة الأخيرة: فيما يتعلق بتصعيد التخطيط/الفكر الاستراتيجي الذي تحدثت عنه في ضوء أفكار المفكر التركي "أحمد داوود أوغلو" فأين هذا من الفكر الذي تحتاجه الآن الأمة كلها سواء هنا بمصر أو بالعالم العربي أو العالم الإسلامي بشكلٍ عام؟ وما دور النخبة الفكرية في تدعيم تصعيد هذا الفكر في وقت تنتشر فيه المقالات والأفكار السطحية؟

تعقيب "د. نادية مصطفى" على المداخلة:

أنت ذكرت أنك متصور أنك سترى شيءً عن الرؤى المتبادلة بين العرب والأتراك والتعايش الحضاري في هذا الإطار، نعم هذا جزء مهم من أهداف الدورة ولكن أيضًا هناك جانب آخر مهم تناولته المحاضرة السابقة أيضًا، وهو الخاص بتبادل الخبرات في مجال التنوع والتعدد على مستوى الأمة.

أ. شيرين فهمي– طالبة دكتوراه علوم سياسية:

النقطة الأولى: لدى مشكلة مع النموذج التركي، فالنموذج السياسي الإسلامي كما ذكرت حضرتك يقوم على عنصري الاقتصاد والأمن وحفظ ما يتعلق بهما ويحفظ المصلحة.وبالتالي، لا

أستطيع أن أفهم كيف يقوم حزب له مرجعية إسلامية أن يكون وسيطًا بين سوريا وإسرائيل، فهل هذا يحفظ المصلحة؟كيف يتحدث عن الحجاب ثم يقوم بهذه الوساطة؟ أين الأولويات هنا؟

النقطة الثانية: لدى دائمًا توجس مفاده أن الإسلاميين دائمًا عندما يلعبون بالمسرح الدولي أو يصلون إلى السلطة يقل دائمًا تأثيرهم، لأنهم يُحكمون بسقفٍ غير سقفهم.ولدينا أمثلة على هذا مثل "حماس" قبل السلطة وبعدها، و"الإخوان المسلمون" في مصر قبل دخولهم مجلس الشعب وبعده.في رأيي أن الإسلاميين طالما ظلوا خارج السلطة والسقف الحكومي هم أكثر حرية وأكثر فاعلية ومرونة.

أ. كريم صادق– كلية طب بيطري–جامعة القاهرة:

أود استغلال وجود د. نادية مصطفى كأستاذ للعلاقات الدولية لأتساءل حول تصاعد الدور التركي وتصاعد أدوار أطراف إقليمية غير عربية (إيران– تركيا– إسرائيل) والتي تمتلك من وسائل القدرة العسكرية والاقتصادية والسياسية ما ساعدها على تزايد نفوذها في الفترة الأخيرة، فهذا لمعرفة ما تأثير ذلك على الوضع الإقليمي العربي والنظام العربي الذي له إطار تاريخي معين؟

أ. سمية علي– كلية دار علوم:

حضرتك تحدثت عن المبادئ التي جاءت في كتاب د. أحمد داوود أوغلو "تركيا العمق الاستراتيجي"، وموضع استغرابي أن هذا الكتاب صدر في عام 2000 ونحن الآن في عام 2008، ونجد تركيا بالفعل قد صار اقتصادها قويًا مما يجعلها تضغط بقوة على الاتحاد الأوربي لتتضم إليه، كما أنها تتدخل بقوة في السياسة العالمية.فكيف حدث هذا في فترة قصيرة؟وكيف تستطيع نحن أن نستغل إمكاناتنا لتنعكس على واقعنا بهذا الشكل؟

أ. أحمد خلف– كلية الشريعة والقانون:

أولًا– حضرتك تحدثت في بداية المحاضرة عن المنظور الحضاري والرؤية الحضارية ووصفتها بأنها رؤية كلية تتحدث عن قضية ما من كافة الجوانب، وليست رؤية تجزئية أو شمولية سطحية.

ولكن أنا لم أشعر بذلك في رؤية حضرتك لحكم المحكمة الدستورية العليا التركية بشأن حزب "العدالة والتنمية"، حيث ترجعه إلى التفهم ووجود رؤية جديدة في حين أن هناك أسباب أخرى كرفض "أردوغان" التجديد لرئيس الأركان التركي قبل صدور الحكم، كما أن حزب "العدالة والتنمية" له رجاله في القضاء والمحكمة الدستورية وإن لم يكونوا أغلبية.

ثانيًا– بخصوص الجدل بين الإسلاميين أو أصحاب المرجعية الإسلامية والعلمانيين، حضرتك كنت قد ذكرت في المؤتمر الخاص بالشريعة والهوية والدستور أن عددًا من رموز

العلمانية في مصر في الثمانينيات وأثناء مسألة تقنين الشريعة تجاوب تجاوبًا كبيرًا مع مسألة تطبيق الشريعة في مصر وحتى أن البابا شنودا قد رحب في عام 1985 بهذا الأمر.

وما أريده هو التوضيح بشأن الخلفيات التي كانت موجودة في هذه الفترة والتي أدت بهؤلاء العلمانيين إلى اتخاذ هذا الموقف.

ثالثًا– ما دور الطرق الصوفية في التحول الذي حدث بتركيا خاصة أن كتابات كثيرة تحدثت عن هذا الأمر، لا سيما دور الطرق الصوفية في إحداث تحول في مسيرة التجربة الإسلامية في الفترة الأخيرة.

أ. أميرة بدر – ماجستير علوم سياسية ومحررة بقناة النيل للأخبار:

النقطة الأولى: حقيقة إن النموذج التركي والهوية التركية غاية في التميز. وكما قال أحد المفكرين الأتراك فإن تركيا دولة تبحث عن ثوب جديد، فهي تلعب دورًا إقليميًا واسعًا في الشرق الأوسط، ومثال على ذلك دورها في الوساطة بين إيران والغرب من جانب والوساطة بين سوريا وإسرائيل من جانب آخر.

وسؤالي هو ما توقعات حضرتك لنجاح تركيا في لعب هذا الدور، خاصة في الوساطة غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل والتي ستبدأ جولة جديدة منها الشهر القادم؟

النقطة الثانية: أود التأكيد على أننا نعرف بنجوم السياسة التركية ولا نجهلهم. "فرجب طيب أردوغان" هو مثلي الأعلى وهو كان عمدة اسطنبول عام 1994 ودخل السجن وأعتقل وزوجته ترتدي الحجاب وتعلمت ابنتاه بالولايات المتحدة بسبب حظر الحجاب.

النقطة الثالثة: أرى أنه بجانب أهمية الرؤية الاستراتيجية التي تحدثت عنها، فإن العامل الاقتصادي أيضًا في غاية الاهمية في السياسة التركية، فهو ضمن الاستقرار الداخلي للنظام التركي.

متحدث (لم يذكر الاسم):

النقطة الأولى: الأخ نوزاد تحدث عن رسالة تلغرافية أهتم بها إلى الآن، وهي أن الأتراك أصبحوا أتراك بسبب الإسلام وأن الأتراك الذين لم يسلموا إنما ذابوا في طي الحضارات الأخرى.

وهذا التلغراف انظر إليه من خلال **بعدين:**

البعد الأول: أنه جديد على الحضارة الإنسانية أن توجد حضارة تحافظ على هوية الأفراد.

البعد الثاني: أن الإسلام أضاف للأتراك بُعدًا جديدًا. وإذا ما قمنا بمقارنة النموذج التركي بالنماذج التي تم تناولها في الأيام السابقة من الدورة، سنجد أن الإسلام أضاف للشخصية الماليزية التسامح، وأضاف إلى الشخصية الإندونيسية المؤسسية، وأضاف إلى الشخصية الباكستانية فكرة القوة. أما الشعب التركي فأضاف له فكرة القيادة. وقد كان الشعب التركي قبل

الإسلام كغيره من شعوب العالم، لكنه بعد الإسلام أصبح رائدًا لفكرة الخلافة الإسلامية، وميلاد الجمهورية الثانية بتركيا الذي تحدث عنه د. إبراهيم هو بحث جديد عن القيادة.

النقطة الثانية: وهي خاصة بالدولة العثمانية والتاريخ.فالدولة العثمانية هي أحد مكونات التاريخ ويصطلح المؤرخون أن بها بُدأ التاريخ الحديث وبالنسبة للتاريخ الإسلامي فهي خامس مكوناته.

على جانب آخر، فإني سمعت اليوم عدة مرات مصطلح "الإمبراطورية العثمانية"، وهذا يزعجني جدًا، لأن مصطلح "الإمبراطورية" يعني أن الدولة العثمانية كانت مصادرة للدين وهي لم تكن كذلك وإنما كانت حارسة له.

متحدث لم يذكر اسمه:

هناك نقطة أردها لمنهج الخطاب السياسي ذو المرجعية الإسلامية في مصر، فكثيرًا ما يقوم هذا المنهج بتمرير قضايا إسلامية جوهرية وتهميشها، وفي هذا الإطار تناول د. إبراهيم السياسة الشرعية باعتبارها قائمة بتدبير شؤون الناس بما يصلحها، وقدمتم الأمور إلى مصالح وتكاليف شرعية وقال إن الدولة الإسلامية ليست معينة بالتكاليف الشرعية، ولا أدري كيف هذا وهناك في الإسلام نظام "الحسبة" أفليس هذا نظامًا سياسيًّا إسلاميًّا؟ إن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عندما وقف بالمحراب قال: "وددت لو تركت أحدًا يُصلي بالناس ثم اختلف إلى من لم يُصلوا فأحرق عليهم بيوتهم".

النقطة الأخرى: بالنسبة إلى رؤية النموذج التركي كظهير للعالم الإسلامي إذا ما التحق بالاتحاد الأوربي، فما هي الفترة المعيارية لقياس الإنجازات التي قد تتحقق للتحقق من صواب هذه الرؤية؟

أخيرًا، إنه لو بُعث "أتاتورك" من مرقده لن يُدافع عن نفسه كما دوفع عنه اليوم.

أ. عبد الرحمن حسام– الفرقة الرابعة بقسم العلوم السياسية:

لدي سؤال

أرى أن موضوع تركيا أو التجربة التركية يمكن أن نطبق عليها فكرة الأربع حلقات الخاصة بدورة التثقيف الحضاري: بدءًا من المنظور الحضاري والذات الحضارية، ثم وأخيرًا الجماعة الوطنية وأخيرًا، ثقافات متنوعة في حضارة جامعة.

والسؤال الذي أخرج به ليكون محل حوار فيما بعد لنستفيد من الخبرة التركية من أجل بناء الحضارة والذات الحضارية وأن تقوم الأمة بما يجب أن تفعله، هو:

ما التغير الذي حدث على المستويين النظري الفلسفي، والواقعي على نحو أثر في فصيل معين من الحركة الإسلامية في تركيا وسمح بأن يكون هناك أفق أوسع للحركة وتقبل الآخر؟ فكيف استطاع هذا الجيل من السياسيين الأتراك أن يغير ليس فقط نفسه وإنما المجتمع من

حوله، أي أنه يعمل على المجتمع بالأساس بحيث إذا حدث أي تأثر من أعلى يبقى الأساس، وهو المجتمع؟

الشيخ هاشم:

انتقل مركز العالم الإسلامي من دمشق إلى بغداد إلى اسطنبول إلى القاهرة إضافة إلى مركزه الأساسي بمكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس.

هل تعتقد حضرتك أن الغرب سيترك هذه القوة التركية الصاعدة بما تمثله من أمجاد حضارية وتاريخية، وحيث كانت حاضرة الأمة الإسلامية لقرون، فهل هذا الغرب لن يتآمر في الخفاء، لا سيما وأن الرئيس الفرنسي الأسبق "ديستان" أكد على أن الاتحاد الأوربي نادي مسيحي كما بدأت إثارة القلاقل كمسألة إبادة الأرمن؟

وهل تعتقد أن تتدخل المؤسسة العسكرية بتركيا في هذه القضية، خاصة وأن الجيش قام بعدة انقلابات كما حدث مع حزب "الرفاة"، وذلك مثلما زجوا باليهودي الأصل "مصطفى كمال أتاتورك" ليقضي على الخلافة العثمانية وإن كان لم يُعلن عن ذلك، إلا إنه كان لديه مشروعه الذي ألغى الحجاب وألغى اللغة العربية وكثير من المساجد وحول أول مسجد بتركيا إلى متحف، وألغى الشريعة الإسلامية، وقطع علاقاته مع البلاد الإسلامية والعربية ما يعني التوجه كان في مجمله غربي؟

أ. محمود بيومي– الفرقة الثانية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

مشكلة الهوية في تركيا مسألة مهمة جدًا، حيث إن هناك تشتت بين الماضي العثماني والإرث الأتاتوركي وهوما ولد صراعًا بين الإسلاميين والعلمانيين.

أيضًا، هناك مركزية الهوية التركية التي يجب أن يخضع إليها جميع الأقليات نتيجة خوف الأتراك على ذوبان هويتهم إذا ما اعترفوا بهذه الأقليات. وهذا بدوره هو مشكلة أخرى والحل الأمثل لها هو الاعتراف بوجودها حتى نعالجها.

لذا فإن لدى سؤال:

في ظل الصراع الموجود بين الهوية الإسلامية للمجتمع التركي والاتجاه الغربي للنخبة العلمانية في ظل أيديولوجية الدولة، هل يمكن التوافق على نموذج معين في المجتمع التركي؟

وهل النموذج التركي هو نموذج قابل للاحتذاء في الشرق الأوسط والمنطقة العربية خصوصًا؟ وهل هو نموذج حضاري يمثل لقاء الشرق والغرب؟ وكيف يمكن حل مشكلة الهوية الكردية في ظل مركزية الهوية التركية ورفضها الاعتراف بالآخر وطريقها التصادمي؟

أ. عبد الرحمن عياش– طالب بهندسة المنصورة:

النقطة الأولى: بخصوص التعامل التركي مع القضية الكردية، فهل الطريقة التصادمية والعنف مع الأكراد أو حزب العمال الكردستاني هو الحل الأمثل؟

النقطة الثانية: بخصوص الانضمام للاتحاد الأوربي، فهل من الأفضل لتركيا التنازل عن قبرص لصالح الانضمام للاتحاد الأوربي كنوع من أنواع التنازلات لأجل هدف استراتيجي أكبر؟

النقطة الثالثة: فيما يتعلق بالإسلاميين في علاقاتهم البينية (أربكان، وأردوغان) في الداخل التركي، هل هناك نوع من التعايش بينهم؟

د. حسن عواد– مدرس بطب الأزهر:

1– ما المجالات التي يمكن أن نفعّل فيها العلاقات الثقافية والمعرفية بين العالم العربي والعالم التركي؟

2– ما الدروس المستفادة من التجربة التركية؟

تعقيب د. إبراهيم البيومي غانم:

أولًا، أشكر الأخوة والأخوات الذين تقدموا بهذه الملاحظات والانتقادات والأسئلة والاستفسارات، والتي تشير إلى متابعة جيدة ووعي بأهمية الموضوع الذي نتحدث فيه –تركيا– وموضوع الدورة بشكل عام.

لنبدأ بالسؤال الأخير حول **المجالات التي يمكن أن نتعاون فيها مع تركيا**، ويمكن أن تساعد على التقدم نحو الأمام وتوثيق العلاقات بيننا وبين تركيا، وما الدروس المستفادة من النموذج التركي؟

أعتقد أن هذين السؤالين مهمان جدًا و يضمان معظم الأسئلة والمداخلات الأخرى. حقيقةً، فإن هناك مجالات كثيرة جدًا، والمجال الأول هو المجال الاقتصادي، وذلك من الناحية العملية القابلة للتطبيق.

ولكن نجد أن حجم التبادل التجاري بين تركيا ومصر حتى اليوم مليار ومائتين مليون دولار بنسبة عجز كبيرة جدًا لصالح الجانب التركي على الجانب المصري، فنحن نستورد منهم ملابس جاهزة وسيارات وأشياء كثيرة جدًا. بينما حجم التبادل التجاري بين تركيا وإسرائيل تجاوز 2.5 مليار دولار بنسبة عجز لصالح إسرائيل على تركيا.أيضًا، التبادل التجاري بين تركيا وكل العالم العربي يساوي حجم التبادل التجاري بين تركيا وروسيا.فهناك خلل في المجال التجاري، بالرغم من أن المجال الاقتصادي بالغ الأهمية والحيوية، حتى أنه يكون سببًا لقيام الحروب وعقد معاهدات السلام، كما أن العلاقات الساسية تنتقل من نقطة لأخرى في ركاب العلاقات الاقتصادية وليس العكس.

وبالتالي، فإن هناك قصور شديد جدًا في العلاقات الاقتصادية بين العرب والأتراك وهذا لأسباب سياسية وثقافية وتاريخية حالت في فترات سابقة دون ذلك، والآن هذه الأسباب تتلاشى

وعلينا أن نستغل ذلك لنتقدم بشكلٍ كبير في التعاون مع الأتراك، فأن ترتدي قميصًا تركيًا أفضل من أن ترتدي قميصًا فرنسيًا.هذه التفاصيل مهمة بعيدًا عن الكلام دون معلومات مؤكدة.

أيضًا، هناك المجال العلمي والتعليمي، فمنذ ستة عقود والجامعات المصرية وبينها جامعة القاهرة نجد أن عدد الرسائل العلمية التي أعدت بها عن تركيا بها يُعد على أصابع اليدين ومنها جزء بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وقد ناقشت بعضًا منها، هذا العدد بدوره قليل جدًا مقارنة بالجانب الآخر، فمنذ عام 1980 حتى عام 1996، ترجمت دور النشر ومراكز البحث التركية التي تنتمي إلى المجتمع المدني التركي كل ما نُشِر بالعالم العربي منذ الخمسينيات ليعرفوا نبض العالم العربي وماذا يجري هنا في حين نحن لا نفعل شيئًاً ولا توجد ترجمة من اللغة التركية إلى اللغة العربية بالرغم من أن هذا مجال مهم جدًا لنعرف ما الذي يدور هناك.

أيضًا، لدينا مجال السياحة، وخاصة السياحة الإسلامية. وأسميها تحديدًا السياحة الإسلامية وليست السياحة الدينية، حيث هناك الكثير من المساجد، والتي رأيتم بعض مشاهد منها في المحاضرة السابقة. فلماذا لا تنظم المدارس الابتدائية على وجه خاص رحلات لطلبتها إلى تركيا بدلًا من الساحل الشمالي والمصايف، ليروا هذه العظمة وهذه الآثار وليدركوا عمق وامتداد هذا التراث.

وهناك كذلك مجال السياسي وهو أصعب من غيره من المجالات.

وبالنسبة إلى الدروس المستفادة، فإن هناك دروس كثيرة مستفادة خاصة في المجال السياسي العملياتي. فأول درس هو أن التركيز على الحرية ووضعها في مقدمة رأس جدول الأعمال يحقق نتائج ملموسة.فالإسلام لا يتنزل ليطبق نفسه بنفسه أو يعمل بمناطق بمعزولة.

وأنا لست مع أكثر من ملاحظة ذكرت وبينها ملاحظة أ. شيرين حول أن الإسلاميين قبل الحكم غيرهم بعده، وقولها أن "حماس" قبل الحكم غيرها بعده، وكذلك "العدالة والتنمية"؛ لأن هذا الكلام مؤداه أن أبتعد ولا أدخل فأظل بعيدًا عن التعامل مع القضايا. وهذا هو ما قتل العالم الإسلامي وآخر المسلمين وسيستمر ذلك إذا ما ظل حذرًا ومتخوفًا وترك مراكز صنع القرار للآخرين ليصنعوا له القرار ويضعوا له القانون، ويبنوا له السجون والمعتقلات ويحكموا عليه بالإعدام؛ وذلك لأنه خارج مراكز التأثير وذلك باختياره، ولكن لابد من التجريب فالبعض يدخل من الجانب الاقتصادي وآخرين من السياسي وغيرهم من الإعلامي لأن السياسة في المنظور الإسلامي لا تعني الحكم فقط وإنما كل هذه الأمور.وهذا الإدراك الواسع هو الذي ينتصر ويُحِقق المصالح في نهاية الأمر.

أيضًا، هناك دروس مستفادة في مجال الديمقراطية والحريات، وهو ما يجب أن تنتبهوا له أيها الشباب، فإن القرآن الكريم يمكن اختصاره في كلمة واحدة هي الحرية، ابتداءً من قول لا إله إلا

الله، أي لا تعبد غير الإله الواحد ولا تتلقى أي توجيهات أو تعليمات ولا تخضع لأي سلطة أي كانت غيره. فأنت تتحرر وتختار حتى أن تكون مسلم أو غير مسلم لأن الإسلام لا يفرض نفسه على أحد إلا إذا كان حرًا.

أما إذا كانت حرية الإنسان منتقصة أو مهضومة، فالتكاليف الشرعية تقل بنفس درجة نقصان الحرية، فالعبد مخاطب بتكاليف أقل من الحر، والأمة مكلفة بتكاليف أقل من الحرة.فالحرية هي أصل الرسالة الإسلامية والذي يعمل في هذا الاتجاه فهذه هي السياسة الشرعية الإسلامية، أما من يعمل بغير ذلك كقانون الطوارئ والأحكام الاستثنائية والمحاكم العسكرية ويعمل مع الاستبداد والفساد وقهر الناس والتحكم في أرواحهم وضمائرهم باسم الإسلام فهو بعيد عن هذه السياسة؛ لأنه لا توجد سلطة في الإسلام تخول الدولة أن تأخذ إنسانًا من الشارع وتضعه في المسجد ليصلي غضبًا عنه، وإن حدث هذا في التاريخ فإنه خطأ وليس لها أن تقول له أنه مخالف للتكاليف الشرعية وأنا أقول ذلك وأنا لست شرعيًا ولكن أدرك ما أقول.والتكاليف هي العبادات المفروضة وهناك كما قال "الشاطبي" المعاملات وأمور الخلق. والعبادات هي التي تجري على كل شخص بملء إرادته وحرياته فلا تصح صلاة بالجبر والقهر والإكراه. فإذا انتقصت الحرية انتقص الإسلام، ونحن علتنا الأساسية هي غياب الحرية.

إن الإمام "أبو حنيفة" أكبر العقول المشرعة في تاريخ البشرية باعتراف "لامير" و"السنهوري" باشا وكثير من القانونين، يقول إن الحرية تقدم على ماعداها خاصة حرية الفرد. وقد ضرب مثلًا على ذلك، حيث لا يجيز الحجر على السفية الذي يبدد أمواله؛ إذ يرى أن الحجر عليه يلحقه بالبهائم وهذا يفقده إرادته الحرة والإسلام جاء ليحترم كرامة الإنسان ويحمي إرادته الحرة وذلك في "إشارات المهام لعبارات الإمام" للبياضي.وبالتالي، لا يجوز دفع ضرر أقل بضرر أكبر وهو إهدار كرامة الإنسان والحجر على آدميته.

وهذا هو الأصل في الموضوع. فكل سياسة تقترب من الحرية هي سياسة إسلامية، وكل سياسة تقيد الحرية هي سياسة غير إسلامية بالمرة.

وهذا كلام لابد أن نفهمه جيدًا، لأن المشكلة الكبيرة وأصل الداء كله هو الاستبداد وفقه الاستبداد. في حين أن كل فقه يُبرر الاستبداد وتقييد حرية الناس والتدخل في ضمائرهم ليس من الإسلام في شيء. فقد قال الله تعالى للرسول "صلى الله عليه وسلم": ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (سورة الغاشية:الآية22) فلابد أن نُحرر الناس ثم نترك لهم الحرية ليؤمنوا أو لا يؤمنوا. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(سورة الكهف:الآية29).

فليس على الدولة الإسلامية أن تتدخل في عبادات الناس أبدًا، وإذا حدثت بعض التطبيقات هنا أو هناك فهي اجتهادات تصلح لزمنها ولا تصلح لزمن غيرها، فهي ليست قرآنًا منزلًا وإنما اجتهادات يؤخذ منها ويترك.

إذن، مصيبتنا الآن هي في غياب الحرية، إذ نجد القول بسد الذرائع من أجل الأمن وهو ما يؤسس للاستبداد وفرص القوانين الاستثنائية وقوانين الطوارئ. فالحد الأعلى لهذه القوانين هو فكرة "سد الذرائع" التي يُساء فهمها.

فهناك أشياء كثيرة جدًا خطأ ويحب أن يُعاد فهمها في السياق الذي نعيش فيه كما اجتهد الذين من قبلنا ووصلوا إلى ما أصلح أو ما لم يُصلح. وهناك مآسى كثيرة جدًا حدثت في التاريخ نتيجة بعض الاختيارات السقيمة التي إما أن تأتي على أقلية أو تضطهد إنسان في حريته أو تأتي على ضمير إنسان.

فأساس من أسس الإسلام أن يأتي ليقوض السلطة الدينية ويجفف منابعها ويقطع دابرأي تسلط لشخص أو حكومة أو جماعة أو حزب أو طبقة على الإنسان أو تقييد لعقيدته التي تستقر في ضميره وأعماق قلبه.

الإسلام جاء بأروع ما يمكن أن يحرر الإنسان ليشعر بآدميته وتكريمه الذي كرمه الله سبحانه وتعالى له، وأي سياسة تقترب من هذا المعنى هي السياسة الشرعية والسياسة الإسلامية ولا يوجد تبرير لأي سلوك غير ذلك.

وبالنسبة للنقطة الخاصة بموضوع **العلمانية و"أتاتورك"**، فإن هناك في السياسة الشرعية اعتبار للواقع. وبالمناسبة فإن كلمة السياسة الشرعية لا تعني في التراث السياسي الإسلامي – الذي كتبه كبار فقهاء المسلمين– تطبيق الأحكام الشرعية المنصوص عليها في القرآن والسنُّة، ولكن السياسة الشرعية في كل الكتابات من أولها إلى آخرها دون استثناء هي تقدير ولي الأمر واختياره لما يُحقق المصلحة أو يدرء مفسدة. وهنا يوجد اختيار، أما في القرآن والسنُّة فهي أحكام لا كلام فيها ولا اختيار في أن أطبق حد السرقة أولًا. بينما السياسة الشرعية فهي ترجع إلى تقدير ولي الأمر وأهل الحل والعقد وفق المصطلحات القديمة أو ما يعرف الآن وبالسلطات كالسلطة البرلمانية.

وهناك جدل كثير جدًا في موضوع "أتاتورك" والعلمانية فقد كُتب كثير جدًا عن "أتاتورك"، ولكن المشكلة في أن هذا الرجل كان قائدًا عسكريًّا كبيرًا في الجيش العثماني حرر تركيا من احتلال الحلفاء في معركة "غليون"، وهي المعركة الأخيرة التي طرد فيها الحلفاء من أدرنه وكل المناطق الجميلة التي رأيتموها.

وأمير الشعراء "أحمد شوقي" الذي عاصر هذا الزمن له قصيدة طويلة في الشوقيات يقول فيها:

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وهنا شبه خالد الترك بخالد العربي وهذا جزء من تاريخ "أتاتورك" ومن العدل أن نقول له أنك أحسنت في بعض الأشياء وأسأت في أشياء أخرى إعمالًا للعدل حيث قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ**

﴿شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(سورة المائدة: الآية 8) وهذا هو الميزان الذي جاء به الله تعالى في الوحي المنزل وفي القرآن الكريم.

فهناك إيجابيات وسلبيات، وهناك اختيارات وإكراهات وضرورات لابد أن تقدر وفي وقتها.وأنا أرى أن لدينا نقص كبير جدًا في المعرفة حول هذا الموضوع وخصوصًا الجمهور العام حتى الذي عاصر هذه الفترة. فقد كان لدى النخبة المصرية في هذا الوقت غموض بشأن ما وقع من أحداث ومن يقرأ منكم الجرائد القديمة الموجودة في دار الكتب المصرية يشعر بذلك.

وهناك ما كتب "عزيز خانكي" وهو قبطي مصري حيث كتب تصوره عما جري، وأيضًا "خالد محمد خالد" وهو معروف لكم وكان يتصور الأمور بشكلٍ مختلف.

وكان أحد الأخوة قد سأل عن **الصورة المتبادلة بين العرب والأتراك**، فهناك بالفعل Stereo type وهذا خطأ علمي ومنهجي أن تقوم بابداء رأي بناءً على صور نمطية فيجب أن تعرف المعلومات ذات الصلة بالموضوع أولًا، ولا حجر على الرأي بأي حال. فقل ما تشاء وأنقد كما تشاء ولا تقبل أي كلمة مما أقوله خاصة وأني أوسع الحرية لأقصى حد، كما يجب أن تفكر بطريقة تستوعب المتغيرات وتعطي لكل شيءٍ قدره دون تطرف أو تحكيم للعواطف على نظرات العقول وإنما لابد أن توازن بين نظرات العقول ولهيب العواطف.والوصول لهذا المسألة أعرف أنه صعب ويحتاج إلى مران ومعلومات كثيرة.

أخيرًا، أريد أن أركز فقط على موضوع **الاستراتيجية** وهذا موضوع كبير، فنحن بارعون جدًا في الرؤى الصغيرة والفرعية في حين تغيب عنا جميعًا الرؤى الكلية سواء كان ذلك مستوى الفرد أو مستوى الجماعة أو على مستوى الأمة العربية، بينما الأتراك لديهم رؤية استراتيجية واسعة جدًا ويعرفون ماذا يصنعون وماذا يريدون.

وتصوروا أن في الجامعات المصرية ومراكز البحث والكليات العسكرية لا يوجد كتاب واحد عن استراتيجية الدولة المصرية في السياسة الدولية –وأقول هذا الكلام على مسئوليتي–وينطبق ذلك أيضًا على كل العالم العربي.

ولكننا نجد كتاب "أحمد داوود أوغلو"، والذي حقق نجاحًا في بضع سنوات؛ وذلك لأنه يقدم رؤية علمية وفق قواعد التفكير العلمي المنضبط، بينما التفكير الأهوج يعيش معنا منذ قرون. ولذلك فإن الأمر يختلف مع هذا الكتاب وأقول على سبيل الحصر كتاب واحد طبع أكثر من 18–20 مرة كل مرة أكثر من 17 ألف نسخة وتدرسه المؤسسات العسكرية العلمانية التي تعرف من هو "أحمد داوود أوغلو". فلماذا ذلك؟!

ذلك، لأنه يقدم شيء مفيد لبلده ويقدم المصلحة ويضعها موضع التطبيق، أما الشعارات والهتافات فلا تصلح لبناء سياسات وتحقيق إنجازات وحل المشكلات.

فنحن لدينا نقص كبير جدًا في رجال الدولة والاستراتيجية وعلى الشباب والشابات منكم أن يهتم بهذا التفكير الاستراتيجي لمعرفة ما الذي يمكن عمله؟ وما الذي نفعله؟ وما هي مواردنا؟ وما هي إمكاناتنا وطموحاتنا؟

أما الاستمرار في الانخراط في هذه القضايا الفرعية، فإن هذا أفضل ما يتمناه أعداء الوطن وأعداء الأمة العربية وأعداء الأمة الإسلامية كلها.

وبالنسبة لموضوع "**أردوغان**" و"**أربكان**" الذي أثاره البعض، فأقول إن هناك تعايش وكل ما نرى من أمور هي تكتيكات تفرزها السياسة على الأرض، والناس أيضًا تُخطئ وتُصيب وتصحح لنفسها وترجع إلى الحق وهذا أمر يجب أن نعرفه.

ولكن الفرق الأساسي بين "أربكان" و"أودوغان"، هو أن "أربكان" أراد أن ينفذ مشروعه للاستقلال الحضاري، و "أردوغان" يريد أن ينفذ مشروعه للاندماج الحضاري. فبالرغم من أن الاثنين ينطلقان من أرضية واحدة، إلا أن "أربكان" أراد أن يستقل حضاريًا في وقت لم يكن فيه الاستقلال الحضاري بالموازين والطريقة التي أرادها ففشل.

ولا يمكن أن تقول أنه كانت نيته حسنة إذ لا يكفي النية الحسنة، وإنما يجب أن يكون العمل مشروع أيضًا. وهذان هما الشرطان لقبول العمل عند الله سبحانه وتعالى، فالعمل الذي أراده "أربكان" غير مستكمل لشروط المشروعيه الواقعية والفاعلية على أرض الواقع.أردوغان" يُحقق نفس الهدف ولكن يدخل على الآخر الباب، ويرى أنه لابد أن يندمج معه.

وأؤكد أنه لابد أن نخرج من هذه الصور النمطية المغلوطة، والتي ينقصها كثير من المعلومات إلى صورة تؤسس على العلم والمعرفة والحوار والرأي والرأي الآخر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. نادية مصطفى:

وهذه صورة أخرى من صور التعدد ليست فقط بين الإسلاميين والعلمانيين، ولكن داخل الروافد الإسلامية الواحدة.فكيف يُخدم الإسلام وكيف يُرفع شأن الأمة الإسلامية؟

ونحن نشكر باسمكم وباسم البرنامج د. إبراهيم و أ. نوزاد على هذه الجرعة الهامة.

الخبرة الإيرانية

أ.د. محمد علي آذرشب
أستاذ جامعة طهران

مقدمة

ضمن مشروع استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية حدّدنا مفهومنا عن الحضارة بأنها حصيلة حركة الإنسان على طريق تكامله المادي والمعنوي، وحدّدنا مفهومنا عن الثقافة بأنها مجموعة المكونات الفكرية والعقائدية والنفسية والشعورية التي تحدّد درجة فاعلية حركة الإنسان واتجاه حركته[1].

حركة الإنسان الثقافية في الاتجاه المادي أو الاتجاه المعنوي أو الاثنين معًا تتوقف على نظرة ذلك الإنسان إلى الكون والحياة.

وحركة الإنسان في درجة فاعليتها إما راكدة أو محدودة أو لا نهائية، ويتوقف ذلك على نوع المثل الأعلى الذي تتبناه.

المثل الأعلى الهابط يجعل الجماعة البشرية راكدة تراوح في مكانها، والمثل الأعلى المحدود يدفع بالبشرية إلى قطع أشواط على طريق تكاملها، ثم ينهار هذا المثل الأعلى وتتوقف المسيرة. والمثل الأعلى المطلق يدفع بالجماعة الإنسانية نحو حركة تكاملية لا حدّ لها، ولا تتوقف إلاّ حينما تصدّ طريقها العوائق والسدود[2].

الأمة الإسلامية تبنّت المثل الأعلى المطلق منذ عصر الرسالة الأول، فاندفعت في حركة ذات زخم هائل، وحققت انتصارات باهرة في حقل تقدّمها المادي والمعنوي، ثم تجمعت عوامل داخلية وخارجية صدّت مسيرتها، فتوقفت، لكن مثلها الأعلى لا يزال بين ظهرانيها يحثّها على استئناف الحركة، وها هي الآن مع كل ما يقف بوجهها من موانع تحاول بشتى السبل أن تستعيد وجودها الحضاري، وإن شاب بعض السبل نوعًا من السطحية أو الانفعال أو آثار الركود الطويل.

العالم الإسلامي مرّ إذن بفترتين مختلفتين تاريخيتين: فترة التحرك الثقافي

1- انظر «ثقافتنا» مجلة فصلية متخصصة في استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية (العدد الاول، صيف 1424هـ /2003) فقد حددنا فيه معالم المشروع، وكذلك في الاعداد التالية أيضًا .

2- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد باقر الصدر، دار التوجيه الإسلامي، بيروت ـ كويت .

والإنتاج الحضاري، وفترة الركود الثقافي والتخلّف الحضاري.

المشترك الثقافي في حالة الحركة

1 – الحياة. وبعبارة أخرى تحقّق الهدف الأساس من الإسلام: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ومظهر الحياة في الكائن الحي هو نموّه وفق الخطّة المرسومة له. والنموّ المرسوم للجماعة البشرية هو تطوّرها في الجانبين المادي والمعنوي.

وهذا ما حدث في عصر الازدهار الحضاري الإسلامي، ولاحاجة لأن نكرر الحديث عمّا شهده العالم الإسلامي من تطوّر أدى إلى إقامة حضارة فريدة على كل المساحة التي امتدّ فيها. وامتازت هذه الحركة أول ما امتازت بجانبها الإنساني الشامل، وبالإبداع المتواصل والمستمر في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية على حدّ سواء.

2– العزّة: هذا الشعور له ارتباط بالحركة الثقافية للشعوب، وقد تكون هي التيموس الذي عدّه أفلاطون وراء حركة التاريخ[3]، على أي حال العزّة لا تنفصل عن حركة الحياة الحضارية، وهو شعور عام ساد العالم الإسلامي، وأفرز روح مقاومة الإذلال والاحتلال والهزيمة، كما أفرز روح الثورة على مظاهر الفساد والاستغلال والاستهانة بالكرامات.

نشاهد مظاهر هذه الروح بوضوح في عصر الازدهار الحضاري من خراسان إلى الاندلس. أهم ما كان يضخّ روح العزّة في نفوس المسلمين شعورهم بالارتباط بخالق السماوات والأرض، وشعورهم بدورهم الرسالي على الساحة البشرية، ومكانتهم على ظهر الأرض باعتبارهم المستخلفين من الله فيها.

3– التعارف: والتعارف أيضا من أهداف الإسلام بل الخلقة البشرية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.. ﴾، والتعارف ليس هو التعرف الظاهري حسب المعنى اللغوي الشائع اليوم، بل هو التبادل المعرفي بين البشر، والتبادل المعرفي يقتضي أن تكون ثمة اختلاف في نوع المعارف الموجودة لدى الجماعات البشرية ومستوى هذه المعارف، وذلك تبعًا لما

3- نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت 1993، ص 27 وما بعدها .

كسبته هذه المجموعة البشرية أو تلك من معارف في تاريخها وظرفها وبيئتها.

والتعارف درجة راقية من النموّ الثقافي البشري لأنه يتطلب عطشًا للمعرفة ويقتضي انفتاحًا على الآخر، ويستوجب استماع القول واتباع أحسنه، وكانت هذه الحالة من التبادل المعرفي قائمة في عصر الازدهار بين شعوب دائرة الحضارة الإسلامية.

المشترك الثقافي في حالة الركود

1 – ضمور مظاهر الحياة، ومن نتائجه انفصال أجزاء الأمة، بعد أن كان يجمع بينها ارتباط عضوي: «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

والانفصال يؤدي إلى أن يعيش كل جزء همومه الخاصة، وهذا ما يفرز الصراع بين الأفراد والمجتمعات. كما يؤدي ضمور الحياة إلى التقليد بدل الابداع والتجديد.

2– الذلّ: وهي الحالة التي تحلّ مكان العزّ، وتضعف بذلك روح المقاومة أمام الغزو العسكري والثقافي، ويشيع في المجتمع شراء الذمم والتملق الزائف، ويسقط الأفراد أمام الإغراءات المالية والجنسيّة، وتثور الشهوات بعد غياب الشعور بالكرامة إذ تهون الشهوات في ظل الشعور بالكرامة فقط: «مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانَتْ عليه شهواتُه»[4].

3– الانغلاق: وهي ظاهرة تسود المجتمعات المتخلفة، ففيها ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ والانغلاق في مجتمعاتنا الإسلامية في عصر التخلف جعل كلاً منها يضخّم مُثُلاً عليا إقليمية وقوميّة، ويبلور عنده ثقافة رافضة للآخر، وقد تحاول بعضها إلى بلورة إسلام خاص بها، وتتحول المذاهب التي كانت يومًا مظهرًا للثراء الثقافي إلى عشائر متصارعة، منغلقة على نفسها. والصراع يؤدي إلى خلق أوهام حول الآخر والى محاولة تكريس الانفصال عن الآخر.

التجربة الإيرانية في عصر التحرك الحضاري

الاحياء: بعد أن تشرفت إيران بالإسلام حدثت عملية إحيائية هائلة. فالشعب الإيراني الذي كان محرومًا من استثمار كفاءاته وطاقاته في العصر الساساني شهد

4- نهج البلاغة، علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين)، الكلمات القصار، رقم 449 .

تحريرًا وضع عنه إصره والأغلال التي كانت عليه، وأبدع في جميع المجالات، وتاريخ العلم يحدثنا عن مشاركة إيرانية عظيمة في الحضارة الإسلامية، ولا تتوفر لدينا أية معلومات عن هذه المشاركة العامة في الإنتاج المعرفي والعملي لدى الايرانيين قبل الإسلام[5].

التعارف: أو التبادل المعرفي هو من أبرز ظواهر التفاعل الثقافي بين الإيرانيين والعرب، فقد أقبل الايرانيون على تعلّم اللغة العربية باعتبارها نافذة على معارف الدين المبين، وقعّدوا قواعدها، واكتشفوا أسرار بلاغتها، وأنشدوا بها، ودوّنوا مؤلفاتهم بهذه اللغة التي تحولت من لغة قوميّة إلى لغة حضارية. وأقبل العرب على اكتساب تجربة الإيرانيين في الشؤون المالية وإدارة الحكم، بل لم يجد المهاجرون العرب إلى إيران مانعًا من اكتساب لغة الايرانيين وعاداتهم وتقاليدهم. ولم يقتصر هذا التبادل على إيران، بل تعدّاه إلى أقصى نقاط العالم الإسلامي. فنرى في الاندلس انفتاحًا على أعياد الايرانيين كالنيروز والمهرجان[6]، بل ومن خلال زرياب انفتحوا على موسيقى الإيرانيين وأسلوبهم في إعداد الطعام والملبس وقصّ الشعر[7]. ويطول بنا الحديث لو دخلنا في ميدان التبادل الأدبي[8].

التجربة الإيرانية في عصر الانحطاط

والتجربة الإيرانية في إطار الحضارة الإسلامية خلال عصر الانحطاط ذو شجون، فلقد ضعفت إلى حدّ كبير الحركة الفكرية والعلمية والأدبية، وبُذلت محاولات منذ بداية القرن الثامن عشر لفصل إيران عن اللغة العربية وعن دائرة الحضارة

5- انظر: خدمات متقابل إيران وإسلام (فارسي) = الخدمات المتبادلة بين إيران والإسلام، مرتضى مطهري.

6- النيروز والمهرجان في الأدب الأندلسي، (مقال) ، الحسين الإدريسي فصلية إيران والعرب، 21 – 22، صيف 2008..

7- عصر الدول والإمارات / الأندلس، شوقي ضيف، دار المعارف ص 47 وما بعدها.

8- انظر: الأدب العربي في العصر العباسي، محمدعلي آذرشب، طهران 1385،مؤسسة سمت. .

الإسلامية ولإثارة الحساسيات القومية والطائفية[9]. وهذه التجربة لا تختلف كثيرًا عن مثيلاتها في العالم العربي والإسلامي. ولذلك لا حاجة لذكر تفاصيلها.

موضوع الإسلام الفارسي

أقف عند هذه المسألة لأنها من اهتمامات هذه الدورة، ولأنها أثيرت لأسباب ترتبط بالصراع الدولي من أجل الهيمنة. فهناك من يطرح موضوع الشعوبيّة باعتباره يمثّل غلبة الطابع القومي الإيراني على الطابع الإسلامي. وهناك من راح يؤطّر تشيّع الإيرانيين على أنه يمثّل الإسلام الفارسي. وأقف عند هاتين المسألتين:

بالنسبة للشعوبية

الشعوبية قيل إنها النزعة المعادية للعرب، وقيل إنها الدعوة إلى المساواة بين الشعوب الإسلامية انطلاقًا من لفظة «الشعوب» في آية الدعوة إلى التعارف. وأنا أميل إلى أن النزعة الثانية هي التي أطلق عليها اسم الشعوبية غالبًا[10] وإن كانت النزعة الأولى موجودة أيضا عند من لم يرتفعوا إلى المستوى الرسالي، وهم قلة أمام المساحة الكبيرة من الانصهار العرقي والثقافي والاجتماعي الذي حدث بين الإيرانيين والعرب.

2- إن هذه النزعة حدثت باعتبارها ردّ فعل لبعض الممارسات الأموية ومخلفاتها التي رجّحت الانتماء العربي على الانتماء الإسلامي، وهذا لم يحدث في إيران فحسب، بل حدث أيضا عند البربر (الامازيق) في شمال أفريقيا والاندلس[11].

3- السلبيات الموجودة في هذه النزعة ضئيلة جدًا أمام عظمة التفاعل والتعارف والتعاون الذي حدث بين الإيرانيين والعرب في الحقل الاجتماعي والسياسي والمالي والفكري والعلمي. فما الداعي إلى تكريس السلبيات وغضّ النظر عن المساحات الواسعة من إيجابيات التعارف الإيراني العربي في إطار الدائرة الحضارية

9- انظر: خدمات متقابل (مصدر مذكور) ومقدمة فكرية لحركة المشروطة، علي اكبر ولايتي، ترجمة محمد علي آذرشب، دمشق 1422/ 2001 .

10- انظر: تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي، محمد علي آذرشب، طهران، منشورات سمت.

11- انظر التشيع في الاندلس، محمود علي مكي، وأدب التشيع في الشمال الأفريقي، عبدالامير عناد.

الإسلامية.

4- التفاعل الأدبي واللغوي الإيراني مع العربيّة له دلالة أعمق على نفوذ الإسلام في أعماق مشاعر الإيرانيين وعواطفهم، وانصهارهم في الثقافة الإسلامية.

5- عندما تأسست دول مستقلة على يد الفرس والاتراك في إيران إبان ضعف الخلافة العباسية، فإن هذه الدول المستقلة حافظت على ثقافتها الإسلامية وانتمائها إلى دائرة الحضارة الإسلامية، بل إن بعض هذه الدول مثل الدول البويهية كان توجهها إلى اللغة العربية وآدابها يفوق بكثير توجهها الى اللغة الفارسية وآدابها.

من كل ما تقدّم نفهم أن إثارة قضية الشعوبية من أجل تغليب الطابع القومي لدى الايرانيين على الانتماء الرسالي، أمر مبالغ فيه وبعيد عن الموضوعية، وأثير في العصر الحديث بشكل واسع في سياق ظاهرة التنافر القومي في العالم الإسلامي، ومن الطريف أن المتعصبين القوميين من الإيرانيين والعرب معًا كانوا متحمسين لطرح هذه الفكرة[12].

من الأمور التي يستند إليها دعاة التنافر القومي ماورد في التاريخ من أخبار فتح إيران وما رافقها حسب هذه الروايات من أنهار دماء سفكت! ومن مذابح ارتكبت ومدن هُدّمت، وكلّ ذلك موضع رفض المحققين الموضوعيين[13]، وأحداث فتح إيران تدلّ على أن الإسلام دخل عن طريق القلوب لا بالسيف.

المسألة الثانية المطروحة في إطار ما يسمى بالإسلام الفارسي هي اضفاء الطابع القومي الفارسي على التشيّع في إيران. وهي محاولة أخرى لتغليب التوجه القومي على التوجه الرسالي لدى الإيرانيين، بل لرفض انتماء الإيرانيين إلى الثقافة الإسلامية وتصوير ما عندهم بأنه توجه نحو الثقافة القومية. وهذا أيضا ما حاول طرحه القوميون المتعصبون العرب والإيرانيون معًا.

وهو يتنافى مع أبسط حقائق التاريخ والواقع، لأسباب كثيرة نلخصها فيما يلي:

1 – إيران كانت منذ الفتح الإسلامي حتى العصر الصفوي على مذهب أهل السنّة بمذاهبهم المختلفة، وخاصة المذهب الشافعي والحنفي.

2- صحاح أهل السنّة ومسانيدهم بأجمعها دوّنت بيد إيرانيين.

12-موقع العلاقات الإيرانية العربية في إطار العالم الإسلامي ، محمد علي آذرشب ندوة «العلاقات العربية الإيرانية» مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1996 .

13- انظر: عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ، مرتضى العسكري .

3- معظم تفاسير أهل السنّة ومؤلفاتهم في الفقه والكلام دوّنت بيد الإيرانيين.

4- كبار شعراء إيران مثل سعدي وحافظ ومولانا جلال الدين والعطار وسنائي كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة.

5- التشيّع جاء إيران من عرب العراق قديمًا وترسّخ فقهيًا في العهد الصفوي على يد علماء جبل عامل اللبنانيين العرب، نعم كان في مدينة قم منذ القدم جماعات شيعية هم من القبائل العربية المهاجرة إلى هذه المدينة[14].

ومن هنا لا نرى أية علاقة بين المذهب الشيعي والقوميّة الفارسية، وما قيل بشأن ولاء الإيرانيين لأهل البيت منذ العصور القدمية فإنه لا يرتبط بتوجه مذهبي، بل لما عرفه الإيرانيون عن هذا البيت الكريم من التزام بمساواة الإسلام وعدالته، ومثل هذا حدث لدى البرير في شمال أفريقيا والأندلس.

تجربة إيران في العصر الحديث

بُذلت في العصر الحديث محاولات ضخمة لفصل إيران عن دائرة الحضارة الإسلامية، تحت مظلة الانتماء الثقافي الفارسي، وفي إطار محاولة تصوير الثقافة الإسلامية بأنها دخيلة على إيران. لكن الإيرانيين كانوا على طول الطريق يثبتون قوة انتمائهم الثقافي للاسلام. من تلك المواقف:

- موقفهم من معاهدات تدخّل قوى الهيمنة العالمية للحصول على امتيازات اقتصادية في إيران نظير امتياز التنباك.

. موقفهم من تغيير الحروف العربية إلى حروف لاتينية.

. موقفهم من علاقة إيران الشاه بإسرائيل.

. موقفهم من محاولات التغريب التي مارسها رضاشاه على خطى كمال أتاتورك كالسفور الإجباري ونزع العمامة.

. موقفهم من تأميم النفط وتحرير هذه الثروة من سيطرة بريطانيا، بقيادة علماء الدين.

. موقفهم من القضية الفلسطينية وسائر القضايا المصيرية في العالم العربي.

- موقفهم من إحياء الانتماء الحضاري الإيراني إلى ماقبل الإسلام، وتغيير السنة الهجرية الشمسية إلى سنة شاهنشاهية، ليصبح مبدأ التاريخ إقامة الإمبراطورية

14- انظر: هوية التشيع، أحمد الوائلي، وتاريخ الإمامية، عبد الله فياض.

الفارسية لا الهجرة النبوية.

. الثورة الإسلامية في إيران يمكن اعتبارها إعلانًا عن فشل كل محاولات فصل إيران عن دائرة الحضارة الإسلامية وعن العالم العربي.

العامل الأساس في انتماء الايرانيين إلى الثقافة الاسلاميّة

إذا قلنا إن الإسلام دخل إيران عن طريق القلوب فما هو الذي بعث الايرانيين على ذلك.

وثائق الفتح تدلّ على أن الفاتحين تعاملوا مع الايرانيين بكرامة. وأقصد من ذلك أنهم لم يجرحوا عزّة الإيرانيين، بل وجد أصحاب البلاد المفتوحة أن عزّتهم وكرامتهم تتحقق في الدين الجديد. فمنهم من أسلم ومنهم من بقي على ديانة الزرادشتية دون أن يجد من الفاتحين ما يسيء إلى بقائه على ديانته السابقة، ولذلك بقيت معابد الزرادشتين على مرّ العصور إلى يومنا هذا، غير أن الملاحظ أن الزرادشتين أصبحوا جزءًا من هذه الدائرة الحضارية، وانساقوا في الجوّ الثقافي الإسلامي مع الاحتفاظ بخصوصيتهم. ولذلك نرى كبار كتاب العربية مثل ابن المقفع، وكبار شعراء العربية مثل مهيار الديلمي يأتون بغداد وهم على ديانتهم القديمة ويبرزون في المجتمع الإسلامي، ثم بعد ذلك يعتنقون الإسلام عن قناعة.

لقد شعر الإيرانيون أواخر الخلافة الراشدة بنوع من الاستهانة بكرامتهم على يد الولاة، لكن علي بن أبي طالب(ع) تدارك الأمر حين نقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى الكوفة،وقدّم للإيرانيين النموذج الصالح للحكم الإسلامي القائم على أساس العدل والمساواة.

وحين عادت ممارسات الاستهانة في العصر الأموي، تحرّك الخراسانيون تحت راية الرضا من آل محمد فأسقطوا الحكم الأموي.

ثم حدث في العصر العباسي ما جعل الايرانيين يثأرون لكرامتهم، لكنهم لم يخرجوا من دائرة الحضارة الإسلامية، لأنهم آمنوا بأن الإسلام يصون عزّتهم وكرامتهم، بل خرجوا من سيطرة الخلافة العباسية، وأقاموا مراكز هامة للحضارة الإسلامية في نيشابور وخوارزم وإصفهان وهمدان، إضافة إلى مساهماتهم الحضارية التي امتدت غربًا حتى الأندلس.

وفي العصر الحديث حين شعر الإيرانيون بذلّ السيطرة الاوربية ثم بعد ذلك الإسرائيلية على مقدرات بلدهم، حاول اليسار المتمثّل بحزب توده والاتجاهات

اليسارية الأخرى أن تمتص هذه النقمة بطرح البديل اليساري[15]، لكنّ الخطاب الإسلامي استطاع أن يرسم أمام الايرانيين مثلث الذل ومقابله مشروع العزّة. مثلث الذل تمثّل بالشاه وإسرائيل وأمريكا، ومشروع العزّة تمثّل بالإسلام . وهكذا حافظ الإيرانيون على انتمائهم الثقافي للإسلام باعتباره مصدر عزّتهم وكرامتهم.

والواقع أن الإسلام بعقيدته للكون والحياة ونظرته للانسان قادر على أن يضخّ روح العزّة باستمرار في نفس الأمة ما لم تقف أمامه عوامل الإذلال.

أردت من كل ما سبق أن أقول إن الإسلام في إيران ارتبط بميل فطري حضاري للإنسان نحو العزّة، ويزداد ارتباطه بالدين ويضعف بقدر شعور الإيراني بعزّته في ظلّ المشروع الإسلامي، وهذا إحساس مشترك ثقافي بين كلّ المسلمين. وهذا الإحساس ليس وراء الانتماء فحسب، بل أيضًا وراء الحركة الثقافية المؤدية إلى الإنتاج الحضاري.

الجانب الإنساني والجانب الذاتي من الثقافة الإسلامية

الثقافة الإسلامية ذات طابع فطري إنساني وتضمّ في دائرتها كل المتحركين نحو المثل الأعلى الحقّ والمؤمنين بكرامة الإنسان، ولذلك فهي تدعو كل من يدّعي عبادة الله الواحد الأحد أن يتخلص من عبادة الطاغوت (أي يتخلص من العوائق التي تصد مسيرته التكاملية) وأن يصون كرامته من أن تُهدَر على يد الإنسان الآخر: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾.

وهذه الثقافة الإنسانية تستوعب بشرًا لهم خصوصياتهم التاريخية والفكرية وفي هذه الخصوصيات تكمن عظمة الإنسان، إذ ينطلق منها التعارف بين البشر وتلاقح الأفكار ونمائها وتكاملها.

الإسلام في إيران لم يغيّر شيئًا من خصوصيات الإيرانيين سوى أنه دعا إلى إزالة العقبات التي تحول دون الكلمة السواء: إزالة الآلهة المتعملقة على طريق تكامل الانسان، وإزالة استغلال الإنسان لأخيه الانسان. وما سوى ذلك فإنه ترك للايرانيين أن يحافظوا على لغتهم وأعيادهم وطريقة حياتهم، ولم يرَ الفاتحون في ذلك ما يعارض مشروع الإسلام الحضاري، ولذلك حدث تفاعل بين العرب والإيرانيين في

15- انظر: سقوط حزب توده، محمد علي حسين (آذرشب)، طهرن 1404هـ/ 1984م.

هذه الخصوصيات أيضًا.

وهذه الحالة لا تبلغها إلاّ الحضارات المزدهرة التي تصل فيها كرامة الانسان ذروتها.

لقد شهد التاريخ الإسلامي نماذج رائعة من هذه الخصوصيات المتحاورة في إطار الثقافة الاسلاميّة، من ذلك ما يرى عن مجلس لخالد البرمكي:

جاء في مروج الذهب: «كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل [الآراءو] النحل، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده: قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور، والقدم والحدوث، والإثبات والنفى، والحركة والسكون، والمماسَّة والمباينة، والوجود والعدم، والجر والطفرة، والأجسام والأعراض، والتعديل والتجريح ونفي الصفات وإثباتها، والاستطاعة والأفعال، والكمية والكيفية، والمضاف، والإمامة أنص هي أم اختيار، وسائر ماتوردونه من الكلام في الأصول، والفروع، فقولوا الآن في العشق عَلَى غير منازعة، وليورد كل واحد منكم ماسنح له فيه، وخطر إيراده بباله.

فقال علي بن هيثم (وكان إماميَّ المذهب من المشهورين من متكلمي الشيعة): أيها الوزير، العشق ثمر المشاكلة، وهو دليل تَمازُج الروحين، وهو من بحر اللطافة، ورقة الصنيعة، وصفاء الجوهر [وليس يحدُّ لسعته]، والزيادة فيه نقصان من الجسد.

وقال أبو مالك الحضرمي، وهو خارجي المذهب (وهم الشراة): أيها الوزير، العشق نَفْثُ السحر، وهو أخفى وأحرّ من الجمر، ولا يكون إلا بازدواج الطَّبْعَين، وامتزاج الشكلين، وله نفوذ في القلب كنفوذ صَيِّب المُزْنِ في خلل الرمل [وهو ملك على الخصال] تنقاد له العقول، وتستكين له الآراء.

وقال الثالث: وهو محمد بن الهذيل العَلاّف، وكان معتزليَّ المذهب وشيخ البصريين: أيها الوزير، العشق يَخْتم على النواظر، ويطبع على الأفئدة، مرتقى في الأجساد، ومسرعة في الأكباد، وصاحبه متصرف الظنون، متغير الأوهام، لا يصفو له موجود، ولا يسلم له موعود، تسرع إليه النوائب، وهو جرعة من نقيع الموت، وبقية من حياض الثكل، غير أنه من أريحية تكون في الطبع، وطلاوة توجد في الشمائل، وصاحبه جَوَاد لا يُصْغي إلى داعية المنع، ولا يسنح به نازعُ العذل.

وقال الرابع – وهو هشام بن الحكم الكوفي شيخ الإمامية في وقته وكبير الصنعة في عصره –: أيها الوزير، العشق حِبَالَةٌ نَصَبَها الدهر فلا يصيد بها إلا أهل التخالص في النوائب، فإذا عَلِقَ المحب في شبكتها ونشب في أثنائها فأبعد به أن

يقوم سليماً أو يتخلص وشيكاً، ولا يكون إلا من اعتدال الصورة، وتكافؤ في الطريقة، وملاءمة في الهمة، له مقتل في صميم الكبد ومهجة العقل، يعقد اللسان الفصيح، ويترك المالك مملوكاً، والسيّد خَوَلاً حتى يخضع لعبد عبده.

وقال النَّظام إبراهيم بن يَسَار المعتزلي (وكان من نُظَّار البصريين في عصره): أيها الوزير العشق أرَقُّ من السراب، وأدبُّ من الشراب، وهو من طينة عَطِرَة عُجنت في إناء الجلالة، حلو المجتنى ما اقتصد، فإذا أفرط عاد خبلاً قاتلاً، وفساداً معضلاً، لا يطمع في إصلاحه، له سحابة غزيرة تهمى على القلوب، فَتُعْشِب شعفاً، وتُثْمر كلفاً، وصريعُه دائم اللوعة، ضيّق المتنفس، مُشارف الزمن، طويل الفكر، إذا أجَنَّه الليل أرق، وإذا أوضحه النهار قلق، صومه البلوى، وإفطاره الشكوى.

ثم قال السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومَنْ يليهم، حتى طال الكلام في العشق بألفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب، وفيما مر دليل عليه»[16].

ترى في هذا المجلس أولاً اجتماع المذاهب الكلامية المختلفة، وترى أنهم يكثرون من الحوار في رعاية شخصية سياسية كبيرة هو يحيى بن خالد البرمكي، كما نجد هذه الشخصية السياسية تدفع بالمتحاورين إلى محور ثقافي إنساني مشترك هو الحب.

ونرى نموذجًا آخر لاحترام هذه الخصوصيات في شخصيات كبيرة مثل الشريف الرضي (ت 406هـ) الذي تتلمذ على كبار علماء السنة وهو شيعي وتتلمذ عليه كبار علماء السنة. وهذا الرجل الكبير يرثي أبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب (ت 384هـ):

أعلمت من حملوا على الأعواد ... أرأيت كيف خبا ضياء النادي

جبل هوى لو خرّ في البحر اغتدى ... من وقعه متتابع الإزباد

في قصيدة هي من أروع قصائد الرثاء في الأدب العربي.

وحينما سُئل الشريف: كيف ترثي رجلاً صابئيًا، قال: جمعتنا أخوة الأدب.

وفي إيران المعاصرة تحاول الثقافة الإسلامية أن تمتدّ على الحياة الاجتماعية دون أن تلغي الخصوصيات الدينية: فهناك الزرادشتيون والمسيح واليهود، ولهم

16- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن المسعودي ، منشورات دار الهجرة، إيران ، قم، 3 / 379 - 381 .

أماكن عبادتهم يمارسون فيها طقوسهم بحرية، وهناك الخصوصيات المذهبية متمثلة بالسنة والشيعة، وهناك الخصوصيات القومية متمثلة بالفرس والترك والاكراد والعرب والتركمان والبلوش، كما أن هناك الخصوصيات القومية الإيرانية العامة متمثلة باللغة الفارسية وآدابها، وبالأعياد والتقاليد والعادات الإيرانية. كل هذه الخصوصيات لم تمنع وجود ثقافة واحدة هي الثقافة الإسلامية الإنسانية.

تلخيص واستنتاج

أردت مما سبق أن أقول:

1 – إن الثقافة الإسلامية ثقافة تنطلق من فطرة الانسان ، ولذلك فهي إنسانية تستوعب كلّ من يحترم الإنسان ويكرم الانسان ويسير على طريق التكامل الانساني، وليست هذه مسألة نظرية، بل إن التجربة الإسلامية في عصور ازدهارها أثبتت ذلك عمليًا.

2– التجزئة الموجودة اليوم داخل الدائرة الحضارية الإسلامية ليست ناتجة عن اختلاف الثقافات بل عن تخلّف ثقافي أفرز تخلّفًا حضاريًا، من هنا فالجسد الإسلامي اليوم شبه ميّت بحاجة إلى إحياء كي تتواصل أجزاؤه عضويًا.

3– لا وجود لشيء اسمه الثقافة الفارسية بل هي الثقافة الإسلامية الانسانية، مع وجود خصوصيات في الداخل الايراني لا تتنافى مع وحدة الثقافة الإسلامية.

4– ثمة مشترك هام مغيّب عن الدراسات الثقافية إلى حدّ كبير هو الكرامة الإنسانية، وكرامة الانسان هي أصل أصول الدين. لكنها مغيبة كما ذكرت في الفكر بل واكثر من ذلك في الممارسة، وهذه أساس مشكلتنا الثقافية، وأساس الغزو الثقافي الذي يستهدف تعميق الشعور بالاذلال في نفوس أمتنا.

وبدون وضع خطة شاملة ثقافية وعلمية وإعلامية وتعليمية وتربوية لاستعادة كرامة الانسان في ثقافتنا لا يمكن انتظار حركة ثقافية واستئناف حضاري ووحدة بين أبناء الأمة.

5– في ظلّ الشعور بالعزّة والانفتاح على الآخر أو التعارف وما أسفر عنه من ازدهار حضاري حدث أضخم تعاون عربي ايراني على بناء صرح الحضارة الإسلامية،ويمكن للشعبين ان يستعيدا هذا الدور باستعادة العزّة والتعارف.

الخبرة الإيرانية (1)*

تعليق د. نادية مصطفى على ورقة د. أذرشب**

الورقة أسقطت فترة خطيرة في تاريخ العلاقات الإيرانية –العربية–التركية، وهي فترة الحكم الصفوي أو الدولة الصفوية، فلم يأت د. أذرشب على ذكرها على الإطلاق بالرغم من أنها تستغرق حوالي الثلاثة قرون. وقد شهدت هذه الفترة ممارسات عنيفة واقتتال عثماني –صفوي محتدم، اختلط فيه التنافس على الزعامة الإقليمية على المنطقة المسماة الآن "الشرق الأوسط" أو "المنطقة العربية" مع العامل المذهبي، فكان كل منهما يُكفر الآخر، حيث يكفر السنة الشعية والعكس، وقد كان كل هذا محاط بصراع سياسي شديد على قيادة العالم الإسلامي، كما لعب الأوربيون دورهم الأكبر في هذا الأمر.

وهو أيضًا لم يذكر شيئا عن خصائص التشيع كثقافة وما تثيره من خلاف مع أهل السنة على نحوٍ يجعل أنه إذا فهم المثقفون والمفكرون دواعي الحوار والتقارب بين السنة والشيعة لأسبابٍ سياسية وأسبابٍ إنسانية، فقد لا يفهم العوام من الناس هذا الأمر، ولذا فإن الاحتقان شديد على هذا المستوى، سواء في نظرة السنة إلى الشيعة أو في نظرة الشيعة إلى السنة. كما يمكن القول إن الأمر هو ذاته الآن على مستوى العلاقة المحتقنة بين المسلمين والمسيحيين فى بعض البلاد على مستوى العوام، و ما يسود تفكير كل منهم وما يُبث فيهم من أمور يستطيع المفكرون والعقلاء والعلماء وأهل الخبرة أن يتجاوزوها، إذ لا يقدر الجميع على تجاوز كل شيء.فاتصور أن هناك أمور كانت بحاجة إلى تناول من د. أذرشب، كما كانت تحتاج إلى مناقشة منا.

فهناك على سبيل المثال أدلة الواقع بسلبياته التي يُركز عليها البعض ليُعمم صورة سلبية، في مقابل هذه الصورة الإيجابية المعممة بشأن المواقف الإيرانية من القومية الإيرانية والحضارة الإسلامية في ضوء ما هو قائم في الأدبيات.

أيضًا، أين التشيع كثقافة وكمذهب، وما هي ملامح الاختلاف التي تثور بينه وبين السنة مذهبيًا وثقافيًا؟

كذلك، من النقاط التي مر عليها سريعًا، مسألة التنوع في الداخل، حيث ركز د. أذرشب على وضع إيران في منظومة تنوع الأمة ككل، وخاصة مع العرب، ولكن لم يتحدث عن العلاقة مع الأتراك والعثمانيين، والأهم أنه –كما ذكرت– لم يتحدث عن ظاهرة التنوع في الداخل، والمثار حولها الكثير من واقع الأدبيات المنشورة بغير الفارسية، ونحن بحاجة إلى التحقق من صدق

---

* نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

** أستاذ الأدب العربى- جامعة طهران

معلوماتها، فهناك من يقول أن الأتراك لا يُعطوا الفرص مثل الفرس، وأن السنة عليهم تضييق، وغير ذلك من معلومات من هذا القبيل، نقرأها فى تقارير غربية وعربية.

والأهم، تناول كيف يؤثر تسييس هذه الأمور على العلاقات وهذه نقطة مهمة جدًا، فإدخال السياسة عامل يؤدي إلى بروز اختلافات عديدة.

أيضًا، هناك فارق بين أن أتحدث عن أن القومية الإيرانية لم تتأثر بالإسلام وليست ضده وبين أن أتحدث عن خصائص الشخصية الإيرانية، وذلك مثلاً على النحو الذي تحدث عنه أ. نوزاد بشأن الأتراك حين ذكر صفات الجهاد والقيادة المعروفة عن التركمان باعتبارهم أهل ثغور وبراري، حيث ينتمون إلى وسط آسيا وعاشوا بالقرب من المغول، وكذلك هناك خصائص للبلوش المكون الأساسي بباكستان، والأمر ذاته بالنسبة للمالاي في ماليزيا وإندونيسيا.ولكن أين الخصائص السلوكية للشخصية الإيرانية؟

وهذا هو ما يتعلق بالورقة التي استمتعت بقراءتها وتفاعلت معها من خلال الملاحظات التي أدليت بها متخللة قراءتي هذه الورقة.

ولكن هناك قضايا عامة تطرحها هذه الورقة، وهي كيف نقرأ التاريخ الإسلامي، فهو قدم لنا موقفه ورأيه من خلال قراءة معينة لهذا التاريخ، ولكن هناك قراءات أخرى للتاريخ الإسلامي ولوضع الإيرانيين في الحضارة الإسلامية، مثلما هناك قراءات مختلفة لوضع الأتراك في الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والعرب أيضًا.

وبالتالي، من المهم جدًا قراءة التاريخ وإدراك أنماط كتب التاريخ التي تُقرأ، لنعرف أنها تعبر عن مدارس مختلفة، فهناك مدارس استشراقية في عرض التاريخ الإسلامي، وهناك مدرسة قومية، ومدرسة ماركسية، ومدرسة ليبرالية، وكذلك نجد عدة مدارس إسلامية في تقديم التاريخ الإسلامي، وهو أمر يجب الانتباه إليه من المهتمين بذلك .

وقد اتضح جيدًا من خلال عرض د. اذرشب أن الإسلام حين يكون قويًّا في نفوس الناس وقويًّا بوجود دولة، وبوجود إنجاز حضاري مادي ومعنوي له، فإن قضية الخصوصيات يتراجع تأثيرها السلبي، ولا أقول ينتهي، فمن يقول أنه لم يكن هناك خلافًا عربيًّا –إيرانيًّا– تركيًّا فكلامه غير صحيح، فنحن نعيش في واقع نرصده بشواهده وأدلته وكتبه.أما في الفترة التي يضعف فيها الإسلام بنفوس البشر ويقل فهمهم له ويتم تسييسه، وتتغلب نخب ذات توجهات أخرى وتزداد التدخلات الأجنبية، يختلف الأمر.

و في ظل هذه المجموعة من العوامل مجتمعة، ومنذ ما يقرب من قرنين أو ثلاثة، تصاعد عامل الخلاف الإسلامي–الإسلامي، سواء قومي بين عرب وأكراد، أو مذهبي بين سنة وشيعة أو ما بين المسلمين والمسيحيين على صعيد القوميات المختلفة. و أضحى عامل الخلاف في نمو وزيادة، والمرحلة التي نعيشها الآن، إنما هي طفرة نوعية فى هذا المجال عن مراحل سابقة.

وهذه بعض المناطق التي كنت أود أن يقدم د. أذرشب تحليلات بشأنها، علمًا بأنه لا توجد دراسة تستوفي كافة الجوانب، كما أن كل دراسة تعبر عن رؤية معينة. وهذه الدراسة بالفعل لها رؤيتها الواضحة جدًا.وقد توقفت عند دلالات قضايا عامة منهجية بنيت عليها ما سبق.

وهناك ملاحظة أخيرة قد أشرت إليها من قبل، وهي أن كل من إيران وتركيا ومصر أركان ثلاثة من أركان الأمة الإسلامية تاريخيًا وحاليًا، وإن كان البعض يرى أن هذا الرأي لا يصلح الآن، وأن هناك أركان أخرى مهمة كماليزيا وباكستان والسعودية، إلا أننا لاحظنا أنه عند تناولنا النموذج الماليزي لم يُذكر أن هنا النموذج يتصور أن له دور رائد في قيادة الأمة، كما أن الحضارات جميعها وبينها الحضارة الإسلامية تقودها بعض شعوبها وليس جميع الشعوب المنتمية لهذه الحضارة.

وبالتالي، فإني أرى أن مدخل كل من أ. نوزاد ود. أذرشب كان يعبر عن هذه الفكرة، وهي أن هاتين الدولتين هما من دول الأركان التي تحدد مكانها في الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي وتتحدث عن تأثيرها على العالم الإسلامي.

الخبرة الإيرانية*

د. محمد السعيد إدريس**

بسم الله الرحمن الرحيم

أود بداية أن أشكر برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات على تنظيم هذه الدورة، وعلى دعوتي للمشاركة في هذا المحور المهم الخاص بإيران

وأشكر الزميلة العزيزة الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى لرعايتها للحوار بين الحضارات وخاصة الحوار البينى بداخل الأمة الإسلامية باعتبار ذلك قاعدة أساسية لأي حوار جاري أو يمكن أن ينشأ مع الحضارات الأخرى غير الإسلامية.

كنت أتمنى مشاركة الأخ العزيز الدكتور/ محمد علي أذرشب محاضرته ولكن للأسف لم يحضر ولم يُمكَّن من دخول مصر وهذه إحدى المآسي التي نعيشها في علاقاتنا العربية–الإيرانية.

ود. محمد علي أذرشب أخ عزيز، وقد تعرفت عليه عندما كان المستشار الثقافي الإيراني في سوريا ثم التقتيه في إيران أكثر من مرة. وهو من عاشقي العروبة ويتحدث العربية كما نتحدثها، ويعي الثقافة العربية جيدًا فلا يفصل بينها وبين الثقافة الإسلامية وينظر إليها من منظور حضاري. وهو من القلائل الذين يرون الثقافة العربية–الإسلامية بمنظور كلي دون تجزئة أو تمييز في محاولة للنهوض بعالمنا الإسلامي.وقد قرأت الورقة التي عرضتها عليكم د. نادية مصطفى واتفقنا على تأجيل النقاش إلى هذه المحاضرة.

أما أنا فرئيس وحدة الخليج بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام والمقصود بالخليج هو إيران والعراق ودول مجلس التعاون الخليجي الست.

ويُصِدر المركز دورية شهرية عربية منذ تسع سنوات بعنوان "مختارات إيرانية"، وهي تهدف إلى تعميق معرفة الثقافة العربية بالمجتمع والدولة بإيران لأننا اكتشفنا خلال سنوات الخلاف والصراع مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن هناك مفاهيم خاطئة مستوحاه من ثقافات أخرى غير العربية وغير الإسلامية، حيث إن معظم الكتابات الأمريكية والأوروبية عن إيران مشوهة وعدائية، ونحن نقرأ هذه الكتابات ونأخذ موقفنا من إيران بناءً على هذه الكتابات والثقافات.

فكان لابد لنا أن نتعرف على إيران كما هي؛ إيران ذاتها، وذلك يتحقق من داخلها ومن خلال أقلام كتابها ومثقفيها، فنحن الآن نعتمد على ما هو مكتوب داخل إيران باللغة الفارسية فنطلع على الصحف الإيرانية اليومية والدوريات ونعتمد على فريق متخصص من أساتذة اللغة الفارسية بمصر لإصدار دورية مختارات إيرانية.

---

* نص تفريغ المحاضرة والمناقشات

** رئيس تحرير مجلة مختارات إيرانية- الأهرام

وقد قرأت ورقة د. أذرشب وهو –كما ذكرت لكم– حريص جدًا على إحداث تواصل مع الثقافة العربية كما نحن أيضًا حريصون على هذا الأمر، فنحن نحرص على أن يعرف بعضنا بعضًا.

وسأبدا كلامي من قناعة شخصية –وربما تتفقون معي أو تختلفون– وهي أني أرى من خلال قراءتي للثقافة الحضارية العربية–الإسلامية أنها صهرت ثقافات وخبرات لأمم عديدة دخلت أمة الإسلام، بمعنى أن الحضارة والثقافة العربية الإسلامية هي المنتج النهائي لعملية انصهار ثقافات وحضارات متعددة من بينها وفي قلبها الثقافة والحضارة العربية.

إذن، نحن نتحدث عن منتج كبير ومتعدد المشارب والمداخل استطاع أن يثبت مكانة هائلة ومحترمة للأمة الإسلامية بالعالم لينشر هذه الثقافة بما فيها من علوم تطبيقية وعلوم بحتِة ويكون رائدًا للعلم والفلسفة والثقافة بالعالم، بل ويتعلم الغرب على هذه الثقافة.

هناك ثلاث أمم كانت في قلب الثقافة العربية –دون استعلاء أو تقدير زائد– وهذه الأمم هي الأمة العربية، والأمة الإيرانية، والأمة التركية، وأنا اتفق كثيرًا مع د. نادية وهي رائدة في هذا الاتجاه، في أن هذه الأمم الثلاث تشكل النهضة أو هي أساس النهضة.

ونحن بالنسبة لنا كدول عربية أمامنا خياران في التعامل مع الوضع الإقليمي الذي يضم أربع قوى إقليمية هي العرب، والإيرانيين، والأتراك، والكيان الصهيوني المسمى إسرائيل.

هذان الخياران هما: **أولًا** الخضوع لمثلث التبعية والهيمنة والانسحاق للمشروع الأمريكي–الصهيوني ضمن مثلث علاقات (أتراك– عرب–إسرائيل) وتركيا هنا هي تركيا الأطلسية/ عضو الحلف الأطلسي المنخرطة في المشروع الغربي والإسرائيلي.

والاختيار الثاني، وهو الاختيار البديل، وهو مثلث النهضة والتقدم والتحضر ويضم (العرب– تركيا التي بدأت تتجه لإسلامها مرة أخرى –الجمهورية الإسلامية الإيرانية).

وعندما نتحدث عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فإننا نتحدث عنها بمنطق أنها جزء أساسي من حضارتنا ومن ثقافتنا وجزء أساسي من قوتنا وشرط أساسي لنهضتنا أردنا أم لم نُرِد. وهذه حقائق تفرضها قراءة خرائط القوى بالمنطقة.

والآن –للأسف– هناك منظورين للتعامل مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية وهما منطق العدو ومنطق الصديق، الذي هو بالنسبة لنا منطق الشقيق.

فالمنطقة منذ ما قبل الغزو الأمريكي للعراق تشهد هجمة أمريكية كبيرة للسيطرة عليها، علمًا بأنه في عام 1993 على ما أعتقد صدرت وثيقة هامة جدًا عن البنتاجون وهي صدرت تحديدًا في نهاية عهد "بوش الأب" وبداية عهد "كليتنون"، وتناولت شروط السيطرة الأمريكية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث تفكك الاتحاد السوفيتي في عام 1991 وأصبحت الولايات المتحدة قوة وحيدة، ولكنهم حينها لم يكونوا على يقين من أنهم يستطيعون أن يكونوا القوة الوحيدة، وهو ما

كان طموحهم، والذي ضعوا شروطًا له، ومن ذلك الحيلولة دون ظهور أمن أوربى مستقل عن حلف الأطلسي، وعرقلة الاتحاد الأوربي ومنعه من أن يكون قوة أوربية منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، ومنع روسيا من العودة لتكون قوة مناهضة مرة أخرى، واحتواء اليابان والصين والهند؛ أي أن جميع حلفاء الولايات المتحدة يتحولون في لحظةٍ إلى أعداء من أجل ضمان السيطرة والهيمنة الأمريكية.

إذن، هناك مشروع أمريكي ممتد للهيمنة على العالم بعد انتهاء الازدواجية القطبية . وقد كان في البداية التنافس على الساحة الأوربية ثم أغلقت وأصبح التنافس على دول العالم الثالث لمد النفوذ بها واحتوائها.

أما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء حلف "وارسو"، بدأت الولايات المتحدة ترى العالم كله كمملكة أمريكية تصول وتجول بها كما تشاء، فأي منطقة بالعالم هي منطقة نفوذ أمريكي، وأي تطور يحدث تواجهه الولايات المتحدة التي أصبحت بمثابة حكومة عالمية كما أضحى الكونجرس مركز تشريعي عالمي يصدر تشريعات، وعلى العالم أن يلتزم بها، فله أن يصدر قرارات بمقاطعة ليبيا ونيكارجوا والعراق والعالم عليه أن ينصاع ويقاطع هو الآخر.

هذا المشروع عبر عن نفسه مباشرة عقب غزو العراق في الدعوة للشرق الأوسط الكبير. وقيل أن حرب العراق ستكون الحرب العالمية الرابعة باعتبار أن الحرب العالمية الثالثة هي الحرب الباردة. وقالوا أن هذه الحرب هدفها الأساسي هو إعادة رسم الخرائط السياسية بالمنطقة.

وكان جوهر هذه الفكرة هو تفكيك رابطة النظام الإقليمي العربي وإنهاء وجود هذا النظام ثم الانطلاق إلى الدول لتفتيتها من الداخل على أسس عرقية وطائفية بما يسمح بظهور نظام جديد غير النظام القائم على 22 دولة. وهذا النظام الجديد يتكون من دول طائفية وعرقية، حتى يصبح خمسين أو ستين دويلة. وعندها، تصير هذه الدولة العرقية (إسرائيل) إلى دولة طبيعية وسط هذه الدول العرقية والطائفية فتستطيع أن تقود وتصبح قوة عظمى حقيقية في هذا الوقت.

هذا الشرق الأوسط الكبير دخلوا به العراق، ولكنه تعرقل، ثم في حرب إسرائيل على لبنان في صيف عام 2006، ظهر مشروع الشرق الأوسط الجديد على لسان وزير الخارجية الأمريكية. وكان جوهر هذا المشروع كما تحدثت عنه "كوند ليزا رايس" أن الصراع العربي الصهيوني كمحدد لفرز العلاقات والتحالفات في الشرق الأوسط لم يُعد قائمًا، بل إنه بدأ يظهر بدلًا عنه صراع آخر جديد هو الصراع العربي–الإيراني، حيث نتوقف عن الحديث عن الصراع العربي الإسرائيلي وعندها تصبح إسرائيل صديقة للعرب.

أيضًا يقوم هذا المشروع على جعل الحرب على الإرهاب بديلاً عن الحرب بين العرب وإسرائيل وحينها يتوحد العرب مع إسرائيل في حرب واحدة وقضية واحدة هي الحرب على الإرهاب، وإيران متهمة بأنها الدولة الأولى الراعية للإرهاب.

إذن، أصبحت إيران هدفًا للعرب وإسرائيل في آن واحد، فتتوحد العرب مع إسرائيل ضد إيران. وهنا يكون الصراع صراعًا عربيًا-إسرائيليًا- أمريكيًا ضد إيران ومن يقف معها! وإثر ذلك ظهر مفهوم دول 6+ 2، وهي دول محور الاعتدال.

وعقب انتهاء هذه الحرب مباشرة التقت وزيرة الخارجية الأمريكية بنيويورك مع وزراء خارجية ثمان دول عربية هي دول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن، وأطلقت عليهم دول الاعتدال، وأسمت الدول الأخرى محور التطرف، وهو المكون من إيران وسوريا ومنظمات المقاومة (حزب الله -حماس-الجهاد الإسلامي).

و أصبح هناك استقطاب إقليمي جديد على أنقاض نظام عربي يتداعي، حيث صار هناك محور للاعتدال وآخر للشر تتزعمه إيران التي تعمل الولايات المتحدة على الدفع بالصراع نحوها.

من هذا المنظور أصبحت إيران عدو لدول عربية معينة، وهذه الدول مدفوعة /أو مضطرة بدرجةٍ ما -قبلت أم لم تقبل- على التعامل مع إيران باعتبارها عدو، ولكن هل إيران عدو حقًا؟! هناك انقسام حول هذا الأمر فهناك من يري أن إيران صديق وحليف. وأنا شخصيًا سأتكلم الآن من منطلق أن إيران ليست عدو ولكنها دولة شقيقة مؤسسة لنهضة عربية وإسلامية ولها مشروع لهذا الأمر. والورقة التي تحدث بها الأخ العزيز د.محمد علي أذرشب، والتي عرضتها د. نادية صباح اليوم على حضراتكم ،هي روح التوافق الشديد. فمن المهم جداً أن يكون هناك بيننا تسامح وتوافق، ولكن يجب أن يكون هناك توافق حقيقي وليس مجرد كلام سطحي. فكوني أتحدث عن إيران باعتبارها دولة شقيقة وليست عدو كما في المنظور الأمريكي، فإن هذا لا ينفي ضرورة أن يكون هناك حوار جاد وموضوعى وفهم حقيقي، ولكن الكلام الذي قاله د.أذرشب لا يعبر عن موقف صحيح .فهناك خلافات وتمايزات يجب التعامل معها بمنطقين هما الوعي التسامح.

فيجب أولاً أن يعي ويفهم كل منا الآخر على أن نسعى بعد إدراك نقاط الخلاف إلى محاولة جادة ومشروعة لأن نحل هذه الخلافات فيما بيننا كأمة إسلامية. وقد حضرت مؤتمرًا على هامش الحج العام الماضي ولم أكن مدعوًا له عن الحوار الإسلامي مع الآخر برعاية رابطة العالم الإسلامي، وقلت أن هناك "أُخَر" أي أكثر من آخر فهناك آخر إفريقي وآخر أسيوي وآخر عربي أوربي أو أمريكي. وبالتالي، فإن خطابنا مع هذا الآخر يجب أن يتنوع، والأهم من ذلك هو ثقافتنا نحن وحوارنا نحن مع بعضنا البعض. كما قلت أن قاعة المؤتمر حينها لا تعبر عن "نحن"، حيث تمثل طرف إسلامي واحد سني ذكوري، وربما يكون سلفي، فالمرأة مثلاً غير مسموح لها بدخول

القاعة على الإطلاق، بالرغم من أن المرأة جزء من هذا الحوار وجزء من العقل الإسلامي ولا يصح أن تكون مُغيبة عنه.

ثانيًا أين إخواننا من المذاهب الإسلامية الأخرى كالمذهب الشيعي والمذهب الزيدي وغير ذلك من المذاهب المتعددة. وهل مُثلِ جميع السنة من شافعية وحنابلة ومالكية وحنفية.إذن، لابد أن نتحاور مع أنفسنا.

ما أريد قوله أننا يجب أن نفهم الجمهورية الإسلامية كما هي وليس بمنطق العداء، وإنما بمنطق حل خلافاتنا كمسلمين داخل إطارنا الإسلامي، حيث لابد أن نتحاور مع أنفسنا كمسلمين أولًا ثم نبدأ الحوار مع الآخر.نعم أنه أمر جيد أن تنظم المملكة العربية السعودية بأسبانيا حوارًا إسلامي –يهودي –مسيحي، ولكن يجب أولًا أن نتحاور مع أنفسنا.

وسأتحدث إلى حضراتكم حول ملمح هام عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فالجمهورية الإسلامية الإيرانية هي دولة مهمة جدًا بالمنطقة، وهي محاطة أستراتيجيًّا وجغرافيًّا بعددٍ من الدول متعددة الاتجاهات؛ ولذلك نسميها في منظورنا "دولة قابلة للتهديد"، حيث يتعدد حولها الجوار. ومن ثم، فإن صانع القرار السياسي يأخذ في اعتباره هذا الأمر.

إيران أيضًا من ناحية التكوين الديمجرافي /السكاني، لديها معضلة شديدة الخطورة من منظور الأمن القومي، فمن الناحية العرقية يمثل الفرس الأغلبية، والجزء الشمالي الشرقي منها باتجاه خرسان وأوزبكستان نجد بهم سنة، والدول المباشرة في هذا في هذا الإطار جميعها من السنة. وفي الجنوب نجد البلوش وهم عرق ممتد داخل باكستان في منطقة بلوشسيتان سنة أيضًا. أما في الشمال الغربي نجد الأكراد وهم مرتبطون بأكراد العراق وأكراد تركيا. وفي الشمال مباشرة نجد أذربيجان والتي انضم جزء منها بعد الحرب العالمية الثانية إلى الاتحاد والسوفيتي والآخر لإيران وتسمي هذه القومية الأتراك وينتمي إليها المرشد الأعلي للثورة الإسلامية "علي خامنئي".

وفي الجنوب، هناك عرب إيران بإقليم "الأحواز" والذي يسمي "الأهواز" لأن ليس لدي الفرس حرف "الحاء"، ويسمي كذلك "خوزستان" أو "عربستان". وهذا الجزء ملاصق للدول العربية مباشرة كالعراق وفي مقابل الكويت. إذن، هذه الأقليات الموجودة في أطراف الدول تؤثر في الصراع السياسي، فعندما تكون الدولة قوية يصبح التنوع أداة تميز بينما إذا كانت ضعيفة يصير الأمر خطير. لأن الدول المجاورة تستطيع أن تحرك الأقليات التابعة لها في داخل هذه الدولة. إذن إيران لديها هاجس أمنى شديد فهناك دول جوار متعددة لها مشارب ومطامع مختلفة داخل إيران.

فإيران دولة تكوينها الجغرافي واسع وتركيبها الديموجرافي يتكون من أقليات عرقية ودينية وجميعها موجودة على أطراف إيران على حدود دول جوار لها عمق بنفس الانتماء سواء عمق مذهبي سني، أو عمق عرقي كعلاقة البلوش بباكستان بالبلوش في الداخل الإيراني وكذلك العرب

وهكذا. وهذا الأمر يُشكِل أحد الضغوط على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حيث يجب قراءة إيران من هذا المنظور الأمني الأستراتيجي.

أمر أخر مهم، وهو أن إيران كانت طوال تاريخها إمبراطورية منذ ما قبل الساسانية بسنوات طويلة إلى ما قبل الإسلام مباشرة، إذ كان هناك وقتها بالعالم قوتين عظيمتين هما الفرس والروم. والفرس هم الإيرانيون والروم هم القوة الغربية بأوربا وتركيا.

فإيران لديها إمبراطورية تاريخيًّا ولا تقبل بأي وجود أجنبي على حدودها على الإطلاق، وتعتبر أن ذلك تهديد مباشر لوجودها وللطموح الإيراني الإمبراطوري سواء في عهد الشاة أو عهد الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الأمر الثالث، هو أن إيران أعلنت في دستورها أن المذهب الشيعي الإثني عشر هو مذهب الدولة وأن هذه المادة لا تغير إطلاقاً في الدستور.

فأصبحت إيران بذلك، ليست فقط الدولة الشيعية الوحيدة في العالم، بل إن هذا أيضًا يفرض على الجمهورية الإسلامية أمرين:

الأول: الإحساس بشعور الأقليات داخل الأغلبية، حيث هناك شعور دائم لدي الأقليات بالأحساس بالتميز وإظهار الذات وتأكيد قوتها.

الثاني الإحساس بالمسؤلية تجاه كافة الطوائف الشيعية في العالم .فأصبحت إيران مرجعية بالنسبة لكل الشيعة في العالم.

الأمر الرابع، أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ تأسسها في عام 1979 وهي دولة مصنفة كدولة عدو بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومحاصرة أمريكيًا؛ وذلك لأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ تأسسها طرحت رؤي وشعارات مناهضة كليةً لكل المشروع الأمريكي الصهيوني.

فعلى سبيل المثال، طرحت إيران فيما يتعلق بانحيازها للشرق أو الغرب أي للاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة أنها لا شرقية ولا غربية أي شعارنا حول عدم الانحياز وأسمت العلاقة بالولايات المتحدة علاقة بالشيطان الأكبر.

وعندما سُئل الإمام "الخميني" عن روسيا قال أن جميع هذه القوي شياطين، ولكن الولايات المتحدة الشيطان الأكبر.وعندما سُئل عن تقسيم الجمهورية الإسلامية للعالم إلى مستكبرين ومستضعفين قال أن هذا هو التبري والتولي بمعني التبري من الكفر والاستكبار وأهله وموالاة ومساندة المستضعفين في العالم كله خاصة المسلمين.

أي أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية حددت كهدف إستراتيجي لها مناهضة ومناوءة كل مستكبر ودعم ورعاية وعناية كل المستضعفين في العالم، وهو ما وضعها في صراع مباشر مع الولايات المتحدة.

وإيران لا تعترف بدولة إسرائيل وهي تتحدث عن الكيان الصهيوني أو الكيان المُغتصِب. فعندما يكون هناك موضوعات تتطرق إلي إسرائيل في الأدبيات الثقافية والسياسية بإيران يستخدم مصطلح "الكيان الصهيوني"،وهذا التوجه جعل الجمهورية الإسلامية الإيرانية مستهدفة أمريكيًا وإسرائيليًا.وعندما قامت الثورة مباشرة حدث إجراءين مشهورين جدًا أولهما احتلال السفارة الأمريكية لمدة 444 يومًا،وثانيهما تحويل السفارة الإسرائيلية إلى سفارة لدولة فلسطين، ورفع عليها العلم الفلسطيني. وهذه الممارسات أيضًا جعلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة مستهدفة أمريكيًا وإسرائيليًا ومحاصرة ومقاطعة اقتصاديًا وعسكريًا، كما تم تجميد كل أرصدتها النقدية، وغير ذلك من سياسات عدائية.

ولكن هذه السياسات العدائية ترجع إلى ما هو أهم من ذلك، حيث إن قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وانتهاء عهد "الشاه" إنما كان يعني انتهاء قاعدة رئيسة للولايات المتحدة بالخليج؛حيث اختلفت منظومة التحالفات الإقليمية بالمنطقة قبل سقوط الشاه عنها بعد قيام الثورة الإسلامية.

ففي عام 1968، أعلنت بريطانيا الانسحاب من شرق قناة السويس ، وأنا حريص في كل محاضرة تجئ فيها هذه المناسبة، أن أؤكد أنه هناك دولة عظيمة هي مصر، ومدينة عظيمة اسمها السويس، وقناة عظيمة اسمها قناة السويس، ومعركة عظيمة هي معركة السويس التى يؤرخ بها لبداية حقبة جديدة –وبعد ذلك مباشرة بحث الأمريكيون عمن سيملأ الفراغ البريطاني، وحينذاك لم يكن للولايات المتحدة نفوذ قوى بالخليج الذي كان منطقة نفوذ بريطاني لسنوات طويلة، فلم يكن للأمريكيين نفوذ سوى بالسعودية وتحديدًا شركة "أرامكو".

فعندما اعتزم البريطانيون الانسحاب، اجتمع سفراء الولايات المتحدة بطهران وبحثوا في اجتماع مهم لهم من سيملأ الفراغ البريطاني وكان الجواب أن الولايات المتحدة هي التي ستملأ هذه الفراغ، ولكن السؤال الحقيقي كان كيف سيتم هذا، وما هي الأدوات المطلوبة؟ خصوصًا في ظل الهزيمة الأمريكية بڤيتنام وظهور مبدأ "نيكسون" الذي يعتبر الدرس الأمريكي المباشر من هذه الهزيمة، والذي نتمني أن يكون هناك درس مثله بعد الهزيمة الأمريكية بالعراق.

وكان مبدأ "نيكسون" مبدأ انكماش في السياسية الخارجية الأمريكية، حيث حرم على الولايات المتحدة إرسال أي قوات عسكرية أمريكية خارج الأراضي الأمريكية إلا للدفاع عن مصالح حيوية.وكان "نيكسون" يميز بين مصالح حيوية، ومصالح استراتيجية، ومصالح مهمة، والثلاث لها علاقة مباشرة بمصالح المجتمع الأمريكي وحياته.وكان البديل لتحقيق أهدافهم ومصالحهم اختيار قوة إقليمية سواء في غرب أفريقيا أو آسيا يمكن الاعتماد عليها بعد تقويتها وتدريسها.

وقد اختاروا "إيران– الشاه" للقيام بهذا الدور في الخليج وقاموا بتسليحها. واتبعت الولايات المتحدة في هذا الوقت ركيزة كانت تسمى "الركيزتان المتساويتان" وهما هنا إيران والمملكة العربية السعودية وقد تولتا حماية المصالح الأمريكية بالخليج.

وبناءً على ذلك، تشكلت خريطة التحالفات بالمنطقة فكان هناك تحالفًا سعودي– إيراني في مواجهة الخطر الذي هو الخطر السوفيتي والشيوعي العالمي والقومية العربية الراديكالية، خاصة بعد هزيمة 1967 وتواجد حزب "البعث" العراقي بقوة بالمنطقة في ظل تراجع الدور المصري؛أي أنه كان هناك تحالف بين دول مجلس التعاون الخليجي قبل تأسيسه مع إيران ضد العراق وضد التحالف العراقي–السوفيتي حيث كان العراق أيضًا يشكك في الأسر الحاكمة في هذه المنطقة.

ويُعد التحالف السعودي–الإيراني في ذلك الوقت مخالفًا لنظريات توازن القوى الدولي. فالسعودية هنا تحالفت مع إيران وهي قوة إقليمية وليست خارج نطاق الإقليم لمواجهة الخطر الأكبر الذي يهدد الشرعية الداخلية بها ومن هنا كان التحالف ضد العراق.

وبالتالي، مع سقوط نظام الشاه بعد ذلك ومجئ الجمهورية الإسلامية بشعارات قوية رنانة تعادي الأمريكيين وتعلن تصدير الثورة، أصبحت إيران هي الخطر على الداخل السعودي وتحولت السعودية للتحالف مع "عراق صدام حسين".

وهنا انقلبت خريطة التحالفات، فتحالفت دول مجلس التعاون الخليجي مع العراق وقد أدى تحالف صدام حسين" مع الأمريكيين إلى دفعه لدخول إيران وإسقاطها أو عرقلة مشروع الجمهورية الإسلامية.وما أقوله هذا هو كلام موثق، حيث بالفعل حدث توافق سعودي–خليجي– أمريكي مع العراق ليغزو الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

فأصبح هناك تحالف سعودي –عراقي– أمريكي ضد إيران، بعد أن كان هناك تحالف إيراني– أمريكي في مواجهة العراق.

ما أريد قوله من كل ذلك، أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية بكل رؤيتها الاستراتيجية اعتبرت هدفا Target من قِبل الأمريكيين خاصة ومن بعض النظم العربية.

وعلينا الآن تحديدًا ألا ننسى أن هناك محور للاعتدال ومحور للشر، وكيف يمكن أن تصبح إيران هي العدو، وهذا إنما يكون عن طريق تفجير الصراع السنُّي–الشيعي، فكأن ليس هناك شيء اسمه إسلام، والأمر نفسه بالنسبة للعراق الذي تفجرت فيه الصراعات الطائفية حتى كاد لا يُذكر وتمحى العروبة من العراق حيث الحديث فقط عن سنة وشيعة وأكراد بالرغم من أن الأكراد سنة، إذ إن المهم هو محو عروبته.

والمطلوب الآن التأكيد على أن الصراع السنُّى–الشيعي هو الصراع الحقيقي كمحور تفجير كي تصير إيران هي العدو. وفي اللقاء الأخير "لكونداليزا رايس" مع مجموعة 6+2 بالكويت

أضافت إلى محور الاعتدال العراق ليصبح 6+3+1 (الولايات المتحدة)، وقد طلبت الذهاب إليه لموازنة النفوذ الإيراني هناك.

وهذا هو الإطار العام، لكن يجب أن يكون لنا نحن أيضًا الرؤية النقدية للوضع الداخلي الإيراني وللنفوذ والدور الإيراني كيف نتفاهم بشكل واضح.

حقيقة إن هناك تمييز داخلي بإيران لصالح الشيعة ضد السنُّة، ومدون أن السنة لا يحصلون على حقوقهم الدينية حتى على مستوى الممارسات.فطهران ليس بها مسجد للسنُّة، ولذلك فإني أصلى بمسجد طهران لأني لا أعترف بوجود سنة وشيعة وإنما هناك إسلام فقط.وعلينا أن نعي هذا التمييز الداخلي.

أمر آخر، وهو أننا يجب أن نميز بين تشيع إيراني صفوي وتشيع عربي، وهو ما يرفضه د. أذرشب، ولكن هذا واضح.فعندما حدثت ثورة النفط بالخليج مثلًا ذهب الكثير من الشباب المصريين إلى هناك وعندما عادوا كانوا قد ليسوا الجلباب القصير وأطلقوا لحاهم على النمط السلفي واعتبروا أن هذا هو الإسلام ولكن هل هذا صحيح؟

ما أريد التأكيد عليه هو حقيقة اجتماعية وثقافية، وهي أن الدين يختلط بالثقافة الوطنية والعادات والتقاليد. فعندما نذهب إلى منطقة بدوية نجد إسلام وفي الريف المصري نجد رؤية أخرى، وذلك ليس اختلافًا في العقائد ولكن هناك مدخلات من الثقافة الوطنية وعلينا أن نصفى ما هو دين وما هو عادات وتقاليد.

فالرسول "صلى الله عليه وسلم" إذا كان قد عاش بالسودان أو أوغندا أو نيجيريا لم يكن لبسه سيكون كما كان عليه، فلا يجب أن يلصق بنبي العالم زي معين.

إذن، أقول أن التشيع الموجود بإيران ممزوج بالثقافة الوطنية وممزوج بالقومية الفارسية بينما التشيع العربي مختلف.

أيضًا، نحن يجب أن نكون على يقين من أن إيران ظلت دولة إسلامية سنية حتى نهاية عصر الدولة العباسية ثم فُرِض عليها التشيع من "إسماعيل الصفوي" وهو رغم أنه مؤسس الدولة الصفوية إلا أنه من أصل تركي وليس فارسي. وفي أوج الدولة الصفوية حيث كانت الخلافة ضعفت بدأت تظهر الشعوبية والتناخر.

وهنا، بدأت تظهر الدولة العثمانية والخلافة العثمانية، وحين كان لتأسيس الإمبراطوريات والدول شروط كي تستمر في مواجهة بعضها البعض فكان على "إسماعيل الصفوي" ليؤسس إمبراطورية حقيقة البحث عن أيديولوجيا. وبما أن الدولة العثمانية كانت تمثل السنُّة، فإن الدولة الصفوية رأت العودة للأصول خاصة بعد تفكك الخلافة الإسلامية العباسية فرأى أن يكون إمبراطورية إيرانية وأشير عليه بإكمال مقومات الإمبراطورية من قصر وجيش وغير ذلك، وأيضًا

اعتناق التشيع كأيديولوجيا، فأتي بعلماء الشيعة من جنوب لبنان –وهم بقايا من هرب من الدولة الفاطمية– لنشر التشيع بإيران.

إذن، التشيع ليس أصيل بإيران، وهو ليس دين جديد عامة، فالتشيع لم يكن عقيدة وعبادات، والإسلام كان موجودًا بالفعل بإيران. ولكن التشيع بإيران سياسة وقد ذكر "محمد صادق الحسيني" أن التشيع أصبح جزء من كيان المجتمع الإيراني ولذلك فإن إيران دون التشيع تنهار لأنه أصبح ثقافة وطنية وهوية وأيديولوجية وليس دين.وهذه حقائق يجب أن نعيها في إطار الطرح الإيراني للتشيع.فالتشيع في إيران مختلف

و بالنسبة إلى التشيع العربي، فتجد أن القبيلة الواحدة منقسمة إلى سنة وشيعة وليس هناك فرق بين الاثنين فنحن بالرغم من أن العراق جزء من الوطن العربي إلا أننا لم نعرف بأنها شيعة إلا بعد سقوط نظام "صدام حسين" فاكشفنا الآن فقط أن بين 60–65% من العراق شيعة، وهذا لأن هذه القضية لم تكن مطروحة وقد كان معظم الحزب الشيوعي بالعراق من شيعة؛ أي أن المسألة ليست مسألة الدين و حب آل البيت وإنما جزء منها هوية سياسية.

وهنا، يحدث اختلاط بين القومية والمذاهب. فهناك تجانس شديد جدًا وانصهار بين القومية الإيرانية والتشيع. وفي تعريفنا للجمهورية للإسلامية الإيرانية نقول أن هناك سعى لإحداث تماهيبين الإسلام والوطن الإيراني والمصلحة الوطنية الإيرانية فلديهم المصلحة الوطنية الإيرانية 100% وكذلك إسلام 100%.

وهناك توازن بينهما بنسب مختلفة (99% إسلام و 1% مصلحة وطنية) فهناك مزج بين التمسك بالإسلام وأولوية المبدأ في الإسلام كمحرك للسياسة وكذلك أولوية المصلحة، فهناك خليط وكل القوى من محافظين وإصلاحيين ضمن هذا الخليط.فبحسب نسبة المزج بين الإسلام والمصلحة الوطنية في موقف معين تستطيع أن تحدد ما إذا كان هذا محافظ أم إصلاحي.

فالمحافظون أكثر التزامًا بالمبادئ الإسلامية على حساب المصلحة الوطنية، والإصلاحيون أكثر التزامًا بالمصلحة الوطنية على حساب المبادئ الإسلامية إلى أن تصل إلى البعض ممن لا يرون إسلام على إطلاق أو من لا يريدون مصلحة وطنية على الإطلاق.

إذن، هناك خليط في التكوين السياسي الإيراني بين الأمرين، أي بين المصلحة الوطنية وما تمليه من شروط وبين الإسلام، فمثلًا في معركة "ناجورنو كاراباخ" بين أرمينيا وأذربيجان وهي منطقة متنازع عليها بين دولة مفترض أن شعبها مسلم التي هي أذربيجان وأرمينيا وهي مسيحية، نجد أن إيران إنحازات إلى جانب أرمينيا المسيحية في مواجهة أذربيجان الإسلامية، وذلك إنما ينبع من دوافع المصلحة الوطنية الإيرانية.أيضًا، فإن الدور الإيراني في العراق يرجع إلى المصلحة الوطنية وليس الإسلام وإن كان هناك بعض الدوافع الإسلامية. إذن، داخل إيران

هناك مزج بين القومية الإيرانية والإسلام. أما التشيع فهو ثقافة وطنية وجاء لأسباب سياسية وليس دين فقط.

وأنا لن أرجع إلى التشيع دينيًا لأننا لسنا متخصصين في الفقه أو الفقه مقارن. ولكن بشكل عام، الأمة –للأسف– مازالت تعيش صراعات ألف وأربعمائة عام مضت منذ وفاة الرسول "صلى الله عليه وسلم"، حيث يعاد إنتاج خلافات الأمة ليست طرفًا فيها وهي أمور كانت وفق مشيئة الله وانتهت، حيث إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهذا واقع إسلامي.

أما الأخطر من هذا أن ما حدث في كربلاء ومقتل الإمام الحسين –ولن أتطرق لتفاصيله ويمكنكم القراءة فيه– قد كان له رد فعله حيث ما حدث من بشاعة وخذلان للإمام على نحو يفوق كل تصور، وكذلك ما حدث من صمود وبطولة للإمام تفوق كل تصور أيضًا، ثم كان الاضطهاد من الأمويين والعباسيين لكل من أبدى تعاطفًا مع آل البيت على نحو أيضًا يفوق كل تصور. ولذلك، ظهر ما يعرفه البعض بمذهب "التقية" هو نوع من الفطنة، كأن أكون معارضًا للنظام في مصر ولكني لا أظهر ذلك، بل وأظهر أمرًا آخر.

ولذا، فإن إن الذين ظلوا على وفائهم وعهدهم للإمام "الحسين" وبغضهم وكرههم لمن قتلوه ونكلوا به وبجسده الطاهر وآل بيت النبوة وبنساء النبي "صلى الله عليه وسلم"، هؤلاء اضطهدوا وبعنف على مدى التاريخ الإسلامي وهنا بدأت الفرق الإسلامية تظهر.

عامة فإنه من الناحية الفقهية يُعد الإمام "جعفر الصادق" هو الذي استطاع أن يؤسس فقهًا بلور ما يمكن تسميته بشكل أساسي بفقه "آل البيت" والإمام "جعفر" هو ابن الإمام "محمد الباقر".وهنا أسس المذهب "الاثنى عشرى" الذي يعتبر الإمام هو محور الدولة ويجعل الإمامة هي الأساس.

وإذا ما تحدثنا من منطلق الفكر الإسلامي كسنة يمكننا القول أن الفكر السني أكثر ديمقراطية من الشيعي، فلدى الشيعة عندما يعطي الإمام العصمة فإنه يصعب نقده.

ويجب أن نميز أن الفرق كثيرة، فإيران وجميع الدول العربية التي بها مسلمين شيعة هم من الاثنى عشرية أي هناك اثنى عشر إمامًا من آل البيت وهؤلاء الاثنى عشرية يأخذون دينهم من اجتهادات هؤلاء بداية من الإمام "علي" وانتهاءً بالإمام الثاني عشر الذي لم يظهر بعد وهو المهدي المنتظر . الإمام الحادي عشر هو الإمام الحسن يسمى بالحسن العسكري وهو وقبره موجود بسمراء وكذلك والده "علي" أي أن الإمام العاشر والحادي عشر بمقبرة واحدة ولكنها ضربت أثناء الحرب العراقية.

إذن الحديث عن التشيع وحب آل البيت يجب أن يأخذ في اعتباره أن التشيع من منظور كثيرين هو فقه إسلامي، وأن المذهب الاثنى عشرى اعترف به الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق "محمود شلتوت"، كما يدرس المذهب الجعفري بالأزهر ضمن مادة الفقه المقارن أي أن أي

طالب بالأزهر كما يدرس المذهب الشافعي أو المالكي يدرس أيضًا المذهب الجعفري نسبة إلى الإمام "جعفر الصادق".

ولكن خارج المذهب هناك ثقافة شعبية شيعية، كما أن هناك ثقافة شعبية سنية، والبعض لديه مغالاة في أمور ليست من الدين أو من المذهب كسب الصحابة أو السيدة "عائشة" وغير ذلك من تطرفات وخرافات هي ردود فعل لأزمات تراكمت ويجب ألا تكون سببًا لفرقة.

ويجب أن ندعوهم للتقريب بين المذاهب ونعود إلى أسس الفقه والعقيدة. وقد طلبت ذلك في لقاء بيروت مع آية الله العظمى "محمد حسين فضل الله" إذ قلت له أنه إذا كان التقسيم ما بين سنة وشيعة مفروض علينا أمريكيًا، فإنه يجب أن نفوت عليهم الفرصة، كما سألته لماذا تقولون في الآذان "أشهد ألا إله إلا الله وأن علي ولي الله" علمًا بأننا كسنُّة أيضًا نشهد أن علي ولي الله حيث هناك حديث صحيح لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إن علي ولي الله اللهم والي من والاه وعادي من عاداه" وجميعنا مؤمنين ومصدقين بهذا إلا أنه في مقام الشهادة ليس هناك من يقف بجانب "محمد" "صلى الله عليه وسلم".

فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله مكتوبة على العرش كما قال تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ (سورة الشرح: آية 4) "فعلي" ذاته لا يقبل أن يوضع بجوار "محمد".

وأنا قد صليت مع آية الله "محمد حسين فضل الله" الجمعة منذ ثلاثة أسابيع ورأيت أنه لا يُقال في إقامة الصلاة وأشهد أن عليًا ولي الله، ولذلك يقول البعض أن "محمد حسين فضل الله" أخطر على التشيع من إسرائيل، فالمتطرفون الشيعة يقولون هذا، علي الإمام الكبير الذي يُناظر "الخميني" وصديق ورفيق "محمد باقر الصدر". فنعم الصلاة هي خير العمل كما يُقال في آذان الشيعة أن "حي على خير العمل" ولكن لا يمكن أن يقال أن علي ولي الله في مقام الشهادة، وذلك لا ينفي أن علي ولي الله وحبيب رسوله وحبيبنا جميعًا وأن السيدة "فاطمة الزهراء" هي سيدة الكون كله.

وقد أفتي السيد "فضل الله" بتحريم سب أمهات المؤمنين، وعلى السيد "خامنئي" أن يقول بأن من يسب زوجات الرسول "صلى الله عليه وسلم" فإنه يهدد وضعه الديني.وأي مسلم لا يحق له توزيع رضا الله على الناس وأن يسب من يشاء ليحدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار.

والأمر نفسه نقوله عندما يأتي من السلفيين من يكفر الشيعة ويسمونهم الرافضة ويحقرون منهم، بالرغم من أنه من الجانب السياسي والجغرافي نجد أن المنطقة الشرقية بالسعودية التي هي منطقة النفط جميع سكانها من الشيعة، علمًا بأن طبقًا للخرائط المنشورة لمشروع الشرق الأوسط الكبير الأمريكي من المطروح أن تقسم المملكة إلى خمس دويلات ومن المقرر ضم جنوب العراق إلى المنطقة الشرقية لتتكون أغنى منطقة بالنفط في العالم وهذه مسألة خطيرة.

أردت أن أقول أن هناك قضايا متعددة وهناك خلافات، ولكني أقول للإخوة الإيرانيين أعطوا للسنُّة في الداخل حقوقهم واجعلوا المواطنة هي أساس العلاقات الاجتماعية داخل الدولة الإيرانية، وهيا لنتفق على كلمة سواء في التقريب بين المذاهب، وإن كان لدينا اعتراضات على بعض الممارسات الإيرانية كمسألة التشييع، حيث هناك من يؤكد أن إيران تقوم بعمليات تشيع لمسلمين سنة وهناك في نفس الوقت من يقول لا.

وهناك نقطة يجب الإشارة إليها وإدراكها في هذا الإطار الخاص بعمليات التشيع ومن المسئول عنها، وهي أن كل شيعي لابد له من "مرجع تقليد" وذلك على غرار أتباع شيوخ الطرق الصوفية مثل: محمد بن إدريس والسيد البدوي وإبراهيم الدسوقي أو الطريقة الحامدية الشاذلية أو الرفاعية فيقوم الأتباع بترديد أدعية الإمام أو الشيخ وأخذ العهد، وذلك ليس فرضًا وإن كان الأمر يختلف بالنسبة للشيعة، حيث تعد هذه الأمور أمور أساسية فلابد لكل شخص أن يكون له مرجع تقليد، مطالب كمسلم أو كمسلمة أن تعطية خمس دخلك الشهري خارج الزكاة. وقد كان يُعطي هذا الخمس لله وللرسول لبيت المال خارج الزكاة والآن يُعطي مرجع التقليد الذي لديه ملايين من الدولارات والريالات ليصرفها في مصارفها الشرعية خدمة للمسلمين فيقيم المستشفيات والمدارس والمصانع.

إذن رجل الدين في المذهب الشعي ليس في حاجة لمد يده إلى حكومة دولته. فهو مستقل عن الدولة ورابطته بمن يقلدونه ويعطونه مكانة مالية واجتماعية وسياسية وهناك مرونة عالية فيما يتعلق بحركة المراجع ويقومون بما يشاءون.

وفيما يتعلق بالمال أيضًا، فإن الاقتصاد الإيراني مقسم إلى اقتصادين هما اقتصاد رسمي وآخر غير رسمي، فكل أموال الشاه وضعت فيما يُسمى "دار الشهيد"، كما أن هناك النذور فعلى سبيل المثال هناك كميات هائلة من النذور في مسجد الإمام "علي الرضا" ابن الإمام "موسى الكاظم" بمنطقة "مشهى" "بخرسان".

وهذه الأموال تستخدم من قبل جمعيات خاصة خارج الدولة في أعمال ما يمكن أن تسميته التشيع. وبالفعل هناك جميعات تقوم بهذا وهناك كتب تطبع لسب الصحابة وسب السيدة "عائشة" من قبل أفراد على هامش الدولة أي أن ليست الدولة من يقوم بهذا، فثمة أطراف متعددة تقوم بهذه العملية.

ولذلك، فإن ما على الدولة هو ضبط الأداء، حيث يحتاج الأمر إلى جهد كبير، خاصة وأن الدولة الإيرانية تؤكد أنها بعيدة عن عمليات التشيع أو ما يتعلق بذلك من الكتب الصفراء علمًا بأن لدينا كتب أكثر حدة في مهاجمة الشيعة وإطلاق كلام رهيب حولهم ومن المعروف ممن تطبع وتمول.

الأمر الآخر، هو ما يؤدي من دور إيراني وأنا متابع جيدًا لهذا الدور بالعراق، وقد كنت في طهران في ديسمبر عام 2002 وفي مارس 2003، وكان هناك حوار حول أن الأمريكيون سيدخلون العراق وأن لابد أن يكون هناك منطق لأن المنطقة ليست مفتوحة بلا أهل، وإنما هناك مصر وتركيا وإيران والسعودية وعليهم أن يمنعوا هذا الغزو.

ولكن إحدى الدراسات بالعدد الثاني أو الثالث بمختارات إيرانية بشأن مجلس الشورى السادس اكتشفت أن معظم أعضاء البرلمان الإيراني كانوا جنود أو ضباط بالجيش الذي كان يحارب بالعراق وهما إما جرحي أو إخوة لشهداء، بمعنى أن الحرب العراقية –الإيرانية قد تركت أثارًا عنيفة وغائرة في النفس الإيرانية وقراراتها؛ ولذلك عندما جاءت فرصة لإسقاط نظام "صدام حسين" فإنه كان من الممكن اعتبار أن ذلك يمثل اضرارًا بالمصالح الوطنية إلا أنه من أجل التشفي في "صدام حسين" قبلوا بالغزو وعرضوا بعض مصالحهم الخطر، بل وقدموا تسهيلات غير مباشرة للأمريكيين.

إلا أن الأهم من ذلك أن هناك مشروع سياسي إيراني بالعراق وهو ألا يقوم في العراق مرة أخرى نظام أو دولة قادرة في يوم من الأيام على تهديد إيران مرة أخرى أو لديها من القوة ما يجعلها قادرة. على ذلك وكذلك منع قيام نظام يكون من الضعف بحيث يُمثل خطرًا أيضًا على إيران من ناحية أخرى.

إذن، إيران تريد بالعراق نظامًا يكون مواليًا وحليفًا وصديقًا وهذا إنما قد يتحقق عن طريق حلفائها الذين عاشوا ومنظمًاتهم داخل إيران. ومن هنا تم التوافق مع الاحتلال، خاصة أن الأمريكيون أيضًا يحسبون السنة على نظام "صدام حسين"، وبالتالي يجب ضربهم بعنف ودعم الشيعة والأكراد في المقابل.فقد جاء دعم الأمريكيين للشيعة على هوى إيران وكذلك دعمهم للأكراد، إذ كانت إيران تقدم تسهيلات مهمة جدًا لأكراد العراق باستمرار، سواء كان في عهد الشاه أو في عهد الجمهورية الإسلامية.

فهناك إذن دعم مستمر من جانب إيران للأكراد واحتضان كامل للشيعة والأحزاب الشيعية ولذلك فإن الوجود الأمريكي بالعراق جاء على هوى إيران وحقق مصالح وطنية إيرانية في ظل غياب عربي.

ولكن لماذا كان هذا الغياب العربي؟

ذلك لأن العرب أصدقاء الأمريكيين ومن أراضيهم دخلت القوات الأمريكية إلى العراق بينما رفض الأتراك ذلك.فالأمريكيون دخلوا إلى العراق من أراض عربية تحكمها نظم وحكومات صديقة للولايات المتحدة الأمريكية، أي أنه وإن كان العرب رافضين لما يحدث بالعراق إلا أنهم

لا يستطيعون الاعتراض على الأمريكيين، ومن هنا وجهوا غضبهم تجاه إيران بدلًا من الولايات المتحدة وهي الدولة المحتلة للعراق.

هناك مؤخذات كثيرة يمكن أن تؤخذ على إيران سواء فيما يتعلق بالجانب السياسي أو فيما يتعلق بالتشيع وفيما يتصل بالعلاقات العربية–الإيرانية عامة، إلا أنه يجب ألا ننسى لإيران أنها في ظل تخاذل عربي كامل عن دعم الشعب الفلسطين وعن دعم الشعب اللبناني، كانت إيران هي الدولة الوحيدة التي تدعم منظمات المقاومة الفلسطينية والتي تدعم منظمات المقاومة اللبنانية، ويجب ألا ننسى أيضًا أن حكوماتنا الغراء هي التي عندما هوجم لبنان وقفت وهاجمت "حزب الله" لأنه حزب شيعي حتى أنه خرجت إحدى الفتاوى لتكفر الشيعة في هذا الوقت. وهذه الأمور إنما هي مخاذل ومهازل يجب أن نأخذها في الاعتبار ضمن صراع موجود في المنطقة نحن أهم أطرافه، حيث يجب أن نعي مصالحنا جيدًا ونخطط لمصالح أمتنا انطلاقًا من مصالح أمتنا وليس انطلاقًا من المشروع الأمريكي–الإسرائيلي، إذ إننا لا ينبغي أن نُخَّدِم على هذا المشروع بتعاملنا مع إيران كعدو ولكن ينبغى أن نتعامل مع إيران كشقيقة وحليفة. ولكن أيضًا عندما تخطئ إيران يجب أن نكون أول من يقول لإيران، لقد أخطأتم ويجب أن تعدلوا سياساتكم ومواقفكم، وتعالوا معًا نبني صرح أمة إسلامية عربية جديدة تنهض في ظل عالم من الذئاب لا يمكن أن نتحدث فيه عن حوار عربي إسلامي دولي قبل أن نؤسس لحوار إسلامي–إسلامي أولًا.

د. نادية مصطفى:

شكرًا للدكتور محمد سعيد إدريس، وهو غنى عن التعريف فله صولاته وجولاته على الفضائيات دفاعًا عن الحقوق الاستقلالية العربية، وهو قبل ذلك ابن لهذه الكلية وأحد أعمدتها الطلابية في أنشطتها الطلابية، فقد كان رئيسًا اتحاد طلابها ورئيس اتحاد لطلاب الجامعة في فترة من أزخر فترات ثورة الشباب السياسية للتعبير عن المواقف في مظاهرات واعتصامات في أعوام 1968– 1969– 1972، ثم أصبح باحثًا متميزًا في الشؤون العربية وخبير في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ورئيس تحرير دورية مختارات إيرانية، إذ أضحى متخصصًا في الشأن الإيراني بكل أبعاده العلمية الخاصة بالداخل والخارج الإيراني.

وأعتقد أنه إذا كان د. محمد قد استمع لما قلته صباحًا كان سيجد أننا متفقين في العديد من المنطلقات، وأهمها أن إيران وتركيا ليست جوارًا جغرافيًا ولكن جوار حضارى، فكلمة الجوار الجغرافي التي تسمعونها دائمًا بشأن دول الجوار العربي تضع إيران وتركيا مثل إسرائيل وإثيوبيا، ولكن مما قمنا به من مراجعات وجدنا أنهما جوار حضاري من منطلق أن إيران شقيقة وليست مجرد صديقة أو عدو، والأمر الثاني الذي اتفق فيه معي هو الأمر المتصل بأهمية الحوار البيني–البيني كالحوار المصري–الإيراني.

أيضًا، أعتقد أن د. محمد اتفق إلى حدٍ ما مع توصيفي لطبيعة الرسالة التي وجهها د. محمد علي أذرشب في ورقته على النحو الذي قدمته حيث قلت بشكلٍ علني أن هذه صورة إيجابية تغفل جوانب أخرى يشهد عليها الواقع، ونحن لسنا مطالبين أن ننظر إلى التاريخ أو الواقع إما نظرة بيضاء وإما نظرة سوداء؛ لأن هذا لا يساعد على حوار على الإطلاق وحتى نستطيع أن نتفاهم.

أيضًا، قلت أن هناك أمور كانت محتاجة إلى بلورة وأني اعتقد أن د. محمد إدريس سيُلقى الضوء عليها وهي مفهوم التشيع وخصائص الثقافة الإيرانية وتوظيف التشيع سياسيًّا وأثر هذا على العلاقات العربية–الإيرانية بصفةٍ عامة، وهو ما طرحه د. محمد بالفعل فضلًا عن الأطروحات الهامة حول سياسات إيران الإقليمية والدولية، وكيف تجعلها محل عداء ومحل تحالفات مضادة.

أيضًا، من النقاط التي أشرت إلى أن د. إذرشب لم يتناولها تلك المسألة المتصلة بخريطة الوضع الداخلي في إيران وتنويعاته، ولكن أعتقد أن د. محمد قد أفاض في هذا الجانب مبينًا التركيبة الديمجرافية والتركيبة المذهبية وكيف تمثل عناصر من عناصر خلخلة مفهوم الأمن بالنسبة لإيران.

وهناك نقطة التقاء أخرى بيننا تتعلق بكيفية النظرة إلى إيران باعتبار أن لها نوازع إمبراطورية، حيث إن إيران ظلت دائمًا قوة إقليمية لها تاريخ وكانت ساندة في عدة مراحل، وهذا لا يمكن أن تتخلى عنه.

ومن هنا وصل إلى مفهوم "الأركان الثلاثة" أو "الأقوام الثلاثة"، وكنت قد تحدثت عن هذا في الصباح، كما أن أ. نوزاد عندما كان متحدثًا بالأمس عن تركيا قد دخل هذا المدخل الخاص بتركيا ووضعها في مقدمة / مركز الأمة، على عكس ما تحدثنا عنه بشأن باكستان وإندونيسيا وماليزيا.

أعتقد أن هذا الطرح الذي قدمه د. محمد طرح هام يُلقى الأضوء على نقاط كثيرة أثرنا حولها التساؤلات في الصباح.

النقاش

أ. بسمة –جامعة المنصورة:

بداية أشكر د. إدريس على هذه النظرة الموضوعية جدًا لوضع إيران.

وسؤالي هو: أليس من الأفضل ،بعد ما لاحظناه من رغبة تركيا وإيران واتجاهها إلى تحقيق سيطرة، ووجود وجهة النظر العربية الرافضة لذلك الوضع الاستراتيجي أن يتحول ذلك إلى سعي لتكوين اتحاد يجمع دول أسيا وإفريقيا بداية من دول مثل جيبوتي والصومال وحتى إيران وتركيا؟ حيث تعمل في إطار هذا الاتحاد كل دولة بما تملكه من نفوذ ووضع تاريخي حتى يكون

هذا الاتحاد منافسًا قويًّا للاتحاد الأوربي. فإن كان الاتحاد الأوربي نادٍ مسيحي فسيكون هذا الاتحاد المقترح نادٍ يجمع القوميات والأديان المختلفة.

أ. موسى (من كوت ديفوار):

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السؤال الأول:

ذكر د. إدريس أن أهل السنُّة بإيران يتعرضون إلى تمييز، فما موقفه إذن من الشيعة الموجودين بدول عربية؟ فهل هم ينالون شيء من التسامح؟

السؤال الثاني: هل التشيع أو المذهب الشيعي هو المشكلة؟

فإذا كنت أنا أعتقد في مذهبي فهل يُحجر عليّ حتى لا أدعو لهذا المذهب؟ هل هذا غير مسموح لي في حين أترك للمذهب الآخر المجال لينشر مذهبه؟

*** متحدث (لم يذكر اسمه):**

هناك عدة نقاط سأشير إليها سريعًا، وهي:

أولًا: حقيقة إن د. إدريس وضع يدنا اليوم على التمايزات بيننا وبين إيران والتي لن أسميها خلافات لأن هناك آلية موجودة منذ فترة لاحتواء الخلافات بين السنُّة والشيعة والخلافات المذهبية عامة في العالم الإسلامي وهي "دار التقريب بين المذاهب الإسلامية".

ولا أدرى لماذا لا تؤتي التأثير المطلوب رغم أن بها قمم علماء المسلمين وبينهم د. يوسف القرضاوي ، ود. علي جمعة، ود. سليم العوا، ود. محمد عمارة، ومن المفترض أن يكون لفاعلياتها السنوية تأثير في احتواء الخلافات المذهبية، إلا أن ذلك لم يحدث خاصة أننا نرى تصاعدًا وهابيًّا في بعض الدول العربية وقد رأيت في معرض الكتاب العام الماضي دور نشر سعودية تصدر كتب عن المذهب الشيعي في غاية الفخامة ولا يزيد سعرها عن ستة أو سبعة جنيهات وتحتوى على مغالطات تاريخية، حيث هدفها الأساس إحداث نوع من التشويش.

ثانيًا: لا أستطيع فهم معنى "الجوار الحضاري" لإيران وتركيا وتأثيراته السياسية والاستراتيجية في ظل الضعف الواضح والتدهور غير العادي للنظام الإقليمي العربي.

فمع كامل احترامي للتجربة الحضارية لكلٍ من تركيا وإيران، إلا أن رؤيتي –وقد تكون خاطئة– هي أن امتلاك الدولتين لأسباب النفوذ من قوة سياسية واقتصادية وربما عسكرية سيؤدي على المدى البعيد إلى شرق أوسطة النظام كبديل عن النظام الإقليمي العربي ولن يكون هناك نظام إسلامي بديل، ولكن ربما ما سيحدث هو استبدال النفوذ الأمريكي بنظام متعددة الأطراف.

أ. منى محمد– قسم علم اجتماع بكلية الآداب –جامعة القاهرة:

أولًا: اتفق مع د. محمد إدريس اتفاق تام في ألا نكون أداة تستخدمها الولايات المتحدة وإسرائيل لتنفيذ مخططاتها عير معاداة إيران.

ثانيًا: لا أفهم معنى قول حضرتك بأن الوجود الإيراني بالعراق يحقق مصالح وطنية في حين أنه يُقال كثيرًا أن هذا الوجود إنما هو يخدم مصالح مذهبية حتى أنهم يقولون للشيعة أنه كلما زاد الدم العراقي السنُّي عجل ذلك –في اعتقادهم– بظهور المهدي المنتظر.

ثالثًا: حضرتك ذكرت أن التشيع بدأ أيديولوجيًّا وسياسيًا، ولكني أعتقد أنه إن كان ذلك في البداية، إلا أنه الآن في إيران قد أصبح مذهبًا دينيًا شديد التعصب بدليل أن الأغلبية في إيران هم من الشيعة بل ويتم اضطهاد السنُّة فما رأى حضرتك في ذلك؟

*** متحدث لم يذكر اسمه (جامعة المنصورة):**

ذكرت حضرتك أننا يجب أن ننضم إلى مثلث نهضة مع إيران وتركيا، ولكن هل الواقع الموجود لهذه الدول وخاصة إيران يسمح بوجود مثلث النهضة هذا؟ أم أن هناك بالفعل مشروع مختلف لا سيما وأن حضرتك ذكرت أن إيران لديها نوازع إمبراطورية، والتي بدورها تستهدف استقلاليتنا كعرب خاصة بدول الخليج، وهو ما ظهرت آثاره واضحه بالعراق عن طريق التحالف مع الأمريكيين ضد الشعب العراقي؟ فهل حقًا يمكن التحالف مع إيران ضد المشروع الأمريكي الصهيوني؟

وما هي خريطة العمل المطلوبة لكي تصل لمشروع تحالف عربي–إيراني–تركي ضد مشروع الهيمنة الأمريكية؟

أ. إبراهيم عرفة– صحفي بإسلام أو لاين:

أتساءل عن مسألة السيادة والأمة خاصة عند الإيرانيين، لا سيما في ضوء مسألة نشر الفكر الشيعي وهل هذا الأمر يُعد مبررًا لكثير من الدول العربية للخوف من أطماع إيران بالمنطقة؟

فدول الخليج ومصر ذاتها تتخوف من هذا الأمر والذي تقولون أنه لا تتبناه الدولة، علما بأني قد رأيت في السودان أن نشر الفكر الشيعي يتم عن طريق مراكز الثقافة الإيرانية التابعة للسفارة. وفي العام الماضي تحديدًا، أصدر مجلس علماء السودان قرارًا يطالب فيه الرئيس البشير بمنع نشر المذهب الشيعي داخل السودان والذي تحقق فيه إنجازات حسبما ذكر.

أ. علي حسن –بكالوريوس تجارة:

طالبت حضرتك بأن نتعامل مع إيران كحليف وشقيق، ولكن كيف نوازن بين أمور عدة في مقدمتها الأطماع الإقليمية لإيران؟

فنحن نعلم جيدًا أنه كانت هناك حروب بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية وكان يُقال حينها أن الدولة العثمانية تفتح فتوحات إسلامية بأوربا بينما تقوم الدولة الصفوية بفتوحات بالدول الإسلامية ذاتها.

فكيف بالتالي يمكن إحداث توازن في ظل هذه النوازع الإمبراطورية الإيرانية إضافة للشعور الإيراني بالاضطهاد مما يدفعهم لإثبات وجودهم بالعراق ولبنان وبين إقامة تحالف مع إيران.

الأمر الآخر، هو أننا كيف نطالب بالعدل في معاملة الطائفة السنية بإيران في حين أن الطائفة الشيعية لدينا مضطهدة ولا تعامل كما ينبغي؟

أ. أروى الطويل –جامعة الزقازيق:

أكد د. إدريس على أهمية الحوار، في حين أنه في ديسمبر الماضي كان هناك مناظرة على قناة الجزيرة بين الدكتور "يوسف القرضاوي" والرئيس الإيراني الأسبق "هاشمي رفسنجاني" وقال خلالها "القرضاوي" أن أي حوار لكي يبدأ يجب أن يتم قبله تصفية الخلافات، خاصة أن إيران لها تصرفات محل انتقاد كتدخلها في العراق وقتلها السنُّة من خلال فيلق بدر، ولكن على الجانب الآخر كان رد "رفسنجاني" أنه يجب بدء بداية جديدة.

والتساؤل هنا هو: هل أن هذه البداية الجديدة المطلوبة بإمكانها أن تمسح التاريخ؟

المسألة الأخرى، تتعلق ببعض الأفكار الشعبية على الصعيد الديني، حيث هل مقتل "الحسين" رضي الله عنه يبرر سب الشيعة للسيدة "عائشة" رضي الله عنها وسب الصحابة: علمًا بأن العلماء السنة لا يكفرون الشيعة بمجملهم ولكنهم يكفرون من يسب الصحابة المبشرين بالجنة بسوء، في حين أن علماء الشيعة يكفرون جميع السنُّة.

أ. مصطفى عبد العظيم –الفرقة الرابعة – كلية تجارة شعبة اللغة إنجليزية:

بالنسبة لمسألة العلاقات العربية–الإيرانية والدعوة لأن تكون علاقات تحالف، أرى أن هناك عدة نقاط من الممكن أن تعرقل هذا الأمر، وهي:

أولها: هو موضوع سب الصحابة ونشر كتب تروج لهذا الأمر، إذ إنه لا يمكن لدولة سنية أن تسمح بهذا الأمر حيث يحتل الصحابة لدينا مكانة عالية.

ثانيها: أنه حتى إذا افتراضنا أنه صارت هناك علاقات طبية بإيران فإنها ستكون عند حد معين أي من الممكن أن تكون هناك علاقات اقتصادية وسياسية بينما من الضروري أن يكون هناك حذر فيما يتصل بالعلاقات الثقافية وما يتعلق بها من نشر المذهب الشيعي.

أ. محمد كمال –باحث في العلوم السياسية:

في ظل أي ظروف يجب أن يدرك المفكرون والجماهير أن أي مقدار من القوة تحرزه أي دولة إسلامية أو مجتمع إسلامي سواء سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو عسكريًّا هو إضافة للمسلمين

وليس بالضرورة أن يكون خصمًا من طرف آخر؟ وهذا ليس فقط بلغة العواطف وإنما بلغة المصالح على المدى القصير والبعيد.

*** متحدث لم يذكر اسمه:**

أشكر د. محمد إدريس على المحاضرة، وأؤكد على دعوته للتعامل مع إيران من منطلق الصديق وليس العدو.

ولدى تعليق أتمنى أن استمع إلى رأيه فيه، وهو أني أعتقد أن القومية الفارسية عندما دخل إليها الإسلام تأثرت بفكرة رفض الظلم وضرورة محاربة الظالم، حيث جاء ذلك على هوى الشخصية الفارسية التي كانت صاحبة حضارة ثم صارت تابعة لقومٍ آخرين.ولذلك، نجد ارتباط الشيعة بالإمام "الحسين" أكثر من ارتباطهم بالإمام "علي"، حيث ترتبط فكرة الظلم بالإمام "الحسين".ومن ثم، يُمكن فهم السياسات الإيرانية ذات الصوت العالي والرافضة للظلم وللهيمنة الأمريكية والمطالبة بالتضحية.

هناك سؤال أيضًا حول تقسيم حضرتك للتشيع إلى تشيع إيراني مرتبط بالقومية الفارسية وتشيع عربي، حيث أتساءل هل الشيعة في البحرين مثلًا والذين يقومون باضطرابات هم آداة إيرانية أم يرتبطون بالتشيع العربي؟ وما ملامح هذا التشيع العربي وكيف تفرق يبينه وبين التشيع الصفوي؟ "حزب الله" أيضًا هل يمثل تشيع إيراني أم تشيع عربي؟ وكذلك الشيعة في أفريقيا؟

أ. نجلاء:

حقيقة إن الطرحين كانا متميزين ولدى رؤية حولهما، حيث أرى أن تقريب المذاهب أمر صعب جدًا، بينما تقريب المصالح أسرع وأبقى، وذلك يتطلب الابتعاد عن تسييس القضايا الخلافية. بمعنى أن إيران لاشك أنها تحتل بعض الجزر الإماراتية وقد تنتهك بعض الشعائر أثناء الحج في العقود السابقة بالسعودية وغير ذلك، كما أن الخلافات المذهبية أيضًا عميقة وواسعة تاريخيًا بداية من الخلاف حول أحقية "علي" في الولاية ومن ثم فإن تقريب المصالح أبقى.

وعلى جانب آخر، أتساءل كيف يصرح شيخ الأزهر بأن إنتاج الفيلم الإيراني "إعدام فرعون" هو انتهاك للشريعة الإسلامية فإلى أى مدى يُمثل "السادات" رمزًا للإسلام؟فبذلك نحن نحقق بإصرار المشروع الأمريكي الصهيوني.

أ. نهى طارق –بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية:

السؤال الأول: كنت قد قرأت في مجلة العربي في شهر أغسطس موضوعًا عن الأدب الفارسي جاء فيه أن 90% من الأدب الفارسي يصور العرب كما يصورهم الغرب بأنهم قبائل بدوية متوحشة غزت إيران وقليل جدًا من الأدب الفارسي ما يقدم صورة عادلة عن العرب، وحتى ذلك ليس من منطلق احترام العرب كقومية وإنما من منطلق الانتماء الإسلامي المشترك.

أليس من المفروض أن الأدب مصدره الشعب ويؤثر فيه كذلك. فما تأثير الأدب الفارسي بهذا الشكل على نظرة الشعب الإيراني لنا؟ وما تأثير ذلك بالنسبة للعرب أنفسهم؟

السؤال الثاني: في المحاضرات الماضية تحدثنا عن إندونسيا وماليزيا وتركيا وباكستان وكنا نتناول خلالها مجالات الحضارة والثقافة بينما هذه المحاضرة هي الوحيدة التي تحدثنا فيها مباشرة عن موضوع الدين. فهل هذا يعني في وجه منه أنه لو افترضنا أن الحضارة الإسلامية دولة واحدة فإن إيران تكون بمثابة أقلية داخل هذه الدولة؟ وأليس إحساس الإيرانيين بأنهم أقلية شيعية في مقابل الأغلبية النسبية داخل العالم الإسلامي من شأنه تخويفهم من الدخول في علاقات قوية وطبيعية معنا، وبالتالي يكون من الصعب تحقيق اندماج حضاري؟

أ. أحمد الشلقامي:

توصلت من خلال محاضرتي الأمس بشأن التجربة التركية إلى أن تركيا استطاعت أن تذيب نفسها داخل الحضارة الإسلامية وهذا ما أكده أ. نوزاد، وذلك بالرغم من وجود قنابل موقوته أشارت إليها د. نادية مصطفى.

بينما اليوم ونحن نتحدث عن التجربة الإيرانية أشعر ببعض التعقيد، وكأن إيران كتلة منفصلة بالرغم من أن منطلق هذه الدورة التأكيد على أننا حضارة واحدة تسعى للبحث عن ذاتها من خلال حوارنا مع بعضنا البعض، ولكن لماذا لا نستطيع تقبل الحوار مع إيران؟ فهل المشكلة لدينا كأمة إسلامية وكعرب في نظرتنا لإيران والشيعة، خاصة وأن أغلب الأسئلة المطروحة جاءت حول الأطماع الإيرانية في المنطقة العربية، فعلى سبيل المثال كان هناك سؤال بشأن موقف إيران المتوقع إذا ما أصبح العرب دولة واحدة؟فلماذا هذا الشعور تجاه إيران برغم من أنها كانت دولة قائدة؟

المهندس عبد المعطي:

النقطة الأولى: هناك خلاف داخل الجماعة العلمية بمصر بشأن الموقف الإيراني، وهذا ما وُجد في كثير من المراكز البحثية ومنها المركز الدولي للدراسات المستقبلية، والذي لديه مشروع عن إيران.

فالنظام بوجهٍ عام يتخذ وجهة مضادة لإيران، وأرى في الوقت ذاته أنه ليس هناك جدية من الدولة الإيرانية لإحداث تقريب حقيقي، حيث إني درست موضوع التقريب على يد الشيخ شلتوت ووجدت أن الإيرانيين يستغلونه للتغلغل ونشر التشيع.

وأود معرفة رأي حضرتك في هذه المسألة، خاصة وأنك قد ذكرت أن آيات الله هم الذين يحكمون حتى على المستوى الشبعي، إلا أني أرى أن الدولة الإيرانية يمكنها أن تضبط المسألة المتعلقة بالتشييع.

إذ إن السؤال الذي يجب طرحه في هذا الإطار هو: هل الدولة الإيرانية جادة في ضبط التشيع أم لا؟فأنا كمواطن مصري أعتقد أنه يجب أن يكون هناك مشترك ثقافي بيننا وبين إيران، على أن يقوم هذا المشترك على ما نحن مشتركون فيه بالفعل، أما مسألة التشيع فهذا أمر مختلف.

ولذلك، فإني أدعو الجماعة العلمية وأدعو د. نادية تحديدًا أن يكون هناك حوار فيما بيننا كمصريين فيما يخص الشأن الإيراني بوجهٍ خاص، ثم يكون هناك حوار بيننا وبين النخب لطرح ما نختلف فيه، حيث إني لاحظت أنه إذا ما تحدثت مع الإيرانيين في النقاط محل الاختلاف فإنهم يتهربون من المواجهة ولذلك لابد من رؤية متكاملة للحوار معهم. ولكن ذلك لا ينفي وجود العديد من العلماء الإيرانيين المتنورين. وقد قرأت مؤخرًا كتابًا لأحد آيات الله يهاجم فيه معتقدات الشيعة غير الدينية في جوهرها، والتي هي ممارسات سياسية ولا أكثر ولا أقل.

لذلك فإن الأمر يحتاج إلى شجاعة وإلى مصداقية.فهل الإيرانيون لديهم رغبة حقًا في الالتقاء معنا، أم هم يسعون لأن يفرضوا علينا أجندتهم؟أما الحاجة إلى وجود رابطة استراتيجية والتحالف معهم فهذا أمر لا يُختلف عليه. ولكن يجب الانتباه إلى أنه ليس النظام الرسمي فقط في مصر هو الذي يُعارض الإيرانيين وإنما الشعور الشعبي أيضًا ضدهم نتيجة بعض الممارسات. وهذا ضار بنا نحن كمصريين.

د. شمس الدين (صيدلانية):

أولاً: كيف يمكننا التعامل مع الشيعة في ظل وجود اعتقادهم بالتقية بحيث أنهم يقولون أمور غير ما في باطنهم بحيث تظل نواياهم كما هي؟

ثانيًا– هل يمكن المواءمة بين المصلحة الوطنية المصرية والمحافظة على الإسلام السني بمصر في جانب وإحداث تقارب مع الشيعة أو إيران في جانب؟

ثالثًا– كيف يمكن التقارب مع كلٍ من تركيا وإيران في آنٍ واحد دون أن يحدث تصادم بينهما خاصة إذا حدث تضارب في المصالح؟

أ. عبد الرحمن عياش– كلية الهندسة –جامعة المنصورة:

لدي ثلاث نقاط:

الأولى– وهي خاصة بما يجري في إقليم الأهواز، حيث إن هناك حديث عن دعوات في داخل الإقليم للانفصال وتأسيس دولة عربية. فهل تسمح الساحة الإيرانية الداخلية بهذا الأمر؟

الثانيــة– فـي ضـوء مسـطرة الألـوان التـي تحـدثت عنهـا فيمـا يتعلـق بسياسـة إيـران الخارجيـة والداخليـة وهـل هـي مصـلحية 100% أم دينيـة 100%، أتسـاءل عمـا إذا كانت المساندة الإيرانية لحزب الله نابعة من اعتبارات دينية أم مصلحية لا سيما في ظل الضغوط الأمريكية التي تتعرض لها إيران؟

الثالثة– وتتعلق بالثورة الإسلامية الإيرانية ذاتها، فهل ينطبق عليها القول بأن الثورة تأكل أبناءها خاصة بعد تنحية الإصلاحيين جانبًا ونفي بعض منهم وسجن آخرين؟

أ. سمية علي – كلية دار العلوم جامعة القاهرة:

أولًا– لاحظت أن هناك مخاوف كثيرة إزاء مسألة الاختلاف الفقهي، وكذلك الاضطهاد الذي يُعانيه السنة في إيران، فضلًا عن الطموحات الإمبراطورية الإيرانية الفارسية والتوجس من محاولات فرضها بالعالم العربي. ولكني أتساءل من منطلق الرغبة في التوحد هل هناك نية إيرانية حقيقية للقيام بمصالحة مع العالم العربي؟

وبعيدًا أيضًا عن الجانب الفقهي، وعلى الجانب السياسي، هل إيران لا تقبل الاعتذار عن الإساءة للرئيس الراحل "أنور السادات"، لاسيما وأن العلاقات بين مصر وإيران متوترة إلى حدٍ ما بسبب هذا الموضوع، فلماذا لم تقم إيران بهذه الخطوة البسيطة إلى الآن؟

ثانيًا– أود أن أفهم حقيقة الموقف الإيراني– الأمريكي خاصة وأن حضرتك ذكرت أن إيران ترضى عما يحدث بالعراق بسبب حربها مع "صدام حسين" علمًا بأن "صدام" لم يقم بذلك إلا لعلمه بأن هناك خلية شيعية تخطط لاغتياله بمساعدة إيرانية.

ولكن كيف لإيران التي تصف الولايات المتحدة بأنها الشيطان الأكبر أن تصدق على سياستها بالعراق، أم هي المصالح؟

د. أسامة عبد العظيم (طبيب امتياز):

إن لدينا ثلاثة أطراف محيطة بالنظام الإقليمي العربي، وهي أقوى من هذا النظام وهذه القوة تتمثل في: تركيا وإيران وإسرائيل. وهي لديها القدرة على الاتصال بداخل النظام الإقليمي وخارجه حيث تملأ الفراغ الذي يتركه النظام العربي سياسيًّا وعسكريًا واقتصاديًّا.

ولكن ما مستقبل علاقات النظام الإقليمي العربي بإيران تحديدًا؟ هل ستميل إلى التقارب أم سيحدث مزيد من الابتعاد؟

أ. محمود بيومي – طالب بالفرقة الثانية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية:

لدي عدة ملاحظات فيما يتعلق بقضية الأقليات في إيران، إذ توجد بها أقليات في الأهوار. وبلوشستان وأذربيجان الجنوبية وتركمانستان ، وهناك تنظيم يُعرف بجبهة حق تقرير

المصير للشعوب غير الفارسية وقد تألف عام 2007 من 13 تنظيم سياسيًّا للعرب والبلوش والأذريين والأكراد.وهناك محاولات للانفصال حدثت من قبل مثل دولة المشرق العربي في الأهواز بقيادة "يونس العاصي" وفي كردستان بقيادة "قاضي محمد" وفي أذربيجان بقيادة "بيشوري".

فإيران دولة متعددة القوميات بها من 40- 45% من الأقليات. وهناك تنظيمات إلى الآن تعبر عنها مثل تنظيم "جند السنة" للبلوش وتنظيم "حزب العمال" للأكراد.

أعتقد أن فهم الواقع الإيراني لا يتأتي إلا من خلال مدخلين، هما: خصوصية المذهب الشيعي، ومبدأ ولاية الفقية. ويجب الانتباه إلى أن واقعة كربلاء لها صدى ومكانة بارزة في الفكر السياسي الشيعي والوجدان الإيراني على الأخص.

ويجب علينا أن نفرق بين شيئين مهمين، وهما إيران الدولة صاحبة سياسات البراجماتية التي يقول البعض أنها وضعت طموحاتها الإقليمية علمًا على سياستها، وبين إيران الشعب والثقافة والتاريخ.

وبالنسبة إلى موضوع الخرافات الشعبية الموجودة في المذهب الشيعي، فهناك بعض الشيوخ وبعض آيات الله مثل الشيخ "محسن الأمين" في كتابه "التنزيه لأعمال الشبيه " والشيخ "حسين بن محمد تقي الدين النوري التبرسي" في كتابه "اللؤلؤ والمرجان في أداب أهل المنبر" قد قاموا بمعالجة هذه الأمور.

ولذلك، فسؤالي في ضوء ما طرحته هو: كيف تتعامل إيران مع الأقليات العرقية والمذهبية في ظل ما يسودها من تعصب قومي؟ وكيف يمكن تفسير الخلاف بين المذهبين السني والشيعي لصالح الجماعة الإسلامية؟ وأخيرًا، أين دور العرب في العراق؟

الشيخ هاشم:

لا شك أن مسألة الشيعة مشكلة معقدة وشائكة منذ بداية نشوءها وإلى الآن، ولذلك فإني أشبهها بالقنبلة التي من سهل إذا أردت لها أن تنفجر نزعت الفتيل وإذا أردت أن تدعها تركت الفتيل.

ولا شك أنه كما قال الله عن أهل الكتاب: "ليسوا سواء" فإن الشيعة أيضًا ليسوا سواء. فمنهم الطوائف المعتدلة القريبة من أهل السنة ومنهم الطوائف الوسط أصحاب البدع ومنهم أيضًا غُلاة الشيعة الذين قد يصلون إلى حد الكفر. وذلك يجب الإقرار به حتى نكون منصفين عند تقيمينا للشيعة.

وأيضًا، لا شك أن للشيعة أجندتهم الخاصة ولهم كذلك أطماعهم وأن لهم رؤيتهم، كما أنه لا شك في أنهم يعلمون على نشر المذهب الشيعي والتغلغل. وقد رأيت ذلك بنفسي سواء في خارج مصر أو في داخلها.

ولذلك، فإننا كأهل السنة لا نود أن يخترق الفكر الشيعي الجدار السني. ولكن إذا كان الله سبحانه وتعالى قد تحاور مع الشيطان في القرآن الكريم، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ذكر الحوار بين سيدنا إبراهيم وبين النمروذ، وبين سيدنا موسى وبين فرعون، توضيحًا لكيفية تحاور الأنبياء مع مخالفيهم، وإذا كنا نحن بالأمس ذهبنا إلى المعسكر الشرقي عندما كان الاتحاد السوفيتي يمثل الشيوعية بكل إلحاد وكفر والآن نتجه إلى الغرب بكل ما فيه لنستفيد منه في بعض الأشياء، إذا كان كذلك يصبح السؤال المطروح: كيف نستفيد من الخبرة الإيرانية مع الحفاظ على هويتنا في ظل العجز والشلل العربي؟ وفي مقابل ذلك أيضًا ما الذي يمكن أن يحدث إذا تركنا الأمور كما هي ودون الانطلاق من رؤية حضارية لمعالجة هذا الموضوع؟ أيضًا ألا نخشى من استخدام المشروع الصهيوني للشيعة بالإضعاف السنة والعكس؟

أ. ربيع أحمد- الفرقة الثالثة علوم سياسية –أسيوط:

حسبما ذكر د. أذرشب على لسان د. نادية فإن الحضارة الإسلامية كان أساسها التعارف والتبادل بين الإيرانيين والعرب، ولكن بعد سقوط هذه الحضارة حكم هذه العلاقات الانغلاق.

والآن كيف يمكن إعادة التعارف والتبادل في ظل انتشار السنة في البلاد العربية وعلى العكس انتشار الشيعة في إيران، لاسيما وأن الشيعة –كما ذكرت- ليست مجرد عادات وتقاليد وإنما أيديولوجية ورؤية سياسية. وإن كنت أشعر أن الطرفين ليس لديهما صدق في تطوير علاقاتهما وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد: آية 11).

د. محمد الشريف: طبيب امتياز:

لدي سؤالان باختصار شديد، وهما:

الأول: في ظل استغناء إيران عن التبعية للولايات المتحدة بل والعداء لها، أين تقف إيران على سلم النهضة مقارنة بمصر التي لها تبعية للولايات المتحدة؟

الثاني: هل ترى في العقود القادمة ارتفاعًا لمنحنى الحضارة الإسلامية لدى تركيا وإيران في مقابل انخفاض لدى العرب حيث ما نراه من صعود في إيران وتركيا، في حين أننا في نفس الوضع إن لم نكن في تراجع. وبالتالي، يكون من المتوقع أن تحدث نهضة إقليمية ولكن من خارج الوطن العربي؟

تعقيب د. محمد السعيد إدريس:

الأسئلة مهمة وحقيقةً أنا سعيد بها جدًا، حيث إنها تقول أننا بالفعل أمام إشكالية كبيرة يجب أن نتعامل معها بوعي.

وأشعر من الأسئلة أن هناك حالة من التوجس من الشيعة والتشيع لدرجة قد تدفع للقول بأن السنة هشة جدًا ويُخشى عليه من الاختراق، وهذا ما لا أستطيع كسني استيعابه، فهل بمجرد أن ألتقى بشخص سني اليوم وأتحدث معه عن الشيعة سيتحول في الغد إلى شيعي؟ فإذا كانت الشيعة فكر قوي ومقنع إلى هذا الحد فلا شك أنها ستسود. ولكن الحقيقة أنه إذا حدث ذلك مع شخص ما فهذا يعني أن إسلامه هش ولا يعلم شيء عن السنة أو الشيعة.

ولا أود أن أضع العلاقة بين إيران والعرب وخاصة مصر في إطار كونها علاقة بين سنة وشيعة لأن هذا أمر هناك محاولات لفرضه علينا. فالعلاقات بين إيران ومصر لم تكن أبدًا على هذا النحو، كما لم يكن الدين أساسًا للعلاقات الدولية على الإطلاق وإلا فهل الدين أساس العلاقات بيننا وبين إسرائيل؟ وهل نحن يهود إذن؟ وهل الصراع العربي–الإسرائيلي صراع ديني أم سياسي؟

يجب أن ندرك أن هناك "فخ" يسمى بالحرب المذهبية وقد أشار أحد المتدخلين إلى إمكانية استخدام الشيعة لإضعاف السنة والعكس من قبل المشاريع الخارجية.

والحرب المذهبية سلاح خطير جدًا، فالعراق مثلًا، تعاملنا معه على أنه العراق وفقط بينما الآن أصبح هناك العراق الشيعي والعراق السني. وهذا هو المطلوب.

كذلك فإن إيران شيعية منذ أمدٍ بعيد، ولكن لم يتزايد الحديث عن هذا الأمر إلا مؤخرًا. فإذا ما قمت بتتبع تاريخ العلاقات المصرية –الإيرانية سنجد أن في العصر الملكي كان هناك تقارب شديد بين البلدين لدرجة المصاهرة، حيث تزوجت أخت الملك فاروق"محمد رضا" شاه إيران ، وقد كان الإيرانيون حينها شيعة. إذن ما هذا الهوس المطروح الآن؟!

الصراع المصري–الإيراني في الخمسينيات والستينيات قام على أسس سياسية واستراتيجية، وليست أسس دينية ومذهبية.

ولكن هل هذا مكر التاريخ لئلا تلتقي مصر وإيران نضاليًا، حيث عندما كانت تقود مصر النضال العربي والعالمي ضد الولايات المتحدة وإسرائيل كانت إيران حليفة لهما، وعندما بدأت إيران تقود النضال ضديهما أصبحت مصر حليفة لهما.

لذلك، فإني ومن هذا المكان العريق وهو كلية الاقتصاد والعلوم السياسية أؤكد على ضرورة تدبر ووعي مسألة التقسيم ما بين سنُّة وشيعة والتساؤل من أين جاءت؟ ولماذا إزدادت حدتها؟

فعلى سبيل المثال، عندما يُقال عند تناول القضية اللبنانية أنها قضية سنة وشيعة وأن سعد الحريري هذا الشاب الصغير هو زعيم السنة في لبنان، فإننا يجب أن نتساءل كيف ذلك وهو وأبيه رفيق الحريري في الأصل سعوديان؟

ففي الحقيقة إن الأمر ليس كذلك لأن الصراع في حقيقته صراع سياسي واستخباراتي، إلا أننا الآن أصبحنا في معركة الحروب الدينية والطائفية.

وبالتالي، علينا عند التعامل مع أي من القضايا التعامل معها بوعي وحرص شديد.لذلك، تعمدت أن أكون خلافي في محاضرتي بعكس د. أذرشب، وهذا حتى يكون بيننا حوار جاد وعلاقات عربية–إيرانية حقيقية قائمة على أسس صحيحة، فلكي تتأسس علاقات حقيقية بين العرب والإيرانيين والعرب والأتراك لابد أن يكون ذلك على أساس من المصارحة من الجانبين.

أما المسألة الدينية والطائفية، فأكرر أنها دخيلة على الأمة لتفكيكها ومثال ذلك مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي غايته تفتيت الأمة على أسس مذهبية وطائفية وعرقية.

وهناك كاتب أمريكي أعتقد أنكم تعرفونه جيدًا وتقرأون له وهو "توماس فريدمان" قد كتب في مقال له كيف أن الأمريكيين بدأوا يتحدثون عقب تفجيرات واشنطن ونيويورك في سبتمبر 2001 عن "الدولة الفاشلة" حيث يرون أن الإرهابيين الذين قاموا بهذه التفجيرات جاءوا من دول فاشلة مثل مصر والسعودية وغيرهما. فهم قاموا بهذه العملية ليس كرهًا في الولايات المتحدة التي تعاون إسرائيل على ضرب الشعب الفلسطيني وإنما لأنهم جاءوا من دولة فاشلة وعاجزة عن إشباع الحاجات الأساسية السياسية والاقتصادية والثقافية.

ورأوا أيضًا أن سبب عدم الاستقرار في الدول العربية داخلي وليس إسرائيل، وأن فرنسا وبريطانيا قسموا المنطقة ووضعوا الحدود بين دولها كان ذلك وفق مصالحهما وليس مصالح دول وشعوب المنطقة، حيث أصبح داخل حدود الدولة الواحدة أقوام ومذاهب متعددة، وبالتالي لكي يتحقق الاستقرار الحقيقي، هناك حاجة لإزالة هذه الحدود وتأسيس دول متجانسة مقامة قوميًا ومذهبيًا، وهذا هو الهدف لتقسيم العراق إلى أربع أو ثلاث دول وكذلك مصر كما يخطط إلى تقسيم السعودية إلى خمس أو ست دول وإيران إلى سبع دول.

وهذه الأمور ليست مجرد كلام وإنما هي مخططات حقيقية لابد وأن أكون واعي لها وليس ذلك من قبيل ما يسميه البعض منهج تآمري، وإنما هي خطط مكتوبة ومنشورة بالفعل، والخرائط المقترحة متاحة ومنشورة أيضًا.

كما أن كلام "كوندليزا رايس" كان واضحًا في هذا الصدد. ذلك فضلاً عن أن إيران يجب أن تكون العدو. وكنت قد كتبت دراسة في مجلة "السياسة الدولية" حول المشروع الإيراني في العراق وما يجري بها من مذابح ولكن لنكن صرحاء فمن الذي قام بغزو العراق ومكن إيران من الدخول إلى أراضيه، إنهم الأمريكيين، وأيضًا من الذي فتح أرضه للأمريكيين لدخول العراق؟

إنهم العرب.فهم لم يدخلوا العراق من الأراضي الإيرانية أو التركية، وإنما من الدول العربية.فكيف إذن نعيب السياسات الإيرانية؟

إننا يجب أن نرى أنفسنا أولاً فماذا فعلنا نحن للعراق؟ أو لنقل ماذا فعلنا نحن بالعراق؟ فالمقاومة العراقية هي المقاومة الوحيدة التي توصف بأنها إرهاب يقتل الشعب العراقي، في حين أننا إذا ما نحينا "القاعدة" جانبًا، سنجد أن هذه المقاومة الحقيقية هي التي قتلت الأمريكيين الذين عادوا إلى بلادهم في نعوش وسببت إصابات جسيمة في الجيش الأمريكي وجعلته عاجزًا عن أن يقود حرب ثالثة، حيث صرح رئيس الأركان الأمريكي بأن الجيش الأمريكي لم يعد بإمكانه الآن خوض حرب جديدة بإيران، إذ إنه حتى من يعود منه إلى الولايات المتحدة ليس بمقدوره المشاركة في حروب أخرى لما أصابهم من أمراض نفسية وعصبية مهولة جراء ما رأوه من المقاومة العراقية التي لا يعترف بها أو يدعمها أي نظام عربي، في حين يصفونها بالإرهاب، وهذا الوصم للمقاومة إنما يحرم الشعب العراقي من آدميته وحقه في المقاومة بالرغم من أن أي دولة تُحتل من حقها أن تتحرر وأن تستقل. وتعني هذه الأقاويل أيضًا أن الشعب العراقي غير جدير بالمقاومة وبالحرية، وهو الشعب الذي استطاع أن يُفجر المقاومة في خلال أيام من الاحتلال، ولكن لنعلم أن هذه المقاومة والقوة المقاتلة هي الجيش العراقي وأن ليست جميعها إرهاب، بل إن الإرهاب والجرائم التي ترتكب ضد المدنيين معروف مصادرها الممثلة في فرق الموت التي صنعتها كل من الولايات المتحدة وإسرائيل والمرتزقة الذين يقاتلون في العراق بالآجر حيث تفجر الشركات المستأجرة مساجد الشيعة وتدمرها كي تتهم فيها السنة، وكذلك تفجر مساجد السنة كي تتهم بها الشيعة، وبالتالي تتفجر الحرب داخل العراق.

ورغم كل ذلك يستمر عدم اهتمام النظم العربية بالمقاومة في العراق، بل ويتحدث السيد الأمين العام للجامعة العربية في أربيل عن "العراق الجديد"، ولكن أي عراق جديد هذا، إنه العراق المحتل والحكومة العميلة التي تتكون من أربعة أطراف اثنان منهما شيعة تربوا في أحضان إيران والآخرين أكراد تربوا في أحضان الولايات المتحدة.وفي ظل كل هذا لا وجود لأي دور عربي.

وأما عن الدور الإيراني، فنعم هناك دور واضح لإيران، بل أنها تكون مخطئة إن لم يكن لها دور، لاسيما وأن لديها قدرات تمكنها من ذلك وحيث إن الهجوم خير وسيلة للدفاع. وهذا ما تقوم به تركيا أيضًا بينما نحن خائفون.

نحن كعرب انتهى دورنا بكامب ديفيد، والتي لم تكن تُعني فقط بالحرب والسلام، وإنما تعني بأن تقبل مصر بما لم يقبله "جمال عبد الناصر" ومن قبله "محمد علي" قام به "السادات" بحيث تصبح مصر داخل حدودها وفقط ولا علاقة لها بما يجري حولها.

فعندما طُرِحت مسألة فتح قناة السويس لتمر بها السفن الأمريكية لغزو العراق وقيل كيف لمصر أن تسمح بذلك، قيل على الجانب الآخر أننا لا يمكن أن ننحي اتفاقية القسطنطينية،

ولكن أين اتفاقية الدفاع العربي المشترك التي بموجبها لا يحق للولايات المتحدة أن تمر بقناة السويس.

وبالتالي، أصبح لا دور لنا كعرب في حين لإيران دور واضح، حتى أننا نتحالف مع عدونا في الوقت الذي نعلن فيه خوفنا من الثقافة الشيعية ونرفض إقامة علاقات مع إيران ولكن كيف نخشى ثقافة إسلامية ونفتح مركز ثقافي للصهيونية.

فنخاف التشيع ولا نخاف إسرائيل، ولكن ما التشيع؟ وأين الأزهر وأين فقهاؤنا ليقولوا ما الإسلام الحقيقي؟ فلماذا لا يتحدث أساتذة الفقه المقارن عن التشيع حتى لا نأخذ معناه من الشارع والمثقفين الشعبوبين، وبعضهم ممول لتمزيق الأمة بين سنة وشيعة حتى أن الفضائيات تُستخدم في ذلك، فيتم التكفير والشيطنة فيما يُعرف بالشيطان الشيعي؟

وفي ذات الوقت، أؤكد أن هناك تجاوزات من أهل الشيعة ممن يُعدون خارج الإسلام بما يفعلونه من تشويه للإسلام على نحو لا يُمثِل هذا التشيع، حيث قوله تعالى: (**لَيْسُواْ سَوَاء**)(آل عمران:113) فليس السنة سواء وليس الشيعة سواء، وليس المسلمين سواء، وليس البشر سواء.ولهذا، فيجب أن يكون هناك فرز ووعي.

وعن العلاقات المصرية–الإيرانية، فهل هي متوترة لأسباب دينية؟ وهل النظام المصرى حامي حمى السنة والإسلام؟ ولماذا الموقف إذن الرافض للحركات الإسلامية وللإخوان المسلمين ورفض تكوينهم حزب؟ فالأمر ليس لأسباب دينية كما أنه لا يتعلق بموقف إيران إزاء اغتيال "أنور السادات".فالعلاقات المصرية–الإيرانية قُطِعت بقرار إيراني عقب اتفاقية "كامب ديفيد".حيث ذهب "ياسر عرفات" باكيًا إلى الإمام "الخيمني" لأن مصر ستوقع اتفاقية سلام مع إسرائيل وإذا ما حدث ذلك سينهار الأمر ولن تصبح القضية الفلسطينية قضية مركزية، إذ إن كل العرب سيتهجوا نهج مصر.وبالتالي، فما الحل ؟هنا قال له "عرفات" إن إيران يجب أن تقوم بخطوة ولو أن تهدد مصر بأنها إذا ما وقعت اتفاقية سلام مع إسرائيل فإنها ستقطع علاقتها معها، حيث لا يليق بجمهورية إسلامية أن تقيم علاقات مع دولة توقع اتفاقية سلام مع إسرائيل.وعليه فقد كان قطع العلاقات مع مصر بسبب "كامب ديفيد".

وبالتالي فهل العلاقات بين الدول تتأثر بكون إيران لديها شارع يسمى "خالد الإسلامبولي" وبه صورته؟ إن دولة الإمارات لديها ثلاث جزر محتلة سلمتها بريطانيا بل والسعودية أيضًا لإيران. ولنكن أكثر صراحة ففي كتابي "النظام الإقليمي الخليجي" وثيقة عن لقاء الشاه بالملك فيصل حول البحرين والجزر مفادها الاتفاق على توقف حديث "الشاه" بالنسبة للبحرين في مقابل أخذ الجزر، وبالرغم من ذلك فإن الميزان التجاري بين الإمارات والبحرين يصل حجمه إلى 14 مليار دولار.

وأقول هذا الكلام علمًا بأني رجل قومي أرى أن الجزر الإماراتية لا تقل شرفًا وعظمة عن فلسطين، فكل حبة تراب عربية لها نفس المكانة بالنسبة لي، فلا أميز بين مصر والسودان أو الأردن أو الجزيرة أو المغرب.

ثم أقول أيضًا أني كرجل مسلم أؤكد أن أرض الإسلام جميعها فوق رءوسنا أي أنه لا يمكن أن نفرق فنقول بين الأرض الفلسطينية غالية بينما الجزر الإماراتية الثلاث رخيصة.

ولكني أقول أيضًا أنه يجب أن يكون هناك وعي سياسي وإدارة، والدبلوماسية تدار لإدارة المصالح، بينما قطع العلاقات لا يحقق شيء، ولكن إقامة العلاقات وتطويرها والحوار والخلاف والمناقشة تحقق المصالح. فأن أقول أنه لا يجب قطع العلاقات مع إسرائيل رغم كل ما تقوم به من جرائم ضد الشعب الفلسطيني، فذلك لأن قطع العلاقات لن يمكن من حل المشاكل معها. فيجب إذن أن أقيم علاقات مع إيران حتى تحل المشاكل العالقة حيث إن هذا البعد لن يحلها.

وأتكلم هنا من منطلق مصلحة وطنية كاملة وكمصري صميم إذ أرى أن من مصلحة مصر الوطنية ألا تقطع علاقاتها مع إيران، فإذا كنت أقمت علاقات مع إسرائيل، كيف إذن أن أكون الدولة العربية والإسلامية الوحيدة التي لا علاقات لها مع إيران؟

ونأتي للحديث عن الجانب الآخر وهو إيران، إذ إن إيران بالفعل يجب أن تكون واعية، حيث إني مع الإخوة القائلين بأن من يقوم بالتشيع ليسوا مجرد جمعيات ثقافية مستقلة أو بعض آيات الله بعيدًا عن هيمنة الدولة؛ لأن الدولة هناك قوية ولذلك فإن الدولة الإيرانية عليها مسؤوليات وعليها أن تضبط أجهزتها وتحترم سيادات الدول وألا تتدخل فيها.

ومن منطلق سياسي، فإننا كنا نتباهى بأن في مصر لا توجد مسألة السنة والشيعة حيث جميعنا سنة، ولكن لا أود الآن أن أقول أنه للأسف أصبح هناك شيعة. وهذا التباهي كان من منظور الوحدة الوطنية المتكاملة وأننا مسلمون حقيقيون لا نعرف الفرق بين سنة وشيعة ولا ندخل في هذه المسائل كمصريين.

ولكن من منطلق سياسي أيضًا، فإن الأمر يختلف عندما يبدأ اعتناق التشيع ويستخدم كأحد أدوات ووسائل الضغط السياسي بأن أبدا في خلق أقلية لي داخل الدولة لتستخدم لتحقيق مصالحي وتضغط على صانع القرار في الدولة كما هو الحال في البحرين التي شيعتها هم شيعة إيرانيين متجنسين، وكذلك شيعة الكويت التي أيضًا شيعتها عبارة عن شيعة عرب وشيعة إيرانيين متجنسين. حيث إن هذه المجموعات الشيعية في الخليج أصبحت منذ صعود الشيعة القوى في العراق أكثر تحركًا وعلا صوتها، وإن كنت هنا أود أن أشير أن هذا كان أيضًا نتيجة عدم حصولها على حقوقها، فالتشيع في ظل الدولة العراقية كان مقهورًا، وقد كان قتل السيد "محمد صادق الصدر" وأخته على أيد "صدام حسين" كبيرة من الكبائر لأنه كان فلته من فلتات العلم الإسلامي.

وما يحدث عامة يؤكد أن الشيعة في الدول العربية مضطهدون وكذلك السنة في إيران.

وبالتالي، أؤكد أنه يجب أن يكون هناك احترام لمعتقدات الناس، فإن كنا نتعرض لضغوط من الأمريكيين تحت مسمى الحرية الدينية لحذف اسم الدين من البطاقة وأن يكتب المولود باسم والدته وأن يصبح التنصر متاحًا وأن نزوج المسلمة مسيحي وتتزوج المسيحية مسلم وغير ذلك من الأمور التي يطالب بها تقرير الخارجية الأمريكية جميع الدول العربية، فبناءً على ذلك، من باب أولى إعطاء مساحة من الاحترام المتبادل لمعتقدات الناس.

ومن مآخذنا أيضًا على إيران، أنها يجب ألا تتدخل في الشؤون الداخلية من منطلق استخدام مسائل مذهبية وألا تُغذيها. وأن تتوقف عن التدخل في العراق إذ ليس من حق الإيرانيين أو غيرهم من الأمريكيين التدخل في شؤونه.

فنحن نرفض الاتفاقية الأمنية الأمريكية العراقية أو أي تدخل في شؤون العراق، مع ضرورة وجود دور عربي يملأ الفراغ في العراق –وليس دور إيراني– ليستقل ويصبح عراقًا موحدًا يعود إلى جسد الأمة مرة أخرى.

وبالنسبة إلى الأوضاع الداخلية في إيران، فنعم هناك أقليات وهناك تخطيط أمريكي كثير على هذا الأمر، حيث هناك 100 مليون دولار مخصصة من الكونجرس الأمريكي لما يسمى التفكيك الداخلي في إيران.

أيضًا نعم هناك اضطهاد حدث لعرب الأهواز بإيران، فهذه المنطقة بها تجاوزات شديدة من النظام الإيراني الحاكم على غرار ما قام به "ستالين" حين كان يحل المشكلة القومية عن طريق توزيع القوميات في الجمهوريات السوفيتية المختلفة حتى لا تقوم دول قومية مستقلة.

وهذه التجاوزات الشديدة من النظام الحاكم في طهران تأتي بالرغم من أن منطقة الأهواز هذه تحوي معظم الثروة النفطية الإيرانية.

فهذه المنطقة التي ضمت إلى إيران عقب الحرب العالمية الأولى مباشرة أو ضمن تسويات الحرب العالمية الأولى هي منطقة الثروة الإيرانية الحقيقية، والشعب الأحوازي كان يجب أن تُحترم معتقداته وقوميته، وهم للعلم عرب شيعة أي أنهم وإن كانوا متفقين مع الإيرانيين في التشيع. إلا أنهم عرب يُميزوا ويقع الضغط عليهم.

وبناء على ذلك، أرى أنه يجب لمواجهة الدعوات الانفصالية أن يكون هناك احترام لحقوق الناس فتكون هناك دولة ديمقراطية حقيقية ومواطنة حقيقية ليست مذهبية أو عرقية حماية للتجانس والتماسك الوطني الداخلي للدولة الإيرانية.

الشيء ونفسه بالنسبة لنا، فيجب أن يكون لدينا رؤية الحماية التماسك والنسيج الوطني من خلال عدم اضطهاد لا للمسلمين الشيعة أو المسلمين السنة أو الأكراد أو المسيحيين أو أي

طائفة، وعدم التمييز بناءً على اللون أو العرق، وإنما يكون هناك مواطنة تصبح أساس الاستقرار في كل دولة من الدول.

أيضًا نعم هناك معاناة داخل إيران وهناك انقسام سياسي شديد بها.

كذلك أشرت بالفعل إلى أن هناك تشيع عربي وآخر فارسي. والتشيع الفارسي هو خليط بين المذهب والثقافة وما يميزه هو الجانب الثقافي الإيراني الذي يضاف إلى المذهب يتمثل ذلك فى العادات والتقاليد الإيرانية.

فعلى سبيل المثال، نجد أن العيد الأبرز في إيران والأهم من عيدي الفطر والأضحى هو عيد "النيروز" الذي يعود إلى ما قبل الإسلام وهذا العيد يحتفل به تقريبًا في كل وسط آسيا وهو قريب من "شم النسيم" لدينا، إلا أن هناك تأخذ الدولة إجازة ما يقترب من واحد وعشرين يومًا للاحتفال به، وهذا إذن من مظاهر الثقافة الوطنية الإيرانية.

و فى لإيران هناك من يتحدثون عن الإسلام وعن القدس وعن الشهادة. ومن الكلام الذي قيل أن الإمام "الخميئني" كان على يقين بأن الإمام قادم، وهذا الإمام هو الإمام "محمد بن الحسن" وهناك يقولون أنه وُلدِ وعاش وكبر وأنه في شيءٍ ما قريب من السيد "المسيح" في معجزته، حيث إنه كما أن "المسيح" رُفِع إلى السماء ولم يمت وسيعود مرة أخرى، يرون أن "محمد المهدي" موجود وسيظهره الله سبحانه وتعالى في اللحظة التي يريدها، وأن المعركة الحقيقية للإسلام سيقودها "الإمام" وسيكون و"المسيح" أحد جنوده فيها وستطهر أرض فلسطين من الدنس اليهودي وهي معركة تاريخية.والإيرانيون يعيشون هذه المسألة على نحوٍ جدي، فنجد أن أهم شارع بطهران هو شارع "ولي العصر" الذي هو الإمام.وعندما يظهر الإمام ستكون هناك دولة وجيش وقوات لتتكون "دولة الإمام" عند ظهوره، والتي يجب لها السلاح وتجب لها القوة.

وفي هذا الإطار، يمكن تسكين تصريحات الرئيس الإيراني "محمود أحمدي نجاد" عن زوال إسرائيل، فهو لا يقصد أنه هو الذي سيزيلها وإنما يقصد أن الإمام قادم واقترب ظهوره، وهو الذي سيزيل إسرائيل، أيضًا هو حين يرى أن إسرائيل زائلة لا محالة يتحدث عن ذلك في ضوء تنبوءات وأحاديث نبوية بهذا حول قراءة أول آيات سورة "الإسراء" فقوله تعالى: ﴿ **جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** ﴾ (سورة الإسراء: آية 104) والمقصود هنا الظهور الثاني لدولة إسرائيل، حيث هذا التكوين الثاني الناتج عن هجرة اليهود من كل صوب، وقد علمت أن هناك يهود عراقيين بكوا عند إعلان دولة إسرائيل إذ قالوا: "إن هذه النهاية فنحن نتجمع كي نموت ونفنى".

وبالتالي، فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعيش هذه الرؤية، حتى أن الشيعة أحيانًا لا يصلون الجمعة لأن الإمام غير موجود.

علـى جانـب آخـر، أريـد أن تتأكـدوا أن إيـران دولـة طبيعيـة مليئـة بالصـراعات ومليئـة بالتوافقات، فهناك انقسام شيعي داخل إيران وخارجها حول "ولاية الفقية" التي هي إبداع الإمام "الخمئني" بحيث تكون هناك وحدة الإمام ووحدة الولاية، وتستمر ولاية الفقيه إلى أن يأتي الإمام وبالتالي، فإن الإمام هو الذي يحكم.

ولذلك، أشير في هذا الإطار إلى الفكر الإسلامي وأعمال د. نادية، وهناك أيضًا طالبة ممتازة هي عزة أحمد المنيسي التي قامت بعمل عن المرأة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وعن طريق القيام بنوع من التحليل المقارن بين مجموعة من مفكرين في إطار اختبار مدى الديمقراطية في الفكرين السني والشيعي، تأكد كيف أن الفكر السني أكثر رحابة من الفكر الشيعي، فمن الممكن أن تعارض الحاكم وتخرج عليه، بينما عندما يكون الحاكم هو الإمام وهذا الإمام معصوم فإن الأمر يختلف.

وهنا من المهم الإشارة إلى أن هناك انقسام حول ولاية الفقيه داخل إيران، فحديث الرئيس الإيراني السابق "محمد خاتمي" في الانتخابات والمتعلق بالتساؤل حول "لمن الحاكمية؟" وما إذا كانت للولي الفقيه للسيد "علي خامئني" أم للشعب الإيراني؟ هو دليل على ذلك.

وإيران دولـة ديمقراطيـة وقويـة تشـهد انتخابـات وصـراعات سياسـية، تضـم مختلـف التيـارات والاجتهادات وتقوم ببناء نفسها وهي مدركة لحقوقها جيدًا وتصر عليها. فبالرغم أنها حوصرت منذ عام 1979، إلا أنها بنت قوة عسكرية كبيرة وتنتج سلاحها، وهي أيضًا دولة تُصنِّع وتأكل من ثمارها. ذلك في حين أن الدول التي تحالفت مع الغرب قد فقدت استقلالها، فلم تعد تصنع شيء، بل أصبحت تابعة في كل شيء فلا تأكل مما تزرع، ولا تلبس مما تصنع، وليس لديها استعداد لتخوض حربًا.

وقول "إيهود أولمرت" منذ أيام بأنه إذا ما حصلت سوريا على صواريخ من روسيا فإنه سيوجه ضربة عسكرية إليها؛ لأن ذلك إنما يعني اختلالاً في موازين القوى، إنما يدل في حقيقته على أن كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة لا يقبلان بأن تكون هناك دولة عربية لديها سلاح قادر على الدفاع على النحو الذي يمكن هذه الدولة من الدفاع عن نفسها في حالة أي هجوم إسرائيلي عليها؛ فما بالكم إذن بسلاح الهجوم؟ وهنا يُطرح سؤال آخر حول مصير المليارات بل آلاف المليارات التي اشترينا بها نحن العرب أسلحة؟ ولماذا إذن اشترينا هذه الأسلحة؟ ومن سنحارب به؟

في الحقيقة، إن هذه الأسلحة التي نشتريها هي أسلحة أمريكية لا تصلح للدفاع، خاصة إذا كان الهجوم إسرائيليًّا، في حين أن سوريا ممنوعة من شراء أسلحة من روسيا لأنها أسلحة قادرة على الدفاع.

وهذه الأمور يجب أن نفكر بها ونعيشها جيدًا حيث إن إيران المحاصرة تعمل الآن في مجال الغواصات، كما صنعت صاروخ فضاء آخر بخلاف صاروخ "شهاب –3" الذي تجاوزت حدوده الدولة الإسرائيلية.

لذلك أرى أن علينا أن نتروى في النقد والهجوم والقول بأن إيران دولة شيعية، إذ إن إيران دولة وهي كغيرها من الدول لديها دور وسياسات بغض النظر شيعية كانت أم لا. وإيران في العراق كدولة تستخدم المذهب كما تستخدم كافة الأسلحة من مخابرات وغيرها بهدف خلق مناطق نفوذ.

وفي هذا الإطار، إذا ما تساءلنا لماذا يذهب الأمريكيون وحلف الأطلنطي ليقيموا درع صاروخي على حدود روسيا ببولندا والتشيك؟ وأيضًا ما الذي أتى بالأمريكيين إلى دارفور؟ سنجد أن الهدف كذلك هو خلق النفوذ.

إذن، فالمسألة برمتها هي صراع حول مناطق النفوذ والمصالح والنفط والاقتصاد. منذ أيام تم الكشف عن صفقة بين "ديك تشيني" و"هليرتون" حول غزو العراق مفادها تمكين الأول لشركة الثاني من السيطرة على نفط العراق وغير ذلك من الفضائح والرشاوي.

وأود أن أقول لحضراتكم أن هذه هي السياسة حيث الدول والصراع والنفوذ والمصالح، وهذه هي أيضًا أساليب إدارة السياسة وإدارة العلاقات وهي مليئة بالمشاكل ومليئة بالتحديات، إلا أنه يجب أن تكون هناك مشروعات بديلة لدينا حيث إننا الآن في صراع، إذ هناك أربع قوى إقليمية هي: (الإيرانيون، العرب، الأتراك، الإسرائيليون)، الأطراف الثلاثة غير العربية منها لديها مشروعاتها ومخططاتها بينما الطرف العربي ليس لديه أي مشروع بل إن نظامه يتفكك ويتفتت.

د. نادية مصطفى

شكرًا د. محمد، في الحقيقة كان لدي العديد من النقاط ولكن ضيق الوقت لا يسمح لاستعراضها، أما أسئلة المشاركين فهي كانت بالفعل كاشفة عن اتجاهات الرأي العام المصري تجاه إيران. وفيما يتصل بهذا فقد قال أ. محمد كمال كلمة جيدة، حيث التساؤل حول متى سيشعر العربي أو المسلم أن أي مكسب أو أي عنصر قوة يحققه أي طرف عربي أو مسلم هو مكسب له.

حيث إنه طالما نشعر أن هذه العناصر هي مصدر تهديد لنا وليس قوة، فإن هذا يدل على أن هناك أمور أخرى تتدخل تجعلنا تنتقد ما لدى إيران في حين أن لدينا ما هو أسوأ منه بكثير وأوله تقاعسنا عن القيام بأي دور ولو دور دبلوماسي. والأمر الأخطر أن يتحول التنافس وهو أمر طبيعي بين القوى الإقليمية وحتى المنتمية منها إلى حضارة واحدة، إذ إن هذه سنة ولا يمكن تصور ألا يكون هناك قوى متعددة وألا يكون هناك تنافس، فالأهم هو كيف يُدار التنافس، فهل يُدار من داخل الدائرة وفي صالح الدائرة ككل؟ أم هناك تأثيرات وتدخلات خارجية بحيث إن

التنافس الذي هو أمر طبيعي في ظل التنوع وفي إطار التعدد يتحول إلى تضاد وصراع يأتي على الجميع معًا؟

فإذا درسنا تاريخ العلاقات الإسلامية- الإسلامية خلال الأربعة عشر قرنًا سنجد أنه منذ ثلاثة قرون سواء تعلق الأمر بالعلاقات العثمانية-العربية، العثمانية-الصفوية، أو الصفوية-المصرية وحتى في أشكالها الحديثة تزداد تدهورًا وتتحول من تنافس كان قائمًا في القرون الهجرية الأولى وفي ظل الدولتين الأموية والعباسية -حيث كان هناك مراكز قوة تتنافس في ظل الخلافة الواحدة تنافسًا طبيعيًّا ومتوقعًا- إلى صراع وتضاد، ولكن لماذا؟

أرى -باعتباري أستاذة علاقات دولية- أن هذا نتيجة التدخلات الخارجية على نحو جعل من الدول والأقوام المسلمة أدوات في إدارة الصراع الدولي الأكبر ووضعهم أمام بعضهم البعض.

لذا، فإننا إذا ما ظللنا ننظر بمناظير ضيقة وطنية للمصالح سنستمر في هذه الدائرة. وقد قال د. محمد كلمة مهمة في هذا الإطار تحتاج إلى الكثير من النقاش -وإن كان لا مجال الآن للنفصيل بشأنها- ألا وهي المتعلقة بمسألة الثنائية بين ما إذا كنت أخدم الإسلام أم أخدم المصالح الوطنية والتي أشار إليها أ. عبد الرحمن أيضًا.

وهذه قضية مهمة جدًا إذ يتم التعامل مع تلك الثنائية على نحوٍ يجعل الأمر يبدو وكأن المصالح الوطنية إذا خُدِمت لابد وأن يكون ذلك ضد الروابط والمصالح الإسلامية المشتركة، في حين أن التناول الصحيح لهذه القضية يكون بالبحث في متى وكيف تجعل الدولة مصالحها الوطنية تعود بالنفع والخير على بقية أرجاء الأمة؟ وكيف وهي -الدولة- تأخذ قرار لمساندة قضايا الأمة ترى فيه دعمًا لمصالحها الوطنية؟

فحين قررت مصر أن تقطع دبلوماسيتها وسياستها تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي عن دائرتها العربية وتقوم بعقد صلحٍ وسلامٍ منفرد مع إسرائيل مظنة أن هذا يخدم المصالح الوطنية المصرية، كان هذا بداية التدهور في المصالح الوطنية المصرية ذاتها.

فالمهم إذن، هو كيف ننظر إلى العلاقة بين المصالح الوطنية والقومية ومصالح الدائرة الحضارية. وهذه قضية في منتهى الخطورة يجب أن نقيس عليها سياسات إيران وقبلها سياسات الدول العربية ذاتها، قبل أن نشرع في تأييد هذا أو الهجوم على ذاك.

خبرات مداخلات الطلبة الأتراك والإندونيسيين

د. نادية مصطفى:

بسم الله الرحمن الرحيم، أهلا بحضراتكم في اليوم الأخير من دورة التثقيف الحضاري في جولتها الرابعة بعنوان: "ثقافات متنوعة في حضارة جامعة".

فهذا هو نهاية المطاف بعد بدايةٍ خاصة وعبر مسارٍ ممتد لمدة أربعة أيام وصولاً إلى اليوم. وأنتم تتذكرون أن مكونات هذه الدورة كانت عبارة عن محاضرة افتتاحية ألقاها د. محمد عمارة، وأصل فيها لمفهومي التعدد والتنوع في الرؤية الإسلامية على ضوء التأصيل القرآني وخبرة السنة النبوية الشريفة، وما نسميه النسق القياسي في الممارسة في فترة الخلافة الراشدة بالأساس. وانتقلنا بعد هذا في جولات مع خمس نماذج وخبرات ابتداءً بالنموذج الماليزي ثم الإندونيسي ثم الباكستاني ثم التركي ثم الإيراني.

وقد تفاعلنا خلال هذه اللقاءات مع نوعين من المداخلات، إذ كان هناك مداخلة من داخل الخبرة ذاتها ومن أحد أصحابها المنتمين إليها مباشرة، والمداخلة الثانية من أحد المهتمين ودارسي هذه الخبرة من الأساتذة المصريين سواء في تخصص العلوم السياسية، أو في تخصصات الدراسات الشرقية المختلفة، وصولاً إلى هذا المكون الثالث في الدورة، -والذي كنا نأمل أن يكون أكثر اكتمالاً- وهو أن نلتقي مباشرة مع الطلبة الدارسين بمصر من المنتمين إلى هذه الدول التي تحدثنا عن نماذجها الثقافية، حيث تنوعها وتعددها، أملاً في أن يقدموا لنا أمرين: **فمن ناحية** يوضحون كيف يُعايشوا الخبرة المصرية باعتبارهم عاشوا بهذه البلد -مصر- من أجل الدراسة، فمما لا شك فيه أن حوار الحياة والتفاعل الناتج عن الحياة في الشارع والجامعات والمدارس والإعلام أبلغ دلالة من الحوار الأكاديمي أو النخبوى في الصالونات وقاعات المؤتمرات، فهو ذو دلالة مختلفة ومُكمِلة.

ومن ناحية ثانية: فإنه إذا كان لديهم آرائهم وتحليلاتهم وتصوراتهم عن النموذج الذي ينتمون إليه، وشعروا أنه لم يتم استيفاؤه، فليقدموا لنا ما لديهم وهذا أمر ثانٍ نحن نهتم به.

ذلك فضلاً عن **أمرٍ أكثر أهمية**، وهو وجودهم وتفاعلهم مع الطلبة المصريين خلال أيام الدورة، وإن كنت لاحظت أن تواجد هؤلاء الطلبة في معظمهم لم يكن منتظمًا عبر أيام الدورة. وبهذه المناسبة أود التنويه إلى أنه لم يكن هناك دارسين من إيران، وهم معدودون بمصر ولم نتمكن من التواصل معهم، لكن بالنسبة إلى الطلبة الأتراك والماليزيين والإندونيسيين والباكستانيين فهناك عدد وفير، وقد توجهنا إلى الجهات المسئولة عنهم ليُرشحوا لنا منهم، وبالفعل فقد قُدِمت لنا ترشيحات ما بين 10 و 15 اسم عن كل بلد، ومعظمهم جاءوا للتسجيل واستلام الملفات وقد تواجد بعضٌ منهم بشكل شبه منتظم في عدد من الجلسات، لكن ما لا أعرفه هو إلى أي مدى حدث تفاعل متبادل بينهم وبين المشاركين المصريين.

أحد الطلبة:

نعم كان هناك تفاعل

د. نادية:

فإن من الطبيعي أنهم قد تفاعلوا مع نوعيات مختلفة من الشعب المصري خلال فترة دراستهم، ولكن كان الغرض هنا إحداث نوع من التواصل.

ونحن استقبلنا في برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات العديد من الطلبة الألمان والهولنديين والسويديين والدنماركيين والأمريكيين، إلى جانب بعض الطلبة من الدول العربية، وكان غرضهم التفاعل مع الطلبة المصريين، وأن يستمر هذا التواصل عبر البريد الإليكتروني وغير ذلك. وهذا ما كنا نهدف إليه في هذه الدورة، ولكن هل كنا نأمل أملاً أكبر مما يجب ونتصور تصورات مثالية لم نستطع أن نحققها؟

لقد بذلنا ما استطعنا، وهذه هي الثمرة كما رأيتموها، ولهذا أعتقد أني يجب أن أرحب بمن التزموا واهتموا وحضروا من تركيا ومن إندونيسيا. وأحب أن أترك لهم تقديم أنفسهم وتقديم ما يُريدوا من ملاحظات أملاً في أن يحدث تواصل أو حوار بينكم وبينهم في الفترة المتبقية من هذه الجلسة. وأرحب بهم مرة أخرى. ولنبدأ بتعريف كلٍ منهم لنفسه:

1- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أخوكم في الله "سينان" وأنتمي إلى تركيا. وأنا خريج كلية أصول الدين بجامعة الأزهر. ورغم أن فترة وجودي بمصر قصيرة، ألا أني شهدت الكثير فيها.

2- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسمي محمد فهمي من تركيا وأنا خريج جامعة الأزهر كلية شريعة إسلامية.

3- بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسمي "أرجون" أي "عبد الله" باللغة العربية، وأنا إندونيسي من جاوة.

وأدرس بكلية الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر. وأعيش في مصر منذ عامين ونصف.

4- بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسمي ستى مجيدة، وأنا من جاوة الوسطى بإندونيسيا. وأعيش بمصر منذ ثلاث سنوات، وأدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.

د. نادية: هم دومًا بإندونيسيا يسبقون الاسم بـ" ستي"، وهي تعني "سيدتي"، كما يُقال بمصر للجدة أو لمن هي أكبر "سيدتي".

ومن الواضح أن الطلبة الأربعة من دارسي العلوم الشرعية بالأزهر.

والسؤال هو: أليس هناك تخصصات أخرى في مصر تجذب لدراستها غير ما بالأزهر، علمًا بأنه كان لدينا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في عدة دفعات سابقة طلاب من جمهوريات آسيا الوسطى؟

وإنما على كل حال، فإن هذه التخصصات الشرعية من الأهمية وعدد كبير بيننا يُحاول الإلمام بها وتلمس قدرٍ منها. وليتفضل سنان بالتحدث عن خبرته.

مداخلات الطالبين التركيين

أ. سينان-

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

السادة الكرام، الإخوة الأعزاء والجمع الكريم. أولاً أعتذر عن إني لا أجيد العربية إن كانت اللغة العربية هي ما يجمعنا، فهي لغة القرآن الكريم.

كماإن الشعوب والقبائل من آيات الله، وكذلك الألوان والألسن والبصمات، فهي مع اختلافها تدل على وحدانية الله وقدرته، كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (سورة الحجرات: آية 13).

فنحن مهما كان انتماؤنا لدولٍ مختلفة، ومهما كانت أوطاننا بعيدة على امتداد الأرض، إلا إننا قريبون من بعضنا البعض.

ونحن عندما جئنا هنا وجدنا أنصارًا كثيرين جزاهم الله خيرَ الجزاء، ونعتقد أننا وجدنا خير الشعوب هنا بمصر، فلم نشعر بالغربة قط، فبالرغم من أننا في بلد غريبة إلا أننا لم نشعر بذلك مطلقًا.فنحن حين جئنا إلى هنا وجدنا الألفة والمحبة والتقارب والتبادل فيما بيننا.إذ نرى مصر باعتبارها مجمع الدول والعالم كله؛ ولذا يسمونها أم الدنيا، وهي الأرض المباركة التي تجمعنا.

ونحن والحمد لله -كما ذكرت- وجدنا خير الشعوب هنا، وقد كانت مصر ولا زالت تمثل مكان الريادة والصدارة بالنسبة للدول العربية خاصة والدول الإسلامية عامة، فهي ملتقى العالم كله بما حاباها الله من موقع جغرافي مميز، فكانت حضارة مجيدة وتاريخ مجيد وكان شعب مجاهد منذ عصور وسنواتٍ طويلة.

ونحن الأتراك نعتز بما لنا من علاقات وصلات مع إخواننا المصريين تمتد جذورها إلى مئات السنين. وقد ساد تلك العلاقات خلال هذه الفترة الطويلة مناخ من الألفة والمحبة والتسامح والاندماج عن طريق المصاهرة والنسب، فكثير من المصريين أصولهم تركية، وكذلك كثير من الأتراك أصولهم مصرية.

بالإضافة إلى المكانة السابقة التي تتمتع بها مصر، فهي قبلة طلاب العلم من كلٍ حدبٍ وصوب. فمصر تزخر بالعديد من المعاهد والجامعات العلمية العريقة التي لها إسهامات واضحة

في الثقافة العالمية لا سيما جامعتي القاهرة والأزهر، حيث يُعدان قمة العلم، ولذلك يفد إلى مصر كثير من طلاب العلم للدراسة في مثل هذه الجامعات.

وقد عشت بمصر فترة من أجمل فترات حياتي مع الشعب المصري الفريد، فقد كنت واحدًا من هؤلاء الذين وفدوا إلى مصر للدراسة في هذه الجامعات، فأنا خريج جامعة الأزهر.

وفي الحقيقة، شعرت في البداية وزملائي ببعض الخوف والقلق مما عسانا أن تواجهه في مصر من صعوبات وعقبات؛ إذ كنا لا نعلم شيءً عن مصر، سوى ما قرأناه في كتب التاريخ عن الأهرامات، فلم نكن مؤهلين لأن نتعايش مع إخواننا المصريين لأننا لم نكن نعرفهم.

ومع مرور الزمن، سرعان ما تسرب منا هذا الشعور، وترك مكانه إلى المحبة والألفة؛ لأننا – كما ذكرت في البداية– وجدنا هنا إخواننا، فأشقاؤنا موجودون هنا، نعم الأسماء والأشكال مختلفة، ولكنهم في الحقيقة أشقاء.

فإذا كان الأخ أو الشقيق يُضحي بنفسه لأخيه، فإنا قد وجدنا بمصر من يُضحي بنفسه لأجلنا أيضًا، وقد وجدنا المصريين ودودين فهم يتمتعون بروح الفكاهة والمرح، فلا تكاد تقابل واحدًا منهم حتى يُصبح صديقًا لك، فيتبادل معك الاتصالات الهاتفية والزيارات، وبعد هذا التعارف يستمر الأمر.

وهكذا صارت الأمور حتى أضحت مصر بلدنا الثاني التي نحن إليها ونشتاق لها دائمًا إذا ابتعدنا عنها، وهذه حقيقة بعيدة عن المجاملة أو المبالغة.

ولا أنسى ذكرياتي هنا بمصر، خصوصًا حين ذهبنا إلى قرية من قرى مصر الحبيبة، فوجدنا الجميع يفتح أبوابه ويُرحب بنا ويقول تفضلوا معنا، وهذه أيضًا ليست بمبالغة فقد بقينا شهر بإحدى قرى محافظة الغربية، وجدنا خلالها المصريين مستعدين لاقتسام اللقمة الواحدة معنا، فقد يدعونا أحد الناس لمائدة متواضعة لا شيء فيها، ولكنه يريد أن يقتسم ما لديه معنا. وهذه المشاهد المهمة أكثر ما جذبنا إلى هذا البلد وهذه الأرض المباركة.

ومصر نراها طوال تاريخها العريق كديار الأولياء والأنبياء والرسل؛ لذلك أصبحت هذه المنطقة دائمًا في قمة العالم، فإذا قلنا إن العالم قرية صغيرة، فمصر قمتها، وإذا كان الآن قرية كبيرة، فمصر كذلك في قمتها.

وبعد كل هذه المحادثات تأكدت أننا شعبٌ واحد يعيش في دولتين مختلفتين لأننا –كما قلت– لم نشعر بغربة، بل أن كل منا ترك في بلادنا أب واحد وأم واحدة ووجد هنا آلاف الآباء وآلاف الأمهات.

ولكن لا نستطيع التعبير عن مصر بهذه الكلمات الضئيلة والبسيطة؛ لأنها شيء كبير وقد تأكدنا من ذلك بعد الفترة التي عشناها هنا وما ارتبط بها من أحاسيس لا يمكن صياغتها في كلماتٍ وحروف، وإنما سننقل هذا الشعور إلى إخواننا في تركيا أو أي بلد آخر.

فهنا مجمع العالم كله والقارات كلها سواء آسيا أو أفريقيا أو غير ذلك؛ ولذا فإننا إذ جئنا إلى هنا فكأننا قد عشنا بالعالم كله؛ أي كأننا عشنا مع الأوروبيين والأسيويين والأفارقة، فنحن جميعًا نتعاون في الحب، هذا الحب الذي يجمع العالم كله، وهذا هو الأهم.فإذا استطعنا أن نحب الجميع، لن يبقى من الصعوبات والشدائد شيء في العالم.

وختامًا، أتمنى أن تظل لمصر الريادة وتبقى دائمًا قبلة طلاب العلم من الدارسين والباحثين كما كانت لينهلوا من معارفها الفياضة ويتنسمون هواء التاريخ وعراقة الماضي في حواريها وأزقتها العريقة. وإن شاء الله ستستمر كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأتقدم بخالص الشكر للجميع للقيام بحسن الاستقبال والرعاية. وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. نادية:

كيف تعتذر عن عدم إجادتك العربية، فما قدرة الإجادة الذي تنتويه إذن. فأعتقد أنك تجيدها كثيرًا. أنت قد أفضت في الثناء على مصر.

أ. محمد فهمي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد.

أحييكم تحية من عند الله طيبة مباركة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته،،،

أساتذتي الكرام، الجمع الكريم، اسمحوا لي أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان لمصر العزيزة على ما قدمته لي ولأمثالي من طلبة العلم.

لقد سمعت كثيرًا قولهم إن مصر أم الدنيا، ولكني لم أفهم ذلك إلا عندما أتيت إليها.

فما أن يأتي الغريبُ إلى مصر حتى تأخذه في حضنها الدافئ كأمٍ رءومٍ، فإني والله ما شعرت بالغربة قط، وكيف ذلك وأنا في أرض العروبة والإسلام!أرض يعيش عليها أناسُ طيبون يقدرون الضيف، ويقومون بواجبه.

ويبدو أن هذا الأمر في طبيعة هذه الأرض العظيمة التي طالما احتضنت العلم والعلماء، وآمنت الخائفين، وأطعمت الجائعين، وقامت بدورها الذي ألقاه على كاهلها عنصر التاريخ والجغرافيا.

فالتاريخ أيها السادة يقول لنا إن مصر أقدم حضارة على وجه الأرض، وهي حضارة عمرها سبعة ألاف عامٍ، كانت خلالها مصر مركزًا للإشعاع العلمي والثقافي، وما زالت كذلك والحمد لله، وقد صدق الشاعر حين قال:

مصر آتاها عزها منذ القدم

أنتِ التي علمتنا نقش القلم

من عهد رمسيس إلى اليوم حكم

لم تهرمى قط وقد شاب الهرم

وعلى سبيل المثال أيها السادة الكرام، إنه بعد سقوط بغداد حاضرة الدولة العباسية تحت سنابك خيل المغول، أصبحت مصر حاضره العلم والعلماء وملاذًا للهاربين وأمانًا للخائفين فقد درس بها "السهوردي" و"ابن خلدون" و"علامة ابن هشام الأنصاري" رحمهم الله جميعًا.وهذا بالنسبة إلى عنصر التاريخ الذي يفرض على مصر الريادة والزعامة.

أما العنصر الجغرافي، فيتمثل في وقوع مصر في قلب العالم العربي الذي هو قلب العالم. قلنا أن نتخيل ما لهذا الموقع من مزايا وتكاليف، فزعامة مصر أيها السادة ليست اختيارًا. وإنما هي قدر، وليعنها الله على النهوض بهذه الأعباء. وإنا لننتظر من مصر الكثير، وهي دائمًا عند حسن الظن. وأخيرًا، أرجو لألا أكون قد أطلت عليكم، وأشكركم على حسن استماعكم.

واستودعكم الله، والسلام عليكم رحمة الله وبركاته.

د.نادية مصطفى:

قد استكملت الإفاضة في الثناء على مصر. فمحمد وسينان جزاهم الله كل خير، هذه هي انطباعاتهم ومشاعرهم تجاه مصر، ولكن كنا نريد منكم أكثر من هذا، وغير هذا.

فكنا نريد شهادة حية على العيش في مصر، حيث لا أعتقد أن هذا هو الجانب الوحيد في الشهادة على الحياة في مصر ولا يعني ذلك أني أقلل من شأن مصر، ولكن نحن بشر وهناك الإيجابيات والسلبيات والآن سيتحدث عبد الله ثم ستي مجيدة.

وحقيقة، لدي العديد من الأسئلة التي سأوجهها إليكم بعد ذلك، كما سيطرح المشاركون أسئلتهم ليُخرجوا ما لم تقولوا، وسيكون ذلك في شكل حوار.

مداخلات الطالبين الإندونيسيين

أ. عبد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والصلاة والسلام على سيدنا "محمد" أطيب الخلق والبشر، أما بعد.

أيها السادة الكرام والزملاء المحبوبين سنتحدث إليكم باعتبارنا طلبة إندونيسيين من واقع خبراتنا في مصر، فلم نستعد بمقولات معينة.

قال تعالى: ﴿ **اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ** ﴾ (سورة البقرة: آية 61) وهذا هو شعار الطلبة الإندونيسيين للتعامل مع (الأمة الدينية) خاصة الأمة الإسلامية بمصر.

وعلى المستوى الدراسي، فيُلاحظ أن أغلب الطلبة الإندونيسيين الذين يتعلمون بمصر في مرحلة الليسانس، وثمانون بالمائة تقريبًا منهم يدرسون بجامعة الأزهر الشريف، حيث يدرسون علوم الشريعة وأصول الدين، إلى جانب دراسة البعض في كليات الدعوة، كما أن هناك البعض

الذي يدرس بجامعة القاهرة، ولكن هذا البعض قليل لأن جامعة القاهرة تطلب نفقات أكثر من جامعة الأزهر.

ويأتي إلى مصر كل عام دراسي جديد من خمسمائة إلى ألف من الطلبة الإندونيسيين.وأول مشكلة تواجهنا بمصر هي **التحدث باللغة العربية العامية**، خصوصًا وأن ما درسناه في المدارس والمعاهد الإندونيسية كان اللغة العربية الفصحى، إلا إننا عندما جئنا إلى مصر وجدنا كل الحديث بالعامية، حتى أن الأساتذة بالأزهر يُدرسون بها، أيضًا فإنه للأسف أن ليس جميع الطلبة الإندونيسيين بمصرمن دارسي المعاهد الإسلامية، فبعضهم درس بالمدارس الحكومية، حيث لا تدرس اللغة سوى حصتين في الأسبوع، بينما في المعاهد الإسلامية تكون جميع الدورس باللغة العربية.

وبالنسبة إلى **المعاملة مع المصريين، خاصة الموظفين**، فمثلاً عند القيام بالإجراءات المتعلقة بجواز السفر والتأشيرات بمدينة البعوث، تقابلنا مشكلة التسويف غير محدد الأجل فقد يقول الموظف أن الأمر سينتهي في الغد، ولكنه يستغرق أسبوع، وقد يقول انتظر ثانية بينما تنتظر خمس أو ست ساعات.

د. نادية: أليس هناك مثل ذلك بإندونيسيا.

أ. عبد الله ونحن إن كان لدينا بعض هذه الأمور في إندونيسيا إلا أنها ليست بهذه الدرجة. فالغد يعني الغد فعلاً، وكذلك الثانية تعني ثانية.

وعن المعاملة مع الشعب، فإن المصريين يعاملوننا بطريقة حسنة. ولكني عندما جئت فهمت لماذا يدرس الأساتذة بمصر ولا يتزوجون مصريات، حيث وجدت الإجابة، وهي أن الزواج بمصر مرتفع التكلفة، بالرغم من أن الإسلام جاء بتيسير الزواج.

وليس لدينا مشكلة فيما يتعلق بالطعام؛ إذ نأكل الخبز والفول وغير ذلك.

د. نادية: ماذا يقابل الفول كأكلة شعبية لديكم؟

أ. عبد الله: لدينا الأرز والخضروات والسلطة.

د. نادية: وهل تأكلون الأرز صباحًا مثلما نأكل الفول في مختلف الأوقات.

أ. عبد الله: نعم نأكله في الإفطار والغداء والعشاء، وهو بديل عن الخبز، الذي هو خاص بالأغنياء بشكل أساسي، بينما 70% من الشعب الإندونيسي يعيش في مستوى عادي.

وبالنسبة إلى **طبيعة /تركيبة الشعب المصري** فقد وجدنا بها اختلافات داخلية، ولكنها ليست بدرجة التباينات الموجودة في تكوين الشعب الإندونيسي.

فإندونيسيا تحتوي على ثلاثة آلاف جزيرة، كلٌ منها لها شعب خاص ولغة خاصة فهناك لغات عديدة –كما أوضح كل من أ. مصطفى دسوقي ود. خالد مصلح– بحيث إنك إذا تحدثت بلغة جاوة لا يفهمك أهل سومطرة.

د. نادية موجهة سؤال إلى الطالبين التركيين:

هل ذلك موجود بتركيا أيضًا، فهل يحول اختلاف اللهجات بين المناطق المختلفة دون الفهم المتبادل؟

الإجابة: لا فكلٌ يفهم الآخر.

د. نادية: إذن فالمسألة في إندونيسيا تتعلق باختلاف اللغة، بينما في تركيا هناك اختلاف محدود في اللهجات كما هو بمصر.

أ. عبد الله: نعم، فعندما جئت إلى مصر وجدنا سهولة الفهم المتبادل، بينما عندما نذهب إلى "سلاويسي" بإندونيسيا على سبيل المثال نجد لغة مختلفة تمامًا، وهذا الأمر المتعلق بسهولة الفهم المتبادل تمتاز به مصر، بل يمتاز به القرآن، حيث اللغة العربية هي لغة الأمة ولغة أهل الجنة أيضًا.

ولكن المشكلة تكمن في أن بعض الجامعات الإندونيسية لا تقبل خريجي مصر ليدرسون بها، باعتبار أن اللغة العربية في مصر ليست هي ذاتها اللغة العربية في بقية الدول العربية، وأنها يفهمها المصريون فقط دون غيرهم.

د. نادية: ذلك باعتبار أنهم لا يجيدون اللغة العربية الفصحى كما يجب أن تكون.

أ. عبد الله: نعم هكذا.

وستكمل زميلتي الحديث معكم، فيما يتعلق بحياة الطالبات هنا.

أ. ستى مجيدة

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي أصبحنا بنعمته إخوانا وأشهد أن محمدًا رسول الله لا نبى بعده.

﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي {25/20} وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي {26/20} وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي {27/20} يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ (سورة طه: آيات 25: 28)، أما بعد.

أيها الأحبة، في هذه المناسبة النفيسة قصدًا وعمدًا، هممت بإلقاء بعض الكلمات أمام هذا الجمع.

وكواحدة من الطالبات الإندونيسيات، أتوجه بالشكر الجزيل إلى برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات لإنفاذه هذه الدورة، فقد بذل جهدًا عظيمًا لتعريفنا بالحضارة والثقافة الإسلامية المعاصرة في بلدان المسلمين.

ومن هذه النافذة، اسمحوا لي أن أخبر عن أحوال وظروف الطلبة الإندونيسيين الذين يتلقون العلوم في القاهرة.

فكما نعلم، إن مصر لها مكانة عظيمة في قلوب المسلمين جميعهم، لما تحمله من آثار التاريخ ورسالة إلى العالم، إلى جانب وجود جامعة الأزهر وتوافر عدد كبير من المخطوطات

الإسلامية.وهذه الميزات جميعها كانت من العوامل الدافعة إلى مجئ لهذا البلد لطلب العلوم الإسلامية.

وهناك عدد كبير جدًا من الطلبة الإندونيسيين بمصر وهم يقومون بأنشطة كثيرة كمناقشة المعارف الإسلامية وتعلم حسن تلاوة القرآن وحفظه، فضلاً عن حلقات الجامعة وما شابه ذلك.

وقد لاحظت حماسة المدرسين والمدرسات بالجامعة لنا، فضلاً عن التسامح وحسن التعامل من قبل المجتمع في هذا البلد الشريف.

وأوجه الشكر لإعطائنا الفرصة للتعمق في دراسة العلوم الشرعية في هذا البلد الشريف أيضًا، وأنا على يقين من أن ذلك سيؤثر إن شاء الله في بناء المجتمع المدني في إندونيسيا في المستقبل، الأمر الذي من شأنه أن يجعلنا نستيقظ ونتفاهم ونتفاعل لجعل إندونيسيا بلدًا آمنًا مطمئنًا يضيف إلى الحضارة الإسلامية الجديدة بالعالم.

وأخيرًا، لعل هذه الدورة أن تكون من العوامل التي من شأنها المساعدة على بناء وتقويم الثقافة والحضارة الإسلامية في بلدان المسلمين بشتى أنحاء العالم وإنماء روح التسامح بين أبناء الحضارات المتنوعة في العالم.

وبالله التوفيق والهداية

د. نادية مصطفى:

شكرًا ستي مجيدة، أعتقد أن لدينا من المشاهدات ما يثير بعض الأسئلة ، **ولكن اسمحوا لي أن أقول بعض الملاحظات البسيطة:**

الملاحظة الأولى: إن الثناء الذي بدأ به كل من "سنان" و"محمد فهمي" حين أشرت إليه لم يكن ذلك تقليلاً مما قالوه، وأعتقد أن هذه هي الروح الطبيعية لأي إنسان له التزام إسلامي عندما يذهب لأي عاصمة إسلامية، فلا بد وأن يكون هذا شعوره، حيث إن الشعور بالرابطة والأخوة والتشارك في شيءٍ هام في هذا الأمر، ثم تأتي الأمور الأخرى المتصلة بالواقع. وهذا الجانب مهم، وهو الذي يُميز من ليس له مثل توجه "سنان" أو "محمد فهمي" عن غيرهم من الأتراك الذين ليس لهم مثل هذا التوجه، فهل أنا صادقة في هذا؟

إذ إن الأتراك متنوعين، فليس لدى كل الأتراك مثل هذا الاهتمام بالعلوم العربية والعلوم الشرعية الإسلامية، بمعنى أن تركيا متنوعة في داخلها، وربما وجدنا ذلك فيما حدثنا عنه كل من أ. نوزاد وأ. مصطفى أوزجان والأبناء من الأتراك، وكذلك د. إبراهيم البيومي، حيث اتضح كيف أن هذا التوجه الذي نحن بصدده إنما يمثل تيارًا أو توجهًا في داخل تركيا ليس هو كل تركيا.

وبالتالي، فهذه العاطفة أو هذا الحب في الله أي كانت المشاكل أو الآراء الأخرى، هو القاسم المشترك بيننا كمسلمين أيًا كانت أماكننا، وأيًّا كانت ثقافتنا، وأيا كانت أقوالنا، وأيا كانت أعراقنا وهذا إذا كنا نعرف حقًا قيمة هذه الرابطة.

ولذا كنت أود أن **أسأل سنان ومحمد:** هل غيركم من أصحاب التوجهات الأخرى يُعيرون اهتمامًا للمجئ إلى مصر وكذلك العلاقات مع الدول العربية الأخرى أم لا؟

الملاحظة الثانية، إن مصر قبلتكم من أجل العلم الشرعي، وهذا أمر مهم ونرجو أن يستمر وأن يتدعم دور الأزهر في هذا الإطار، لكن لي سؤال في ضوء ما أشار إليه عبد الله من أن بعض الجامعات لا تقبل خريجي مصر، إذ أعرف أن في تركيا أيضًا هناك قيود على الشهادات المأخودة من الأزهر، فهناك إلغاء للاعتراف بالشهادات المأخوذة من الأزهر، فهل هذا صحيح؟

أ. سنان: نعم هذا صحيح، ففي عام 1998 وقعت بعض المشكلات السياسية؛ وعلى إثرها مُنِع الاعتراف بشهادات الأزهر بتركيا، ومنذ ذلك الحين لا توجد معادلة لها لدينا.

ونحن أيضًا لا نستطيع الالتحاق بالأزهر، إذ إن هذا ممنوع، ولكن يسير أمر الالتحاق في إطار من الاستثناءات، حيث يأتي بعض كبار الدولة إلى هنا ويتحدثون إلى مشيحة الأزهر، حتى يُفتح باب القبول لمدة ثلاث سنوات يتم خلالها الالتحاق بالأزهر، ثم بعد انتهاء المدة يُصبح من غير المسموح به أن يأتي طلاب آخرون، ولكن يتكرر الأمر نفسه فيأتي مسئولون أتراك إلى الأزهر ويُفتح باب القبول استثناءً سنتين أو ثلاث أيضًا ويأتي طلاب جدد ثم يغلق الباب ثانية، وهكذا.

د. نادية: إذن فهل تعملون بشهاداتكم هذه في تركيا؟ بمعنى أنكم كيف تعملون بهذه الشهادات في بلدكم في حين أنها غير معترف بها؟ فماذا تستفيدون بها في المجال العملي، بغض النظر عن أهمية المجال التعليمي والإعداد؟

أ. سنان: يقتصر عدم الاعتراف بشهادة الأزهر على المجالات الحكومية فقط، كما أننا يمكننا الاستفادة بها إذا ما سافرنا إلى البلدان الأخرى.

د. نادية: أي إنكم تستطيعون الاستفادة بها للعمل في المجال المدني عامة وغير الحكومي التركي.

الطالب: نعم هكذا.

د. نادية: أشكرًا لكم، ونفتح الباب الأسئلة.

المداخلات

أ. نهى طارق: بكالريوس علوم سياسية:

أولاً: بالنسبة إلى ما تحدث عنه محمد وسنان وستى مجيدة، فإنهم تكلموا بطريقة نظرية، إذ إني لا اعتقد أن من يأتي من تركيا وإندونيسيا ينبهر بالحضارة والعظمة المصرية، خاصة وأننا لا نرى ذلك، بل إن تركيا وإندونيسيا أكثر تقدمًا ونظافة من مصر.

وقد كنت أود أن استمع إلى كلام كالذي قاله "عبد الله"، والذي احتوى على نقد للواقع المصري.

فعندما كنت أتحدث إلى فتيات من تتارستان بروسيا ممن يدرسن بالكلية وأسألهم عن رأيهن في مصر، كن يقلن إنه من الأفضل عدم ذكر رأيهن، حتى إن إحدى الفتيات ذكرت أنها تتعرض لمضايقات بالشارع لدرجة أنها لم تعد ترغب في الخروج من البيت، كما قالت إنها كانت تدرس في كلية دار العلوم ثم انتقلت إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وفي هذا الحين لم تكن محجبة، إلا أنها اضطرت أن تتحجب فقط لكي يتعامل معها الناس بشكلٍ محترمٍ، ورغم ذلك استمر تعرضها للمعاكسات، مما جعلها تخلع الحجاب. أيضًا هناك سيدة أمريكية عادت إلى بلدها باكية لما تعرضت له من معاكسات في مصر.

كذلك ذكرت لنا د. هبة رؤوف أنه بعد انتهاء امرأة تركية من صلاتها بالمسجد. وأثناء خلعها الحجاب تعرضت لمعاكسة من شخص خارج أيضًا من المسجد. ومن ثم لا أعتقد أن مصر بهذا الجمال الذي تحدثتم عنه.

ثانيًا: يجب أن نستمع أيضًا إلى آراء الأفارقة ونتعرف عليهم، فنحن في حاجة إلى ذلك.

د. نادية: في العام القادم إن شاء الله سنتناول إفريقيا. كذلك أيضًا نهى لديها نفس الملاحظة والتي ذكرتها من قبل خاصة بكثرة الثناء من قبل سنان ومحمد فهمي وستى مجيدة، وبالتالي، فهي تتساءل ألا ترون شيء سيء بمصر؟ لا سيما وأنها عددت بعض المساوئ في مصر من وجهة نظرها، ومنها ما يتعلق بالسلوك اليومي الحياتي في الشارع الذي يتعرض له الإنسان، وأريد أن أعرف رأيكم في هذا؟

أ. سنان:

إذا ما تحدثنا عن المشاكل، فإن المشاكل لا تنتهي، ولكن نحن لدينا مثل يقول: "من يُفكر بشكل جميل يرى الجمال".

وعندما جئنا هنا لأول مرة، قال لنا أحد الأتراك الذي درس وتخرج هنا: أنتم إذا جئتم إلى هنا لتنظروا إلى الأمور بشكل محافظ فستكون كل المشكلات مشكلتكم، ولكن إذا جئتم إلى هنا كي تأخذوا العلم فقط فالأمر سيكون أفضل، فلا تنظروا إلى المشكلات.

ولذا، فإننا عندما جئنا إلى هنا لم نر المشاكل التي عددتها، وإنما تعمقنا في العلم والكتب حتى تخرجنا الآن والحمد لله.

د. نادية: نعم إنها عبارة جميلة فمن يفكر بشكلٍ جميل يرى الوجود جميلاً. ونحن في حاجة بمصر وبالرغم من وطأة القبح الذي يحيط بنا أن نفكر جميلاً حتى تستطيع أن نحسن ما حولنا، إذ إن كل فرد منتظر أن يقوم غيره بتحسين ما حوله ولا شأن له هو بشيء. فجميعنا نريد أن تكون الشوارع نظيفة، ولكننا نلقي بالمناديل وعلب العصائر من سياراتنا، وكذلك يُلقى الطلبة الأوراق بعد انتهائهم من الطعام بأي مكان بالكلية.فعلينا أن نحاسب أنفسنا جيدًا ونرى القبح على أنه مسئوليتنا.

أ. محمد فهمي: في الحقيقة نحن لدينا مشاكل كثيرة جدًا، ولكن المشاكل التي لدينا هنا تختلف عن تلك التي لدينا بتركيا.فمثلاً عندما جئت إلى هنا، وجدت بالشارع أمور سيئة، ولكن ما أريد قوله إننا يجب أن ننظر فوقنا وليس تحتنا.

فأنا كطالب يجب علي أن أنظر إلى أستاذي بالجامعة باعتباره يعلمني كل الأشياء الجيدة والجميلة . فلدينا –كما ذكرت– الإنسان عليه ألا يُلفت وجهه إلى الأشياء السيئة، ولكن يجب علينا أن ننظر إلى الجمال كما قال سنان.

أ. عبد الله:

بالنسبة إلى عين الرضا وعين السخط، فإن هذا الأمر يتعلق باختلاف الخبرات والانفعالات والمعاملات حتى فيما يتعلق باختلاف سلوك الناس بالشارع، فما يُرى في بلدٍ معينة كخير، يُرى في غيرها بشكلٍ مختلف.

إلا إنه يمكن القول بأنه بالنسبة لنا كدول إسلامية يُفترض أن يُستمد سلوكنا من الأخلاق الإسلامية التي لها القدرة على الانتشار في جميع أنحاء العالم، ما يجعلنا نفخر بأننا من خريجي الأزهر أثناء عودتنا إلى إندونيسيا والتي هي ليست بلدًا عربيًا، بل أنها تضم انتماءات مختلفة، حيث إن الأزهر يُعلمنا الوسطية لنكون أمة وسطًا، فنتعلم كيف نعاشر المسلمين وغير المسلمين وكيف نتعامل مع المذاهب والأفكار المختلفة التي تعبر عنها الجمعيات الإسلامية، ونحن في اندونيسيا لدينا الجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء.

فهكذا يُعلمنا الأزهر، ولذا نفخر به، فالجميع يحترم بعضه بعضًا ويتعامل عن طريق الحوار، كما إننا نستفيد من الأصلح، وهو الذي يصلُح لنا ولبدنا.

أ. محمد المصطفى –الفرقة الثانية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية:

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الأول: هناك أمر عجيب سمعته وأريد الاستفسار عنه. فقد قال كل من د. إبراهيم البيومي وأ. نوزاد صواش إن هناك اتجاه لإعادة قراءة التاريخ العثماني، وإن هناك تقارب بحدث الآن بين تركيا والعالم العربي والإسلامي، ولكن أين هذا التقارب، إذا كان شهادة الأزهر لا يتم الاعتراف بها في تركيا، في حين إن أول مؤشرات التقارب أن يتم الاعتراف بمثل هذه الشهادة. أيضًا، إن التبادل التجاري بين تركيا وروسيا يُعادِل التبادل التجاري بين تركيا وجميع الدول العربية.

د. نادية:لماذا نوجه لهما هذا السؤال، فماذا يمكنهما أن يفعلا؟ ولكن أنت ماذا تقترح؟

أ. محمد مصطفى: أريد منه أن يشرح أسباب ذلك، إذ من المؤكد أن له نظرة كتركي حول هذا الأمر.

السؤال الثاني: إذا كان على الصعيد الرسمي التعليمي لا يتم الاعتراف بشهادة الأزهر في تركيا، فماذا على الصعيد الشخصي؟ فكيف يتم النظر إلى هؤلاء الأفراد المتعلمين بالأزهر؟ فهل يتم النظر إليهم باعتبارهم العثمانيين الجدد أو الجاهلين الذين يتعلمون أصول الدين، لا سيما وأنهم يعيشون في مجتمع علماني بشدة؟ فكيف ينظر إليهم جيرانهم وأصدقاؤهم؟

د. نادية: هل ذهبت إلى تركيا أو قرأت عنها شيء؟

أ. محمد: لا لم أسافر إلى هناك، وأيضًا لم يُتح لي أن أقرأ ما يكفي لتكوين فكرة مكتملة عن تركيا.

د. نادية: فأنت تقول إن المجتمع التركي علماني بشدة، ولكن هل استمعت إلى محاضرتي أ. توزاد ود. إبراهيم البيومي؟

أ. محمد: من المعتاد أن الفن يعبر عن ثقافة أهله، وما أقراه في الموسوعات على الإنترنت بشأن تركيا يوضح كيف أنه حدثت تغيرات كبيرة باتجاه العلمانية منذ عهد "كمال أتاتورك" الذي اتخذ إجراءات مثل تغيير الحروف والآذان. والمدارس الدينية وكل هذا أدى إلى تغير شديد بالشعب، وأمر مثل هذا سينتج عنه بالتأكيد مجتمعًا علمانيًّا.

د. نادية: أي أن إدراكك لتركيا مصدره المعرفة بما قام به "أتاتورك"، فماذا عرفت وفهمت من الدورة إذن؟

أ. محمد: قد حضرت الدورة، واستمعت إلى ما قيل في الخبرة التركية، ولكن هذا سبب شعوري بالتناقض.

أ. سنان:

النقطة الأولى: فيما يتعلق بالتقارب بين تركيا مصر، فإن مسألة الاعتراف بشهادة الأزهر ليست هي الأصل فهي قطعة من الورق، وإنما وجودنا هنا هو الدليل الحقيقي على التجاوب، وكذلك فإن الكثير من الطلاب المصريين يذهبون إلى تركيا.

أيضًا قد تحدثوا خلال الدورة عن مجلة "حراء"، وهنا تجدر الإشارة إلى أنها تعد المجلة الأولى منذ انتهاء الخلافة العثمانية التي تصدر باللغة العربية في كافة أنحاء العالم الإسلامي، من منشأها تركيا، وهذا أيضًا دليل على التقارب.كذلك الكتب المترجمة من اللغة العربية إلى اللغة التركية والعكس.وكل هذا دليل على التقارب بين الدولتين أو الثقافتين أو الحضارتين.

وبالتالي، فنحن إذا ما نظرنا إلى بعض الأشياء الرسمية أو ما نسميه العوائق الرسمية لن نستفيد شيء، فهذا يجب أن نتركه للمجال الرسمي فقط، ولكن في المجال المدني نجد الأمور أوضح.وعن العلاقات التجارية، فإننا لا نتحدث عنها،

النقطة الثانية: وهي عن علمانية الأتراك، فالأتراك لا يوصفون بالعلمانية الشديدة وهذه نقطة مهمة يجب توضيحها جيدًا.فالجيش لدينا مسيطر على الحكومة، ومعظم القادة واللواءات فيه من

العلمانيين؛ أي إن معظم من يسيطر على الجيش هم من العلمانيين، والجيش كان مسيطرًا لفترة الطويلة على الحكومة والشعب؛ ولذا فإنك إذا نظرت إلى الشعب التركي من الخارج قد تراه علمانيًّا، ولكن الحقيقية أن 95% من الأتراك من المتدينين، ولكنهم قد لا يلتزمون بشعائر الإسلام جميعها، إلا أنه يمكن القول إن 50 % من الأتراك متدينين وملتزمين بجميع شعائر الإسلام.

أيضًا، كما ذكرت د. نادية في البداية، فإن تركيا بها العديد من الاتجاهات، ولكن جميعهم يسعون في الخير والدعوة والأمور الخيرية.

أ. محمد فهمي:

إن الإعلام/ التليفزيونات تعرض للتركي صورة مشوهه تمامًا، وهو في الحقيقة ليس هكذا.

فمثلاً نسبة المحجبات في تركيا تعادل 65% من النساء التركيات، وهذه النسبة كبيرة جدًا، وأكثر الناس يُصلون، ولدينا كُتَّاب.

فالدين يعيش في قلوب الناس، أما غير ذلك فهي سياسات حكومية، والحكومات قد تفعل أي شي بخلاف حقيقة الشعب.

د. نادية: إن سؤال محمد أعطى مؤشرًا قد أخافني بشأن نسبة استيعاب محاضرات الدورة.

فكان من المفترض أن طبيعة الأسئلة عقب يوم كامل من المحاضرات عن تركيا تكون قد تجاوزت المرحلة المرسومة في ذهننا فيما يُعرف بالصورة النمطية. فنحن كان لدينا صورة نمطية عن الخليجيين ولكن الأمر اختلف، فهم لم يعودوا كما كانوا في السبعينيات، إذ إنهم تغيروا تمامًا.

والشيء نفسه بالنسبة للأتراك، حيث تقتصر صورتهم لدينا عما فعله "أتاتورك" بالمسلمين منذ سبعين عامًا، في حين أن هذه الأمور تغيرت، وهذا ما أكد عليه المتحدثان.

أيضًا كانت لإشارة إلى نقطة مهمة جدًا، فنحن بمصر تتمسك بالأمور الرسمية والتي تكبلنا ومتتنا وتضعنا جمعيًا في مسار واحد مقدس، بينما الأتراك ليست لديهم هذه العقلية، فنعم هم لديهم نظام رسمي علماني صارم تحكمه القوانين، إلا إنهم اقتنعوا به وعملوا حوله من خلال المجتمع المدني، ولكم أن تعرفوا ما يقوم به المجتمع المدني في تعليم/ تدريس اللغة العربية في جمعيات هيئات مستقلة وتعمل موازية في اللغة العربية وعلوم الإسلام مما يحفظ الهوية ومن هذه المؤسسات تلك المؤسسات التي خرجت عن جناح الحركة التي يرعاها "فتح الله كولن" والتي تحدث عنها "د. مصطفى أوزجان" بالأمس، وهذه المدارس تسمى مدارس "الفاتح" وهي موجودة بإسطنبول وقد زرتها ووجدت على جدرانها صور السلاطين العثمانيين جميعًا، هذا التاريخ العثماني الذي ألقاه "أتاتورك" ونخبته وراء ظهورهم.

فالموضوع أكبر من الحكومة والنظام، إذ إن الناس بمقدورها أن تقوم بشيء وتستطيع تغير. وهذه هي رسالة الخبرة التركية، فالناس يمكنها القيام بما تريد وتحقق شيء إذا كانت منظمة

ومتضافرة الجهود ومؤمنة بمنظومة قيم الإسلام التربوية الأخلاقية وليس الشكل منها فقط مثلما ذكرت نهى من أنه كان هناك رجلاً يعاكس الفتيات أثناء خروجه من المسجد.

نعم نحن جميعًا لسنا ملائكة على الأرض، بل إننا بشر ولدينا نوازعنا، ومن قام بخير سيحسبه الله له، ومن قام بسيئة سيحسبها الله عليه، ولكن كيف يتم الإتيان بمثل هذه السلوكيات غير المقبولة على الإطلاق.

ومرة ثانية، أحييكم على ردودكم وأطلب من المشاركين الاستماع إلى ما سجُل من الدورة، وقراءة ما قدم على الـ سي دي C.D من مادة علمية فيما يتصل بقضية الهوية في تركيا ما بين المجتمع وما بين النظام، كما أن حتى النظام ذاته يتغير. فقد كنت في اسطنبول منذ حوالي سنة وزرت إحدى الجامعات مع د. هبةرءوف ود. باكينام الشرقاوى ومجموعة أخرى، وقد أخذونا في أوتوبيس، ولاحظت أنهم أخذونا دون زملائنا الرجال وعندما سألت عن ذلك قالوا أن هذا لكوننا محجبات، حيث أننا دخلنا الجامعة بتصريح بالرغم من أننا زائرات، ولكنهم قالوا لنا عندما تأنون العام القادم سيكون الأمر قد تغير.وبالفعل فإنه في أقل من عام كان قد تغير الأمر، وإن كان ذلك قضية أخرى.وكذلك هناك أمور أخرى كثيرة خاصة بالمجتمع المدني الإسلامي والنظام التركي.

<u>الشيخ هاشم إسلام:</u>

إن الشعب التركي شعب عظيم استعصى على كل محاولات التغريب والعلمنة.

<u>د. نادية</u>: ولكن هناك جزء منه تغرب وتعلمن، حتى إني عندما دخلت أحد المولات باسطنبول اعتقدت بأني في مكان أكثر انفتاحًا من أوروبا والولايات المتحدة.

إلا إنه وبالرغم من ذلك، عندما أسير في الشارع أشعر إني أسير بين إخوتي وأخواتي بمصر أو سوريا، حيث تجد ألفة المدن، فحين تهبط من الطائرة باسطنبول ترى المآذن في كل مكان، وترى الناس الذين يُشبهون من تعرفهم.

ولكن الأتراك أيضًا ليسوا ملائكة، فقد سرقني أحد سائقي التاكسي حين أوصلني إلى جامع السلطان "أحمد"، إذ أعطيته دولارات بينما أعطاني العملة التركية القديمة التي ألغيت.وعندما ذهبنا إلى وزارة الخارجية، أقاموا لنا حفل استقبال به أشياء من الممنوعات (خمور...ألخ).

كذلك ذهبت إلى مؤسسات الأوقاف والتعليم وكان هناك مناخ مختلف مما يعني أن هناك حراك بالمجتمع التركي.

وأما، نحن فينص دستورنا على أننا دولة إسلامية والدين الإسلامي هو الدين الرسمي، بينما لا ينص الدستور التركي على ذلك.ولما كان دستورنا ينص على هذا، فإن هناك أمور كثيرة مراعاة، فها نحن نجلس هنا للتعليم وكمحجبات غير ممنوعات من دخول الجامعة، ولكن في

الوقت نفسه هناك تيارات ونخب علمانية قوية جدًا موجودة بمصر .ولكن الأهم أي علمانية نقصد؟

فالعلماني قد يرفض أن يحكم رجل الدين، إلا إنه متدين وملتزم ويعرف هويته، فلا يكون الأمر فيه درجة كبيرة من الاستقطاب والحدية.

الشيخ هاشم:

أنا غير مختلف مع حضرتك، ولكن ما أقصده، أنه رغم الضغوط الشديدة التي تعرض لها الشعب التركي، إلا أنه يُعد متمسكًا بهويته، علمًا بأني عندما أقيس قدرات أي شعب، فإني أقسها تحت الضغوط أخذًا في الاعتبار ما يتعرض له من ضغوط.

وعندما أقيم أي شعب، فإني أقيمه بسلبياته وإيجابياته، فلا يتساوى شعب تعرض لضغوط وآخر لم يتعرض لضغوط، كما لا يستوى إنسان صادق ولكنه منعزل بجبل مع آخر صادق يتعامل مع الناس.

والشعب التركي رغم ما تعرض له من مؤامراتٍ وضغوط طيلة الفترة الماضية إلا أنه استطاع أن يُحافظ على هويته الإسلامية، وتمكن من النهوض مرة أخرى من نقطة تكاد تكون تحت الصفر.

أما مسألة الاعتراف بشهادة الأزهر أم لا، فإن هذا أمر خارجًا عن الشعب التركي في هذه الفترة، ولكن قد يتغير الوضع مع الأيام، فكما أثير موضوع الحجاب الآن، فقد تُثار مسالة شهادات الأزهر فيما بعد ...إلخ.

فكل إنسان وكل شعب يُقاس ويُقيم بسلبياته وإيجابياته، حتى نحن كمصريين، فأحيانًا قد يوجد اتجاه من أعدائنا لبث روح اليأس بنا عبر القول بأننا كمصريين ليس فينا أي شيء جيد أو صحيح.

ولم أعرف قيمة مصر إلا عندما ذهبت إلى الخارج، حيث علمت امتيازاتها وتيقنت من أن الشعب المصري شعب عظيم ومحترم وذو قيم ولديه القدرة على التغيير من خلال ما لديه من رصيد ضخم يمكنه استعماله، ولكن من يعيش داخل مصر فقط فلا يُلفت انتباهه سوى السلبيات دون الإيجابيات، وهذا كما إننا عندما ننظر إلى الآخر نركز فقط على سلبياته.

أيضًا، إن الشعب الإندونيسي شعب عظيم يُحافظ على الإسلام، ولكن لا شك أن هناك أيضًا سلبيات كما أن هناك إيجابيات.لكن لماذا لا نتعاون من خلال هذه الإيجابيات التي لدى الشعوب؟

وأوجه سؤال أيضًا إلى الأخوة الأتراك وهو: في ظل الانفتاح الديمقراطي، ألا تستغلون هذه الفرصة للمطالبة بالاعتراف بشهادات الأزهر وتحقيق ذلك مستقبلاً، خاصة وأن جامعة الأزهر جامعة معترف بها عالميًا؟

السؤال الثاني: ما السلبيات التي واجهتموها –إندونيسيون وأتراك– في مصر؟

السؤال الثالث: والخاص بالإخوة الإندونيسيين، وهو ألم تفكروا في وحدة جنوب شرق آسيا المسلمة بدلاً من التشرذم وانفصال الأقاليم؟ فلماذا لا تنضم ماليزيا إلى اندونيسيا ويتكون صرح صناعي سياسي ضخم في هذا الأرخبل؟

أ. سنان:

فيما يتصل بشهادة الأزهر، فإن الحكومة الجديدة الآن تحت ضغوط خارجية كثيرة، ولكن إذا ما استقرت الأمور، فقد يمكن إحراز تقدم بالنسبة للاعتراف بشهادة الأزهر، وإن كنا لسنا بحاجة ماسة إلى هذا الأمر، ولكن وإن شاء الله، فإذا فُتح هذا الباب في المستقبل فبها ونعمت.

أ. عبد الله:

أولاً: بالنسبة إلى السلبيات والإيجابيات بمصر، فإننا نفخر بمصر؛ لأن مصر أول بلد اعترف باستقلال إندونيسيا. إذن، هناك علاقات جيدة بين إندونيسيا ومصر، حتى أن جميع رؤساء إندونيسيا يحرصون على زيارة مصر، حيث إن "سوهارتو" و"سوكارتو" و"عبد الرحمن واحد" جميعهم زار مصر. ويبدو من كل هذا كيف أن العلاقات بين مصر وإندونيسيا علاقات قوية ومتينة.

وإن كان هناك ملاحظات على خريجي الأزهر من الإندونيسيين بشأن دراسة اللغة العربية، فإن بالأزهر تدرس السماحة المستمدة من رؤية الإسلام ما ينتشر في جميع أنحاء الجزر الاندونيسية.وكل هذا يدل على عمق العلاقات المصرية–الاندونيسية.

ثانيًا– وعن لماذا لم تتحد جميع البلاد الإسلامية في جنوب وشرق آسيا؟ فنحن نعرف أن بآسيا توجهات وأوضاع مختلفة، فبالرغم من أن إندونيسيا أكبر دولة بجنوب شرق آسيا، وأن إندونيسيا وسنغافورة من أصل شعبٍ واحد، إلا أن هناك اختلافات كثيرة لا تسمح بالتمكن من إقامة اتحادات بينه أقوى مما هو موجود حيث هناك الآسيان. الذي يضم دول جنوب شرق آسيا، ذلك مثل مصر والدول العربية، حيث إنهم بالرغم من أن هذه الدول تنتمي لأصلٍ واحد وتتحدث لغة واحدة، إلا أنه لا يوجد اتحاد كامل بينها.

أ. ستى مجيدة:

بالرغم من أنه لا يوجد اتحاد بين إندونيسيا وماليزيا، إلا أنه هناك علاقات قوية على مستويات الثقافة والتربية، فمنذ زمن درس الطلبة الماليزيين بإندونيسيا والعكس؟

فهناك اتحاد على مستوى الثقافة والحضارة.

أ. موسى –كوت ديقوار:

السلام عليكم

حقًا، إن هذه الدورة تُعد نافذة للتعارف الحضاري، وطريق لتصحيح المدركات، خاصة وإن الشعوب الإسلامية غير العربية لا تنظر إلى العرب من خلال المنظور الواقعي لحياتهم، فلا يعرفون هذه المجتمعات المعاصرة، حيث إن معلوماتهم عنها معلومات تاريخية مستمدة من التاريخ الإسلامي؛ ولذلك عندما يأتون إليها –الدول العربية– يُصدمون من الواقع، فيرون أمور مخالفة لما يتصورون، هذا مثل الأمر الخاص بتأجيل الموظفين أداء الخدمات.

وفي الوقت ذاته، هناك جوانب أخرى مشرقة، فمثلاً عندما يعرف بعض المضريين أنك طالب وافد بالأزهر يُخفضون إيجار المساكن، ولا شك أن في هذه الحالة يؤخذ الجانب الديني في الاعتبار.وما أريد التأكيد عليه أنه بالرغم من وجود بعض الجوانب السلبية لدى المصريين، إلا إنه هناك العديد من الوجوه المشرقة.

والحقيقة أننا كوافدين من بلاد مختلفة نصدم أحيانًا، وبعض الطلبة لا يحتمل هذه الصدمة فيُقررون العودة.

وهناك سؤال أريد أن أوجهه للإخوة الإندونيسيين، فقد سمعنا أن الصينيين الذين يُشكلون 30% من الشعب الإندونيسي يسيطرون على 70% من الثروة الإندونيسية، ومن المعروف أن أغلبهم قد يكون من البوذيين، والسؤال إذن أليس الإسلام يمتلك قوة محركة كافية، فماذا يفعل المسلمون؟!

أ. عبد الله:

نعم إن الصينيين في إندونيسيا هم المسيطرون على الاقتصاد وبعضهم بوذي وبعضهم كونفشيوسي، ولكن هؤلاء ليس الجميع من الصيني، وإنما هم من جاوة. بينما يُطلق عليهم صينيين غالبًا يحكم الدين وللمسلمين أيضًا دور في الاقتصاد ولكن أغلب المسيطرين من الصينيين كما ذُكِر.

أما في المجال السياسي، فإن الأمر يختلف/ فرؤساء المناطق ورؤساء الجمهورية ونوابهم وحتى الوزراء من المسلمين، فقط قد يكون هناك 1– 2% من رؤساء المناطق والمحافظات من غير المسلمين.

فإندونيسيا من أكبر الدول الإسلامية بالعالم ويكون هناك فرصة للصلاة في أثناء العمل، كما إن هناك اهتمام بمسألة الزكاة أثناء رمضان.

أ. مدحت ماهر:

في ضوء هذا الكلام، أود التعليق على ما يُعرف بـ"**الأقلية الاستراتيجية**"، حيث إن هذه الظاهرة موجودة بكثير من الدول بل هي موجودة في العالم كله، فظاهرة (20– 80) ، (80– 20) هي ظاهرة كوكبية، وتعني أن 20% من السكان يسيطرون على 80% من الاقتصاد، بينما الـ 80% الآخرين لا يحصلون على 20% من الثروات.

فمثلاً بالنسبة لشعوب غرب إفريقيا التي تحدث عنها أ. موسى هناك الأقلية المتفرنسة المسيطرة على السياسة والاقتصاد معًا.أيضًا لدينا بعض الدول العربية التي تحكمها أقلية شيعية بالرغم من أن بها أغلبية سنية مثل سوريا.

والمشكلة –كما ذكر عبد الله في نهاية حديثه– ليست في التوزيع الذي يتحكم فيه عوامل كثيرة، وإنما المهم التأثير في المرجعية الحاكمة للمجتمع ... فلدينا بمصر يسيطر الأقباط على حوالي 45% من الاقتصاد بحسب بعض التقارير، ولكن ذلك لا يُشكل أي مشكلة، كذلك نجد في التاريخ الإسلامي، أن وزن اليهودي الرأسمالي بالأندلس كان كبير جدًا، إلا أنه لم يكن له تأثير في تماسك المجتمع، حيث إن ما يؤثر في هذا الأمر هو الوضع الحضاري للمجتمع ذاته، فإذا كان هناك حالة تردي بالمجتمع، تحاول الأقليات والعرقيات تحويل ذلك إلى نفوذ سياسي.

فالمشكلة تكمن في السياق وليست في التوزيع ذاته.

أ. هبة السيد – الفرقة الثالثة– كلية الاقتصاد والعلوم السياسية:

بما إن الزواج ميسور جدًا بإندونيسيا، فهل تعدد الزوجات أمر منتشر هناك؟ وماذا عن أعداد الأطفال نسبة الأطفال بالأسرة، فكيف تقرر الأسرة العدد الذي تريده من الأطفال؟

أ. عبد الله:

كون الزواج ميسور بإندونيسيا، فهذا لا يعني أن كل إندونيسي يتزوج اثنتين أو ثلاثة. وتيسير الزواج هذا مستمد من القيم الإسلامية، فكما ذكر د. خالد مصلح إن المهر بسيط وليس مشكلة. وبالنسبة إلى عدد المواليد ففي عهد الرئيس "سورهاتو" كان هناك عمل على تنظيم هذا الأمر بحيث يكون لكل أسرة إنجاب طفلين فقط. وإندونيسيا الآن من أكبر خمس دول سكانًا.

أ. ستي مجيدة:

بالفعل فإن تيسير الزواج لا يعني سهولة تعدد الزوجات ولا تقبل الفتاة الإندونيسية بتعدد الزوجات إلا بحجة قوية جدًا والمهم في الزواج أن يكون الزوج صالحًا وملتزم في العمل، أما الرزق فمن الله.

وقد هدف "سوهارتو" من تنظيم عدد السكان إلى تحويلهم إلى عامل حقيقي في بناء المجتمع.

أ. عبد الله

في عام 1973، قام الرئيس "سوهارتو" بعدم السماح لأي موظف حكومي بالزواج من أكثر من واحدة.

أ. مدحت ماهر:*

في الحقيقة إني أحيى هذه النوعية من الأسئلة والمتعلقة بالجانب الاجتماعي، لاسيما وأن الجانب السياسي يهتم به الإعلام، كما أن مجال المعرفة عنه متسع. بالإضافة إلى أن هناك مشترك بيننا جميعًا متعلق بالمسائل التي تحدث عنها أ. موسى وتحدثنا فيها من قبل حين تناولنا السلبيات والإيجابيات، هذا المشترك الخاص بالمسألة الحضارية حيث الهوية والمرجعية والعلاقة بين المجتمع والدولة والعلاقة بين فئات المجتمع وبعضها البعض.

وتركيا باعتبارها دولة رأس، ومصر باعتبارها دولة قلب، وإندونيسيا باعتبارها طرف إسلامي كبير، كل هذه الدول نماذج لأزمة حضارية متعلقة بالأمة. فما نفتقده وما لا نعرفه عن بعضنا البعض هو صفات الفرد المسلم الذي يعيش بهذه البلاد وأحواله الاجتماعية المتعلقة ليس فقط بالقوانين.

فإذا كان "سوهارتو" أو "سوكارنو" تعرض للمسألة قانونيًّا، إلا أن المجتمع ذاته لديه أسلوبه للتعامل مع المسائل المختلفة، فهل يُيسر أم يعسر؟ وهل يتجه يمينًا أم يسارًا؟ وهل هذه المسائل هي التي تنتج ما يُعرف بـ"التعارف الحضاري"؟

ولذا، نود توجيه الأسئلة المتعلقة بالزواج والمواليد والإنجاب إلى الأخوة الأتراك أيضًا، خاصة وأنه من المعروف أن لا تعدد للزوجات في تركيا قانونًا، وبالتالي كيف يتعامل المجتمع مع سوق الزواج والأسرة والمواليد ثقافيًا،إذ لا أظن أن القانون هو الحاكم هذه الجوانب.

أحد المتحدثين التركيين:

لدينا كشعب تركي، قانون لا يسمح بتعدد الزوجات بالزواج من أكثر من واحدة ويلتزم الشعب التركي بهذا القانون عامة، ولكن على جانب آخر، فإن تعدد الزوجات موجود، إلا إن ذلك يحدث إذ تعسرت الأمور كوجود مشاكل صحية أو غير ذلك؛ كما أن الزوجة الثانية غير قانونية، فيُعقد النكاح/ الزواج دينيًا ومع مراعاة الشروط الدينية، ولكن تعدد الزوجات بشكلٍ عام –وكما ذكرت– ليس منتشر لدينا وهوممنوع رسميًا.

أ. مدحت ماهر:

وماذا عن المواليد؟

فنحن أخذنا من الأتراك الكثير في إطار ما يُعرف بالمسألة التاريخية، وهذه نقطة مهمة أشار إليها كل من عبد الله وسنان.

---

* قام بإدارة الجلسة لفترة حين أستأذنت د. نادية

فنحن في وقت من الأوقات علمنا الأتراك الكثير، وقد كان الشعب المصري شعبًا عظيمًا في سياق هذا التطور التاريخي.

فعندما سقطت بغداد احتضنت القاهرة الحضارة الإسلامية، وبعد خمسٍ وثلاثين سنة بالضبط من سقوط بغداد، قامت أول إمارة لـ "عثمان بن " التي هي الإمارة العثمانية الأولى، وهذا من فضل الله على هذه الأمة أنها لم تمكث طويلاً منهزمة، وبعد حوالي مائتي عام طرقوا – العثمانيون– أبواب مصر، ولم يكن هناك أبدًا مانعًا لدى المصريين في أن يحكمهم الوالي العثماني أو الأغا العثمانلي.

وقد تلقى المصريون الكثير من العثمانيين ومن بين ذلك تكريس فكرة الأسرة الممتدة، والتي كنت أظن أنها كانت موجودة من قبل لدى المصريين باعتبارهم فلاحين إلا إني قرأت قريبًا أن الأتراك أيضًا كان لهم دور كبير في تكريس هذه الفكرة لدى المصريين.

ولكن هل الاتجاه التغريبي والثقافة التغربية المسيطرة بشكلٍ ما أثرت في اتجاه جعل الأسرة النووية هي الأساس.

أ. سنان:

حقيقة؛ إن الحكومة لدينا تحث على تعيين الأسرة وتحديدها، ولكن إذا نظرنا إلى الشعب، سنجده لا يهتم بهذا الأمر وإذا كانت الحالة الاقتصادية ميسورة بمعنى أن الأب والأم يستطيعان العيش بحياة /معيشة جيدة، فإنهم لا يقتصرون على ولد أو ولدين أو بنت أو بنتين.

فإذا كانت الحالة الاقتصادية أو الصحية مناسبة، فإن الأسرة لا تكترث بتحديد عدد الأطفال.

أما الحكومة –فكما ذكرت في البداية– دائمة الدعم والحث على تحديد عدد الأولاد /الأبناء.

أ. مدحت ماهر:

هل يُعترف بالأبناء من الزوجة الثانية قانونًا؟

المتحدث التركي:

نعم يُعترف بهم، ولكن يُكتبون على اسم الزوجة الأولى (ينسبون إليها)، لأن الزوجة الثانية غير قانونية.

أ. إبراهيم عرفة:

أود توجيه سؤال إلى الإخوة الاندونيسيين، حيث أرى من وقت لآخر ظهور وحضور للجماعات الإسلامية في الإعلام.

من خلال المظاهرات أو غيرها، أي هناك تواجد ملموس لها خاصة بالإعلام الدولي. والآن نسمع –كما ذُكر– عن الجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء بإندونيسيا، ولكن في ذات الوقت عندما نسمع عن إحصاءات التنصير بإندونيسيا نجد أنها أكبر دولة حقق بها التنصير

نتائج كبيرة جدًا، حتى أن من تم تنصيرهم تجاوزت أعدادهم الملايين، حتى أني سمعت أن عددهم وصل إلى 15 مليون.

وفي ضوء ذلك، أتساءل عن دور الأفراد والجماعات الإسلامية والدعاة بإندونيسيا في هذا الأمر، خاصة وأننا نرى منذ زمن الجاليات الإندونيسية التي تأتي إلى هنا لتتعلم بالأزهر كالإخوة المتواجدين معنا الآن، فما دور هؤلاء في تعليم الناس ورفع الجهل عنهم ومحاربة موجة التنصير الشديدة الموجودة بدول جنوب شرق آسيا وبخاصة في إندونيسيا.

وبالنسبة إلى الإخوة الأتراك، فإني أيضًا أسأل عن دور الأفراد كدعاة متعلمين للعلم الشرعي في توعية الناس وتعليمهم دينهم، إذ إن ذلك من شأنه كسر حدة العلمانية وزيادة المد الإسلامي.

أ. عبد الله:

صحيح أنه بإندونيسيا الجمعيات الإسلامية الكثيرة والكبيرة كالجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء، كما أن هذه الجمعيات تقوم على التربية بالمساجد وتقويم الأبناء، خصوصًا وأن بإندونيسيا مدارس حكومية ومدارس أهلية.

والمدارس الحكومية لا تُعلم الكثير من العلوم الدينية، بخلاف المدارس الأهلية كمدرسة نهضة العلماء أو المدرسة المحمدية على المستويات الابتدائية والثانوية والعالية، إذ إن هذه المدارس تدرس العلوم الدينية أكثر من نظيرتها الحكومية، بالرغم من أنها لم تترك دراسة العلوم الأخرى كالجغرافيا والديمجرافيا وغيرها، فهذه العلوم دُرست مع العلوم الشرعية إلى جانب اللغة العربية أيضًا.

أما عن دور خريجي الأزهر والجامعات الإسلامية بالشرق الأوسط خصوصًا، فإن لهم دور كبير ومهم في بناء الفرد المسلم، وخاصة الشباب المسلم بإندونيسيا.

وهناك الآن بعض العلماء بإندونيسيا من خريجي السوربون وجامعات متعددة بالغرب وهم ينشرون الإسلام على سبيل الخطأ فيما يُعرف بالعلمانية أو الليبرالية وفق ما يُطلق عليه الإسلام الليبرالي.

وهنا يكون علينا واجبٌ بشأن تعليم الإسلام الصحيح، بمعنى أن نتعلمه كما هو على المذهب الصحيح، فبعد أن ندرس بالأزهر ونعود إلى بلدنا نقوم بتصحيح الأفكار أخذًا في الاعتبار أن الإندونيسيين شعب مختلف، حيث ينتشر خريجو الأزهر بجميع إنحاء إندونيسيا لنشر الإسلام والدعوة إلى الإسلام الصحيح كما هو بالكتاب والسنة، فضلاً عن تصحيح ما قالته الليبرالية عن الإسلام.

وبالنسبة إلى التبشير المسيحي، فلا أعلم كثيرًا عن هذا الأمر، إذ إن أعداد المسيحيين بإندونيسيا قليلة باستثناء بعض المناطق الت شهدت واحدة منها مواجهات في عام 1997 بين

المسلمين والمسيحيين والتي انتهت فيما بعد وقد كان بهذه المنطقة عدد من المسيحيين الذين لم يحترمون الإسلام، في حين يحترم المسلمون المسيحيين، مما يؤكد سماحة الإسلام.

وعن دور الجمعيات الإسلامية في هذا الإطار، فيتضح مما سبق كيف أن هناك توازن مع الدور الحكومي وذلك كما هو على مستوى المدارس، فهو أيضًا على مستوى المستشفيات، فكما أن هناك المستشفى الحكومي هناك مستشفيات الجمعيات الإسلامية والتي لا تقوم فقط بمجرد إعطاء الدواء وإنما أيضًا بتربية الروح، فالمرضى طالما بقوا بالمستشفيات فإنهم يُربون روحيًا.إذن، تتميز الجمعيات مقارنة بالجهات الحكومية.

أ. مدحت ماهر:

إذن هناك رد على التنصير/ مواجهة للتنصير، فإذا ما قام الطبيب بدور المنصر عبر توفير الغذاء والدواء فإن هذا يُعد رد أكثر عملية على محاولات التنصير.

أ. ستي مجيدة:

لدينا بإندونيسيا الجمعيات الإسلامية الكبيرة مثل جميعه نهضة العلماء والجمعية المحمدية، وهناك أيضًا طوائف مثل الأحمدية، لكن خريجي الأزهر حين يأتون إلى إندونيسيا فإنهم يُقدمون المنهج الوسطى بين الليبرالية والعلمانية والتشدد.

وعلى مستوى الحكومة الإندونيسية فهناك عدة ديانات، فهناك البوذية والهندوسية والمسيحية والإسلام، إلا أننا نجد تسامح فيما بينهم فيما يتعلق بالعبادة وكل شيء.

فإذا نظرنا إلى روح التسامح بيننا سنجدها قوية جدًا باستثناء بعض المناطق ولكن هذا لا يصل إلى كل أنحاء إندونيسيا.

أ. سنان:

عالم الدين لدينا له وجهان، أولهما ما يتعلق بالحكومة والمدارس الرسمية والآخر يتعلق بالشعب والمجتمع المدني.وفيما يتعلق بالحكومة، فإنه يوجد بالمدارس الحكومية درس ديني بُدِل اسمه إلى "الثقافة الدينية وعلم الأخلاق" وهذه المادة بها أشياء أساسية تَعلم و تُدرس للأطفال ولكنها سطحية جدًا.

وإذا ما نظرنا إلى الوجه الآخر وهو ما يتعلق بالمجتمع المدني –فكما ذكرنا في البداية– لدينا جهات مختلفة ومتوافرة وكثيرة جميعها تسعى إلى الخير وإلى إعداد الدعاة، وذلك بحسب مناهجهم المختلفة وإن بقى الأصل شيء واحد وهو تعليم الدين وامداد الناس بالشعور الإسلامي.

وهذه المؤسسات هي مؤسسات غير رسمية تسد حاجة الشعب التركي إلى هذا الوعي، فهذه المؤسسات تفتح وتعمل بمشاركة الشعب الذي تدرس لأولاده وتعلمهم العلوم المختلفة ويعلمون العلوم الدينية جميعها في آن واحد.

أيضًا يستغل الطلاب فرصة عطلة الصيف للذهاب إلى المساجد ولحفظ القرآن الكريم وتعلم ما يتعلق بشؤون دينهم ودنياهم، حيث يجدون كل شيء.

ولكن هناك شيء مهم هنا، فالشعب يعمل على تأسيس مؤسسات كبيرة، فقد نجد جامعات كبيرة وفخمة جدًا أسست من خلال الشعب ومساعدة بسيطة جدًا من الحكومة أو حتى بدون ذلك، فالشعب هو الذي يؤسس ويبنى وهو أيضًا الذي يستفيد من ذلك.

أ. مدحت ماهر:

ولعلنا نذكر من خلال الفيلم الذي شاهدناه، كيف تم هدم المقرأة التي تعلم فيها "أردوغان"، وكيف كان شعور الناس إزاء ذلك، لكي يُبنى ما هو خيِّر منها، على النحو الذي يوضح ارتباط الشعب بهذه الكيانات. وهذه العلاقة مهمة جدًا ويجب أن نستفيد منها كمصريين، حيث إن هناك بعض الأشياء لابد وأن نخلق طلب شعبي عليها أولاً قبل أن نقول إن الحكومة تعترض عليها، فلو أن هناك طلب شعبي على دخول الأزهر والمعاهد المتعلقة بالدعاة وما إلى ذلك، أظن أن ذلك سيُخفف وطأة المعارضة الحكومية بشأنها.

أ. محمد فهمي:

أود أن أضيف شيء، وهو أننا لدينا مدارس الأئمة والخطباء الثانوية. ويُدرس بهذه المدارس العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث، ومع هذا لدينا مدارس تسير على النهج القديم، والتي يتعلمون بها اللغة العربية خاصة والعلوم الدينية من تفسير وحديث جانبيًا، وتكون معيشة الطلاب من خلال الشعب، فمثلاً إذا ضمت المدرسة القديمة 20 طالبًا فإن كل يوم تتكفل إحدى الأسر بإعطائهم الطعام ونحوه.وتوجد أكثر هذه المدارس بجنوب شرق تركيا، حيث الأصول القديمة.

أ. شيرين حامد فهمي: باحثة دكتوراه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية:

لدي سؤال ذو طابع سياسي وهو متعلق بالجانبين التركي والإندونيسي، فإذا ما أردنا إجراء مقارنة بين علاقة الحاكم والمحكوم في كلٍ من تركيا وإندونيسيا ومصر، كيف يكون ذلك من خلال ما لمستموه هنا؟

أيضًا، لدى سؤال ذو طابع اجتماعي موجه للطرفين، وهو: فيم تتحدث خطب الجمعة لديكم، فما الموضوعات الأساسية التي نتناولها؟أيضًا ماذا عن الإعلام والجرائد والتليفزيون، فما الموضوعات التي يتم التركيز عليها من خلال وسائل الإعلام؟ فما الذي تتدخل فيه الحكومة وما الذي لا تتدخل فيه؟

أ. مدحت ماهر:

هي تتحدث عن قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أي الشعب والدولة، فكيف تسير العلاقات بين الجانبين، خاصة وأنه اتضح من خلال العرض أن هناك مساحات يتحرك فيها الشعب بتركيا كما شاء، أيضًا بالنسبة لإندونيسيا فقد تبين من خلال حديث عبد الله وستى مجيدة

أن الجمعيات الأهلية تتحرك في مساحات واسعة جدًا، فهل هذه المساحة هي الأصل أم هي فرع على المسألة؟

أ. سنان:

أولاً، من ناحية العلاقة بين الحاكم والمحكوم –فكما لاحظتم– فإن الشعب يتحرك بنفسه، ولكن ذلك ليس معناه الخروج على الأحكام والقواعد الحكومية، حيث تضبط الأعمال المختلفة في الإطار الحكومي.فإذا كان هناك رغبة من أحد في إنشاء مؤسسة ما، يكون ذلك في ضوء القواعد الرسمية وتنفذ وفق ما تريد الحكومة، ثم يبدأ العمل بها. وهذا أمر مهم.

أ. شيرين فهمي:

هل الشعب لا يتحايل على هذه القواعد؟

أ. مدحت ماهر:

لا إن الشعب يرى هذه القواعد والقوانين مناسبة. أما الفرق بين الدولتين محل التناول الآن هو الفرق بين القانون والهوى، فإذا كان هناك قانون حقًا يُمكنني أن أضُمن نفسي به بدلاًً من التحايل عليه، ولكن إذا غاب هذا القانون، فأين أضع نفسي؟ وهذه هي المشكلة لدينا.

أ. سنان:

نعم إن القوانين صالحة كي يتحرك الشعب من خلالها، فهي مناسبة لكي يقوم الشعب بما يريد.فالقوانين ليست الجدران الجامدة التي لا يُمكن النفاذ من خلالها، وإنما هي ليست ثابتة وصلبة هكذا، حيث يستطيع الشعب تنفيذها بما يتوافق مع ما يريده.

وبالنسبة النقطة الثانية، وهي فيما يتعلق بخطب الجمعة، فإن خطب الجمعة تضعها رئاسة الشؤون الدينية، وهذه الرئاسة هي التي تقدر ما نقرأه من خطب.وموضوعات الخطب عمومًا ترتبط بالمناسبات، فإذا اقترب رمضان تأتي متعلقة برمضان، وإذا اقترب العيد كذلك.

كما يُتحدث عن موضوعات عامة استنادًا إلى أحاديث النبي"صلى الله عليه وسلم" والآيات الكريمة، فيُلخص للشعب ما يُستفاد منها، حيث يُتحدث عن الأخلاق وتربية الأولاد واحترام الأبناء للآباء والمعاملات بين المسلمين وغير ذلك من أمور مدنية تدخل في صالح الأمة، ولا يأتي مجال السياسة في الخطب على الإطلاق، فهناك خطبة مكتوبة لابد أن يقرأها الخطيب على المنبر وبالنسبة إلى اللغة، فإن الصلوات والآيات والأحاديث والمدائح التي تبدأ بها الخطبة تكون باللغة العربية، أما بقية الخطبة فتلقى باللغة التركية كي يستفيد منها الناس.

ومن ناحية الإعلام، فإننا –كما ذكرت في البداية– لدينا اتجاهات كثيرة ومنها ما يسعى لخير الأمة وخير الإسلام ومنها ما يُحاربه الإسلام، ولابد أن ننظر إلى الجانبين، فعلى الجانب الأول الإسلامي توجد المجلات والجرائد والتليفزيونات والإذاعات المنتشرة. فإذا نظرنا إلى هذه الوسائل في هذا السياق لرأينا أنها دائمًا تسعى إلى تعليم وتثقيف الأمة كما هو في مصر.

أما على الجانب الآخر، وهو ما يحاربه الإسلام، فإننا نرى ما لا نريده، حيث يعرض أن في تركيا كل شيء مباح من فحشاء وكل قبيح.

وحقيقة، فإن هناك صدام كبير جدًا بين الناحيتين وهو مستمر. ولكن النقطة المهمة هي أن الجانب الأول يزداد بدرجة كبيرة جدًا، خاصة في ظل ما تتابعونه الآن بتركيا من أخبار والتي توضح كيف توجه ضربة كبيرة لمن يُحاربون الإسلام، فمن نسميهم العلمانيين ضربوا ضربة شديدة جدًا، وكاد لا يبقى مجال لتحركهم فنحن وإن كنا ذكرنا أن الجيش كان مسيطرًا على الحكومة، ويُساعد العلمانيين، إلا أن قوة هذا الأمر قد اختلفت الآن، حيث أدرك الشعب التركي ما يفعلونه وذلك من خلال الإصرار، فكثير من الأقلام أضحت توجه الشعب لما يحدث سرًا في الدولة، إذ يُفتشون عن العلمانيين وماذا يفعلون وكيف يتحركون وينجحون ثم يظهرون ذلك للشعب. وفي خلال ثلاث سنوات كان الشعب قد أدرك الرسالة.

والآن أصبح أي تحرك من قبل العلمانيين غير مقبول لدى الشعب، بل صار يقف أمامه وقفة صامدة.

د. نادية:

ولكن كل هذه التحركات والتفاعلات تأتي في إطار القانون وفي ظل احترامه.كذلك، فإنه في ضوء ما أعرف يجب في إيران أن ترتدي جميع النساء الحجاب، في حين أن من يذهب إلى طهران يجد أنماطًا مختلفة لهذا الحجاب بداية من الشادور الذي ترتدية الملتزمات إلى من يضعن مجرد إيشارب لأنهن مضطرات لذلك، حتى أننا بمجرد خروجنا من المطار يخلعن الحجاب.

ولعل ذلك ما قصده د. إبراهيم البيومي، حين قال إن هناك أمور هي من أمور الضمائر والإنسان هو مسئول عنها، فإذا أجبر على القيام بها في مكان محدد لأن أصحاب هذا المكان أو القائمين عليه يعتقدون أن هذا هو الذي يجب عليهم حماية للإسلام، فقد يحدث أنه بمجرد الخروج من هذا المكان يقوم الإنسان بتصرفات مختلفة، وهناك نماذج أخرى كحالة السعودية، وكما رأيت في عدد من الدول.

والنقطة المهمة هنا هي أنه مع وجود قانون، هناك مساحة حرية في نطاق ديمقراطي للممارسات المدنية القيمية التعليمية التربوية الدعوية وهذا استنادًا إلى الوقف والصحف والإذاعات والمدارس والجامعات واتحادات رجال الأعمال التي تكون قائمة على منظومة القيم وكيف تُفعل ابتداءً من تربية الإنسان.

أ. عبد الله:

بالنسبة إلى العلاقة بين الحاكم والمحكوم أو المجتمع والدولة في إندونيسيا، فإنها تكون – وكما ذكر الإخوة بتركيا– محكومة بإطار القانون.

فجميع رؤساء المحافظات والمناطق وأعضاء مجلس الشعب وحتى رئيس الجمهورية ينتخب مباشرة من المجتمع وفق القانون، كما أن هناك قانون خاص بالأحزاب في إندونيسيا، وهناك انتخابات بها.

الآن هناك 34 حزب سياسي بإندونيسيا تشترك في الانتخابات، في حين أنه كان هناك 3 أحزاب فقط حتى عهد "سوهارتو"، حيث حدث الآن انفتاح في هذا الأمر.

وفيما يتعلق بخطبة الجمعة، فإنها بإندونيسيا كما هي بتركيا، حيث إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تقال بالعربية، ثم بعد ذلك تكون الخطبة باللغة الشعبية بإندونيسيا سواء اللغات الخاصة بجاوة أو سومطره، حيث لا تلقى الخطبة بمكان واحد.

أما الموضوعات، فهي أيضًا تأتي بحسب الأحوال، ففي عام 1998 على سبيل المثال تناولت جميع الخطب الأزمة سواء الاقتصادية أو السياسية، حيث قامت على تحليل المشكلة والتأكيد على أهمية الاعتماد على النفس في إندونيسيا لمواجهة الأزمة المالية التي اجتاحت جنوب شرق آسيا.

كذلك تأتي الخطب متعلقة بشؤون الحياة اليومية إلى جانب العلوم الدينية، وهناك علاقة بين الأمرين، إذ إن الإسلام يُنظم أمور الحياة بداية من الاستيقاظ من النوم وحتى النهاية، حيث لا يُفرق الإسلام بين الأمور الدنيوية والأمور الأخروية.

وفيما يتصل بالإعلام، فإنه إذا كان في تركيا جانب من الإعلام يحارب الإسلام، فلا يوجد هذا الأمر بإندونيسيا.

وتنتشر بإندونيسيا القنوات والمجلات والإذاعات الأهلية، إلى جانب وجود قناة حكومية. أيضًا، هناك قنوات مناطقية كما هو بالنسبة إلى جاوة الوسطى وجاوة الشرقية وكذلك جاكرتا.

وفيما يتعلق بالجرائد تحديدًا وموضع الإسلام منها، فإن الجمعية المحمدية تصدر جريدة بعنوان "السُنة المحمدية" وتصدر نصف شهرية كأغلب مجلات وجرائد الجمعيات.أما الجرائد والمجلات الأهلية والحكومية فإنها تصدر صباحًا ومساءً.

أ. وفاء السعيد –الفرقة الرابعة– كلية الاقتصاد والعلوم السياسية:

بعد حضوري اليوم ورؤيتي لهذا المشهد، انتابني شعور معين وددت مشاركتكم فيه، وهو أن عنوان الدورة "ثقافات متعددة في إطار حضارة جامعة" وجدته اليوم، فهذه هي الحضارة الجامعة، وهذا هو الإسلام الذي جعل التركي يجلس بجانب الإندونيسي والمصري.

فهذا هو الإسلام، وهذه هي الحضارة التي جمعت كل هذه الأعراق والشعوب صاهرة إياهم في بوتقة واحدة فأنتجت حضارة إسلامية لها ميراث تاريخي استمر لعدة قرون، حتى أنها ورثت العالم العلوم الإنسانية والحضارية.

ولذلك، أطلب من أستاذتي الدكتورة نادية مصطفى أن تمأسس مسألة التفاعل والتواصل الحضاري بين الشعوب وبعضها البعض، ولاسيما وأننا نرى أن الحكومات والجهات الرسمية لم توفر لنا متطلباتنا في التعرف على بعضنا البعض بما يتفق مع قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ (سورة الحجرات: آية 13).

وهنا أذكر مقولة أستاذنا الدكتور سيف المشهورة وهي إن التعارف سنة والتعايش ضرورة والحوار آلية، كما أن التعارف عملية، وبالتالي فهناك حاجة لمأسسة هذه العملية

ولما كانت الأمور بالوعي والسعي، فإذا كنا بهذه الدورة لهذا العام، قد وصلنا لدرجة من الوعي بالتعرف على الروافد المختلفة المنبثقة بداخل الحضارة الإسلامية، وإزالة بعض الغموض والالتباس والمفاهيم الخاطئة التي كانت لدينا بشأنها، فلماذا لا نستكمل هذا الأمر بالسعي، حتى لا يتوقف الأمر عند مجرد يوم بدورة.

د. نادية:

أنا معكِ فيما تقولين، ولكن الحقيقة أن أ. علياء قد استمرت لمدة شهر في محاولة لإقناع الجهات المختصة بالدول المعنية في الدورة لترشيح أسماء للمشاركة، وحتى بعد الترشيح، أين هذه الأسماء، فأين الطلبة الماليزيين وغيرهم.وفي الحقيقة أود شكر من حضر.

أما إذا أردنا مأسسة التعارف، فبإمكانكم الاستمرار في الحوار مع من شاركوا بهذه الدورة.